
الجامعة الإسلامية – غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

دور العقيدة في علاج الانحرافات العقدية والسلوكية

إعداد

الطالب : زاهر موسى مصطفى الشرافي

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمود يوسف محمد الشوبكي

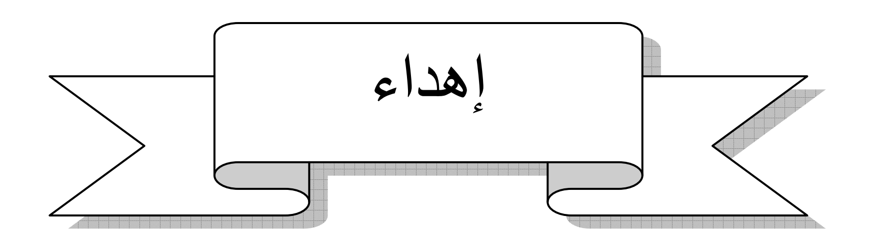
بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في العقيدة الإسلامية

العام الجامعي 1431هـ الموافق 2010م .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : 85].



إلى معلم الأمة ورحمة الله للبشرية محمد ﷺ .

إلى قادتنا وشيوخنا المجاهدين الذين غرسوا فينا حب الجهاد والتضحية بالغالي والنفيس سواء من قضي منهم نحبه أو من ينتظر.

إلى الأكرم منا الشهداء الذين ضحّوا بدمائهم .

إلي الأسرى الذين ضحوا بزهرات شبابهم لتحرير الأوطان .

إلى المجاهدين المرابطين على ثغور الوطن .

إلى أرض الإسراء إلى القدس الحبيبة والمسجد الأقصى.

إلى أعزائي أمي وأبي تحية إجلال وإكبار لهم.

إلى أخوتي و أخواتي الذين آزروني بالكلمة الطيبة.

إلى زوجتي وأبنائي الذين أسعدهم مقامي هذا.

إلى أقربائي وأصدقائي.

إلى إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى هؤلاء جميعاً

أهدي هذا البحث المتواضع وأحتسب أجري عند الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

الحمد لله الذي امتن على عباده المؤمنين ببعثة الرسول الصادق الأمين ﷺ ، فأخرجهم به من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم واليقين ، وأخبرهم على لسانه بما ينفعهم في الدنيا والآخرة وأوضح بأكمل إيضاح وأعظم تبيين ، فمن آمن به وبما جاء به؛ فهو من المفلحين ، ومن كان في ريب مما صح عنه ؛ فهو من الخاسرين.

أحمده سبحانه حمد أوليائه المتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي ترك أمته على المنهج الواضح المستبين ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

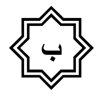
فإن أساس الغايات التي ينبغي أن ينشدها كل باحث مسلم هي مرضاة الله عز وجل ، فأسأل الله عز وجل أن أنال مرضاته ، وإن مما يشرف به طالب العلم أن يقدم للناس بحثاً ينتفعون به في دنياهم وأخراهم ،وأصدق الحديث ما عبر عن الواقع العملي في الحياة لذلك ؛ فإن علم العقيدة ، ومعرفة الله عز وجل أشرف العلوم ، وأجلها قدراً ، خاصةً أنها تعالج أمراض الأمة وفق المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه وأمر رسله عليهم السلام بإبلاغه.

لقد تكالبت قوى الشر اليوم على الأمة الإسلامية لبعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها عليه السلام، فأصابها كثير من الأمراض التي فتت في عضدها على مدار سنوات طويلة، وقد أكد ذلك عليه السلام في قوله: **(لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله من؟ اليهود والنصارى ؟ قال فمن)** (1).

لذالك كله فقد رأى الباحث دراسة بعض هذه الأمراض في هذه الرسالة لتشخيصها، ومن ثم الكشف عن العلاج المناسب لها من خلال العقيدة، بطريقة علمية منهجية؛ فكانت هذه الرسالة الموسومه بـ (دور العقيدة في علاج الانحرافات العقدية والسلوكية) والله أسال أن يكتب لنا ولكم القبول في الدنيا والآخرة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(1) كتاب الجامع الصغير ،البخاري، تحقيق: مصطفى ذيب البغا ، دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة: الثالثة ،1407هـ / 1787 م ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل(3 / 1274) رقم3269.



أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختيار

تكمن أهمية الموضوع وبواعث اختياره في نقاط عدة منها:-

1- التعرف على العقيدة ومنزلتها العظيمة في علاج أمراض الأمة وذلك من خلال تتبع الآيات والأحاديث النبوية وهما أفضل طريق للتوصل إلى العلاج الناجح.

2- المساهمة في إنقاذ الأمة من حالة الضعف التي وصلت إليها.

3 – لم تفرد دراسة علمية سابقة في هذا الموضوع _ في حدود علمي _ رغم ضرورة هذا الموضوع وأهميته لكل إنسان مسلم.

4- إثراء المكتبة الإسلامية وخاصة في الجانب العقدي.

ثانياً: أهداف البحث:

يهدف الباحث في هذه الرسالة إلى تحقيق أهداف عدة منها:-

1- التعرف علي بعض الأمراض التي أصابت الأمة.

2- الوقوف على أهمية العقيدة في حياة المسلم.

3- إظهار دور العقيدة في علاج الأمراض التي تعيشها الأمة.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد الاستفسار عن طريق سؤال شيوخي وأساتذتي الأفاضل، والبحث في العديد من قواعد المعلومات الخاصة بالدراسات الأكاديمية والمتعلقة بالجامعات الإسلامية والعربية، وبعد مراسلة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض ، والبحث عن طريق شبكة المعلومات "الانترنت " تبين لي أنه لا توجد دراسة مستقلة حول (دور العقيدة في علاج الانحرافات العقدية والسلوكية) بالطريقة التي تناولها الباحث ، ولكن وجدت كتب تتحدث عن بعض أمراض الأمة وهي ، التوسل والوسيلة: للألباني ، فتنة التكفير: للألباني ، صفة النفاق وذم المنافقين: للفريابي ، البدع: لمحمد وضاح المواني ، الولاء والبراء: لمحمد بن سعيد القحطاني.

رابعاً: منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

سأعتمد المنهج الوصفي التحليلي[1] لتحقيق الأهداف التي أرجوها .

طريقة البحث:-

أولاً: عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

---

(1) هو وصف منظم للحقائق ولميزات مجموعة معينة ، أو ميدان من ميادين المعرفة المهمة بطريقة موضوعية وصحيحة انظر: دليل البحث والتقويم التربوي: أحمد الخطيب وآخرون ، 1985م (1 / 62).

ثانياً: تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها الأصلية وسأعتمد المقبول منها، وإن وجد الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك فان وجد في غير ذلك سأنقل حكم العلماء عليه في الحاشية.

ثالثاً: جمع المادة العلمية من مظانها المعتمدة.

رابعاً: توثيق المراجع والمصادر في الحاشية ، بذكر بيانات المرجع كاملة عند وروده لأول مرة ، وبعد ذلك أكتفي بذكر اسم الكتاب فقط ، وإن لزم اسم المؤلف .

خامساً: الترجمة المختصرة للرواة غير المشهورين.

سادساً: بيان غريب الألفاظ من كتب المعاجم والغريب في الحاشية السفلية.

سابعاً: التعريف ببعض المصطلحات العقدية عند الحاجة.

ثامناً: التعريف بالأماكن والبلدان إن لم تكن مشهورة من كتب معاجم البلدان في الحاشية.

تاسعاً : التعريف بالفِرق إن لم تكن مشهورة في الحاشية.

عاشراً: ضبط الكلمات المشكلة التي يتوهم في ضبطها.

الحادي عشر: تذييل البحث بفهارس علمية متنوعة.

خامساً: خطة البحث:

يتكون البحث الموسوم بـ" دور العقيدة في علاج الانحرافات الاعتقادية والسلوكية " من ثلاث فصول وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل علي: أهمية الموضوع وبواعث اختياره ، أهداف البحث ، الدراسات السابقة ، منهج البحث وطبيعة العمل فيه ، خطة البحث.

الفصل الأول

الإنحراف العقدي لدى الأمة ودور العقيدة في معالجتها.

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الانحراف في عقيدة الولاء و البراء.

ويشتمل على ستة مطالب:-

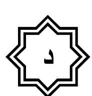
المطلب الأول: تعريف الولاء و البراء .

المطلب الثاني:منزلة عقيدة الولاء والبراء في الإسلام.

المطلب الثالث: مظاهر الولاء و البراء.

المطلب الرابع: أثر الانحراف في الفرد والمجتمع.

المطلب الخامس: حكم الإسلام في ولاء ومظاهرة الكافرين.



المطلب السادس: دور العقيدة في علاج الانحراف عن عقيدة الولاء و البراء.

المبحث الثاني: تكفير المسلمين.

ويشتمل على ستة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف التكفير.

المطلب الثاني: ضوابط التكفير وشروطه.

المطلب الثالث: أسباب جنوح الشباب نحو التكفير.

المطلب الرابع: موقف الإسلام من التكفير.

المطلب الخامس: الآثار المترتبة علي تكفير المسلم.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج تكفير المسلم.

المبحث الثالث: النفاق.

ويشتمل على خمسة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف النفاق.

المطلب الثاني: تحذير الإسلام من النفاق.

المطلب الثالث: أنواع النفاق.

المطلب الرابع: خطر النفاق علي الفرد والمجتمع.

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج النفاق.

المبحث الرابع: الابتداع في الدين.

ويشتمل علي خمسة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف البدعة والابتداع.

المطلب الثاني: أقسام البدع.

المطلب الثالث: موقف السلف من الابتداع وأصحاب البدع.

المطلب الرابع: آثار الابتداع.

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج الابتداع.

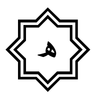
المبحث الخامس: التوسل المذموم.

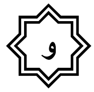
ويشتمل على خمسة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف التوسل.

المطلب الثاني: أدلة التوسل من القرآن والسنة.

المطلب الثالث: التوسل البدعي وأنواعه.





المبحث الثالث: الانحراف في فهم النصوص الشرعية والعمل بها.

ويشتمل علي أربعة مطالب:-

المطلب الأول: منهج أهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية.

المطلب الثاني: أسباب وقوع الانحراف في فهم النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: نماذج من النصوص الشرعية التي يقع الانحراف بها نتيجة عدم الفهم.

المطلب الرابع: دور العقيدة في علاج الانحراف في فهم النصوص الشرعية.

الفصل الثالث

الانحراف السلوكي ودور العقيدة في معالجته.

ويشتمل علي أربعة مباحث:-

المبحث الأول: التطرف والغلو.

ويشتمل علي ستة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف كل من التطرف والغلو.

المطلب الثاني: أنواع الغلو ومظاهرة.

المطلب الثالث: أسباب الغلو.

المطلب الرابع: الآثار المترتبة علي التطرف والغلو.

المطلب الخامس: حكم الغلو.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج التطرف والغلو.

المبحث الثاني: الانحراف عن القيم والأخلاق.

ويشتمل علي ستة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف كل من القيم والأخلاق.

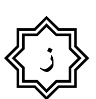
المطلب الثاني: حث الإسلام علي القيم والأخلاق.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف عن القيم والأخلاق الإسلامية.

المطلب الرابع: مظاهر الانحراف في القيم والأخلاق

المطلب الخامس: الآثار المترتبة علي الانحراف عن القيم والأخلاق في المجتمع.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج انحراف القيم والأخلاق.



المبحث الثالث: جنوح الشباب نحو الفواحش.

ويشتمل علي خمسة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف كل من الجنوح والفاحشة.

المطلب الثاني: تحذير الإسلام من ارتكاب الفواحش.

المطلب الثالث: عوامل انحراف الشباب للفاحشة.

المطلب الرابع: آثار الفواحش في المجتمع الإسلامي.

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج جنوح الشباب نحو الفواحش.

المبحث الرابع: التبعية والتقليد للكافرين.

ويشتمل علي ستة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف كل من التبعية والتقليد.

المطلب الثاني: أنواع التبعية والتقليد.

المطلب الثالث: مظاهر التبعية والتقليد.

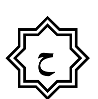
المطلب الرابع: الآثار المترتبة علي التبعية والتقليد.

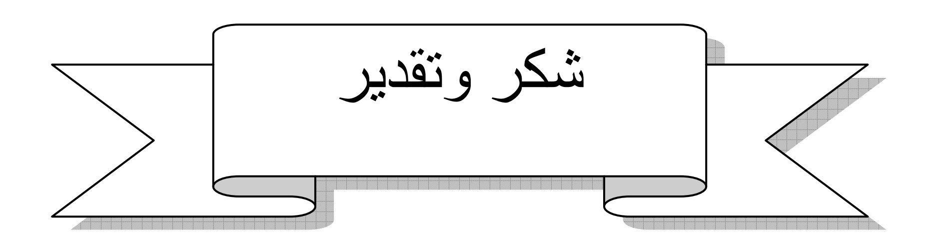
المطلب الخامس:حكم التبعية والتقليد للكافرين.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج التبعية والتقليد.

الخاتمة: وتشتمل علي النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتضمن قائمة المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات.





الحمد لله رب العالمين من قبلُ ومن بعدُ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين أما بعد: فانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : 7].

أتوجه بالشكر لله تعالى الذي أنعم عليّ نعماً لا تعد ولا تحصى ، منها الإنعام بإتمام هده الرسالة وأسأل الله أن تكون خالصة لوجه الكريم ، وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ : **(لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ)** (1)

أتوجه بالشكر لوالدي حفظهما الله ورعاهما ، كما أتوجه بخالص تقديري إلى أستاذي فضيلة **الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي** حفظه الله الذي تفضل عن رحابة صدر وطيب نفس، مشكوراً بقبول الإشراف على هذا البحث ، وما خصني به من تشجيع ونصح وتوجيه، فكان يولي هذا البحث مزيداً من الاهتمام والمتابعة ، بالرغم من كثرة مشاغله ، وتعدد مسؤولياته ، ولم يبخل عليَّ بعلمه أو وقته ، مما كان له عظيم الأثر في إثراء هذا البحث وإنجازه ، أسأل الله تعالى أن يُجزل له المثوبة وحسن الجزاء، ويبارك له في علمه وصحته وذريته.

كما وأتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذيَّ الكريمين الموقرين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور / صالح حسين الرقب.

فضيلة الدكتور / خالد حسين حمدان.

(1) سنن أبى داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف (4 / 403) رقم 4813 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الجامع الصغير وزيادته – المكتب الإسلامي (1 / 1155) رقم 11547

على تفضلهما عليّ بقبول قراءة هذا البحث ومناقشته، وعلى ما بذلاه من جهد لتنقيحه، وتقويم اعوجاجه، فهم أهل لسد خلله وتقويم معوجه ، أسأل الله تعالى لهما المثوبة وحسن الجزاء، وأن يبارك لهما في علمهما، وفي صحتهما، وذريتهما. كما لا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء في الجامعة الإسلامية ، وأخص بالذكر كلية أصول الدين ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى ذلك الصرح الشامخ (الجامعة الإسلامية) على جهودها العظيمة في بث العقيدة الإسلامية السليمة في نفوس أبناء المسلمين.
وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أعانني في إتمام هذا البحث

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الانحراف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف السلوك لغة واصطلاحاً .

المطلب الأول

تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف العقيدة في اللغة:

العقيدة مأخوذة من العقد والربط والشّدِّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرامُ ، والتماسك ، وهي نقيض الحل ، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه بقوة ، ويقال: عقد العهدَ والبيعَ: شدّه ، وعقد الإزارَ: شده بإحكام وبقوة [1].

ثانياً: تعريف العقيدة في الاصطلاح:

"ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل" [2].

وعرفه السفاريني فقال :" حكم الذهن الجازم ، فإن كان موافقا للواقع فهو صحيح ، وإلا فهو فاسد" [3] .

وهي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب ، وتطمئن إليها النفس ، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب ، ولا يخالطها شك [4].

تعريف العقيدة الإسلامية:

معرفة ما ورد في الكتاب والسنة فيما يتعلق في الألوهيات والنبوات والسمعيات معرفة مبنية على الجزم واليقين والتصديق [5] .

ونخلص من خلال ما تقدم :أن العقيدة هي التصديق الجازم الذي لا يعتريه الشك .

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الأولى (3 / 296).

(2) المواقف : لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1997م (1 / 31).

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة: الثانية ، 1402 هـ – 1982 م (1 / 60).

(4) انظر:الوجيز في عقيدة السلف: لعبد الحميد الأثري ، دار الراية – الرياض ، الطبعة: الثالثة ، 1428هـ (1 / 15).

(5) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: لمحمد الشريدوي ، الطبعة: الأولى 1400هـ / 1939 م (1 / 46).

المطلب الثاني
تعريف الانحراف لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الانحراف في اللغة:

الانحراف هو الميل ، يقال: انحرف وتحرف ، أي: مال وعدل عن الطريق [1] .

ثانياً: تعريف الانحراف في الاصطلاح:

بعد البحث في الكتب والمراجع لم أجد تعريفاً خاصاً به حسب حدود علمي ، ولكن يمكن تعريفه: هو الميل عن طريق الحق إلى طريق الباطل ، سواء في العقائد ،أم في المفاهيم والسلوك .

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (9 / 41) ، المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار (1 / 167).

المطلب الثالث

تعريف السلوك لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف السلوك في اللغة:

"السلوك: مصدر من سلك طريقاً ، وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً" [1].

وهو سيرة الإنسان واتجاهه ومذهبه ، يقال: فلان حسن السلوك ، أو شئ السلوك. أي: حسن السيرة والاتجاه ، أو سيء السيرة والاتجاه [2].

وقيل السلوك: هو النفاذ في الشئ [3].

ثانياً: تعريف السلوك في الاصطلاح:

ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء أي موقف يواجهه [4] .

وعرفه أحمد عزت: بأنه ما يصدر عن الإنسان من نشاط ظاهر أو باطن [5] .

وعرفه أيضاً علماء النفس بالقول بأنه وظيفة بيولوجية من الوظائف العضوية العنصرية للإنسان تتحقق في تعديل فعل إجمالي ، أو استجابة تكيفيه [6] .

نخلص مما تقدم: السلوك هو ما يصدر عن الكائن الحي من الأفعال والتصرفات في مناحي الحياة المختلفة سواء كان ذهنياً أم حركياً.

---

(1) لسان العرب: لابن منظور (10 / 442).

(2) انظر: المعجم الوسيط (1 / 445).

(3) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1410(1 / 413).

(4) انظر:معجم علم النفس والتربية: إعداد فؤاد أبو الحطب – محمد سيف الدين فهمي ، إشراف : عبد العزيز السيد ، مجمع اللغة العربية – مصر ، الهيئة العامة لشؤون الطبع الأمرية 1984م (1 / 19).

(5) انظر: أصول علم النفس : لأحمد عزت راجح ، دار الكتاب العربي _ القاهرة ، الطبعة: السابعة ، 1968م (1 /9).

(6) انظر:المعجم السلوكي في علم النفس: لنور بير سيلامي ، وبمشاركة ثلاثة وثلاثين اختصاصياً ، ترجمة: وجيه أسعد ، وزارة الثقافة – سوريا – دمشق 2001 م (3 / 1349).

الفصـــل الأول
الانحراف العقدي لدى الأمة ودور العقيدة في معالجته

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الانحراف في عقيدة الولاء والبراء.

المبحث الثاني: تكفير المسلمين.

المبحث الثالث: النفاق.

المبحث الرابع: الابتداع في الدين.

المبحث الخامس: التوسل المذموم.

المبحث السادس: القصور في فهم الشهادتين.

المبحث الأول
الانحراف في عقيدة الولاء والبراء

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء.

المطلب الثاني: منزلة عقيدة الولاء والبراء في الإسلام.

المطلب الثالث: مظاهر الولاء والبراء.

المطلب الرابع: أثر انحراف الولاء والبراء على الفرد والمجتمع.

المبحث الخامس: حكم الإسلام في ولاء ومظاهرة الكافرين.

المبحث السادس: دور العقيدة في علاج الانحراف عن الولاء والبراء.

المطلب الأول

تعريف الولاء والبراء

تعريف الولاء لغةً:

الموالاة: هي أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه، أي يُحابيه. حيث قال: والى فلان فلاناً إذا أحبَّه [1] والولاء: الملك والقرب والقرابة والنصرة والمحبة [2]. والمَوْلى: اسم يقع على الرب ، والمالك ، والسَّيِّدُ ، والمُنْعِم ، والمُعْتِقُ ، والنَّاصِر ، والمُحِبُّ، والتَّابع، والجارُ ، وابن العَم ، والحَلِيفُ ، والعَقِيدُ والصِّهْرُ [3]. قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد : 11]. وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ**﴾ [الأنعام : 62].

تعريف الولاء في الاصطلاح:

النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا [4] أما موالاة الكافرين: هي التقرب إليهم ، وإظهار المحبة لهم ، والوقوف بجانبهم ، والتصادق والوثوق بهم جميعاً أو بعضهم والوقوف في صفهم دون المؤمنين سواء كان في الأقوال أو الأفعال ، أو المعتقدات ، أو بها جميعاً.[5]

ونخلص مما تقدم: أن الولاء هو محبة الله عز وجل ورسله ﷺ ، والتقرب إليهم ونصرتهم ، ومحبة المؤمنين لأجل إيمانهم ونصحهم والتودد لهم وإعانتهم ، ونصرتهم.

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (15 / 405).

(2) انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار (2 / 1058).

(3) انظر: لسان العرب: لابن منظور (15 / 405).

(4) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض (1 / 422).

(5) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : لعدد من المختصين ، بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع – جدة ، الطبعة: الرابعة (11 / 5571) ، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1415هـ /1994م (135/6).

تعريف البراء لغةً:

برئ إذا تخلّص ، وبرئ إذا تنزه وتباعد ، وبرئ إذا أعذر وأنذر، قال تعالى:﴿ **أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ [التوبة : 3] والبراء والبرئ سواء ، وليلة البراء ليلة يتبرأ القمر من الشمس وهي أول ليلة من الشهر[1] والبراء عكس الولاء ، وعلى ذلك يكون البراء لغةً يشتمل على عدة معانٍ وهي: التنزه والتباعد ، التخلص.

تعريف البراء في الاصطلاح:

وهو أن تبغض أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ وأعداء المؤمنين ، لا تبغضهم إلا لله عز وجل وأن تتبرأ منهم وتتباعد عنهم وتعاديهم [2] وأصل الموالاة الحب ، وأصل المعاداة البغض، فإن المحبة توجب التقارب والاتفاق ، وإن التباغض يوجب التباعد والاختلاف [3] قال تعالى: ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران : 28] وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعًا**﴾ [النساء : 139]. وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ** ﴾ [الممتحنة : 1].

ونخلص مما تقدم: أن البراء: هو بغض من أبغضه الله ورسوله والمؤمنون والابتعاد عنهم ومعاداتهم.

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (1 / 31).

(2) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: لعدد من المختصين (8 / 3689) .

(3) انظر: قاعدة في المحبة: لابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة (1 / 198).

المطلب الثاني

منزلة الولاء والبراء في الإسلام

للولاء والبراء منزلة عظيمة في الإسلام ، لا هي مجرد كلمة تردد ، أو شعار يرفع هنا أو هناك كما يعتقد البعض ، ويحسبون أن هذا المفهوم العقدي الكبير يندرج ضمن القضايا الجزئية أو الثانوية ولكن حقيقة الأمر بعكس ذلك.

لذلك فإن الولاء والبراء من المسائل التي يجب على المكلف معرفتها ، واعتقادها ، والعمل بها.وتبرز منزلة الولاء والبراء في الإسلام في النقاط التالية:-

1- **جزء من معنى الشهادة:**

عرفنا فيما سبق أن لا إله إلا الله لها ركنين وهما: النفي والإثبات. فعندما نقول: "لا إله" من قوله: "لا إله إلا الله" فإن معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[النحل: 36] .يقول ابن تيمية رحمه الله: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تنفي عن قلب العبد ألوهية ما سوى الله عز وجل ، وتثبت في قلبه إلوهية الحق سبحانه ،فيكون محباً لله أن لا يحب إلا لله ، ولا يبغض إلا ، لله ولا يواد إلا لله ، ولا يعادى إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله [1].

2- **الفاصل بين الكفر والإيمان:**

إن الولاء والبراء جزء من العقيدة الإسلامية ، وهي كلمة التوحيد ، فلا تكون عقيدة العبد سليمة إلا بعد تحقيق الموالاة والمعاداة الشرعية. لأنها الفاصل بين فريق الحق وفريق والباطل ، وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، لذلك فإن العبد المسلم لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعد عداوة المشركين والتصريح لهم بتلك العداوة [2].

قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : 165]. وقال تعالى : ﴿ **لا يتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء من دون**

---

(1) انظر: العبودية: لابن تيمية ، تحقيق: محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: السابعة المجددة 1426هـ / 2005 م (1 / 135).

(2) انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان :محمد بن عبد الوهاب ،تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري ، مطابع الرياض – الرياض (1 / 355)

المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ [آل عمران: 28] . وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال : 73].

3- **أوثق عرى الإيمان:**

أوجب الله عز وجل على المسلمين أن يتولى بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً ، وجعله من لوازم الإيمان. قال تعالى: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة: 80 – 81].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ ، قَالَ: (**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ قُلْنَا : الصَّلاَةُ قَالَ: الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قُلْنَا : الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**)(1).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض ؛ والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين . وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين وبين أن ذلك من لوازم الإيمان ، ونهى عن موالاة الكفار وبين أن ذلك منتف في حق المؤمنين وبين حال المنافقين في موالاة الكافرين"(2).

قال تعالى: ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون** ﴾ [المائدة: 55 – 56].وفي المقابل حَكَم الله عز وجل بالكفر على من والى الكافرين ونصرهم على المسلمين.

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [المائدة: 51]

---

(1) مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود ، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى 1419هـ / 1999م ، باب البراء بن عازب (2 / 110) رقم 783 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي (1 / 431) رقم 4304.

(2) مجموع الفتاوى (28 / 190).

"فإن من تولاهم ونصرَهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متولٍ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ. وإذا رضيه ورضي دينَه، فقد عادى ما خالفه وسَخِطه، وصار حكُمه حُكمَه"[1].

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ، 1420هـ / 2000م (10 / 400).

المطلب الثالث

مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء

أوجب الإسلام على العبد المسلم موالاة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، والبراء من الكفر والكافرين والابتعاد عنهم ، لكن للأسف لم يفهم كثير من المؤمنين اليوم حقيقة الولاء والبراء الفهم الحقيقي ، فاعتقدوا أن الدين الإسلامي مقصور في بعض العبادات التي يجب عليه أدائها ، ولم يعلموا أن الولاء والبراء من لوازم التوحيد.

لذا فالواجب على كل مسلم موحد أن يعرف مظاهر الولاء والبراء للمؤمنين، وأن يتعرف على مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء حتى يتجنبها ، ولا يقع فيها ، ومن أهم مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء:-

1- المحبة والمودة للكافرين

من أخطر مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء محبة أهل الكفر ، والشرك دون المؤمنين ، أو مساواة محبتهم مع محبة المؤمنين. قال تعالى:﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ** ﴾ [المجادلة : 22].

لذلك لا يجتمع في قلب العبد المؤمن الإيمان بالله واليوم الآخر وبغض من عاداه ولو كان أقرب الناس إليه فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافراً فمن واد الكفار فليس بمؤمن [(1)]. قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ**

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1420هـ / 2000 م (848/1) ، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، 1369هـ (1 / 222).

الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة : 23 – 24]. هذه الآية تفيد أن المؤمنين لا يوادُّون المحادِّين لله ورسوله ولو كانوا من الأقربين لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان ، وآثروا الشرك على الإسلام ، ومن يتولهم من المسلمين فقد ظلم نفسه ، وعرّض نفسه لغضب الله عز وجل [1].فإن المودة والمحبة الكاملة لغير الله شرك أكبر مخرج صاحبه من الملة ، وهذا لا يعني عدم محبة الأهل ، والعشيرة ، والوطن وغير ذلك ، لكن تقديم محبة أعداء الله من أصحاب الكفر والنفاق ونصرتهم والتودد لهم على محبه الله ورسوله ﷺ والمؤمنين هذا الموقع في الشرك[2].

قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : 165].فمحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على الإسلام والمسلمين لأن محبتهم تستلزم موافقتهم ، وإتباعهم أو على الأقل عدم الإنكار عليهم [3].

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**) [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فَإِذَا قَوِيَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ التَّصْدِيقِ ، وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، أَوْجَبَ بُغْضَ أَعْدَاءِ اللَّهِ" [5].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ ، قَالَ: (**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ قُلْنَا : الصَّلاَةُ قَالَ: الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قُلْنَا : الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا**

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي: لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى 1422 هـ (1 / 844 – 845).

(2) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: لمحمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار الصميعي – السعودية (258/1) ، انظر: فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش (2 / 72).

(3) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: لمحمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن – دار الثريا ، الطبعة: الأخيرة 1413 هـ (6 / 133).

(4) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل لقوله { إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } (8 / 0) رقم 6169.

(5) مجموع الفتاوى: لابن تيمية ، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار ، نشر: دار الوفاء ، الطبعة: الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م (7 / 522) .

الْجِهَادَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ) (1).

والحب كلما زاد وعظم ، دفع المحب إلى طاعة محبوبه والدفاع عنه ونصرته ، والتضحية في سبيله.

لو كان حبُّك صادقاً لأطَعْتَهُ إنَّ المحب لمن أَحَبَّ مُطِيعُ (2).

2 – طاعة الكافرين:

أمر الله عز وجل المؤمنين بطاعة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، وتجنب طاعة أهل الكفر والشرك لأن طاعتهم نصره لهم. قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[النساء : 59] فهناك الكثير من الآيات التي تحرم على الإنسان المسلم طاعة المشركين ، والمنافقين لأن في طاعتهم أذى للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ **وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ** ﴾ [الأحزاب : 48]. وقال تعالى:﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف:28].وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِين** ﴾ [آل عمران : 100].

وطاعة المشركين في معصية الخالق ، كتحليل الحرام ، وتحريم الحلال شرك أكبر مخرج من الملة ، فقد قسم الإمام أبو حنيفة الشرك الأكبر إلى أربعة أقسام:-

القسم الأول: شرك الدعوة أي الدعاء، والدليل قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [العنكبوت: 65].

القسم الثاني: شرك النية، والإرادة، والقصد، والدليل قوله تعالى : ﴿ **منْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ** ﴾ [هود: 15].

---

(1) مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود ، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى 1419هـ / 1999م ، باب البراء بن عازب (2 / 110) رقم 783 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي (1 / 431) رقم 4304.

(2) زهر الأداب وثمر الألباب: لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق: يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى 1417 هـ / 1997م (1 / 103).

القسم الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: 31]. أي: أطاعوهم كما يطاع الرب عز وجل كما فسره النبي ﷺ لمّا سأله عدي بن حاتم فقال: لسنا نعبدهم فذكر له:عبادتهم طاعتهم.

عن عدي بن حاتم ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ:(**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ ، فَطَرَحْتُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فَقَالَ: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتَسْتَحِلُّونَهُ ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**)(1).

القسم الرابع: شرك المحبة (2) ، والدليل على قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ [التوبة: 31].

3 – **التشبه بالكافرين:**

التشبه بالكافرين يكون في عبادتهم ، وعقائدهم ، وتقاليدهم ، وكل سكنة من سكناتهم. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**).(3)

أي تزين بزينتهم ، وتخلق بخلقهم ، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم ، وبعض أفعالهم ، وقد يقع التشبه في أمور قلبية من الاعتقادات ، وإرادات ، وأمور خارجية من أقوال ، وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون عادات (4) فجاءت النصوص الشرعية بتحريم التشبه بالكفار سواء في الأقوال والأفعال والألبسة والهيئة العامة ؛ لما في ذلك من الخطر على عقيدة المسلم ، وصيانة

---

(1) الجامع الصحيح سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، باب سورة التوبة (278/5) رقم 3095 ، قال الألباني: (حسن) السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف – الرياض (96/13) رقم 3293.

(2) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (1/ 257 – 258).

(3) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،دار الكتب العلمية – بيروت ، كتاب اللباس ، باب من لبس الشهرة (78/4) رقم 4033 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1110) رقم 11094.

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي ، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1415هـ /1994م (6 / 135) رقم 8593.

الأمة الإسلامية من الانحراف [1]. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال: **(إنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا)**.[2]

ولا نقصد هنا في الحديث أن كل من تشبه بهم في لباسهم وقع في التحريم لأن كثير من المسلمين اليوم يرتدي من ملابسهم كلباس البنطال والقميص وغيرها من ملابس الكفار ، إنما المراد من التحريم لبس الملابس التي تتعلق بدينهم ، وعقائدهم ، وشعائرهم ، مثل لباس القسيس والرهبان والأحبار. وكذلك إتباع ملتهم يدخل في باب التشبه بهم سواء من حيث العبادات أو المعتقدات.عن أوس بن ثابت ﷺ [3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ)** [4]. وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى واحفوا الشَّوَارِبَ)** [5].

ونهى الرسول ﷺ عن التشبه بالمشركين في العبادات ومن الأدلة على ذلك: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **(لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ)** [6].

ونهى ابن تيمية رحمه الله عن مشابهة الكفار فقال: " فإني قد نهيت إما مبتدئاً وإما مجيباً عن التشبه بالكفار في أعيادهم" [7].

---

(1) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، لّلجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (26 / 305).

(2) صحيح مسلم: للإمام مسلم ، تحقيق: فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر (3 / 1647) رقم 2077.

(3) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد الأنصاري الخزرجي البخاري ، أخو حسان بن ثابت الشاعر ، يكنى أبا يعلى ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقيل إنه شهد بدراً ، عاش لخلافة عثمان ﷺ ، وقيل نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقيل: بل توفي سنة أربع وستين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر ، دار الجيل – بيروت الطبعة: الأولى ، 1412هـ (1 / 144) ، انظر: الثقات: لابن حبان ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة: الأولى ، 1395هـ / 1975م (3 / 185).

(4) سنن أبى داود:كتاب الصلاة ، باب الصلاة في النعل (1 / 247) رقم652 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 553).

(5) صحيح البخاري:كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر (7 / 160) رقم 5892.

(6) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب معرفة الركعتين كان يصليهما (2 / 798) رقم 1134.

(7) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (1 / 1).

فالواجب على المسلم اتباع سنة الرسول ﷺ والابتعاد عن التشبه بالكافرين في الأقوال والأفعال ، وفي عاداتهم ، وأعيادهم وأمور حياتهم ، ومن شاركهم في شيء من ذلك جاهلاً ، أو بحسن نية فيكون موضع سخط من المسلمين وسوء الظن به.

4- إعانتهم ومناصرتهم والتحالف معهم وإعطائهم أسرار المؤمنين:

من أشد مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء في الوقت الحاضر هو إعانة المشركين والكافرين ، والتحالف معهم من دون المؤمنين ، بل وأخطر من ذلك كله أصبح التجسس على المسلمين ، ونقل أسرارهم لحساب المشركين ، مستتراً تحت اسم عُرف بالتنسيق الأمني ، فأصبحت العمالة تسمي عند البعض بالتنسيق الأمني ، فزين لهم الشيطان أعمالهم فاعتقدوا أنهم علي الحق. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة :51].

نهى الله في هذه الآية عن مناصرة المشركين وإعانتهم والوقوف بجانبهم فذلك خيانة للإسلام وللمسلمين، وقوله تعالى :{ **بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بعض** } أن اليهود أولياء للنصارى ، كما أن اليهود يوالى بعضهم بعضاً ، لأن الكفر مله واحده ، والمسلمين أولياء للمسلمين لذلك يجب ألا يكون ولاء المسلم ومناصرته وإعانته لغير المسلمين [1] وإن من أعظم النواقض التي وقع فيها بعض المسلمين اليوم مناصرة الكافرين ، وتعاضدهم على المسلمين فهذا خطر عظيم ، وهذا هو الذي يُخشى أن يدخل في قوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } [2].

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء** ﴾ [الممتحنة : 1].

نهى الله عز وجل المؤمنين من إتخاد الكافرين أصدقاء وأولياء ، وأمر بعداوتهم ومحاربتهم ، لأنهم مشركون يحاربون الله ورسوله ﷺ والمؤمنين [3] فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم ، كما أن أعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم. ومن صور مناصرة الكفار ومساعدتهم على المسلمين معاونهم بالنفس ، والمال ، الرأي والقلم كل ذلك لرفع الضرر عنهم ،

---

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي – القاهرة (3 / 1114).

(2) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: لمحمد بن خليفة التميمي ، نشر: أضواء السلف ، الرياض– السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1418هـ /1997 م (1 / 60).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية 1420هـ /1999م (8 / 85).

وقد تكون المناصرة بالتعاون معهم في الأمور السياسية وتقديم كل ما يلزمهم وينفعهم ، فيوافقهم ويعينهم ويطلعهم على أسرار وعورات المسلمين ويتجسس لهم ويدافع عنهم بكل ما أوتي من قوة فمناصرة الكفار يؤثر تأثيراً سلبياً على المجتمع المسلم فيضعفه ويمزن وحدته واستقراره فيجعل للكافر على المؤمن سلطانا. ويفضّل الكفر والكفار على المؤمنين ، ومن الآثار المترتبة على مناصرتهم الاحتكام إلى قوانينهم ومناهجهم والتبعية لهم في كل مناحي الحياة صغيرها وكبيرها. لذلك فقد نهى الله تعالى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان [1].

5- **الاستغفار لهم والترحم عليهم:**

قال تعالي: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة : 113].

قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أُمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء تكلم به: أنا على ملة عبد المطلب . فقال النبي ﷺ لأستغفر لك يا عم الله فنزلت { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } [2].

وعن المسيب بن حزن رضي الله عنهما قال:[3] لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيْ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن : للطبري (10 / 398).

(2) الكشف والبيان: للثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، وتدقيق: نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان – الطبعة : الأولى ، 1422 هـ /2002 م (5 / 99).

(3) المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي ، يكنى أبا سعيد ، والد سعيد بن المسيب الفقيه ، هاجر مع أبيه حزن بن أبي وهب. كان المسيب ممن بايع تحت الشجرة ، شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة ، كان رجلاً تاجراً ، روى عن النبي ﷺ في الإيمان والجهاد ، انظر: رجال مسلم: لأحمد بن علي بن منجويه الأصفهاني ، تحقيق: عبد الله الليثي ، دار المعرفة – بيروت (2 / 251) رقم 1619.

الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لأستغفرن لَك فَنَزَلَتْ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [(1)].

وجه الاستدلال: نهى الله عز وجل رسوله ﷺ من الاستغفار للمشركين ولو كانوا من أولي القربى لأنهم ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك[(2)].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "لا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعي الشافع : ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهي عنها ؛ كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة" [(3)].

ما كان للرسول ﷺ والمؤمنين الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربي، أما استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه لم يكن إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه [(4)]. قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : 114].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لا يجوز الاستغفار للمشركين ، والكافرين ، ولو كانوا من ذوي القربى ، وإن الله نهى نبيه ﷺ عن الاستغفار للمشركين، والمنافقين [(5)].

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : 84]. وقال تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [التوبة : 80]. يخبر الله رسوله ﷺ في هذه الآية أن هؤلاء ليسوا أهلاً للاستغفار ، فلو استغفرت لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم ، وذكر السبعين هنا لبيان الكثرة.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الجنائز ، باب قَوْلِهِ { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } (6 / 69) رقم 467.

(2) انظر:جامع البيان في تأويل القرآن: (14 / 509).

(3) مجموع الفتاوى (1 / 130).

(4) انظر: مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ، 1421هـ / 2000م (16 / 165).

(5) انظر: الصارم المسلول: لابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1417 هـ (1 / 574).

6- **الاستعانة بهم والثناء عليهم واتخاذهم بطانة[1] ومستشارين**:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : 118].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّه**)[2]. يخاطب الله عز وجل في هذه الآية من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ألا تتخذوا من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين بطانة تطلعونهم على أسراركم [3]. وتستشيرونهم ثقة بهم من دون المسلمين وتختصونهم بالمودة ، والصفاء ، ومبادلة المال ، والوفاء من دون المؤمنين ، لأنهم يضمرون للمؤمنين المكر والخديعة في أمور الدنيا والدين فنهى الله عن موالاة الكفار وإكرامهم ، وأمر بإهانتهم وإذلالهم ، ونهى عن الاستعانة بهم في أمور المسلمين لما فيه من العز، وعلو اليد [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله : "ومن ذلك اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين الملاحدة بطانة وأعواناً ومستشارين ، وجعلهم على مصالح المسلمين متنفذين ، وتوليتهم خواص أمور الناس العسكرية ، والسياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية" [5]. وعندما وصل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ خبر استعمال أهل الذمة رأى أن يكتب إلى عماله على الكور[6] والأمصار ،

---

(1) البطانة: هم خاصة الرجل الذين يعتمد عليهم من غير أهله ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر دار الهدايه (34 / 269).

(2) صحيح البخاري : كتاب القدر ، بَاب الْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ (8 / 125) رقم 6611

(3) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية ، الطبعة: الخامسة ، 1424هـ / 2003م (1 / 367).
تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني ، شمس الدين ، دار الكتب العلمية . بيروت (1 / 196).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 106).

(5) مسألة في الكنائس ، تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ (1 / 120).

(6) أرض باليمامة ، وقيل أرض بنجران ، وقيل أرض اليمن، وقيل موضع بنواحي همذان ، وقيل مكان في دجلة ، انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي ، دار الفكر – بيروت (4 / 489).

وولاة الثغور والأجناد في ترك استعمالهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم ، وأمورهم ، والإشراك لهم في أماناتهم [(1)].

وعن أبي مُوسَى الأشعري ﷺ قال: وَفَدَ إِلَيّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، وَمَعَهُ كَاتِبٌ نصراني فَأَعْجَبَ عُمَرَ ﷺ مَا رَأَى مِنْ حِفْظِهِ فَقَالَ : قُلْ لِكَاتِبِكَ يَقْرَأُ لَنَا كِتَابًا. قَالَ: إِنَّهُ نصراني لاَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ. فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ ﷺ وَهَمَّ بِهِ وَقَالَ:(**لاَ تُكْرِمُوهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ، وَلاَ تُدْنُوهُمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللَّهُ، وَلاَ تَأْتَمِنُوهُمْ إِذْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ**) [(2)].

" أما الاستعانة بهم فهذا يرجع إلى المصلحة ، وإن كان في ذلك مصلحة؛ فلا بأس بشرط أن نخاف من شرهم وغائلتهم وألا يخدعونا وإن لم يكن في ذلك مصلحة؛ فلا يجوز الاستعانة بهم؛ لأنهم لا خير فيهم" [(3)].

فقد سئل ابن عثيمين رحمه الله الاستعانة بالنصارى لحماية المسلمين وديارهم ، فقد أجاب في ثلاث حقائق وهي كالتالي:

"الحقيقة الأولى: اتخاذ الكفار أولياء يتولاهم المسلم ويعينهم ويناصرهم ، وهذه لا شكٌ في تحريمها ، وأنها من كبائر الذنوب.

الحقيقة الثانية: الاستعانة بالكفار على عدو لنا نقاتله قتال طلب، وهذه في الأصل حرام ؛ لأن الكفار أعداء المسلمين كما هم أعداء الله تعالى ، فلا يُؤمَنُ شرهم ولا يُطْمَأَنُّ إلى ظاهرهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النبي ﷺ قبل بدر ، فلما كان بِحرَّةِ الوَبَرَة[(4)] أدركه رجل، قد كان يذكر منه جرأة ونجدةٌ ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال

(1) أحكام أهل الذمة: لابن القيم ، تحقيق: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري ، الناشر: رمادي للنشر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1418هـ / 1997م(1 / 473).

(2) السنن الكبرى : للبيهقي – وفي ذيله الجوهر النقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني ، الشهير بابن التركماني ، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية ، الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة: الأولى 1344 هـ ، كتاب آداب القاضي ، باب اتخاذ الكتاب (127/10) رقم 20910 ، قال الألباني:(صحيح) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1405هـ / 1985م (8 / 378).

(3) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين ، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال 1412هـ وانتهت في الخميس 14 صفر، عام 1421هـ (46 / 16).

(4) مدينة علي بعد ثلاث أميال من المدينة المنورة ، انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (250/2) .

لرسول الله ﷺ : جِئتُ لأَتَّبِعكَ وأصيب معك ، **(فقال له رسول الله ﷺ تُؤمنُ بِالله ورسُوله؟ قال: لا، قال: فارجعْ، فلن أستعين بمشرك)** [1].

الحقيقة الثالثة: الاستعانة بهم في الدفاع عن البلد إذا اضطر المسلمون إليهم ، وهذا أولى بالجواز من الأول ، بل قد يكون مطلوبًا على سبيل الوجوب أو على سبيل الاستحباب حسب خطر المهاجم" [2].

فالاستعانة بهم لا تجوز لما فيها من الخطر على المجاهدين وقت الجهاد ، فلا يستأمن جانبهم.

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى جواز الاستعانة بالمشركين ، وهذا مروي عن الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه ، وقد استدلوا بقصة شهود صفوان بن أمية في غزوة حنين [3].

لكن هناك شروط لجواز الاستعانة بهم وهي:

أ- أن يكون في المسلمين قلة وتدعو الحاجة إلى ذلك.

ب_ أن يكونوا ممن يوثق بهم فلا تخشى ثائرتهم [4].

ج- أن يكون مع الإمام جماعة من المسلمين يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية [5].

د- لا ترفع لهم راية كفر ولا صوت يدل على وجودهم.

هـ- تكون الاستعانة بهم لوقت معين .

و- لا تكون لهم ولاية أي زعامة.

---

(1) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر (3 / 1449) رقم 1817.

(2) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لابن عثيمين (25 / 423- 428).

(3) انظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني ، مع الكتاب : تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية (8 / 28).

(4) انظر: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: لمحمد بن موسى الهمذاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد ، الطبعة: الثانية ، 1359هـ (1 / 218).

(5) انظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني (8/ 28).

7- مجالستهم اختياراً، وسماع كلامهم والخوض معهم ضد الإسلام والمسلمين مع الاستمرار في الجلسة دون الغضب أو الرد أو الخروج:

نهى الله عباده المؤمنين عن مجالسة الكافرين وسماع كلامهم الذي يخوضون به ضد الإسلام والمسلمين ، لأن مجالستهم شرف لهم فلا يجوز رفعهم وقد أذلهم الله ، وجعل من يجالسهم ولا يغضب لسماع كلامهم ضد الإسلام مثلهم في الوزر والعقاب. قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 140]. أي: إذا جلستم معهم أيها المسلمون وأقررتموهم على ما سمعتم منهم من الكفر، والاستهزاء بآيات الله عز وجل فقد ساويتموهم فيما هم فيه من الكفر ، وإن مجالستهم والخوض معهم فيه إقرار لهم فيما يقولونه وإضعاف للدين وأهله ، لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم ، ولأن الرضى بالكفر كفر ، ومن رضي بمنكر كان كمن فعله ، وعلى المسلم أن يبتعد عن مخالطتهم لما فيها من الإثم [1]. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام : 68]. وقال تعالى: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [النجم : 29]. وقال تعالى: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾ [النساء : 63]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان**) [2].

8- استئمانهم وتعظيمهم وإكرامهم والتقرب والتودد إليهم:

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : 75]." تحذير من اللّه تعالى للمؤمنين

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (3 / 278).

(2) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (1 / 69) رقم 20 .

أن يأتمونهم على أموالهم، أو يغترّوا بهم لاستحلالهم أموال المؤمنين" [1]. قال تعالى :﴿ **وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ** ﴾ [آل عمران : 73]. "أي: لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم [2].

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: **(لاَ تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيق فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ)**[3]. في الحديث أكبر دليل على تحريم ابتداء المسلم لليهودي والنصراني بالسلام [4]. "وكذلك أيضا لا يجوز أن نبدأهم بالتحية مثل أهلاً وسهلاً ، ومرحباً وما شابه ذلك ، لما في ذلك من تعظيمهم فهو كابتداء السلام عليهم" [5].

عن أنس بن مالك ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: **(إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)**[6]. لذلك لا يجوز للمسلم استئمانهم بعد أن خونهم الله ، ولا يجوز إكرامهم وقد أهانهم الله وأذلهم، وعليه يحرم التودد لهم بالكلام الطيب كالقول يا سيد وما شابه ذلك ، وهذا واضح كل الوضوح من خلال الأدلة السابقة.

9- الإقامة في بلاد الكفر وعدم الفرار بالدين إلى بلاد المسلمين:

الإقامة في بلاد الكفر وعدم الفرار بالدين إلى بلاد الإسلام من مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء ، لأن الإقامة في بلاد الكفر يعرض المسلم للافتتان في دينه ، ويعرضه لعدم إقامة الشعائر الإسلامية ، لذلك أمر الله عز وجل بالهجرة إلى بلاد الإسلام ، وعذر من لا يستطيع الهجرة من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

أما في زماننا هذا من منع من إقامة الشعائر الدينية والعبادات الفعلية عليه أن يهاجر إلى بلاد المسلمين. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا**

---

(1) الكشف والبيان: للثعلبي (3 / 94).

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 59)

(3) صحيح مسلم :كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (4 / 1707) رقم 2167.

(4) انظر: سبل السلام: للصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة : الرابعة 1379هـ / 1960م (4 / 68).

(5) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لابن عثيمين (3 / 35).

(6) صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم (1705/4) رقم 2163.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا *فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء : 96 – 99] عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ [1] قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ :**(مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ)** [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: إنما عذرهم الله بتخلفهم من الفرار من بلاد الكفر لبلاد الإسلام لعجزهم ، ولأنهم لا يستطيعون حيلة يتخلصون بها من المقام بين أظهر الكفار [3].

إن من سكن دار الكفر فإنه مقبل على موالاتهم ، وإن الإقبال على عدو الله يوجب الإعراض عن الله عز وجل ، ومن أعرض عن الله عز وجل تولاه الشيطان [4]. "وأما من كان من المستضعفين الذين لا قدرة لهم على الهجرة، فعليه أن يعتزلهم ما استطاع، ويظهر دينه، ويصبر على أذاهم " [5].

ولكن لا يؤخذ الحديث على إطلاقه فهناك من المسلمين من يفر إلى بلاد الكفر ويقيم في بلادهم ولا يقع في موالاتهم ، "كمن فر إلى أرض الحرب لظلم خافه، ولم يحارب المسلمين، ولا أعان عليهم، ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه، لأنه مضطر مكره"[6].

---

(1) سمرة بن جندب الفزاري من بني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، كنيته أبو سعيد ، وقيل أبو سليمان كان زياد يستعمله ستة أشهر على البصرة وستة أشهر على الكوفة ومات آخر تسع وخمسين وأول سنة ستين ، انظر: الثقات لابن حبان (3 / 174).

(2) سنن أبى داود:كتاب الجهاد ، باب الإقامة في أرض الشرك (3 / 48) رقم2789 ، قال الألباني: (حسن) السلسلة الصحيحة (5 / 434) رقم 2330.

(3) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن قيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية ، 1395هـ/1975م (1/ 379).

(4) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي (6 / 144) رقم 8613.

(5) رسائل وفتاوى عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب ، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الثاني ، دار العاصمة ، الرياض- السعودية ، الطبعة: الأولى ، بمصر 1349هـ ، النشرة الثالثة ، 1412هـ (1 / 31).

(6) الولاء والبراء: القحطاني (1 / 274).

أما حديث رسول الله ﷺ : **(أَنَا بريء مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ)** [1] لا يفهم منه أن كل من أقام في دار الكفر وقع في موالاتهم ، إنما المقصود من أقام في دار الحرب ، فيكون كل مسلم أقام مع مشرك في دار الحرب ، وقد أجمع المسلمون أن هجرة دار الحرب فريضة على الرجال والنساء[2]. قال الحسن: "إذا لحق الرجل بدار الحرب ولم يرتد عن الإسلام فهو مرتد بتركه دار الإسلام" [3].

ونخلص مما سبق: ليس من أقام الكفر وقع في موالاتهم ، إنما المقصود الإقامة في بلاد الكفر.

10- السفرُ إلى بلادِ الكفر لهدف النُزْهةِ ومتعةِ النَّفْسِ:

إن السفر إلى بلاد الكفر بهدف الترفيه ومتعة النفس ، أو السفر للإعجاب بهم وبحضارتهم، من مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء والبراء.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: النهي عن السفر لبلاد الكفر محمول على من لم يأمن على دينه من الإقامة في بلاد الكفر [4].

أما إذا قدر المسلم على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد دار إسلام ، فالإقامة أفضل لما يرجى من دخول غيره في الإسلام [5].

ولا مانع من طلب الرزق في بلاد الكفر، بشرط لا يترتب على طلبه مفسدة ، وكان يستطيع إظهار دينه ولا يخشى الفتنة [6].

---

(1) سنن أبى داود: كتاب الجهاد ، باب النهي عن من قتل من اعتصم بالسجود (2 / 349) رقم 2647 ، قال الألباني :(صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5 / 29).

(2) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني الحنفي- (20 / 452).

(3) أحكام القرآن: للجصاص (216 / 3).

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ (6 / 39).

(5) انظر: المصدر السابق (7 / 229).

(6) انظر:المصدر السابق (26 / 331).

المطلب الرابع

أثر انحراف مفهوم الولاء والبراء على الفرد والمجتمع

من الآثار المترتبة على انحراف مفهوم الولاء والبراء على الفرد والمجتمع ما يلي:-

1- انحسار مفهوم الدين في معان ضيقة:

إن سوء فهم الإسلام اليوم لدى المسلمين ، أو فهمه فهماً ضيقاً هو من أهم الآثار التي نتجت من انحراف مفهوم الولاء والبراء، فأصبح الدين مقتصراً على بعض العبادات ، وأن المسلم لا علاقة له بقضايا الأمة والمجتمعات المسلمة.

يقول القرضاوي: فهم كثير من المسلمين اليوم الإسلام على أنه عبادات وشعائر، لا صلة له بقضايا المجتمع ، وشؤون الدولة ، ومسارات السياسة ، والاقتصاد ، وتيارات الثقافة والفكر، ونتيجة ذالك حذفوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحذفوا الجهاد في سبيل الله ، وحذفوا من الإسلام موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله [(1)].

2- ظهور الأحزاب الوطنية والقومية الموالية للغرب:

" لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعا وأحزابا ، يلعن بعضهم بعضا ، ويضرب بعضهم رقاب بعض ، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه ، أو تابع أهله وتوعد فاعليه بالعذاب" [(2)]. فترتب عن ضعف عقيدة الولاء والبراء اليوم ظهور أحزاب موالية للغرب الكافر كالعلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة. فمع ضعف عقيدة الولاء لله ولرسولهﷺ وللمؤمنين وانتشار الجهل ، وانحسر الإسلام في معاني ضيقة ومدلولات محددة ،فأصبح الحكم بغير ما أنزل الله ، كل هذا أدى إلى تفكيك الإسلام من ثوابته ومقوماته فظهرت أصوات تنادي بفصل الدين عن الدولة كالعلمانية ، واعتبرت أن الحكم للشعب وانه لا حق للدين في التدخل في تسيير شؤون الدولة ، فتفرقت كلمة الأمة وتناحرت فيمنا بينها فوقعت تحت الاحتلال ، لذلك فقد أمر الله عز وجل بالوحدة والاعتصام بالقران بحبل الله المتين .

---

(1) انظر: الإخوان المسلمون 70عاماً في الدعوة والتربية والجهاد: ليوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى 1241هـ /2001م (170- 172).

(2) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (2 / 210) .

قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : 103].

قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : 78].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : 15].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :**(إِنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً ، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً : فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وإِضَاعَةَ المَالِ)** [(1)]. " ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم ، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم" [(2)].

3- الغزو الفكري والاعتزاز بالثقافة الغربية:

الصراع بين المسلمين وأعدائهم صراع عقدي ، صراع بين الحق والباطل والخير والشر والكفر والإيمان وهما ضدان ونقيضان لا يلتقيان ولا يجتمعان بحال من الأحوال ، لذلك نجد أن أعداء الإسلام حرصين كل الحرص على تدمير الإسلام ، وسلخ المسلم عن دينه وهويته بكل ما أوتوا من قوة وما يملكونه من وسيلة. قال تعالى: ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم** ﴾ [البقرة: 105]. وقال تعالى: ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾ [البقرة: 109].

فقد استخذوا القوة لصد الناس عن دينهم فلم يفلحوا ، فسلكوا مسلك آخر وهو عن طريق الغزو الفكري وهو محاربة الإسلام من الداخل عن طريق أبناءة ، فجيشوا الجيوش ، وأنفقوا الأموال ، وبثوا الأفكار المسمومة فوجدوا لهم أتباع ، كل هذا وغيرة أثر على مفهوم الولاء عند شباب الأمة فأنحرف عقائدهم ، وأثر ذلك على المجتمع ، فوجدنا أن من أبناء الإسلام من يقدم محبة الكافرين على محبة المؤمنين ويتشبه بهم في أفعالهم وعاداتهم ويشاركهم في أعيادهم وعبادتهم.

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (3 / 1340) رقم1715 .

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 441).

فنحسر الولاء والبراء في معني ضيقة ومدلولات محدودة ، وتفكك الإسلام من ثوابته ومقوماته. فعلى شباب الأمة الإسلامية الإنتباة الجيد لخطر الغزو الفكري ، وعليهم التمسك بالكتاب والسنة ، والاعتزاز بالانتماء لهذا الدين.

عن زيد بن أرقم [1] رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : **(إنِّي تَاركٌ فيكم ما إن تَمسَّكْتُمْ به لن تَضِلُّوا بعدي ، أَحدُهما أَعظمُ من الآخر ، وهو كتابُ الله ، حبلٌ مَمْدودٌ من السَّمَاءِ إلى الأرض ، وعترتي [2]أَهل بيتي ، لنْ يَفْترقا حتى يردَا عليَّ الحوضَ ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)** [3].

4- القصور في مفهوم الشهادتين:

الإنحراف في مفهوم الولاء والبراء أدي إلى القصور في مفهوم الشهادتين لاعتقاد من وقع في مولاة الكافرين أنه يكفي من الشهادتين مجرد النطق بهما فقط دون العمل ، فيعتقد بجواز يتشبه بالكافرين ، ويتودد لهم ، ومناصرتهم بالمال والعتاد والرجال وغيرها من مظاهر الولاء للكافرين ، فيعتقد بعد كل هذا أنه لم يخالف الشريعة الإسلامية لأنه ينطق بالشهادتين ، وأنه يجوز له فعل ما أراد ما دام ينطق بالشهادتين ، وما علم أن للشهادتين شروط منها العلم والإخلاص والانقياد والاستسلام لله ولرسوله ﷺ بالقلب واللسان وجميع الجوارح وغيرها من الشروط الذي سوف نتحدث عنها في المبحث السادس من الفصل الأول بأذن الله تعالى.

---

(1) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجى المدني ، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، استصغره يوم أُحُد، رُوي له عن رسول الله ﷺ سبعون حديثًا ، نزل الكوفة ، وتوفي بها سنة ست وخمسين ، وقيل: سنة ثمان وستين.انظر: تهذيب الكمال: للمزي ، تحقيق: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1400هـ / 1980م (10/10-11).

(2) هم أقرباؤه ، مِن ولدِه وولدِ ولده وبني عمِّه، انظر: معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1399هـ / 1979م (4 / 178).

(3) سنن الترمذي:كتاب المناقب ، باب مناقب أهل النبي ﷺ (5 / 663) رقم 3788 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 423) رقم 2458 .

5- ظهور وانتشار التطرف والغلو:

في حال عدم التمييز بين المنهاج الصحيح والمنهاج الخطأ والوقوع في الولاء للكافرين ، سواء جهلاً أو قصداً حتماً سينتشر التطرف والغلو سواء على صعيد الأفراد أو المجتمعات ، فيظهر الغلو والتنطع في الاعتقاد وذلك بالغلو في الأنبياء والصالحين ورفعهم فوق منزلتهم ومكانتهم ، أو الغلو العملى سواء في الصلاة ، أو الحج ، أو الصدقة ، أو الدعاء ، أو الغلو في المعاملات ، أو العادات أو بهما جميعاً [1].

6- ظهور وانتشار البدع في العالم الإسلامي تقليداً للغرب:

ما دام العبد موالياً للكافرين متقرباً إليهم بالمودة والحب ، حتماً سيقلدهم في أقوالهم ، وأفعالهم ، ومظاهر حياتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فبذلك يميت السنة النبوية ويبتعد عن الحق ، فيتبع الأهواء والشهوات ، وتنقض عرى الإسلام ويكثر التقول على الله بغير علم ، فشيئاً شيئا ينسلخ عن الجماعة المسلمة ويمزق وحدة الصف الإسلامي [2]. والذي سوف نتحدث عنه بإذن الله تعالى في المبحث الرابع من الفصل الأول.

7- انتشار فتنة التكفير:

التكفير حق شرعي لا مجال للعقل ولا للهوى فيه حض ولا نصيب ، فهو ضمن ضوابط وقيود وعليه فلا يجوز التكفير بكل ذنب ، وقد يكون الفعل كفراً لكن لا يكفر فاعله ، وعليه قد يكون التكفير مطلق لا يستلزم تكفير المعين ، والملاحظ أن من انحرف مفهوم الولاء عنده يسارع إلى تكفير الآخرين [3].

---

(1) وللإستزاده عن الموضوع يمكن النظر في المبحث الأول من الفصل الثالث.

(2) وللإستزاده عن الموضوع يمكن النظر في المبحث الرابع من الفصل الأول.

(3) وللإستزاده عن الموضوع يمكن النظر في المبحث الثاني من الفصل الأول.

المطلب الخامس

حكم الإسلام في ولاء ومناصرة الكافرين

حرص الإسلام على أن يكون انتماء المسلم لدينه فقط منذ أول لحظة يعلن فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والبراءة من كل معبود سوى الله تعالى ، وأن يكون ولائه لله ولرسولهﷺ والمؤمنين ، وأن يعلن البراءة من الكفر والكافرين. فالمسلم الذي يوالى الكافرين ويناصرهم يوقع نفسه في المهالك ، والناظر لأدلة القرآن والسنة يجد أن النصوص تحكم بكفره أو وقوعه الشرك ، ومن الأدلة على ذلك:-

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

1- قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : 145]. يتوعد الله الوعيد الشديد لمن سلك طرائق اليهود والنصارى ، بعد ما علموا الحق من القرآن والسنة [1].

2- قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 140].

قال ابن تيمية رحمه الله: جعل الله القاعد المستمع للكفر والكافرين من غير إنكار لهم بمنزلة الفاعل ، ولهذا يقال : المستمع شريك المغتاب [2].

يخاطب الله عبادة المؤمنين إذا رضيتم بالجلوس مع الكفار في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك ، فإنكم مثلهم في الكفر والإثم[3].

فالله يخاطب عبادة المؤمنين من عدم الجلوس مع الكافرين الدين يستهزأ بآيات الله ورسوله ولم ينكروا أنهم مثلهم في الكفر والجرم والعقاب.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير(1 / 403)

(2) انظر: مجموع الفتاوى (30 / 213).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير(2 / 435).

3- قال تعالى:﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا**﴾ [النساء : 138].

يقول ابن تيمية رحمه الله: ذم الله من يوالى الكفار ويناصرهم ، فمن وقع في ذلك فقد انتفي الإيمان عنه [1]. فيخاطب الله عز وجل في هذا الآية أن من يوالي الكافرين يقع في النفاق.

4- قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة : 57].

حرم الله عز وجل على المؤمنين اتخاذ ولي من المشركين بأي شكل من الأشكال [2].

5- قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ** ﴾ [التوبة : 23].

6- قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة : 51 - 52].

"من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكُمه حُكمَه"[3].

7- قال تعالى: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَت لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مَا اتَّخَذُوهُم أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : 80- 81].

مولاة الكافرين يوقع صاحبه في الكفر والنفاق والسخط المستمر من الله عز وجل [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله : "المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك. فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (28 / 192).

(2) انظر:جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (10 / 431).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (10 / 400).

(4) نظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (3 / 164).

لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه"[1].

ونخلص مما سبق: أن مولاة الكافرين ومناصرتهم توقع صاحبها في الشرك أو الكفر والنفاق وتنفي عنه الإيمان .

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

1- وعن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)**.[2]

2- وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: **(لاَ تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ)** [3].

لا يجوز للمسلم ابتداء اليهود والنصارى بالسلام ولا يجوز التودد لهم وإظهار المحبة لهم لان الابتداء به هو إعزاز لهم ولا يجوز إعزازهم [4].والنهي الوارد في الحديث السابق يقتضي التحريم [5].

3- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رسول الله ﷺ :**(أَنَا بريء مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ)** [6].

---

(1) مجموع الفتاوى (28 / 209).

(2) سنن أبى داود: كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس (4 / 407) رقم4835 ، قال الألباني:(حسن) السلسلة الصحيحة المختصرة ، مكتبة المعارف – الرياض (2 / 597) رقم 927.

(3) صحيح مسلم: كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (4 / 1707) رقم 2167.

(4) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية – بيروت (5 / 188)

(5) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (24 / 137)

(6) سنن أبى داود: كتاب الجهاد ، باب النهي عن من قتل من اعتصم بالسجود (2 / 349) رقم 2647 ، قال الألباني :(صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5 / 29).

4- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:(**أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ قُلْنَا : الصَّلاَةُ قَالَ : الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قُلْنَا : الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**)[1].

5- وعَنْ أَوْسٍ بن ثابت ﷺ قَالَ[2]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(**خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ**) [3].

(1) مسند أبي داود الطيالسي:باب البراء بن عازب (2 / 110) رقم 783 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي (1 / 431) رقم 4304.

(2) سبق الترجمة له ص 16.

(3) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر (7 / 160) رقم 5892.

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج الانحراف عن عقيدة الولاء والبراء

يبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج الانحراف في مفهوم الولاء والبراء من خلال عدة أمور منها:-

أولاً: بيان مناقضة ذلك للإيمان ، وأنه من الكفر والنفاق والردة عن الدين:

عرفنا فيما سبق أن الولاء هي محبة الله والتقرب إليه والدنو إلى محبوباته ، فهو أن تحب الله ، فلا تحب إلا ما يحبه الله.

ولما كان الانحراف في مفهوم الولاء للكافرين وذلك بالتقرب إليهم ، وإظهار المحبة لهم ، والوقوف بجانبهم ، ونصرتهم سواء في الأقوال ، أو الأفعال ، أو المعتقدات ، أو بهما جميعاً ، كان ذلك منافض للإيمان ، وموقع صاحبه في الكفر ، والنفاق ، والردة عن الدين والعياذ بالله.

يقول ابن القيم رحمه الله "الكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلفه الآخر ، ولما كان الإيمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيمانا فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة ، والحج ، والصيام ، والأعمال الباطنة ، كالحياء ، والتوكل ، والخشية من الله ، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. وكذلك الكفر ذو أصل وشعب فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. والإيمان قسمان: قولية ، وفعلية ، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية ، وفعلية ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان فكذلك من شعبة الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان ، وكذلك شعب الكفر القولية ، والفعلية فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر ، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل ، وها هنا أصل

آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان: قول القلب: وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق .... وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم إعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فإنه يلزمه من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لإتباعه والعمل بموجبه وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للإيمان فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته وهاهنا أصل آخر: وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد. فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه. وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه وأما كفر العمل: فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده.فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان.وأما الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه. فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد. ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمى رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ، ولا يطلق عليهما اسم الكفر. وقد نفى رسول الله الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه. وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد" (1).

---

(1) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر : الجفان والجابي – دار ابن حزم – قبرص – بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1416 هـ / 1996م (1 / 69– 72).

وكذلك الانحراف في مفهوم الولاء يوقع صاحبة في النفاق الأكبر الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار.

يقول ابن تيمية رحمه الله:" فمن النفاق ما هو أكبر ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره ؛ بأن يظهر تكذيب الرسول ﷺ ، أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه . ونحو ذلك : مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله" [1].[2]. وأما الردة: "فهي الكفر بعد الإيمان فمن قال الكفر أو فعله أو رضي به مختاراً كفر، وإن كان مع ذلك يبغض بقلبه ، وبهذا قال علماء السنة والحديث، وذكروا ذلك في كتبهم فقالوا: إن المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه إما نطقاً، وإما فعلا ، وإما اعتقاداً. وقرروا أن من قال الكفر كفر ، وإن لم يعتقده ولم يعمل به إذا لم يكن مكرهاً ، وكذلك إذا فعل الكفر كفر وإن لم يعتقده ولا نطق به" [3].

ثانياً : بيان خطورته في تمسك المجتمع الإسلامي:

الدين الإسلامي حرص كل الحرص على ترابط المجتمعات الإسلامية بعضها ببعض سواء على صعيد الأفراد أو المجتمعات وذلك بتطبيق مفهوم الولاء تطبيقاً عملياً بين المجتمعات الإسلامية دون النظر لجنس ، أو وطن ، وذلك لصيانة وحماية من كل دخيل ، وفي المقابل البراءة من كل من خالف المنهج الذي ارتضاه الله ورسوله ﷺ ، وتظهر خطورة الولاء للكافرين على المجمع الإسلامي في إضعاف تماسكه فتزول رابطة العقيدة التي تربط المسلم بأخيه المسلم ، ويتفرق المجتمع إلى فرق وجماعات مناديه بولائها للغرب في كل شؤون حياتها فتنتشر التبعية والتقليد والذي ينتج عنه أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيلا ، فتنعدم المحبة وتسود الكراهية والحقد ، ويتسلط القوي على الضعيف ، لان المجتمع الذي يوالى الكافرين مجتمع يقع في الكفر والنفاق والردة كما عرفنا ، ومعلوم كيف يكون المجتمع الذي ينتشر فيه الكفر والنفاق والردة على وحدة المجتمع.

---

(1) مجموع الفتاوى (28 / 434).

(2) للاستزادة عن النفاق ، وأنواعه ، وخطره ، والتحذير منه يمكن النظر للمبحث الثالث من هذا الفصل.

(3) الولاء والبراء في الإسلام : لمحمد بن سعيد القحطاني ، الفتح للإعلام العربي ، الطبعة: السادسة 1413 هـ (1 / 56).

ثالثاً: الوعيد الشديد لمن يقع في ذلك:

توعد الله عز وجل من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين بوعيد شديد في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يحكم بكفرة وردته ، وبراءة الله منه. قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة: 51]. أي: مَنْ يفعل ذلك فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر[1].

قال ابن القيم رحمه الله: "أنه سبحانه قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم وهذا عام خص منه من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يقر ولا تقبل منه الجزية بل إما الإسلام أو السيف فإنه مرتد بالنص والإجماع ولا يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين ، وأما من دان بدينهم من الكفار بعد نزول الفرقان فقد انتقل من دينه إلى دين خير منه وإن كانا جميعا باطلين ، وأما المسلم فإنه قد انتقل من دين الحق إلى الدين الباطل بعد إقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك [2]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [آل عمران: 100-101].

قال ابن تيمية رحمه الله : "فمن كان من هذه الأمة مواليا للكفار : من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها : مثل إتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من مقالهم وفعالهم الباطل : كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك ؛ وذلك مثل متابعتهم في آرائهم وأعمالهم" [3]. لذلك عاقب الله عز وجل لمن يقع في بعض مظاهر الولاء للكافرين بعقاب شديد في الدنيا وهو القتل . فمثلاً: يعاقب المرتد في الدنيا بالقتل حداً إن لم يتب ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن : للطبري (6 / 313).

(2) أحكام أهل الذمة (1 / 195).

(3) مجموع الفتاوى (28 / 201).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)** [1].

وكذلك يعاقب العملاء والجواسيس لان التجسس خيانة عظمى، وكبيرة من الكبائر إذا فعله المسلم. وهو من صور موالاة الكفار التي يتراوح الحكم فيها بين الكفر المخرج من الملة إذا كان تجسسه حباً في انتصار الكفار وعلو شوكتهم على المسلمين وبين الكبيرة من كبائر الذنوب إذا كان لغرض شخصي أو دنيوي أو جاه أو ما أشبه ذلك [2]. وقد حذر الله من ذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعه ﷺ حين قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ** ﴾ [الممتحنة:1].

يقول ابن القيم رحمه الله: يؤخذ من قصة حاطب بن أبي بلتعه ﷺ "جوازُ قتل الجاسوسِ وإن كان مسلماً لأن عمرﷺ سأل رسولَ الله ﷺ قتلَ حاطب بن أبى بلتعه لما بعثَ يُخبر أهلَ مكة بالخبر، ولم يقل رسولُ الله ﷺ: لا يَحِلُّ قتله إنه مسلم، بل قال: "ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم" فأجاب بأن فيه مانعاً من قتله، وهو شهودهُ بدراً، وفى الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوسٍ ليس له مِثْلُ هذا المانع، وهذا مذهب مالك، وأحد الوجهين في مذهب أحمد، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يُقتل، وهو ظاهر مذهب أحمد، والفريقان يحتجون بقصة حاطب، والصحيح: أن قتله راجع إلى رأى الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين، قتله، وإن كان استبقاؤه أصلحَ، استبقاه" [3].

ما ذهب إليه مالك وابن عقيل من أصحاب أحمد وغيرهما أن الجاسوس المسلم يقتل لأن التعليل في قصة حاطب "تعليل بعلة مانعة من القتل منفية في غيره ولو كان الإسلام مانعاً من قتله لم يعلل بأخص منه، لأن الحكم إذ علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير وهذا أقوى والله

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الديات ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ } (9 / 5) رقم 6878.

(2) انظر: الولاء والبراء: للقحطاني (1 / 303).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 422 – 423).

أعلم" [1]. أما الجاسوس الكافر فهذا يجب قتله لأنه ﷺ قتل جاسوساً من المشركين.فعن سلمه بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه [2] قَالَ: **(أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ انْفَتَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اطْلُبُوهُ وَاقْتُلُوهُ)** [3].

رابعاً: ضرب الأمثلة من واقع الأنبياء والصالحين:

يمكن علاج الانحراف في مفهوم الولاء والبراء من خلال ضرب الأمثلة من حياة الأنبياء والرسل عليهم أفضل السلام ، والصالحين يبن كيف كانوا يقدمون الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، وترك الأبناء والعشيرة في خال مخالفتها لمفهوم الولاء ، لان الرباط الذي يربط المسلمين هو رباط الدين والعقيدة لا رباط الدم ، ففي حال تعارض العقيدة مع رباط الدم يقدم رباط العقيدة ومن الأمثلة الدالة على ذلك:-

1- ضرب الأمثلة من واقع الأنبياء:

لقد ضرب أنبياء الله عليهم السلام الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في ترسيخ مفهوم الولاء لله عز وجل ، ولعباد الله المؤمنين ، وفي المقابل وبراءتهم ومعاداتهم لأعداء الله حتى أقربائهم ، ومن أمثله ذلك:-

أ- إبراهيم الخليل عليه السلام :

لقد دعا إبراهيم قومه لعبادة الله وتوحيده ، ونبذ عبادة ما سواه من الأصنام الحجرية التي لا تضر ولا تنفع ، والكفر بكل طاغوت يعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ**

(1) المصدر السابق (3 / 115)

(2) سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وبايع النبي ﷺ عند الشجرة على الموت ، أول مشاهده الحديبية وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدوا ، روا عن أبي بكر وعمر وغيرهما مات في المدينة المنورة سنة أربع وسبعين، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3/ 151).

(3) صحيح البخاري: كتاب الجهاد ، بَاب الْحَرْبِيِّ إِذَا دَخَلَ دَارَ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ أَمَانٍ (4 / 69) رقم 3051.

اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: 41 – 49].

فكانت دعوة إبراهيم لقومه قائمة على الموعظة الحسنة ، فكان يتلطف في الدعوة مع أبية فيقول يا أبتي لا تطع الشيطان في عبادتك هذه الأصنام ، لأن الشيطان مخالفًا مستكبرًا عن طاعة ربه، فطرده وأبعده، فلا تتبعه لكي لا تصبح مثله في شركك وعصيانك لما آمرك به، ولكن سأسال الله تعالى أن يهديك ويغفر ذنبك [(1)].

فمن خلال ما سبق من الآيات يتضح أن إبراهيم عليه السلام قد تبرأ من عبادة الأصنام ، وما كان يفعله أبوه ، فلم يجاريه ، ولم يوافق عمل أبيه من عبادة تلك الأوثان. قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ *إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء: 70– 78].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لقد أمرنَا الله عز وجل أَن نتأسى بإبراهيم عليه السلام ، وَالَّذين مَعَه إِذْ تبرءوا من الْمُشْركين وَمِمَّا يعبدونه من دون الله ، لِأَن حَقِيقَة التَّوْحِيد أَلا تحب إِلَّا الله وتحب مَا يُحِبهُ الله ، فَلَا تحب إِلَّا لله وَلَا تبغض إِلَّا لله [(2)].

ب– **تبرؤ هود عليه السلام من عبادة غير الله:**

قال تعالى: ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [هود:54 – 56].

ج– **نوح عليه السلام:**

قال تعالى: ﴿ **ونادي نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء**

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (5 / 235 – 236).

(2) انظر: جامع الرسائل – رشاد سالم (2 / 84).

وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ونادي نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: 42 – 47].

2- ضرب الأمثلة من واقع الصالحين:

لقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في تطبيق مفهوم الولاء تطبيقاً عملياً ، حتى أنه كان منهم من يضحي بنفسه وماله من أجل تحقيق هذا المفهوم السامي ، ومنهم من ضحي بالأب أو الأبناء من أجل تحقيق مفهوم الولاء لله ولرسوله والمؤمنين. قال تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: 22].

قد أمر الله تعالى بمباينة الكفار وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم ، والتودد إليهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان [1].

ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه ابن إسحاق ، أن زيد بن الدثنة ﷺ [2] اشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وخرجوا بزيد إلى التنعيم حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي فقال: أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتلوا زيداً ﷺ [3].

وقال ابن إسحاق: أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فو الله

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 121).

(2) زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري ، شهد بدراً وأحداً ،وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون ، وقتلته قريش بالتنعيم ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (2 / 604).

(3) انظر: السيرة النبوية: لابن هشام ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل – بيروت ، 1411هـ (2 / 172).

لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ، أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا [(1)] **(فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل)** [(2)].وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ غِبْتُ مِنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ لِأُخْرَاهَا دُونَ أُحُدٍ وَقَالَ يَزِيدُ بِبَغْدَادَ بِأُخْرَاهَا دُونَ أُحُدٍ فَقَالَ سَعْدٌ أَنَا مَعَكَ قَالَ سَعْدٌ فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ قَالَ فَكُنَّا نَقُولُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ ﴿ **فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر**﴾[(3)].

خامساً: غرس مفهوم الأخوة الإيمانية وبيان واجباتها وحقوقها:

إن الرابطة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض هي رباط الأخوة في الدين ، لا رابطة النسب أو رابطة الدم والعشيرة ، فلا يربطهم جنس ، أو لون ، أو شعب ، أو لغة ، فالأخوة الإيمانية تقوم على أن كل موحد على وجه الأرض هو أخ لنا له من الحقوق ما له وعليه من الواجبات ما عليه . قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: 10].

فإن قامت الأخوة على ترسيخ مفهوم الولاء للمؤمن والبراء من الكفر وأهله ، فحينها تصبح الأخوة هي الرابطة الحقيقة ، ودونها تهدر كل رابطة. قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة : 71]. فهناك العديد من حقوق المسلم على أخيه المسلم فعن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ ، رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وإتباع الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)** [(4)].

---

(1) انظر: المصدر السابق (1 / 316).

(2) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب 63 ومن سورة المنافقين (5 / 417) رقم 3315 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترمذي (3 / 120) رقم 2641.

(3) مسند أحمد (20 / 366) رقم 13085 ، قال الألباني: (صحيح)صحيح الترمذي (3 / 90) رقم 2558.

(4) صحيح البخاري: كتاب الجمعة ، بَاب الْأَمْرِ بِإتباع الْجَنَائِزِ (2 / 71) رقم 1240.

فحقوق المسلم على المسلم كثيرة منها: أن يرد تحيته ، وأن يستر عورته ، ويغفر زلته ، ويصون حرمته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصحه ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويتبع جنازته ، ويقضي حاجته ، ويشمت عطسته ، ويواليه ولا يعاديه ، وينصره على ظالمه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه.

وهناك كثير من الأدلة التي توضح حق المسلم على أخيه المسلم منصوص عليه في الكتاب والسنة.ولكن نريد ذكر حق المسلم على أخيه المسلم لعلاج الانحراف في مفهوم الولاء والبراء وهو موضوع البحث ، ومن هذه الحقوق: -

1- **حق المحبة والمودة:**

فمن حق المسلم على أخيه المسلم محبته والتودد له فقد عرفنا فيما سبق أن الولاء هو محبه الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، فمحبة المؤمن لأخيه المؤمن دليل على تحقيق وترسيخ مفهوم الإيمان الذي يعالج من انحرف عنده الولاء للمؤمنين. فيجب على المؤمن أن يتودد لأخيه المؤمن وأن يحب له ما يحب لنفسه ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** (1).

" فمحبة المؤمنين بعضهم لبعض من أجل الإيمان ، والموالاة في الله ، والمعاداة في الله فإنها تبقى بل تزيد يوم القيامة ، وتستمرُّ إلى أبد الآباد" (2).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : **(مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمهمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى)** (3).

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَاب مِنْ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (1 / 12) رقم 13.

(2) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان ، مؤسسه الرسالة ، الطبعة: الثانية ، 1423هـ / 2000م (2 / 48).

(3) صحيح مسلم: كتاب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4 / 1999) رقم 2586.

2- **حق النصرة ورفع الظلم عنه:**

من حق المسلم على أخيه المسلم نصرته ورفع الظلم الواقع عليه بكل الطرق والوسائل المشروعة [1] قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾ [الأنفال: 74].

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ)** [2].

وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [3].

وتتحقق النصرة بعدة أمور منها: "الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم وكسر شوكة الظالمين وبذل المال له لإعزازه وتقوية جانبه، والذب عن عرضه وسمعته والرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين. والدعاء للمسلم بظاهر الغيب بالنصر والتوثيق وتسديد الخطى وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة" [4].

سادساً: ذكر مظاهر الولاء للكافرين وشدة النكير على فعلها:

يبرز دور العقيدة في علاج الانحراف في مفهوم الولاء والبراء عن طريق ذكر مظاهر الولاء للكافرين لتجنبها وللتحذير منها لكي لا يقع أحد فيها:

ومن هذه المظاهر:-

1- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة ، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يُكَفِّرَ المشركين، فإن توقّف في ذلك مع ظهور الأمر فيهم، أو شك في كفرهم مع تبينه؛ فهو مثلهم ، وأما من صحح مذهبهم، واستحسن ما هم عليه من الكفر والطغيان ؛ فهذا كافر بإجماع المسلمين ؛ لأنه لم يعرف الإسلام على حقيقته،

---

(1) للاستزادة عن الموضوع يمكن النظر إلى مظاهر موالاة المؤمنين في المبحث الثالث من الفصل الأول.

(2) صحيح البخاري: كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (3 / 128) رقم 2443.

(3) صحيح البخاري: كِتَاب فِي اللُّقَطَةِ ، بَاب لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ (3 / 128) رقم 2442.

(4) الولاء والبراء: للقحطاني (1 / 273).

وهو: "الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله" وهذا والى أهل الشرك، فضلاً عن أن يكفرهم [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة ، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان . وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته ، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته : فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل ، كما قد بيناه في غير هذا الموضع ، فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله ، وهذا من نوع الهوى ، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه" [2]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص: 50].

2- اتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [آل عمران: 28].

من اتخذ الكافرين أنصارا من دون المؤمنين فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل [3].

3- التحاكم إليهم دون كتاب الله: قال تعالى: ﴿ **لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً** [النساء: 51].

4- الركون إليهم:قال تعالى: **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** ﴾ [هود: 113].

(1)انظر: التبيان شرح نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب: سليمان ناصر بن عبد الله العلوان ، دار المسلم ، الطبعة: السادسة (1 / 15 – 16).

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (1 / 7).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (6 / 313).

فإذا عرف المؤمن مظاهر الولاء للكافرين وعلم الوعيد والنكير على فعلها حتماً سيتجنب في الوقوع بها [1].

سابعاً: تعميق مفهوم الشهادتين وبيان صلتها بالولاء والبراء:

إن الولاء والبراء من لوازم الشهادتين ، لان الولاء كما عرفنا قائم على الموالاة وهي الحب

قال تعالى: ﴿**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران: 28].وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: 31-32].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ، ولا يوالي إلا لله ، ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه ويأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه وأنك لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا الله ولا تسأل إلا الله"[2].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: (**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ قُلْنَا : الصَّلاَةُ قَالَ: الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قُلْنَا : الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**) [3].

لذلك يجب على من يقر بلا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، أن يكون مفهوم الولاء والبراء واضح عنده ، لترابط الولاء والبراء مع الشهادتين [4].

---

(1) للاستزادة في الموضوع يمكن النظر إلى مظاهر الانحراف في مفهوم الولاء في هذا المبحث.

(2) مجموع الفتاوى (8 / 337).

(3) مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود ، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى 1419هـ / 1999م ، باب البراء بن عازب (2 / 110) رقم 783 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي (1 / 431) رقم 4304.

(4) للاستزادة عن مكانة الشهادتين في الإسلام يمكن النظر في المبحث السادس من الفصل الأول.

ثامناً: نبذ الشرك وأهله:

عرفنا فيما سبق أن الانحراف في مفهوم الولاء والبراء مناقض للإيمان وموقع صاحبه في الكفر والردة عن الدين ، لذا لابد من التخلص من الشرك ونبذه لتجنب الوقوع فيه.

1- الشرك شرعاً:أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وهو أكبر الكبائر ، وهو الماحق للأعمال، المبطل لها ، الحارم المانع من ثوابها ، فكل من عدل بالله غيره بالحب ، أو التعظيم ، أو إتباع خطواته ، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم عليه السلام فهو مشرك [1].

ونخلص مما تقدم: أن الشرك هو الاعتقاد بتعدد الإلهة ، أو مشاركة أحد من المخلوقات بصفات الله وخصائصه المتفرد بها دون غيره.

2- التحذير من الشرك: هناك الكثير من الآيات في القرآن تحذر من الشرك ، ومن الوقوع فيه، والناظر إلى الآيات يجد الوعيد للمشرك في الدنيا والآخرة ؛ لذلك نجد الرسول ﷺ كان حريصاً كل الحرص على تعليم الصحابة كيفية تجنب الشرك وعدم الوقوع فيه.

قال تعالى: ﴿ **بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [التوبة: 1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى: **(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)** [2].

وقال جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ للنجاشي مبطلاً عقيدة الشرك: كُنّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ وَالصّيَامِ فَصَدّقْنَاهُ وَآمَنّا بِهِ، وَاتّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللّهِ، فَعَبَدْنَا اللّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ

---

(1) انظر: نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة: لسعيد بن علي القطاني ، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، الطبعة: الثالثة 1421هـ / 2000 م (ص27).

(2) صحيح مسلم:كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء (4 / 2289) رقم 2985.

شَيْئًا، وَحَرّمْنَا مَا حَرّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ؛ لِيَرُدّونَا إلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللّهِ تَعَالَى [1].

3 – أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلي قسمين: –

أ– **الشرك الأكبر:** وهو الذي لا يغفره الله عز و جل ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به وهو الشرك الجلي الظاهر الذي يخرج صاحبه من الملة.

ب– **الشرك الأصغر** : وهو الشرك الخفي ، الذي يغفره الله عز وجل ، ولا يخرج صاحبه من الملة لكنه وسيلة ومقدمة للشرك الأكبر [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: **الشرك شركان:** شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته.

والشرك الأول نوعان:–

أولاً: شرك تعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ما رب العالمين.

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** ﴾ [القصص : 38].

فقد يكون المشرك مقراً بالخالق في أسمائه وصفاته لكن عطل هذا التوحيد.

والتعطيل ثلاثة أقسام:–

1– تعطيل المصنوع عن صانعه،وخالقه.

2– تعطيل الصانع عن كماله، بتعطيل أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله.

3– تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد

---

(1) انظر: تهذيب سيرة ابن هشام : لعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية – الكويت ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الرابعة عشر ، 1406 هـ / 1985 م (1/ 75).

(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم (59/1) ، انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان ، مؤسسه الرسالة ، الطبعة: الثانية ، 1423هـ / 2000م (89/2).

ثانياً: من جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يعطل أسماءه ، وربوبيته وصفاته ، كالنصارى جعلوا المسيح وأمه إلهين ، والذي حاج إبراهيم في ربه [1].

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: 257– 258].

الشرك الأصغر وأقسامه: الشرك الأصغر ينقسم إلي قسمين:–

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان ، والجوارح : وهو في الألفاظ والأفعال.

شرك الألفاظ : منها الحلف بغير الله. سَمِعَ ابْنُ عُمَر رضي الله عنهما رَجُلاً يَحْلِفُ لاَ وَالْكَعْبَة ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**) [2].

كأن يقول الرجل: ما شاء الله وشاء محمد ﷺ ، لولا الله وأنت [3].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**) [4].

شرك الأفعال: منها

– لبس الحلقة ، والخيط الرفيع ، لرفع البلاء، ودفعه.

– تعليق التمائم[5] خوفاً من العين.كان العرب يعلقونها على أولادهم ، يمنعون بها الحسد من العين كما يزعمون ، فجاء الإسلام فأبطلها [6].

---

(1) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم ، دار الكتاب العلمية – بيروت (90/1).

(2) سنن أبي داود: كتاب الإيمان والنذور ، باب كراهية الحلف بالآباء ، (217/3) رقم 3253 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، رقم 11149 .

(3) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان ، باب ما شاء الله وشئت (173/2).

(4) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب من انتظر حتى يدفن (120/9) رقم 7401.

(5) خرزة أو خيط تعلق علي الأطفال لرفع البلاء ، انظر: المخصص: لابن سيده ، تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى1417هـ /1996م (4 / 21).

(6) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دار السلاسل – الكويت ، الطبعة: الثانية من 1401هـ / 1427 هـ (22/13).

ومن اعتقد أن التميمة تجلب النفع ، وترفع البلاء فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة [1].

ولكن من اعتقد أن الخيط أو التمائم سبب من أسباب رفع البلاء ، فقد أشرك شركاً أصغر [2].

القسم الثاني: شرك خفي في الإرادات والنيات.

1- الرياء : وهو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها [3].

فقد ذم الإسلام الرياء وأهله في القرآن والسنة.قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَد** ﴾[الكهف: 110].

على العبد أن يتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، وليجتنب الشرك فالشرك مرفوض ، كفعل شيء فيه رياء أو سمعة أو شهرة وهو الشرك الأصغر.[4]

قال تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [البقرة :264].أي: إن الذي ينفق ماله لمراءاة الناس، ولا يريد به وجه الله عز وجل ، فإن عمله باطل مردود [5]. عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ﷺ قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:(**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فَقَالَ: لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**) [6].

---

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، باب هل يجوز لمسلم أن يقول في دعائه أجيبوا (57/28).

(2) انظر: المصدر السابق (146/76).

(3) انظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد: لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الأولى 1422هـ / 2001م (45/1).

(4) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي: لوهبة الزحيلي (1457/2).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 694).

(6) مسند أحمد (32 / 383) رقم 19606، قال الألباني: (حسن لغيرة) صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الخامسة (1 / 9) رقم 36 .

وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: قَالَ الله تَعَالَى: **(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)** [1]. وعن أنس ﷺ قال: حج النبي ﷺ فقال: **(اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لاَ رِيَاءَ فِيهَا ، وَلاَ سُمْعَةَ)**.[2]

قال ابن القيم رحمه الله: " ريح الرياء جيفة تجافاها مشام القلوب " [3]. فقد شبه ابن القيم الرياء بالجيفة التي ينفر منها الناس ، فالناس تنفر من صاحب الرياء كما تنفر من رائحة الجيفة النتنة.وإن للقلب مرضان: الرياء ، والكبر ، فدواء الرياء إياك نعبد ، ودواء الكبر إياك نستعين [4].

2- إرادة الإنسان بعمله الدنيا: ومعناه: أن يعمل العمل الذي شرع للآخرة ولكن يريد به الدنيا ، كأن يجاهد من أجل المغنم ، أو يتعلم من أجل الرئاسة والوظيفة، أو يحج أو يعتمر من أجل أخذ المال ، وهكذا [5]. قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾ [هود : 15 -16].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ ، وَالْقَطِيفَةِ**[6]، **وَالْخَمِيصَةِ**[7]، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)** [8].

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله (4 / 2289) رقم 2985.

(2) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ، باب الحج علي الرحل (965/2) رقم 2890، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، رقم 2182.

(3) بدائع الفوائد: لابن القيم ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوى- أشرف أحمد الج ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ/ 1996م (756/3).

(4) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1393 / 1972، فصل بيان اشتماله الفاتحة علي الشفائين (45/1).

(5) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان ، باب من الشرك إرادة (2 / 99).

(6) القطيفة كساء له أهداب، أو فراش ذو أهداب، ينسج من الحرير أو القطن ، انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار (2 / 747).

(7) الخميصة كساء أسود معلم الطرفين ويكون من خزّ أو صوف. انظر: المصباح المنير: الفيومي (182/1).

(8) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب ما يتقي من فتنة المال ، رقم 6.

استحق دعاء الرسول ﷺ بالتعس لأنه أراد بعمله متاع الدنيا الفاني ، وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي [1]فمن كان عمله يبتغي به الدنيا وزينتها ، لا يبتغي به وجه الله فقد وقع في الشرك – والعياذ بالله – والواجب علينا أن نحب ما يحب الله ورسوله ﷺ والمؤمنون ، وأن نبغض ما يبغض الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، فنوالي من والى الله ونعادي من عادى الله.

أما نبذ أهل الشرك: فنبذ أهل الشرك يكون بدحض حججهم، و بيان بطلان عبادتهم ، وسوء معتقدهم وبيانها ونشرها لفضحهم.

يقول ابن القيم رحمه الله: نهي الله عز وجل من موالاة الكفار وأمر بمعاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال [2].

ونبذ أهل الشرك يكون في عدة نقاط وهي:-

1- **البراءة منهم:**

قال تعالى: ﴿ **بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة : 1 – 4]. وقال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الممتحنة : 4].

(1) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار الرشيد– السعودية– الرياض ، 1423هـ /2003 م (5 / 83).

(2) بدائع الفوائد (3 / 575).

2- الإعراض عنهم والغلظة عليهم:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وأغلظ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التوبة: 73].

قال تعالى: ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة : 42].

3- عدم الاستغفار لهم:

قال تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة: 80]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المنافقون : 5-6].

يقول ابن القيم رحمه الله: "وأما سيرته في المنافقين، فإنه أُمِرَ أن يَقبل مِنهم علانيتَهم، ويَكِلَ سرائرَهم إلى الله، وأن يُجاهِدَهم بالعِلم والحُجَّة، وأمره أن يُعرِضَ عنهم، ويُغلِظَ عليهم، وأن يَبْلُغَ بالقولِ البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يُصلِّيَ عليهم، وأن يقومَ على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، فهذه سيرتُه في أعدائه مِن الكفار والمنافقين [1].

4- قطع الموالاة إذا كانوا محادين لله ورسوله:

قال تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: 22].وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ**

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 161).

اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 23- 24].

5- **منع النكاح بالمشركات:**

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِن فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ** ﴾ [الممتحنة: 10].

المبحث الثاني

تكفير المسلمين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : تعريف التكفير .

المطلب الثاني : ضوابط التكفير وشروطه .

المطلب الثالث : أسباب جنوح الشباب نحو التكفير.

المطلب الرابع : موقف الإسلام من التكفير .

المطلب الخامس: الآثار المترتبة على تكفير المسلم.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج تكفير المسلم.

المطلب الأول

تعريف التكفير

تعريف التكفير لغةً:

الكُفْرُ بالضَّمِّ: ضِدُّ الإيمان، وأَصلُ الكُفْرِ من الكَفْرِ بالفتح مَصدَر كَفَرَ بمعنى السَّتْر[1].

وقيل لليل كافر لأنه يستر الأشياء بظلمته، وقيل للذي لبس درعا ولبس فوقه ثوباً كافر لأنه غطى درعه بالذي لبسه فوقها، وفلان كفر نعمة الله إذا سترها فلم يشكرها، ولهذا سمي الفلاح كافراً لأنه يغطي البذر بالتراب [2]. قال تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ** ﴾ [الحديد : 20].

تعريف التكفير في الاصطلاح:

هو إنكار وجحود الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، بقول ، أو فعل ، أو اعتقاد [3].

قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُون** ﴾ [الأنعام : 33].

ونخلص مما تقدم:

أن الكفر: ضد الإيمان وهو أن ينكر المسلم ما أدخله في الإسلام من الشهادتين ، بقول أو فعل ، أو اعتقاد ، أو بهما جميعاً.

---

(1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزَّبيدي (14 / 50).

(2) انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري ، تحقيق: محمد جبر الألفي وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، الطبعة: الأولى 1399هـ (1 / 379).

(3) انظر: الإيمان: لمحمد نعيم ياسين ، مكتبة السنة – القاهرة ، الطبعة: الأولى ، 1412هـ / 1991م ، (ص 156).

المطلب الثاني

ضوابط التكفير وشروطه

أولاً: ضوابط التكفير:

هناك كثير من ضوابط التكفير التي يجب على المسلم معرفتها وتعلمها ، والالتزام بها قولاً وعملاً ، ظاهراً وباطناً ، ومن أهم هذه الضوابط:-

1 – التكفير حق شرعي لا مجال للعقل ولا للهوى فيه:

التكفير مرده لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، فلا يحق للمسلم تكفير الآخرين إلا بدليل تقوم عليه الحجة ، لذلك يجب على المسلم أن يحرص كل الحرص على الابتعاد عن الأهواء والشهوات والاستنتاجات العقلية في تكفير الآخرين ، حتى ولو خالفوه في الآراء والأفكار.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فلهذا كان أهل العلم و السنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم شرعي ؛ فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه و تزني بأهله لأن الكذب و الزنا حرام لحق الله تعالى ، و كذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله و رسوله ﷺ " [1].

" الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا، بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه" [2].

2- يكفر المسلم إذا أنكر ما أدخله في الإسلام:

يدخل الإنسان في الإسلام بالإقرار بالشهادتين ، فقد كان الرسول ﷺ وكذلك الصحابة ﷺ يقبلون دخول الشخص في الإسلام إذا نطق بالشهادتين والأدلة على ذلك:

(1) الرد على البكري – تلخيص كتاب الاستغاثة: لابن تيمية ، تحقيق : محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، 1417هـ (2 / 492).

(2) مجموع فتاوى ورسائل ابن العثيمين: لمحمد العثيمين (3 / 342).

عن عثمانﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[1]. وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السلميﷺ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَارِيَةٌ لي صَكَكْتُهَا صكه [2] فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ أَفَلاَ أُعْتِقُهَا قَالَ: ائتني بِهَا قَالَ: فَجِئْتُ بِهَا**(قَالَ:أَيْنَ اللَّهُ. قَالَت: في السَّمَاءِ. قَالَ: مَنْ أَنَا. قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)** [3].

فما دام المرء يدخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين كما عرفنا من النصوص السابقة ، فيخرج من الدين بإنكار ما أدخله فيه ، فيكون مرتداً كافراً إذا نقض الشهادتين بقول ، أو فعل فيعامل بأعمال الكفار في الدنيا ويستتاب فإن لم يتب يقتل حداً ويكون من المخلدين في نار جهنم.

- فإنكار الشهادتين يكون بصور متعددة يمكن حصرها في أربعة أمور وهي:-

أ- إنكار الربوبية أو الطعن فيها كإنكار الرزق والخلق والإحياء وكل ما يتعلق بخصائص الربوبية لله عز وجل.

ب- إنكار أسماء الله وصفاته أو الطعن فيها ، كنفي أي: صفة من صفات الله عز وجل أو اسم من أسمائه الثابتة في القرآن والسنة، أو أثبات صفة أو اسم لله عز وجل نفاها الله عن نفسه ونفاها الرسول ﷺ عن الله عز وجل.

ج- إنكار الإلوهية لله والطعن فيها كإفراد غير الله بالدعاء والخشوع ، والتوكل ، والإستعانة والسجود والصوم والذبح وغيرها.

د- إنكار رسالة الرسول ﷺ والطعن في صاحبها ﷺ كالطعن في رسالته ونسبه وعفته وأمانته ، أو إنكار ما أخبر به ﷺ من الجنة والنار والحساب والصراط والبعث وغيرها [4].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (1 / 55) رقم 27.

(2) ضربة شديدة ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزَّبيدي (27 / 242).

(3) سنن أبى داود:الإيمان والنذور ، باب في الرقبة المؤمنة (3 / 226) رقم 3284 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح: للتبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، 1405هـ/ 1985م (2 / 250) رقم 3303.

(4) انظر: الإيمان : لمحمد نعيم ياسين (ص 156- 163).

"ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين"[1]. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)** [2].

3- عدم التكفير بكل ذنب:

لا يكفر المسلم بكل ذنب ارتكبه حتى لو وصل الذنب إلى الكبيرة إلا ضمن ضوابط وشروط. قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله" [3].

إن مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا يخرجونه من دائرة الإسلام إذا لم يستحل الذنب ، مثل: السرقة ، والزنا ، وشرب الخمر وغيرها ، وهذا ما دل عليه القرآن والسنة [4]. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات : 9]. فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع حدوث الاقتتال فيما بينهم، ومعلوم أن الاقتتال بين المؤمنين من أكبر الذنوب ، وبهذا يستدل على أنه لا يخرج المسلم من الإيمان بالمعصية وإن عظمت.[5]

عن أبي بَكْرَةَ [6] ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ:**(ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ)** [7].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: للألباني ، تحقيق: مجموعة من العلماء ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثامنة ، 4505هـ / 1984 م (1 / 313).

(2) صحيح البخاري :أبواب القبلة ، باب فضل من استقبل القبلة بأطراف رجليه (1 / 87) رقم 391.

(3) شرح العقيدة الطحاوية: للألباني– المكتب الإسلامي (ص316).

(4) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (20 / 90).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7 / 374).

(6) نفيع بن الحارث صاحب رسول الله ﷺ ، قيل له أبو بكرة لأنه تدلى إلى النبي ﷺ ببكرة من حصن الطائف فكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله ﷺ يومئذ وكان منادي رسول الله ﷺ يومئذ أن من نزل إليه من عبيد أهل الطائف فهو حر توفي سنة تسع وأربعين ، انظر: تهذيب الكمال: للمزي (30 / 5).

(7) صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (5 / 26) رقم 3746.

"وهذا يدل أن قتال المسلم للمسلمين لا يخرجه من الإسلام إذا كان على تأويل" [(1)].

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة : 178]. قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 31] هذه الآية دليل على أن الذنب لا يخرج فاعله وصاحبه من الإيمان ، لأن الله عز وجل أمر بالتوبة ، والتوبة لا تكون إلا من ذنب سواء في كبيرة أو صغيرة ، فقد سماهم الله عز وجل مؤمنين بعد فعل الذنب [(2)]. عن أبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ: (**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ ؟ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُفِرَ لَهُ**) [(3)]. وهذا أكبر دليل يمكن الرد من خلاله على من زعم أن المسلم يكفر إذا ارتكب الكبيرة .

4- فعل الكفر لا يستلزم تكفير الفاعل:

فعل الكفر لا يستلزم تكفير الفاعل كما يعتقد كثير من المسلمين ، فيخلط الناس بين تكفير الفعل ، وتكفير الفاعل وهذا خطأ ، فقد يكون الفعل كفراً ولكن لا يكفر فاعله ، فقد يكون جاهلاً أو متأولاً والدليل علي ذلك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عُذِّبَهُ أَحَدٌ قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ فَقَالَ اللَّهُ لِلْأَرْضِ أَدِّي مَا أَخَذْتِ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ أَوْ مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ**) [(4)]. ففي هذا الحديث دليل على أن صنيع هذا الرجل كفراً إلا أنه لم يكفر بفعله لخوفه من الله.

---

(1) شرح صحيح البخاري: لابن بطال (8 / 96).

(2) انظر: بحر العلوم: للسمرقندي ، تحقيق: محمود مطرجي ، دار النشر: دار الفكر – بيروت (2 / 510).

(3) صحيح البخاري:كتاب اللباس ، باب الثياب البيض (7 / 149) رقم 5827.

(4) صحيح مسلم:كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (4 / 2110) رقم 2756.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك ، أو شك وأنه لا يبعثه ، وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة ، لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله ، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته" [(1)].

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[(2)] فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا الْكِتَابُ فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا فَقُلْنَا مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ حَاطِبٌ وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم [(3)]. قال تعالي:﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [الأحزاب:5].

5- تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين:

تحدثنا في القاعدة الثانية أن مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، وإن النصوص الشرعية الواردة في مجال التكفير جاءت في القرآن

---

(1) الاستقامة ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة محمد بن سعد – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، 1403هـ (1 / 164-165).

(2) موضع بين مكة والمدينة ، انظر: الروض المعطر في خبر القطار: لمحمد بن عبد المنعم الحميري ، تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للرسالة – بيروت ، طبع على مطابع دار السراج ، الطبعة: الثانية ، 1980م (1 / 212).

(3) صحيح البخارى: كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدر (5 / 77) رقم 3983.

والسنة بالتكفير المطلق لا التكفير المعين. قال تعالى: ﴿ **فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : 89]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : 44].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا** ﴾ [الأحزاب : 64]. ولكن لا يكفر المعين إلا إذا قامت عليه الحجة ، وأنكر ما أدخله في الإسلام كما في القاعدة الثانية.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين ، فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة باجتهاده فيخطئ فيها فلا يكفر ، وإن كان قد يكفر من قال ذلك القول إذا قامت عليه الحجة المكفرة" [(1)]. ويقول أيضاً رحمه الله: "إني من أعظم الناس نهياً علي أن ينسب مُعَيَّنٌ إلى تكفير وتفسيق ومعصية ، إلا إذا عُلِمَ أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة أخرى وعاصياً أخرى" [(2)].

موانع من تكفير المعين ومنها:-

هناك كثير من الموانع التي لا يمكن تكفير المسلم المعين إن توفر شئ منها وإن وقع في الكبائر سواء كان في الأقوال أو الأفعال.

1- الجهل:

لا يكفر الجاهل بجهله ، وإن صدر منه فعل الكفر البواح إلا بعد إقامة الحجة عليه فينتفي عنه الجهل. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : 17]. وقال تعالى:﴿ **مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الأنعام : 54]." فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر" [(3)]. " وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة ، وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل" [(4)].

---

(1) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية (35 / 99).

(2) مجموع الفتاوى (3 / 229)

(3) الرد على البكري: لابن تيمية (2 / 492).

(4) طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن القيم ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة: الثانية 1414هـ/ 1994م (1 / 611).

2- الخطأ:

قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : 5].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (للهُ أَشَدُّ فَرحاً بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ)(1).

3- الإكراه:

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : 106].

عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي اَلْخَطَأَ ، وَالنِّسْيَانَ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) (2).

4- التأويل:

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴾ [المائدة : 93].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فلا يكفر من نفى حرمة الخمر والربا متأولاً ذلك ، أو لجهله ؛ ولقرب عهده بالإسلام ؛ أو لنشوئه في بادية بعيده ، فأول ذلك لعدم وصوله النص بتحريمه(3).

لقد تأول قدامة بن مظعون الجمحي رضي الله عنه هذه الآية وهو من الصحابة هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها ، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ثم عزله بشرب الخمر فأراد عمر جلده فقال قدامة: لم تجلدني؟ وبيني وبينك كتاب ، فقال عمر: وفي أي كتاب الله تجد ألا أجلدك؟ فقال: في قوله تعالي: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ } فأنا

(1) صحيح مسلم:كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها (4 / 2104) رقم 2747.

(2) سنن ابن ماجه:كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي (1 / 659) رقم 2045 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 372) رقم 6284.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (35 / 165).

من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، وشهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والمشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه ، فردوا عليه بحرمة الخمر، فأمر عمر فجلد ثمانين جلدة [1].

فلو تأول الإنسان بجواز شرب الخمر أو الربا وغير ذلك لا يحكم بكفره في حال عدم وصول النص إليه ، أو فسر النص تفسير خاطئاً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: هذه شبهة وقعت لبعض الأولين من الصحابة ﷺ عندما شربوا الخمر وتأولوا جواز شرب الخمر واستدلوا بقوله تعالي:{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُ الصَّالِحَاتِ }.[2]

5- قول الكفر على سبيل الحكاية عن الغير:

كمن وقف أمام القاضي وشهد على فلان بنطقه الكفر وردد للقاضي مقالة من نطق بها لا يكفر ، أو من قرأ كلام الكفرة الذين يسبون الذات الإلهية بهدف الرد عليهم وإبطال خططهم.

يقول القاضي عياض رحمه الله: من نطق الكفر حاكماً على غيره بهدف رده ، أو إبطال كفره ، فهذا يحمد فاعله ، ويجب عليه لبيان خطره للناس [3].

6- أن يتكلم بكلام لا يعرف معناه:

لا يكفر من تكلم أو نطق بالكفر وهو لا يدري معناه أو ما قاله من الكفر.

يقول ابن القيم رحمه الله: لو نطق العبد المسلم بكلمة الكفر وهو ، لا يعلم معناها لا يكفر [4].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب – الرياض ، 1423هـ / 2003م (6 / 297 – 298).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (11 / 403).

(3) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ،للقاضي عياض ، حاشية: العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى ، دار الفكر للطباعة والنشر– بيروت – لبنان ، 1409هـ / 1988 م (2 / 244).

(4) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ،الناشر: دار الجيل – بيروت ، 1973م (3 / 63).

ثانياً: شروط التكفير:

هناك العديد من الشروط التي يجب توفرها في تكفير الشخص ، ومن هذه الشروط:-

أ- أن يكون الشخص الذي يراد تكفيره عاقلاً:

فالمجنون تسقط عنه التكاليف ، فلا يؤاخذ علي أقواله وأفعاله ، فإن صدر منه الكفر لم يكفر ، فالقاعدة تقول: " من لم يبلغ الاحتلام أو زال عقله فليس بمكلف" (1). عن عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :**(رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يُفِيقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصبي حَتَّى يَحْتَلِمَ)** (2).

يقول ابن تيمية رحمه الله: فالمجنون ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تخالف الشرع فكلها من باب اللغو، فلا يصح منه إيمان ، ولا كفر ، ولا شيء عليه باتفاق المسلمين (3).

قال تعالى: ﴿ **حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ [النساء : 43].

ب - أن يكون بالغا :

فالطفل لا يكفر حتى ولو صدر منه الكفر البواح ، أو فعل فعلاً يوجب خروجه من الملة. " وأما الصغير في أول أحواله فمثل الجنون أيضا لأنه عديم العقل والتمييز" (4).

عن عَلِيٌّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ الصبي حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَبْرَأَ)** (5).

هـ- أن يكون عالماً بدّليل:

كالذي يبيح الخمر والربا والزنا وهو يعلم الدليل بحرمة ذلك ولو أباح شرب الخمر ، ولم يشربها يحكم بكفره ، لأنه أباح ما حرمه الله. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ**

---

(1) أصول الفقه على منهج أهل الحديث: لزكريا بن غلام قادر الباكستاني ، دار الخراز ، الطبعة: الأولى ، 1423هـ/ 2002م (1 / 119).

(2) سنن أبى داود:كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حد (4 / 244) رقم 4403 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 583) رقم 5825.

(3) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (14 / 115).

(4) أصول البزدوي: البزدوي : لعلي بن محمد البزدوي الحنفيى، مطبعة جاويد بريس – كراتشي (1 / 331).

(5) سنن أبى داود:كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حد (4 / 244) رقم 4404 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 583) رقم 2825.

وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : 90]. "وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين" [1].

ج – أن يصدر الكفر عمداً:

قال تعالى: ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [الأحزاب : 5].

د- إنكار شئ معلوم من الدين بالضرورة:

يكفر من أنكر شئ معلوم من الدين بالضرورة ، كمن أنكر الصلاة ، أو الصوم ، أو أي ركن من أركان الدين. ويكفر من جحد شئ معلوم من الدين بالضرورة ، فمن جحد وجوب صلاة من الخمس ، أو ركوعها أو سجودها كفر لأنه معلوم من الدين بالضرورة ، وكل من جحد ما علم من الدين بالضرورة فهو كافر في الصلاة أو غيرها [2].

يقول ابن باز رحمه الله: من استحل ما حرم الله كأن يقول: الزنا حلال ، وشرب الخمر والمسكر حلال ، وإن لم يشرب الخمر كان كافراً كفراً أكبر ، وكذلك من أنكر شئ معلوم من الدين بالضرورة [3].

ي- اقتراف شئ من الكفر الظاهر الصريح:

يكفر من اقترف شئ من الكفر الصريح مع علمه بذلك ، ووجود الدليل لديه لا متأولاً ولا مجتهداً ، كمن جعل لله نداً ، أو وصفه بصفات لا تليق بذاته ، أو الاستهزاء به وبرسوله ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ: **(أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ)** [4].

---

(1) مجموع فتاوى ابن باز: لابن باز ، وجمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر ، مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (1 / 132).

(2) انظر: الذخيرة: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق: محمد حجي ، دار الغرب – بيروت ، 1994م (2 / 482).

(3) انظر : مجموع فتاوى ابن باز: لابن باز (28 / 220).

(4) صحيح البخاري:كتاب القدر ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا }(9 / 152) رقم 7520.

يقول ابن تيمية رحمه الله: يكفر من وصف الله بصفات لا تليق بذاته ، فوصفه بصفات النقص والآفات [1]. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : 48].

يقول ابن تيمية رحمه الله: يكفر من استهزئ بالله وآياته ، أو من استهزئ برسله عليهم السلام ، أو استخف برسالته ﷺ أو رسالة أحد الأنبياء عليهم السلام [2].

نخلص مما سبق: أن التكفير حق لله لا مجال للأهواء فيه ، وأن العبد المسلم لا يُكفر بكل ذنب ، فقد يصدر منه فعل الكفر لكن لا يكفر إما بجهله ، أو تأويله وغير ذلك.

فلا يُكفر العبد إلا إذا كان عاقلاً ، بالغاً ، عالماً بدّليل ،أنكر شئ معلوم من الدين بالضرورة.

(1) انظر: مجموع الفتاوى (3 / 79).

(2) انظر: الرد على البكري (2 / 665).

المطلب الثالث

أسباب جنوح الشباب نحو التكفير

هناك الكثير من الأسباب التي أدت إلي جنوح الشباب إلي التكفير، ويمكن تقسيم هذه الأسباب، إلى أسباب فردية ، وأسباب اجتماعية ، وأسباب سياسية ، وأسباب فكرية علمية.

أولاً: الأسباب الفردية ومنها:-

1- الجهل بقواعد الشرع ومقاصده وأحكامه:

يلجأ بعض الأفراد إلى تكفير الآخرين بسبب جهله بقواعد الشرع ومقاصده وأحكامه ، فبجرد النظر إلى النصوص الشرعية يبادر إلى تكفير الآخرين دون النظر إلى المقاصد والحكم من تلك القواعد والنصوص. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات : 6]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : 17]. "وَهَذِه الْفِتْنَة التي صَدّتْ أَكثر بني آدم عَن تَحْقِيق الدّين ، أَصلهَا الْجَهْل بحَقِيقَة الدّين" [1]. قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾. [البقرة :67]. وقال تعالى:﴿ **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأنعام : 35]. وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: (**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ اثْنَانِ في النَّارِ وَوَاحِدٌ في الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَلم الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ في الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ علي جَهْلٍ فَهُوَ في النَّارِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فَهُوَ في النَّارِ**) [2].

2 – الغلو والتشدد والتنطع في الأحكام الشرعية:

كلما زاد الغلو والتنطع والتشدد في الأحكام الشرعية كلما ازداد تكفير أفراد المجتمع بعضه للآخر ، لذلك نجد من يغلو في تكفير من يرتكب الكبيرة ، وكذلك يكفرون الحكام الذين لا

---

(1) جامع الرسائل: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض الطبعة : الأولى 1422هـ/2001م (2 / 326).

(2) سنن أبى داود:كتاب الأقضية ، باب في القاضي يخطئ (3 / 324) رقم 3575.قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير (17 / 43) رقم 7896.

يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل كل ذلك لغلوهم في فهم الأحكام الشرعية. ويبلغ التطرف غايته، حين يستبيح دماء وأمول وأعراض المسلمين ، ولا يرى لها حرمة ولا ذمة.

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، فأهل السنة والجماعة سلكوا الوسطية والاعتدال في التكفير وتجنبوا الغلو به ، فوضعوا ضوابط وأسساً لتكفير الفرد ، بخلاف الخوارج [1] الذين غالوا في التكفير فقالوا: بالتكفير بكل ذنب ، و لا كالمرجئة [2] الدين نفوا التكفير نفياً عاماً [3].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يُكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة ، وتبين له المحجة وتبين إسلامه بيقين ، ولم يزُلْ ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة" [4].عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)** [5].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال النبي ﷺ : **(أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)** [6].

---

(1) سموا بذلك لخروجهم على أمير المومنين علي ﷺ ، يكفرون علي ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل ﷺ ، يكفرون أصحاب الكبيرة ، ويقولون بتخليده في النار خلافاً للنجدات منهم (أصحاب نجدة بن عامر) ، يجوزون الخروج على السلطان ، انظر: الملل والنحل: للشهرستاني (1 / 114) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلي: لعلي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، تحقيق: هلموت ريتر ، الطبعة: الثالثة العربي ، دار إحياء التراث – بيروت (1 / 86) الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم ، تحقيق: محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة ، مكتبة عكاظ – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1402هـ /1982م (5 / 51- 52).

(2) الإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير كما في قوله تعالى (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ)[الشعراء : 36] أي أمهله وأخره ، والمرجئة قد أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان ، والثاني: إعطاء الرجاء ، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج ، ومرجئة الجبرية ، ومرجئة القدرية ، والمرجئة الخالصة ، قالوا إن الإيمان خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص ، وكذلك الكفر خصلة واحده ، وقالوا لا يضر من الإيمان معصية ، انظر: الملل والنحل: للشهرستاني(1 / 138) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1977م(1 / 195).

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية – المكتب الإسلامي (ص 316).

(4) مجموع الفتاوى (12 / 466).

(5) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن (8 / 15) رقم 6045.

(6) سنن أبى داود:كتاب السنة ، باب لزوم السنة (4 / 330) رقم 4610 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1300) رقم 12995.

وهناك العديد من أنواع الكفر منها:-

أ- **الشك والتكذيب:**

قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** ﴾ [إبراهيم : 9].وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾[فاطر: 25].

ب- **الإعراض والاستكبار والجحود:**

قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾[السجدة : 22] وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : 34].وقال تعالى:﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [النمل : 14].

ج- **الفجور والاستهزاء واتباع الهوى:**

قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ *لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً**﴾ [التوبة : 65 – 66]. فقد أخبر عز وجل في هذه الآية إنهم كفروا بعد إيمانهم لاستهزائهم بآيات الله عز وجل ورسوله ﷺ فقد كانوا يلعبون بها لتسلية أنفسهم ، لذلك فإن الاستهزاء بِآيَاتِ اللَّهِ كُفْرٌ [(1)]. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ [ص : 26]. وقال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الجاثية : 23].

3- التمسك بالفروع وترك الأصول:

لعل من أكثر الأسباب الفردية لجنوح الشباب للتكفير اليوم هو التمسك بالفروع وترك الأصول المتفق عليها ، فقد يلجأ إلي تكفير من لم يعفي لحيته ، أو من لم يستخدم السواك وغيرها ، وفي المقابل نجدة متساهل في عقيدة الولاء والبراء.

(1) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (7 / 220).

ثانياً: الأسباب السياسية ومنها:-

1- القمع والاضطهاد السياسي للشعوب.

2- سقوط الخلافة الإسلامية.

3- الاحتكام للقوانين الوضعية المخالفة للشرع الحنيف.

4- موالاة الحكام للدول الكافرة: كما يحدث اليوم من موالاة حكام العرب والمسلمين لأعداء الله من يهود وغيرهم ، مما أدى إلى ظهور جماعات في العالم الإسلامي تكفر الحكام ، بل وتكفر المجتمعات والأفراد في المجتمع الإسلامي ، وللاستزادة في هذا الموضوع يمكن النظر في المبحث الأول من الفصل الأول من الرسالة.

ثالثاً: الأسباب الاجتماعية ومنها:-

1- انحراف المجتمع عن مصدر التلقي السليم من القرآن والسنة.

2- التفكك الأسري والاجتماعي.

3- العصبية والدعوة للقومية.

4- انتشار الشرك والنفاق في المجتمعات الإسلامية.

5- الفواحش والمنكرات تقليداً للغرب الكافر

6- التمسك بالثقافة الغربية المخالفة لمبادئ الدين الحنيف.

7- شيوع البدع والمنكرات والفساد والظلم في المجتمع.

8- الابتعاد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

9- انتشار الأحزاب والفلسفات الكفريه.

رابعاً: أسباب فكرية علمية ومنها:-

1- الابتعاد عن منهج السلف الصالح.

2- الإستعجال وعدم الصبر.

3- التأويل الفاسد لنصوص الكتاب والسنة.

4- ضعف العلم الشرعي.

5- الحقد والنقمة على المجتمع.

6- التقليد واتباع الأهواء والعصبية الحزبية.

7- حداثة السن وتقديم العواطف على العلم والعقل.

8- فساد الإعلام.

المطلب الرابع

موقف الإسلام من التكفير

إن الناظر إلى الأدلة الواردة في القرآن والسنة يجد أنها تحذر المؤمنين من تكفير بعضهم البعض ، بل توعدت من يفعل ذلك بعذاب أليم ، وأمرتهم إلي الاحتكام إلى الله ورسولهﷺ .

أولا : التحذير والنهي:

أن التكفير ليس حكماً متروكاً للأهواء والشهوات ونحوها بل جعل له ضوابط وقيوداً كما جعل له موانع وشروطاً كما عرفنا فيما سبق. فقد حذر الإسلام بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية من تكفير الآخرين دون قيود ولا ضوابط. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [النساء : 94].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:**(كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللّه الآية)** [(1)].

يخاطب الله عز وجل المؤمنين بأن لا تستعجلوا بتكفير من قال حياكم بالسّلام أو نطق بالشهادتين وأنتم تشكون أهو مسلم أم كافر، فأنتم مأمورون بالعمل بالظاهر ، واللّه أعلم بأمره[(2)]. وحرم الله عز وجل على المؤمنين أن يقولوا لمن قال لا إله إلا الله : لست مؤمناً ، فهو آمن على ماله ودمه [(3)].

وعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ [(4)] قَالَ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ. قَالَ: فَلَمَّا

---

(1) صحيح البخاري:كتاب التفسير ، باب { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } (6 / 47) رقم 4591 .

(2) انظر: التفسير المنير: لوهبة الزحيلي (5 / 216).

(3) انظر: الكشف والبيان : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، تدقيق ا نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة : الأولي ، 1422 هـ – 2002 م (3 / 369).

(4) إحدى قبائل الحجاز العظيمة تمتد منازلها حتى الساحل من جنوب ديربلي حتى ينبع ، انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (3/ 907).

غشيتاه قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(فَقَالَ: لِي يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا قَالَ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ)** (1). وعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)** (2).واعلم أن باب التكفير باب عظمت فيه الفتنة والمحنة والابتلاء ، فلا يجوز إدخال الأهواء والآراء ، ويجب التوسط فيه دون إفراط ولا تفريط (3). قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة : 41]

قال ابن كثير رحمه الله:" نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله، عز وجل فهم أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون. أعداء الإسلام وأهله" (4).

ثانياً: الوعيد الشديد:

توعد الله عز وجل ورسوله ﷺ بالوعيد الشديد لمن يكفر المسلمين أو يرميهم بالفسق ، فقد دلت النصوص أن من يكفر دون بينه إذا يقع في الردة والكفر.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)** (5).

---

(1) صحيح البخاري:كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامه بن زيد إلى الحرقات من جهينة (5/ 144) رقم 4269.

(2) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (1 / 79) رقم 60 .

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: لصدر الدين محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: جماعة من العلماء ، تخريج: الألباني – دار السلام ، الطبعة: المصرية الأولى ، 1426هـ / 2005م (1 / 316).

(4) تفسير القرآن العظيم (3 / 113).

(5) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن (8 / 15) رقم 6045.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفر في الشرع ، كما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل تجب في الشرع معرفته " [(1)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: " فمن الكبائر تكفير من لم يكفره الله ورسوله ﷺ " [(2)].

ويقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "من قال لآخر أنت فاسق ، أو قال له أنت كافر ، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقا ولا كافرا" [(3)].

وعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه [(4)]عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)** [(5)]. " فمن لعن مؤمنًا فكأنه أخرجه من جماعة الإسلام ، فأفقدهم منافعه وتكثير عددهم ، فكان كمن أفقدهم منافعه بقتله " [(6)].

وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه : أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: **(لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إلاَّ كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُو اللهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)** [(7)]. فلا ينبغي لمسلم تكفير من يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً إلا بعد الأدلة والبراهين على كفره [(8)].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (1 / 140).

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم (4 / 405).

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (10 / 466).

(4) ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، شهد بيعة الرضوان وبدراً ، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الخندق، ودليله إلى حمراء الأسد ، وكان ممن بايع تحت الشجرة ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، وقال عمرو بن علي: مات سنة خمس وأربعين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 391).

(5) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَاب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (8 / 26) رقم 6105.

(6) شرح صحيح البخارى: لابن بطال (6 / 104).

(7) صحيح مسلم :كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (1 / 79) رقم 61.

(8) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار ابن حزم الطبعة: الأولى (1 / 978).

فكل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع وأما بالدعوى والافتراء فلا فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلا بان يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله أو أن رسول الله صلى الله عليه و سلم [1].

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم (3 / 138).

المطلب الخامس

الآثار المترتبة على التكفير

هناك آثار جسيمة تعود على الْمُكَفَّر والأفراد والمجتمع ومنها:-

أولاً: الآثار المترتبة علي الْمُكَفَّر:

1- **حبوط العمل :**

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : 217]. وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[المائدة :5].

فمن يجحد ما أمر الله بالتصديق به، من توحيد الله ونبوّة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله فقد بَطل ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، وهو في الآخرة من الهالكين[1] قال تعالى :﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[المائدة : 115].

2- **الابتعاد والميل عن الحق:**

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : 12].

فمن وقع في فتنة التكفير وكفر وجحد ما أمره الله عز وجل فتركه ، وعمل أي عمل مخالف للشرع فقد بعد عن الحق وضل عن الطريق المستقيم.

3- **القتل إذا لم يتب:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)** [2]. وعن أَبِي بُرْدَةَ ﷺ [3] قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (9 / 592)

(2) صحيح البخاري:كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم ، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة (9 / 15) رقم 6922.

(3) عامر بن عبد الله بن قيس بن أبي موسى الأشعري، تابعي فقيه من أهل الكوفة ولي قاضياً بها روى عن أبيه وعلي بن أبي طالب والزبير ﷺ ، توفي سنة 103هـ ، انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر ، تحقيق: محب الدين عمر العمردي ، دار الفكر (26 / 43).

مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَاف [1] قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ ثُمَّ قَالَ: يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا ، وَلَا تُنَفِّرَا، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ **(فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هَذَا قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ)**[2].

4- الكفر والردة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**) [3].وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)** [4].

قال ابن حجر رحمه الله: "أن من قال لآخر أنت فاسق أو قال له أنت كافر فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقا ولا كافرا"[5].

5- فقدان الحقوق التي أقرها الإسلام ومنها:-

أ- عدم قبول شهادته.

ب- يمنع التوريث .

ج- لا يزوج ولا يترحم عليه.

ثانيا: الآثار المترتبة علي المجتمع ومنها:-

1- استباحة الدماء.

2- انتهاك الأعراض.

---

(1) مكان قرب عدن فيه حصون وقلاع وبلدان ، انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (5 / 67).

(2) صحيح البخاري: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (5 / 161) رقم 4341 .

(3) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب من كفر أخاه بغير تأويل (8/ 26) رقم 6104.

(4) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن (8 / 15) رقم 6045.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر (10 / 466).

3- سلب الأموال الخاصة والعامة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال:**(أي يوم هذا ؟ قالوا: يوم النحر قال : فأي بلد هذا ؟ قالوا: البلد الحرام قال: فأي شهر هذا ؟ قالوا: الشهر الحرام قال: هذا يوم الحج الأكبر فدماؤكم و أموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال : هل بلغت ؟ قالوا: نعم فطفق رسول الله ﷺ يقول: اللهم اشهد ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع)** [(1)]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾. [النساء : 29].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ)** [(2)].

" التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال ، وسفك الدماء، والحكم بالخلود في النار فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية فتارة يُدرك بيقين وتارة يُدرك بظن غالب وتارة يُتردد فيه ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى ، والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل" [(3)].

4- تكفير المجتمعات:

ومن الآثار المترتبة على التكفير ، تكفير المجتمع المسلم أفراداً وجماعات ، فلو نظرنا في الآونة الأخيرة إلي قطاعنا الحبيب لوجدنا ظهور مجموعات تكفر المجتمع والتي تسمي نفسها جلجلت ، تفجر المساجد والأماكن العامة ، لاعتقادها أن هذا العمل يقربهم إلى الله. وينطبق عليهم حديث الرسول ﷺ الذي يرويه علي بن أبي طالب ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ**

---

(1) شعب الإيمان: للبيهقي ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1410هـ ، باب الوقوف بعرفة يوم عرفات (3 / 469) رقم 4086 ، قال الألباني:(صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5 / 278).

(2) صحيح مسلم:كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه (4 / 1986) رقم 2564.

(3) بغية المرتاد: لابن تيمية، تحقيق : موسى سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة: الأولى: 1408(1 / 345).

قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لا يجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةَ) [1]

وفي رواية الإمام مسلم ﷺ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال الرسول ﷺ :**(يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَاد)** [2].

5- **نشر الحقد البغضاء والكراهية.**

المجتمع الذي يكفر بعضة البعض سواء ببينة أو بغير بينة مجتمع حتماً سينتشر فيه الحقد والكراهية والبغضاء ، بخلاف المجتمع الذي يسوده الحب والمودة فهو مجتمع يتمهل في إصدار الأحكام وتكفير الآخرين إلا بعد إقامة الحجة والبينة على ذلك.

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ :**(لا تَحَاسَدُوا[3]، وَلاَ تَنَاجَشُوا[4]، وَلاَ تَبَاغَضُوا [5]، وَلاَ تَدَابَرُوا[6]، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلم: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات بِحَسْب امرئ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ ، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ)**[7].

6-**الفرقة والاختلاف :**

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: 159].

أي: أصبحوا فرقاً وأحزاباً في الضلالة وكفّر بعضهم بعضاً [8] .

---

(1) صحيح البخاري:كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (16/9) رقم 6930.

(2) صحيح مسلم:كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (2 / 741) رقم 1064.

(3) تمني زوال النعمة عن أخيه وان تكون له ، انظر: النهاية في غريب الأثر: لابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، 1399هـ / 1979م (1 / 956).

(4) أن يزيد الرجل في ثمن السلعة لا لشرائها ولكن ليسمعه غيره فيزد ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (402/17).

(5) وهي نقيض الحب وهي الكراهية ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (121/7).

(6) الهجران والمقاطعة ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (11 / 265).

(7) صحيح مسلم:كتاب البر والصلة والآداب ، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (4 / 1986) رقم 2564.

(8) انظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (14 / 8).

ويخاطب الله عز وجل رسوله ﷺ بقوله: إن الذين فرقوا دينهم من أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة ليسوا منك [1]. قال تعالى:﴿ **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[الروم : 32]

ثالثاً: الآثار المترتبة على الأفراد:-

1- قطع المولاة وإحلال مبدأ الإخوة.

2- إسقاط العبادات حبوط العمل.

3- القنوط من رحمة الله.

4- الانعزال والابتعاد عن فعل الخير.

5- الاستدراج في فعل المعاصي والجرائم.

6- الحقد على المجتمع.

(1)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (12 / 271).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج تكفير المسلم

أولاً : الفهم والتوعية:

يبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج تكفير المسلمين بعضهم لبعض عن طريق الفهم والتوعية لأن المجتمعات الإسلامية اليوم انتشر بين أفرادها تكفير بعضهم البعض لجهلهم خطورة التكفير وآثاره على الأفراد والمجتمع ، فكان لا بد من نشر الفهم والتوعية السليمة ونشرها في أوساط المجتمع.

1- تعريف الفهم:

الفهم لغة: تصور المعني من اللفظ ، هيئه للنفس يتحقق بها ما يحسن جودة الذهن[1].

الفهم في الاصطلاح : عرفها ابن حجر رحمه الله فقال: "هي فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول ، أو فعل" [2].

وتم تعريفه بالقول: هو ما يراد به الإدراك لمعنى الكلام ، وهو أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ والمعنى [3].

2- الفهم الصحيح للإسلام نعمة:

إن من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبيده بعد التوحيد ، ودخول الإسلام هي نعمة الفهم الصحيح التي بها يتجنب طريق الضلال وطريق المغضوب عليهم ، فالفهم نور يقذفه الله في القلوب ليميز العباد بين طريق الحق وطرق الباطل [4].

فالمسلم إذا فهم الدين فهماً سليماً قائماً على العقيدة الصحيحة فقد حفظ نفسه من الانزلاق وراء فتنة التكفير .

---

(1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (33 / 224).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر (1 / 165).

(3) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، الطبعة: الثانية (43 / 91).

(4) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم (1/ 48).

3- شمولية الفهم للإسلام:

الواجب على المسلم أن يفهم أن الإسلام نظام شامل متكامل مترابط ، شمل أمور الدنيا والآخرة في جميع الجوانب ، فهو دين ودولة ، وسياسة واقتصاد ، وعمل وجدّ ، وفكر وعلم، فالله يخاطب الإنسان بعقله وروحه وبدنه دون تمييز لعرق أو لون أو جنس.فقد فهم كثير من المسلمين اليوم الإسلام على أنه عبادات وشعائر ، لا صلة له بقضايا المجتمع ، وشؤون الدولة ، ومسارات السياسة ، والاقتصاد ، وتيارات الثقافة والفكر[1]. قال تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : 38]. وقال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل : 89]. وقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ [المائدة : 3].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ: أَيُّ آيَةٍ قَالَ:{**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا**} قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ [2].

عَنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه قَالَ:(**قِيلَ لَهُ لَقَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شيء حَتَّى الْخِرَاءَةَ. قَالَ: أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ وَأَنْ لاَ نستنجي بِالْيَمِينِ وَأَنْ لاَ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ يَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ**) [3]. وهذا أكبر دليل على شمولية الإسلام ، وأنه لم يقتصر على جانب من جوانب الدين ، حتى اهتم بتعليم المسلم قضاء حاجته.

يقول الشهيد حسن البنا [4] رحمه الله في شمولية الإسلام: إن الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين شمل جميع مناحي الإصلاح في الأمة.

– نحن دعوة سلفية: نأخذ ما في الكتاب والسنة.

---

(1) انظر: الإخوان المسلمون 70عاماً في الدعوة والتربية والجهاد: للقرضاوي (ص 170).

(2) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه (1 / 18).

(3) صحيح مسلم :كتاب الطهارة ، باب الاستطابة (1 / 223) رقم 262.

(4) حسن أحمد عبد الرحمن البنا ولد في المحمودية ، اشتغل مدرس في سلك التعليم، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين عام 1928، كان يتنقل في أقاليم مصر لنشر الدعوة الإسلامية، أنشأ دار للإخوان ثم معهد أمهات المسلمين، أصدر مجلة الإخوان ثم مجلة الغدير، شارل في حرب فلسطين عام 48 تم اغتياله عام 49 ، انظر: الإعلام: لخير الدين محمود محمد علي فارس، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر 2002 م (2/ 183- 184).

- وطريقة سنية: نعمل بالسنة النبوية في كل شيء من أمور الدين والدنيا.

- وحقيقة صوفية: نعمل علي طهارة النفس والارتقاء بها إلى فعل الخير، والإعراض عن الخلّق.

- وهيئة سياسية: نقوم بإصلاح الحكم وتربية الأمة على العزة والكرامة.

- وجماعة رياضية: تهتم بتشكيل فرق رياضية، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

- وشركة اقتصادية: تُعنى بكسب المال المشروع وتوفير سبل الإنتاج للجميع.

- ورابطة علمية ثقافية: تقوم بطلب العلم وتنمية العقل.

- وفكرة اجتماعية: تقوم على تفعيل جميع أفراد المجتمع للوصول للعلاج المناسب (1).

ثم قال: " إن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وسماحة وقوة، وخلق ومادة، وثقافة وقانون (2).

4- التوسط في التطبيق :

الواجب على المسلم التوسط في فهم التطبيق ، دون غلو ولا تفريط.قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : 143].والتطبيق الصحيح وهو الطريق المستقيم وهو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، الطريق الذي جاءت به الرسل جميعاً ، وهو طريق الإسلام (3).

ويستدل بهذا الحديث على التوسط في الدين ، والابتعاد عن الغلو والتنطع.(4) قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : 77].

---

(1) انظر: مجموعة رسائل حسن البنا: دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة ، 1412هـ /1992م (ص 122).

(2) المصدر السابق (ص 159).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 137).

(4) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لابن دقيق العيد: تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ، و مدثر سندس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1426 هـ / 2005 م (1 / 390).

ثانياً: بيان التوحيد الصحيح:

1- مكانه التوحيد:

للتوحيد مكانه عظيمة في الإسلام فهي أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك [1]قال تعالى: ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [الأعراف : 59].

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوحيد هو أصل الإسلام ، وهو دين الله عز وجل ، وله خلق الخلق أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا [2] قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات: 56].

ويقول ابن القيم رحمه الله: أن التوحيد الخالص هو الذي لا يشوبه شرك ، ولا يبقي معه ذنب ، ولو جاء بقراب الأرض خطايا أتاه الله بقرابها مغفرة [3].

2- أنواع التوحيد:

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي: توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات [4] وإن أقسام التوحيد الثلاثة متلازمة ، لا ينفك قسم منها عن الآخر.

أ- **توحيد الربوبية:** هو الإقرار بأن الله تعالي هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته وإنه لا شريك له في ملكه [5]. وتوحيد الربوبية لم ينكره أحد من البشر حتى الذين ادعوا الربوبية كفرعون والنمرود . قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزخرف:87].

ب- **توحيد الإلوهية:** هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الإله الحق ، وأن يعبده وحده سبحانه وتعالي ، ويكفر بعبادة ما سواه ، وبهذا يتحقق مفهوم لا إله إلا الله [6] .

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: لصدر الدين الحنفي – دار السلام (ص77).

(2) انظر: الاستقامة (2 / 227).

(3) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 /64).

(4) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 23).

(5) انظر: معراج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة: الأولى ، 1410 هـ/ 1990م (459/2).

(6) انظر: مجمل اعتقاد أئمة السلف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ، الطبعة: الثانية ، 1417هـ (1/ 120).

وإن توحيد الألوهية هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، ومن أجله أرسل الله الرسل من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد ﷺ ومن أجله خلق الله الخلق وجعل الجنة والنار ولا يقبل إيمان المرء إلا بالإقرار به قولاً وعملاً [1].

ج- توحيد الأسماء والصفات: هو الاعتقاد الجازم بأن الله متصف بالكمال المطلق في جميع الوجوه منزه عن جميع صفات النقص ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة ، ونفي ما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وكل ما ينفي كماله [2].

بالنسبة لصفات الله: صفات الله أوسع من أسمائه فكل اسم نشتق منه صفة وليس كل صفة نشتق منها اسم [3] و صفات الله تنقسم إلي قسمين: ثبوتية وسلبية.

أولاً: الصفات الثبوتية: وهى ما أثبتها الله تعالى لنفسه ، أو على لسان رسوله ﷺ.

وتنقسم إلي قسمين:-

1- **صفات ذاتية:** هي الصفات الملازمة للذات الإلهية ، التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والقدرة.

2- **الصفات الفعلية:** وهي التي تتعلق بقدرة الله ومشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالنزول ، والاستواء ، والعرش ، والنزول إلى الدنيا [4].

ثانياً: الصفات السلبية:هي ما نفاها الله عن نفسه ، أو على لسان رسوله ﷺ كالموت والظلم ، والنسيان ، والجهل ، والتعب ، والإعياء ، مع إثبات ضدها [5].

3-ما يقدح في الأسماء والصفات:

يقدح في توحيد الأسماء والصفات عدة أمور يجب ألا يقع المسلم بها وهي:-

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (327/1).

(2) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد: لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ، تخريج: المرتضي الزين أحمد ، مجموعة التحف النفيسة الدولية للتوزيع – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1416 هـ/ 1996 م (1 / 6).

(3) انظر: الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها: لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف – الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1422هـ / 2002م (1 /40).

(4) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: لمحمد بن عبد الرحمن الخميس (1/ 305).

(5) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لمحمد العثيمين (5 /15).

– **التشبيه:** وينقسم إلى قسمين: تشبيه الخالق عز وجل بالمخلوق ، بأن يقول وجه الله

كوجوه خلقه ، ويده كيد خلقه ، وكتشبيه النصارى المسيح ابن الله ، وتشبيه اليهود العزير ابن الله ، وكتشبيه المخلوق بالخالق ، وهو الشرك الأكبر ، كالذين يشبهون الأولياء برب العالمين ، ويعتقدون بأنهم يعلمون الغيب ، ويعلمون ما في القلوب وأنهم ينجونهم من عذاب القبر ، وهو من أعظم التشبيه ومن أعظم الظلم [1].

– **التعطيل:** هو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله عز وجل [2].

والتعطيل نوعان: الأول: تعطيل تكذيب: كأن يقول قائل: إن الله لم يستوي على عرشه وهذا كفر ، والثاني: تعطيل تأويل: وهو أن يؤمن أن الله على العرش استوي ، لكن قال: أن الاستواء هو الاستيلاء [3].

– **التحريف:** وهو التبديل والتغيير في أسماء الله وصفاته أو التحريف في معناها سواء كان التحريف قولي أو عملي [4].

قال تعالى: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [النساء: 46].

– **التكييف:** " أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى عَلَى كَيْفِيَّةٍ كَذَا ، أَوْ يَسْأَلُ عَنْهَا بِكَيْفَ" [5].

والتعطيل نوعان: الأول: تعطيل تكذيب: كأن يقول قائل: إن الله لم يستوي على عرشه وهذا كفر.

الثاني: تعطيل تأويل: وهو أن يؤمن أن الله على العرش استوي ، لكن قال: أن الاستواء هو الاستيلاء [6]. ومما يدل على بطلان التكييف.قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: 36].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (11 / 526 – 527).

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم ا (3 / 223).

(3) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لمحمد العثيمين (1 / 175).

(4) انظر: فتاوي اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (276/12).

(5) شرح العقيدة الواسطية: لمحمد خليل هراس ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى ،1413هـ / 1992م (37/1).

(6) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لمحمد العثيمين (1 / 175).

لما سئل الإمام مالك ﷺ عن الاستواء قال: "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة [1].

ثالثاً: محاربة الغلو الديني:

حارب الإسلام الغلو بجميع أنواعه سواء الغلو الواقع في الإعتقادي ، أو الغلو العملى ، حث نهي الإسلام في غلو الأنبياء والصالحين. قال تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة : 77].

وجاءت السنة النبوية تؤكد على الاعتدال ، وتنهي عن الغلو والتنطع في جميع مناحي الحياة.عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)** [2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : **(إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)** [3].

فقد حارب الإسلام الغلو بكل الوسائل المشروعة لما له من أثار وأخطار على الإسلام والمسلمين [4].

رابعاً: غرس العقيدة الصحيحة:

غرس العقيدة الصحية في نفوس الناس من أهم الواجبات اليوم ، فقد مكث الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو النَّاس إلى التوحيد، وإلى غرس العقيدة في نفوس النَّاس ، وإزالة كل ما يعارضها، أو يناقضها من ألوان الانحرافات، والمخالفات ، فإن غرس العقيدة من أهم ما يقضي على ظاهرة تكفير المسلمين اليوم أو التسرع في تكفيرهم ، فصاحب العقيدة القائمة على الكتاب والسنة نجدة تربطه علاقة وثيقة بربه من التسليم في الظاهر والباطن ، فصلاح المجتمع وتحصينه من فتنة التكفير اليوم هو بعرس العقيدة السليمة.

---

(1) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي ، تحقيق: رضا فرحات ، مكتبة الثقافة الدينية (1 / 215).

(2) سنن ابن ماجه:كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (2 / 1008) رقم 3029 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح ابن ماجة (2 / 177) رقم 2455.

(3) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك : باب قدر حصى الرمي (2 / 1008) رقم 3029 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة (3 / 278) رقم 1283.

(4) للاستزادة عن الموضوع يمكن النظر لموضوع التطرف والغلو المبحث الأول من الفصل الثالث.

قال مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. [1].

أهمية العقيدة الإسلامية للفرد والمجتمع:

- تحقق الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور: قال تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة : 112].

- تحقق العافية والرخاء: قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف : 96].

- حصول التمكين في الأرض ، وقيام دولة الإسلام: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء : 105].

- التأليف بين القلوب والأرواح وإزالة العداوة والبغضاء .

- القضاء على النعرات العصبية والقومية

- النجاة من عذاب الله عز وجل.

- استقامة السلوك والقضاء على الانحرافات.

خامساً: الحكم لله لا للأهواء والآراء:

عرفنا فيما سبق أن التكفير حق شرعي لا مجال للعقل ولا للهوى فيه ، لذلك يجب على المسلم عدم الاعتماد على الأهواء والآراء بل عليه الاحتكام لنصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : 40]. فالواجب على كل مسلم مؤمن بالله ورسالاته الاحتكام لله ولشريعته في كل شئ وإن عارض رغباته وشهواته.

"اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين" [2].

وذكر الشاطبي رحمه الله: أن الأصل كون الشرع حاكماً بإطلاق ، ويقتضي للعاقل أمرين:

(1)انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (27 / 396).

(2) الملل والنحل: للشهرستاني (1 / 15).

أحدهما : أن لا يجعل العقل حاكما بإطلاق ، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع ، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم . وهو الشرع . ويؤخر ما حقه التأخير . وهو نظر العقل . لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكما على الكامل لأنه خلاف المعقول والمنقول بل ضد القضية هو الموافق للأدلة فلا معدل عنه ولذلك قال : اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك تنبيها على تقدم الشرع على العقل.

والثاني : أنه إذا وجد في الشرع أخبارا تقتضي ظاهرا خرق لعادة الجارية المعتادة فلا ينبغي له أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق بل له سعة في أحد أمرين:

الأول: إما أن يصدق به على حسب ما جاء ويكل علمه إلى عالمه وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ [آل عمران: 7].

الثاني: وإما أن يتأوله على ما يمكن حمله عليه مع الإقرار بمقتضى الظاهر [(1)].

فعمدة من يخالف الكتاب والسنة وهو الاحتجاج بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب شيطاني فعلى المؤمن بالله عز وجل ورسالته أن يؤمن إيماناً عاماً مجملاً ، لأنه لا يجوز أن يقع في دين الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ ما يعلم بطلانه بالعقل ، وإن لم يعلم في أعيان المسائل ، بل كل ما عارضه مما يسمونه أصحابه: عقليات ، أو مكاشفات ، فهو في الحقيقة ضلالات ، وجهالات ، وخيالات، وشبهات مكذوبات ، وأوهام فاسدة [(2)].

يقول الإمام الطحاوى رحمه الله:

"وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص ، أو عارض النص بالمعقول ، فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه" [(3)].

سادساً: الدعوة إلى إعمال العقل والابتعاد عن الشبهات:

تبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج فتنه التكفير إلى الدعوة إلى إعمال وظيفة العقل لأنها مصدر من مصادر المعرفة ، وفي المقابل الابتعاد عن الشبهات وكل ما يعيق ويضر أداء وضيفة العقل.

---

(1) انظر: الاعتصام (1 / 522- 523).
(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل (5 / 255).
(3) شرح الطحاوية – ط دار السلام (1 / 207).

1- **منزلة العقل في الإسلام:** كرم الإسلام العقل حين جعله مناط التكليف عند الإنسان ، والذي به فضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وكرمة حين وجهه إلي النظر والتفكير ، وتكمن منزلة العقل في النقاط التالية:-

أ- خص الله أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة.

قال تعالى: **وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة : 197]

ب- ذكر الله أصحاب العقول وجمع لهم النظر في ملكوته ، والتفكير في آلائه.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران : 190]

ج- قصر الله عز وجل الانتفاع بالذكر على أصحاب العقول. قال تعالى: **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** [آل عمران : 7].

د- حرم الإسلام الاعتداء على العقل بأي شكل من الأشكال.

حرم الإسلام الاعتداء على العقل بأي صورة سواء كانت حسية أو معنوية فمثلاً: حرم شرب الخمر وكل ما يخل وبضيفه العقل . قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة : 90]

هـ – شدد الإسلام في النهي عن تعاطي العقول ما تنكره وتنفر منه.

حرم الإسلام تعاطي العقول ما تنكره وتنفر منه ، كالتطير والتشاؤم وغيرها ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ** [1] **وَلَا هَامَةَ** [2] **وَلَا صَفَرَ**[3]) [4].

و- ذم الله عز وجل المقلدين لآبائهم حين ألغوا عقولهم.

---

(1) الطيرة: مصدر تطير ، وهو التشاؤم بالشئ ، وهو الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية ، إن طار الطير جهة اليمين يمنوا واستمروا ، وإن طار ميسرة تشاءموا. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (10 / 212).

(2) الهامة: ذات السموم ، وقيل ذواب الأرض المؤذية ، وقيل هي البومة كانت العرب إذا سمعت صوته تشاءموا. انظر: المصدر السابق (10 / 241).

(3) الصفر: التشاؤم بشهر صفر ، وقيل الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، فأبطل الإسلام ذلك.انظر: المصدر السابق (10 /171).

(4) صحيح البخاري: كتاب الطب ، باب لا هامة (7 / 135) رقم 5757.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : 170]. وفي المقابل ظهر المتصوفة ، يذمون العقل ويعيبونه ، ويدعون أن كثيراً من القوانين العقلية يمكن أن يأتي عليها البطلان ، لذا نجدهم يقررون من الأمور ما يعرف كذبه بصريح العقل ، ويمدحون السكر والمجنون ، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدم العقل [1].

2- **أقسام المعرفة من حيث إدراك العقل لها:**

تنقسم المعرفة من حيث إدراك العقل لها إلى ثلاثة أقسام وهي:-

أ- **العلوم الضرورية:** وهي التي لا يمكن التشكيك بها وهو من المسلمات الذي لا يختلف فيه العقلاء ، كعلم الإنسان بوجوده ، وأن الإثنين أكثر من الواحد.

ب- **العلوم النظرية:** وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال ، وهذا القسم يدخل فيه كثير من العلوم.

ج- "وقسم لا يعلمه البتة إلا أن يعلم به أو يجعل له طريق إلى العلم به ، وذلك كعلم المغيبات عنه كانت من قبيل ما يعتاد علم العبد به أو لا ، كعلمه بما تحت رجليه ، إلا أن مغيبه عنه تحت الأرض بمقدار شبر . وعلمه بالبلد القاصي عنه الذي لم يتقدم له به عهد . فضلاً عم علمه بما في السموات وما في البحار وما في الجنة أو النار على التفصيل " [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: العلم ثلاث أنواع علم يعرف بالعقل ، ومعرفة لا تحصل إلا بالسمع ، والثالث ما لا سبيل إلى معرفته لا بعقل ولا بسمع[3].

3- **موقع العقل من المطالب الاعتقادية:**

عرفنا أن العلوم الضرورية التي لا يمكن التشكيل بها من العلوم التي يدركها العقل وكذلك العلوم النظرية ، أما بالنسبة للعلوم التي لا يمكن للعقل من إدراكها العلوم المتعلقة في مسائل الاعتقادية ، فالعقول ما كانت تعلم هذه المسائل لولا مجيء الوحي ، فإن كثير من مسائل

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (3 / 339).

(2) انظر: كتاب الاعتصام: للشاطبي (2 / 71).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (4 / 371).

الاعتقاد لا تدرك العقول كيفيتها وحقيقتها مثل ما ذكر من أمور الغيب من جنة ، ونار ، وحساب وجزاء .

– الروح التي ليست من مدارك العقل؛ لذلك لما سألت يهود رسول الله وسلم ﷺ ، لم يبين لهم ماهيتها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَقَالَ مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالُوا سَلُوهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [1].

– أما عن صفات الله عز وجل، فللعقل دور في تفهم معانيها؛ لأنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد، فتبقى في أذهاننا قضايا عامه كلية، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا، لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا" [2].

سابعاً: غرس عقيدة الولاء والبراء:

إن غرس مفهوم عقيدة الولاء والبراء في نفوس أبناء الأمة الإسلامية وذلك عن طريق التقرب والتودد إليهم ، وإظهار المحبة لهم ، والوقوف بجانبهم ، والوثوق بهم ، وإعانتهم ومناصرتهم ورفع الظلم الواقع عليهم بكل الوسائل والطرق المشروعة ، والدعاء والاستغفار على أحيائهم وأمواتهم ، والرفق على كبيرهم ، والرحمة على صغيرهم ، والستر عليهم ، وزيارتهم وإدخال السرور عليهم عند رؤيتهم والاجتماع معهم لهي من أكثر الأمور فعاليه في علاج الانحراف في تكفير المسلمين والقضاء عليها [3].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب التفسير: بَاب { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ } (6 / 87) رقم 4721.

(2) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (5 / 346).

(3) للاستزادة عن الموضوع يمكن النظر إلى المبحث الثالث من الفصل الأول.

ثامناً: الوعيد الشديد لمن وقع في ذلك:

تقوم العقيدة الإسلامية بعلاج فتنة التكفير بإبراز الوعيد الشديد لمن يقع في ذلك لردع من يقع في ذلك ومن باب التخويف ، فعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)** [1].

وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)** [2].

يقول ابن باز رحمه الله: من دعا رجل بالكفر وهو ليس كذلك إلا رجعت عليه ، وهذا وعيد شديد لمن يقع في فتنة التكفير والتفسيق [3].

وقد توعد الله عز وجل لمن يقع في ذلك بحبوط بعمله ، وابتعاده عن الحق ، والقتل إذا لم يتب ، وفقدانه الحقوق التي أقرها الإسلام [4].

(1) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (1 / 79) رقم 60 .

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (1 / 79) رقم 61.

(3) انظر: مجموع فتاوي ابن باز (1 / 256).

(4) للاستزادة عن الموضوع يمكن الرجوع للمطلب الخامس من نفس المبحث.

المبحث الثالث

النفاق

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف النفاق.

المطلب الثاني : أنواع النفاق.

المطلب الثالث : تحذير الإسلام من النفاق.

المطلب الرابع : خطر النفاق على الفرد والمجتمع.

المطلب الخامس : دور العقيدة في علاج النفاق.

المطلب الأول

تعريف النفاق

تعريف النفاق لغةً:

أصل النفاق في اللغة يدل على انقطاع شيء وإغماضه وستره وإظهار خلافه.

فنقول: نفق الشئ: أي فني وانقطع وأنفق الرجل: أي افتقر وذهب ما عنده [1].

قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً**﴾ [الإسراء : 100].

ويقال: فرسٌ نَفِقُ الجرْيِ أي: سريعُ انقطاع الجري. والنَّفَق: المَسلك النَّافذ الذي يُمكن الخروجُ منه. ومنه اشتقاق النِّفاق، لأن صاحبَه يكتم خلاف ما يظهِر، فكأن الإيمان يَخرج منه، أو يخرج هو من الإيمانِ في خفاء.

والمنافق: من يخفي الكفر ويظهر الإيمان ومن يضمر العداوة ويظهر الصداقة ومن يظهر خلاف ما يبطن [2]. قال تعالى: ﴿ **فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الأنعام : 35].

النفاق في الاصطلاح:

عرفه ابن تيمية رحمه الله: النفاق: هو القول باللسان بخلاف ما في القلب ،وفرّق بين النفاق والإكراه فقال: الإكراه يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، إلا أن قلبه مطمئن بالإيمان بخلاف المنافق [3]. قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة : 8]. وقال أيضاً رحمه الله: "المنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً ؛ ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك منافقاً عليه"[4]

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (5 / 454).

(2) انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفي – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار(2 / 942).

(3) انظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، الطبعة: الأولى: 1406هـ/ 1986م (6 / 297- 298).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (7 / 300).

وقال ابن القيم رحمه الله: النفاق هو أن يظهر المرء بخلاف ما يبطن [1].

وقال ابن حزم رحمه الله: إظهار الإيمان باللسان وإبطان الكفر في القلب [2].

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو من خالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه [3].

ونخلص مما تقدم أن النفاق: هو مخالفة الظاهر للباطن وإظهار الحق في الأقوال والأفعال وإخفاء الكفر.

(1) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (3 / 102).

(2) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي –القاهرة (3 / 136).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 176).

المطلب الثاني

أنواع النفاق

ينقسم النفاق إلي قسمين وهما:-

أولاً:النفاق الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام بلسانه ، أو بعمله ولكنه يبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الملة ويخلد صاحبه في جهنم [1]·قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ [النساء : 145].

استحق المنافق الدرك الأسفل من النار لما كان منه من الفساد والإفساد الحاصل والواقع على المؤمنين ، فقد غر المؤمنين بظاهر الإيمان الذي لا حقيقة له في قلبه [2]·

" المنافقين أكفر من اليهود والنصارى ، وعبّاد الأوثان لعظم خطرهم وخفاء أمرهم على كثير من الناس ، وقد أخبر الله عنهم سبحانه أنهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار[3].

فالمنافق النفاق الإعتقادي مخلد في نار جهنم لا يخرج منها، ولا يدخل الجنة أبدا.[4]

قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ [الأعراف : 40].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لم يكن في المهاجرين ﷺ منافق لأنه لم يهاجر أحد منهم إلا مختاراً ، إنما كان النفاق في قبائل الأنصار لما ظهر الإسلام بالمدينة خاصة بعد غزوة بدر بعدما أصبح للإسلام دولة وقوة ، ثم دخل في قبائل الأوس والخزرج ومن حولهم من الأعراب خوفاً وتقية [5]·

---

(1) انظر: صفة النفاق وذم المنافقين: لجعفر بن محمد الريابي ، تحقيق: عبد الرقيب علي ، مراجعة: مقبل عبد الهادي الوادعي ، دار ابن زيدان – لبنان – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1410هـ/ 1990م (1/ 11).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 181).

(3) انظر: مجموع فتاوى: لابن باز (7 / 82).

(4) انظر :إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 48).

(5) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (7 / 350).

صفات المنافقين النفاق الاعتقادي:

هناك العديد من صفات المنافقين التي ذمها القرآن والسنة ومن هذه الصفات:-

1- تكذيب الرسول ﷺ ، أو ما جاء به.

2- بغض ما جاء به الرسول ﷺ.

3- المسرة بانخفاض الدين والاستياء من رفعة وظهور الدين الإسلامي.

"فمن النفاق ما هو اكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله" [1].

4 - **التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله ﷺ.**

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [آل عمران : 23] . إذا طلبوا إلى اتباع الهدى ، فيما أنزل الله على رسوله ، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه ، لذلك فهم يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون[2].

5- الاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [البقرة : 14].

---

(1) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية (28 / 434).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (6 / 74).



6- **الفرح بانتصار الكفار على المسلمين والكراهية بانتصار المسلمين.**

قال تعالى: ﴿ **إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ [التوبة : 50]. فمن صفات المنافقين الفرح بما أصاب محمد وأصحابه من المصيبة (1).

7- **مولاة الكفار.**

قال تعالى: ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 138 ، 139].

8- **الإفساد في الأرض.**

يسعى المنافقون إلى الإفساد في الأرض بكل الطرق والوسائل المتاحة ، سواء كان الإفساد مادياً أو معنوياً لصد الناس عن دينهم ، ولتفريق وحدة المسلمين . قال تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ [البقرة : 11].أهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم ، وكذبهم وشكهم في دين الله وتضييعهم فرائضه وهم يحسبون أنهم مصلحون [2]. ويزعم المنافقون أنهم يسعون إلى الإصلاح بين الناس ، لكن الله خاطبهم أنهم مفسدون ولكن لا يشعرون. قال تعالى: ﴿ **وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا** ﴾ [المائدة : 33].

9- **كراهية الاحتكام إلي شرع الله عز وجل، والتحاكم للطاغوت.**

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ [النساء : 60 ، 61]

" من صفات المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر أنهم إذا دعوا إلى أن يتحاكموا إلى الرسول ﷺ وإلى سنته لا يستجيبون لذلك بل يصدون عنه صدودا" [3].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (14 / 289).

(2) انظر: المصدر السابق (1 / 181).

(3) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام: للألباني، مكتبة المعارف- الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1425هـ / 2005م (1 / 34).

10- التقاعس عن العبادات.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء : 142] عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:(**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ جَلَسَ يَرْقُبُ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**)[1].

11- التخلف والإعراض عن الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾ [الحشر : 11 – 12]. وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران : 168] وقال تعالى: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة : 81]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ :(**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**) [2].

12- البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ **وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة : 67]. وقال تعالى: ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون : 7].

13- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

قال تعالى :﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : 67].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر (1 / 434) رقم 622.

(2) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (3 / 1517) رقم 1910.

14- **الصد عن سبيل الله.**

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ [النساء : 61].

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**﴾ [الأعراف: 45].

15- **مرضى القلوب.**

قال تعالى: ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : 10].

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [الأحزاب : 12].

ثانياً: النفاق العملي: وهو النفاق الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة إنما يأثم إثماً كبيراً إن بقي متصفاً بصفات المنافقين [1] كأن يتخلق ببعض أخلاقهم الظاهرة مع الإيمان بالله وبرسوله والإيمان باليوم الآخر، كالكذب ، والخيانة [2]. " وإن بعض المسلمين الذين عقيدتهم سليمة ومؤمنون بالله ، لكنهم يتصفون ببعض صفات المنافقين مثل: الكذب في الحديث ، والغدر في العهد ، وإخلاف الوعد [3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: من الناس من يجتمع في قلبه الإيمان وتكون في قلبه شعبة من شعب النفاق [4].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**) [5]. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ**

(1) انظر: صفة النفاق ونعث المنافقين: لأحمد عبد الله الأصبهاني ، تحقيق: عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1422هـ/ 2001م (ص 6).

(2) مجموع فتاوى: لابن باز (7 / 82).

(3) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 200).

(4) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تحقيق: عبد الرحمن عبد الكريم اليحيي ، دار الفضيلة (ص 86).

(5) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (1 / 16) رقم 33.

فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر) [1].

فالنفاق المقصود في الحديث هو نفاق عمل لا نفاق إيمان [2].

فالنفاق العملي خمس أنواع كما ورد في الحديثين السابقين إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر.

" وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال" [3].

وهذا النفاق الذي خافه الصحابة ﷺ وجزع منه المؤمنين خشية أن يخرجهم إلى النفاق الأكبر الذي يوجب سوء الخاتمة [4]. فقد كان الرسول ﷺ يدعوا بثبات القلب علي الدين. قالت أم سلمه رضي الله عنها:**(كان أَكثَرُ دُعَائه ﷺ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّت قَلْبي على دينك ، قالت: فقلتُ له : يا رسولَ الله ﷺ ، ما أَكثَرَ دُعَائِكَ بهذا؟ قال: يا أُمَّ سلمة ، إنه ليس آدَميٌّ إلا وقلبُه بين إصْبَعيْنِ من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزَاغَ)** [5].

ونخلص مما تقدم: يجب على العبد المسلم أن يكون صادقاً في السر والعلن ، وأن يحذر من مخالفة أقواله لأفعاله ونياته ، حتى لا يقع في النفاق العملى الذي قد يغفل البعض عنه ، وأن يحتكم لأمر الله سواء وافق الحكم هواه أم لم يوافق ، وأن يحذر كل الحذر من أصحاب النفاق الإعتقادي الذين هم أخطر على الإسلام والمسلمين من أهل الكفر والشرك ، فالنفاق الأكبر يخرج من الملة ، يكون في الاعتقاد سراً وعلانية ، فهو لا يصدر من مؤمن ، أما النفاق الأصغر لا يخرج من الملة ، يكون في السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد ، فقد يصدر من المؤمن.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (1 / 16) رقم 34.

(2) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي (1/ 593) .

(3) منهاج شرح صحيح مسلم: للنووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1391 هـ (2 / 46)

(4) انظر: جامع العلوم والحكم: لابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1408هـ (1 / 58) ، انظر: جامع المسائل: لابن تيمية (4/ 134).

(5) سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن الرسولﷺ ، باب 90 (5 / 538) رقم 3522 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 894) رقم 8932.

المطلب الثالث

تحذير الإسلام من النفاق والمنافقين

حذر الله عز وجل المؤمنين من إتباع النفاق والمنافقين لما فيه خطر على الإسلام والمسلمين من الانحراف والانخداع بهم ، فإن من نعمة الله تعالي على الأمة الإسلامية أنه لم يتركها دون بلاء واختبار ، فكانت سنة الابتلاء لتنقية الصف المسلم من النفاق والمنافقين [1].

قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت : 2 – 3]. وقال تعالى:﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾ [آل عمران : 179]. ويظهر تحذير الإسلام من النفاق والمنافقين من خلال النقاط التالية:-

أولاً: **بيان خطورة النفاق وأهله.**

للمنافق خطر على الإسلام والمسلمين ، فخطره أشد من خطر اليهود والنصارى ، والسبب في ذلك أن المنافق يظهر الإسلام للمسلمين ، لكن في حقيقة الأمر يبطن الكفر والحقد على الإسلام وهذا الدين وأن الكافر معلوم الكفر للجميع ، بخلاف المنافق. ويظهر خطر النفاق وأهله في إيذاء المسلمين وتتبع عوراتهم. لذلك ولا يجوز استراق السمع علي الشخص ، أو مسكنه أو أحاديثه أو كشف سر من أسراره أو الإطلاع علي رسائله بغير إذنه. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال : صَعِد رسولُ الله ﷺ المنبر ، فنادي بصوت رفيع ، فقال :(**يا معشرَ مَنْ أسلم بلسانه ، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه ،لا تُؤذُوا المسلمين، ولا تُعَيِّرُوهم ، ولا تَتَّبِعُوا عوراتِهم ، فَإِنَّهُ من تَتبَّع عورة أخيه المسلم ، تَتبَّع الله عورتَه ، ومَن تتبَّع اللهُ عورَتَهُ يَفْضَحْهُ ولو في جوف رَحْلِهِ**) [2]. وللاستزادة عن خطر النفاق والمنافقين يمكن النظر إلى المطلب الرابع من هذا المبحث.

---

(1) انظر: الولاء والبراء في الإسلام: لمحمد سعيد القطاني ، الفتح للإعلام العربي ، الطبعة: السادسة ، 1413 هـ (ص206).

(2) صحيح ابن حبان:كتاب الحظر والإباحة ، باب الغيبة (13 / 75) رقم 5763 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1395) رقم 13945 .

ثانياً: تحذير السلف الصالح رضي الله عنهم من النفاق والمنافقين:

1- قَالَ ابْنُ أَبِي مليكة ﷺ : [1] (**أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيل ويذكر عَنْ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ**) [2].

2- يقول ابن تيمية رحمه الله: " إن هؤلاء الزنادقة الملاحدة المنافقون الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب" [3].

3- ويقول ابن القيم رحمه الله: " وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم" [4] .

ويقول أيضاَ:" طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ، ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، وهؤلاء المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار "[5]. ويقول أيضاً رحمه الله:" كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض" [6].

يتضح لنا من خلال ما سبق من الأدلة سواء كانت من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح أن النفاق والمنافقين هم العدو الذي يجب الحذر منه ، ولا يجوز للمسلم أن يقربهم منه ، أو أن يتخذهم بطانة له ، حتى لا يجوز إكرامهم وتقديرهم ومناداتهم بالسيد.

ثالثاً: بيان كفرهم:

لما استحق المنافق النفاق الأكبر أن يكون في الدرك الأسفل من النار ، لم تكن هذه العقوبة إلا لكفرهم وخطرهم.

---

(1) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، من كبار التابعين ، يكنى أبي بكر وقيل: أبو محمد، رأي ثمانين من أصحاب رسول الله ﷺ ، يروي عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة ، مات سنة مائة وسبعة عشر وقيل مائة وثمانية عشر ، انظر :الثقات لابن حبان (5 / 2).

(2) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (1 /18- 19) رقم 47 .

(3) شرح العقيدة الأصفهانية: لابن تيمية ، تعليق وتحقيق : سعيد بن نصر بن محمد ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1415هـ (1 / 113).

(4) طريق الهجرتين وباب السعادتين (1 / 604).

(5) المصدر السابق (1 / 595).

(6) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 358).

قال تعالى: ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ [النساء : 88 ، 89].

يقول الإمام الطحاوري رحمه الله: هناك من المنافقين من هو أكفر من اليهود والنصارى [1].والنفاق إذا عظم كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار [2].

و أن هؤلاء المنافقين لا يكتفون بكفرهم في أنفسهم بل هم يتمنون ويودون كفركم مثلهم بحيث تكونون أنتم وهم متساوين في الكفر والنفاق [3].

رابعاً: الوعيد الشديد.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾[النساء : 145]. استحق المنافق العقوبة الشديدة وهي الدرك الأسفل من النار ، وعقابهم أشد من الكافرين لغلظ كفره وكثرة غوائله ، وتمكنه من أذى المؤمنين [4].

قال ابن حجر رحمه الله: عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر لاستهزائه بالدين [5].

كانت عقوبة المنافق أعظم العقوبات في نار جهنم لأن كفرهم جامع بين الكفر والخداع والاستهزاء بالله وآياته ورسوله [6]. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 140].

خامساً: كشف صفاتهم وأعمالهم.

كشف الله عز وجل عن صفات المنافقين وأعمالهم لما لهم من الخطر الموقع على الإسلام والمسلمين ومن هذه الصفات والأعمال:

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية – ط دار السلام (1 / 316).

(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (2 / 360).

(3) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (5 / 108).

(4) انظر:الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (5 / 425).

(5) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (8 / 266).

(6) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (20 / 379).

1- **حذر الله عز وجل المؤمنين من أقوال وأفعال المنافقين.**

قال تعالى: ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المنافقون : 4].

2- **نهى عن موالاتهم والركون إليهم.**

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران : 118].

3- **نهى عن الاستغفار لهم.**

قال تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المنافقون : 6].

4- **عدم الدفاع عنهم.**

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** ﴾ [النساء : 105].

5- **عدم الصلاة عليهم.**

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : 84].

6- **الإعراض عنهم ووعظهم.**

قال تعالى: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾ [النساء : 63].

المطلب الرابع

خطر النفاق على الفرد والمجتمع

للنفاق خطر كبير على الأمة الإسلامية فهو يهدد أمن واستقرار الأفراد والمجتمعات خاصة أن هذا الخطر من داخل المجتمع لا من خارجه فخطر النفاق يفوق خطر الكفر.

لذلك أوجب الله عقوبة للمنافق أنه في الدرك الأسفل من نار جهنم وهذه عقوبة تفوق عقوبة الكافر لشدة خطر المنافق على الإسلام والمسلمين.

ومن أهم هذه الأخطار:-

1- نشر الكراهية والبغضاء بين المسلمين :

قال تعالى:﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : 118]. وعن الْبَرَاءَ بن مالك ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّه**) [(1)].

وعن علي ﷺ قال: (**والذي فَلَقَ الحبَّة ، وبرأ النسمة ، إنه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ إليَّ : أنه لا يحبُّني إلا مؤمن، ولا يُبْغِضُني إلا منافق**) [(2)].

يقول ابن كثير رحمه الله: المنافقون يسعون بكل ما يستطيعون من المكر والخديعة لنشر البغضاء بين المسلمين ، وأن يوقعوا الضرر على الإسلام والمسلمين [(3)]. حيث أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أن من شدة بغضهم وحقدهم على الإسلام أن يفرحوا عندما يروا في المسلمين فرقةً وضعفاً وهزيمة ، ويحزنوا بما يلحق بالمسلمين من خير. قال تعالى: ﴿ **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران : 120].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابه ، باب حب الأنصار من الإيمان (5 / 32) رقم 3783.

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق (1 / 86) رقم 78.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم (2 / 106).



2- إثارة العصبية والقومية :

من خطر النفاق على الأفراد والمجتمعات إثارة العصبية والقومية بين الناس كل ذلك لصد الناس عن دينهم. عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا فِي جَيْشٍ فَكَسَعَ[1]رَجُلٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ فَعَلُوهَا أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ . فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُل ُأَصْحَابَهُ [2].

3- كشف عورة المسلمين ومخططاتهم لأعداء الله :

هذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان فهم يظهرون ويفشون أسرار المسلمين ومخططاتهم لأعداء الله يبيعون دينهم ودنياهم بدراهم معدودة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال : صَعِد رسولُ الله ﷺ المنبر ، فنادي بصوت رفيع ، فقال: **(يا معشرَ مَنْ أسلم بلسانه، ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤذُوا المسلمين ، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تَتَّبِعُوا عوراتِهم، فإنَّهُ من تَتبَّع عورة أخيه المسلم، تَتبَّع الله عورتَه ، ومَن تتبَّع اللهُ عورَتَهُ يَفْضَحْهُ ولو في جوف رَحْلِهِ)** [3].

4- التشكيك في الدعوة الإسلامية وقادتها:

من أشد أخطار النفاق على الأمة الإسلامية التشكيك في الدعوة الإسلامية وقادتها بهدف القضاء على الإسلام والمسلمين. فقد شككوا في أهل الرسول ﷺ بهدف النيل من قيادة الدعوة الإسلامية وضربها من الداخل ، وكذلك ما يحدث اليوم من التشكيك في قيادات الحركات الإسلامية بهدف القضاء عليها.تارة يزعمون أن الحركات الإسلامية هي صناعة إسرائيلية وما

---

(1) ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (22 / 122).

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، بَاب قَوْلُهُ { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (6 / 154) رقم 4905.

(3) صحيح ابن حبان : كتاب الحظر والإباحة ، باب الغيبة (13 / 75) رقم 5763 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1 / 1395) رقم 13945.

وجدت إلا لخدمة اليهود ، وتارة يشككون أفراد المجتمع بأن قادة الحركات قد نهبت وسرقت مقدرات الدول.عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ [1] مَا قَالُوا قَامَ الرسول ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:(**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**) [2].

5- بث الفتنة والاقتتال بين المسلمين:

وفي الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها يوم الإفك: ....فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ فَقَالَ: لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ قَالَتْ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ [3].

6- إضعاف المجتمع وتفريق كلمة المسلمين.

للنفاق خطر عظيم على وحده المجتمع ، فهو يقوم على إضعاف وحدة المجتمع وتماسكه وتفريق كلمة المسلمين ولإضعاف شوكتهم. ولإيقاع الفتن وسل السيوف بينهم وإفساد الدين على المسلمين.فأصحاب النفاق يسعون ليلاً ونهاراً للكيد من الإسلام والمسلمين وبث الأفكار الهدامة لتحقيق أهدافهم الخبيثة ، وهي سلخ المسلم عن دينه.

فالواجب على الجميع اليوم الحث على جمع كلمة المسلمين ، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها ، والتحذير من التفرق والتعادي ، والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا .

7- استعلاء الكفار.

لما ضعف المسلمون وتفرقوا إلى فرق وأحزاب وانتشرت الكراهية والحقد في أوساطهم ، أدى إلى الذلة والمهانة ، واستمرار التبعية ، وورث أعداءنا استعلاءً، وشموخًا، وعلوًا، وسفورًا في العداء.

---

(1) أسوء الكذب والافتراء ، انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار (1 /21).

(2) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (9 / 113) رقم 7369.

(3) صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب الإفك (5 /116) رقم 1414 .

8- توهين مبدأ الأخوة.

لما رأى أصحاب النفاق الأخوة بين المسلمين وما يربطهم ببعطهم من رابطه عظيمة ألا وهى رابطة العقيدة ، فقد لجأوا إلى إضعاف هده الرابطة بكل الوسائل المتاحة لهم ، فبثوا الحقد والكراهية ، ونزعوا الثقة ، وزرع الفتنه وعدم ، وتمزيق أواصر المجتمع الإسلامي .

المطلب الخامس

دور العقيدة في علاج النفاق

للعقيدة الإسلامية دور فعال في علاج أهم الأمراض والانحرافات ومن بينها النفاق ويبرز دور العقيدة في علاج النفاق في النقاط التالية ومنها:-

أولاً: الإخلاص لله عز وجل:

1-تعريف الإخلاص:

الإخلاص لغة: مصدر من أخلص. ومنه خلوص الشئ إذا صفا ونقي من شوائبه [1].

الإخلاص في الاصطلاح : وهي البراءة من كل معبود في الاعتقاد والقول والعمل إلا من الخالق الذي فطرنا سبحانه وتعالى [2]. قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام : 162].

2- أدلة الإخلاص من القرآن والسنة:

أ- من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : 5]. وقال تعالى: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون**﴾ [غافر : 14]. وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : 146].

ب- من السنة النبوية:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:(**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلَا لِتخيرُوا بِهِ الْمَجْلِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّار**) [3].

---

(1) انظر: المعجم الوسيط:لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر- محمد النجار(1 / 249).

(2) انظر: أمراض القلوب: لابن تيمية (1 / 61).

(3) سنن ابن ماجه: باب الانتفاع بالعلم والعمل به (1 / 93) رقم 254 ، قال الألباني:(صحيح لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 25) رقم107.

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ [1] أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ)** [2].

3- أنواع الإخلاص:

الإخلاص يكون في الاعتقاد والأقوال والأعمال ، ويحصل ذلك من مجاهدة النفس والابتعاد عن الهوى.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "المخلص هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله"[3] ومن ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج [4].

- الإخلاص في النية والقصد:

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:**(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه)** [5].

وعَنْ أَبِى إمامة بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ[6]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)** [7].

(1) هو ممن شهد بدر، سكن المدينة المنورة، قيل أبو سعد، قتل بصفين مع علي بن أبي طالب ﷺ ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (7 / 322) .

(2) مسند أحمد (29 / 418) رقم 17888، قال الألباني:(حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 49) رقم 483.

(3) مجموع الفتاوى (18 / 260).

(4) انظر: المصدر السابق (10 / 188).

(5) صحيح البخاري: بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (1 / 6) رقم 1.

(6) سهل بن حنيف الأوسي الأنصاري، يكنى أبي سعد، شهد بدر وثبت يوم أحد وبايع على الموت وشهد الخندق والمشاهد كلها، استخلفه على ﷺ على البصرة بعد الجمل شهد معه صفين مات سنة ثمان وثلاثين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 198).

(7) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (3 / 1517) رقم 1909.

إن الأعمال لا تقبل عند الله عز وجل إلا إذا كانت بنية خالصة لوجهه ويرجو بها ابتغاء الله مع ترك الرياء [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لا يجوز أن نعامل الله عز وجل إلا بالنيات الصحيحة لأن الأعمال تكون بالنيات وأن ننهي الناس عما نهاهم رب العالمين وأشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ من النيات الباطنة[2]. فلا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله عز وجل.

ويقول ابن القيم رحمه الله:يجب إفراد الله سبحانه وتعالي بالقصد في الطاعة [3].

عن أبي موسى عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ الأشعريِّ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتلُ شَجَاعَةً ، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلِكَ في سبيلِ الله ؟ فقال رَسُول الله ﷺ **(مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا ، فَهوَ في سبيلِ اللهِ)** [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن هؤلاء الذين يأتون الطاعات الحسنة لكن مع فساد النيات لا تقبل أعمالهم يوم القيامة [5].

- الإخلاص في الأعمال :

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : 5]. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ رَسول ﷺ قال: **(ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ [6] عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)** [7].

(1) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين الحنفي (2 / 358).

(2) انظر: بيان الدليل على بطلان التحليل (1 / 342).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 /91).

(4) صحيح مسلم: كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد (3 / 1509) رقم 41.

(5) انظر: جامع الرسائل (2 / 143).

(6) الحقد والغش والضغن ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (114/30).

(7) مسند أحمد (21 / 60) رقم 13350 ، قال الألباني:(صحيح) السلسلة الصحيحة (1 / 760) رقم 404.

وهو أن يقصد المرء بالعمل وجه الله عز وجل ورضوانه دون ما يتعلق بأمر دنيوي كالسمعة أو الرياء ، ولا أمر أخروي كأن يقصد من وراء العمل الجنة لذاتها [1].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [2]. وعَنْ أَبِي إمامة الْبَاهِلِيِّ ﷺ [3] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ فَقَالَ رَسُولُ ﷺ **(لَا شَيْءَ لَهُ. فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا شَيْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)** [4].

يقول ابن القيم رحمه الله: يجب الإخلاص في العمل وتصفيته من كل شائبة فلا يمازج عمله أي من شوائب النفس من مدح أو طلب أو تعظيم [5]. عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ [6]ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: **(إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نادي مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ)** [7].

---

(1) شرح سنن ابن ماجه:لعلاء الدين مغلطاي الحنفي ، تحقيق: كامل عويضة ، مكتبة نزار مصطفي الباز ، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1419هـ/1999م (1 / 21).

(2) سنن أبى داود:كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله (2 / 329) رقم 3666 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (1 / 49) رقم 227.

(3) صدي بن عجلان الباهلي ، له مئتا حديث روى عنه البخاري خمسون حديثاً وروى عنه مسلم خمس أحاديث، توفي بالشام آخر الصحابة موتاً بها توفي سنة ست وثمانين وله تسعون سنة. انظر: خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: صفي الدين أحمد عبد الله الخزرجى الأنصاري اليمني ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – دار البشائر ، حلب – بيروت ، 1416هـ (1 /175). معجم الصحابة :لعبد الباقي قانع ، تحقيق: صلاح سالم المصراتي ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، 1418هـ (3 /1526).

(4) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي: كتاب الجهاد ، باب فضل من أنفق زوجين في سبيل الله (6 / 332) رقم 3140 ، قال الألباني: (حسن) صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الخامسة (2 / 56) رقم 1331.

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 /92).

(6) سبق الترجمة له ص 111.

(7) مسند أحمد (29 / 418) رقم 17888 ، قال الألباني (حسن) صحيح الجامع الصغير وزيادته(1 / 49) رقم 483

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :(**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الذي كَانَ بلغني فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا فَقَالَ :فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**) [(1)]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**) [(2)].

- الإخلاص في الأقوال:

الواجب على العبد المسلم الإخلاص في أقواله ، بحث تكون أقوله موافقة لأفعاله ، لذلك فقد نهي الله الذين عن اللذين يخالفون أقولهم أفعالهم ،فتسحقوا أن يكونوا من أهل النار.قال تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران : 167]. يخاطب الله عز وجل المنافقين والكافرين في الآية بأنهم كانوا يأمرون الناس بفعل الخير لكن لا يلزمون أنفسهم بأقوالهم [(3)]. عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ ﷺ : (**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ [(4)] فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**) [(5)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**) [(6)].ونخلص مما تقدم: أن الله لا يقبل من العبد المسلم من الأعمال والأقوال والنيات إلا ما كان خالصاً لوجهه ، وأن العبد وإن تقرب لله بكثرة العبادات فلا تقبل إلا بإخلاص ، وإن العبد ليصل بإخلاصه إلى درجة الشهداء وإن مات على فراشه.

(1) صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4 / 1761) رقم 2244.
(2) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (4 /1987) رقم 2564.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 /246).
(4) خروج الأمعاء من جوفه ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (25 / 303).
(5) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة (4 / 121) رقم 3267.
(6) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره (8 / 11) رقم 6018.

ثانياً: ترسيخ مفهوم موالاة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم والمؤمنين .

أوجب الإسلام على المؤمن موالاة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، وأن يتبرأ من كل الطواغيت سواء كانت حجرية أو بشرية ، ولا نقصد بالموالاة مجرد كلمة أو شعار يردد ، بل تطبيق وترسيخ هذا المفهوم تطبيقاً عملياً في جميع مجالات الحياة. قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة: 71]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال : 72].

يقول ابن تيمية رحمه الله في موالاة المؤمنين: يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله ﷺ ، موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم (1).

ويقول أيضاً رحمه الله: أوجب الله عز وجل الموالاة بين المؤمنين ، وإن موالاة المؤمنين من لوازم الإيمان (2).

مظاهر موالاة المؤمنين: هناك العديد من مظاهر موالاة المؤمنين التي يجب على المؤمن أن يسلكها ، ولا تتم هذه المظاهر إلا بتطبيقها تطبيقاً شمولياً عملياً دون الاقتصار على واحدة وإهمال باقي المظاهر ، ومن هذه المظاهر: -

1- المحبة والمودة:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم : 96]. سيجعل الله عز وجل للذين آمنوا مودة ومحبة في قلوب الناس ، لحبهم وتوددهم فيما بينهم ، فيحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين ، ويعطيهم الرزق الحسن واللسان الصادق (3).

قال تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة : 22].

---

(1) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام: لابن تيمية ، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان (1 / 9) .

(2) انظر: الفتاوى الكبرى (2 / 108).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (18 / 262).

يخاطب الله عز وجل عباده المؤمنين أن يوادوا بعضهم بعضاً من دون الكافرين والمنافقين ، حتى ولو كانوا آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم ، فمودة المؤمن ومحبته مقدمة على الأب والابن والأخوة الكافرين المنافقين ، وأن عقيدة المودة والمحبة قائمة على رابطة العقيدة لا رابطة الدم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نادي جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)** [1]. " فمحبة المؤمنين بعضهم لبعض من أجل الإيمان والموالاة في الله والمعاداة في الله فإنها تبقى بل تزيد يوم القيامة ، وتستمرُّ إلى أبد الآباد" [2]. قال تعالى:﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ [الحجر : 47].وعَنْ مُعَاذٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: **(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِيَّ ، وَيَتَجَالَسُونَ فِيَّ ويتبادلون فِيَّ)** [3]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بينكم)** [4].

2- إعانتهم ومناصرتهم ورفع الظلم الواقع عليهم:

والواجب على المسلم رفع الظلم عن المسلمين بكل الوسائل المشروعة ، وإعانتهم بكل ما يملك وما يستطيع فعله ، حتى لا يكون للكافرين على المؤمنين سبيلا.

قال تعالى: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير** ﴾ [الأنفال : 72].

يخاطب الله عز وجل المؤمنين في هذه الآية فيقول: فواجب عليكم نصرهم وإعانتهم وعدم خذلهم لأنهم إخوانكم في الدين [5].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق ، بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (4 / 111) رقم 3209.

(2) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (2 / 48).

(3) مسند أحمد (36 / 446) رقم22131 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 349) رقم 2581.

(4) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (1 / 74) رقم 54.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 97).

عن زيد ابن أرقم [1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ)** [2].

ومناصرة المؤمنين بعضهم لبعض تكون بكل ما يستطيعون تقديمه من تضحية بالنفس ، والمال ، والجهد والوقت ، لرفع الظلم الواقع على إخوانه. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [الأنفال : 72]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات : 15].

عن أَنَسٍ بن مالك ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: **(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)** [3]. وعنه أيضاً ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا نَصَرْهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ)** [4].

وعليه فالأمة الإسلامية والعربية مأمورة برفع الظلم عن شعوبها ، وأن تعينهم على التخلص من ظلم الاحتلال بكافة الوسائل المشروعة ، سواء كان في فلسطين والعراق وغيرها من أقطار العالم الإسلامي والعربي.

3- الوقوف بجانبهم في أفراحهم وأحزانهم:

قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة : 2].عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)** [5].

---

(1) سبق الترجمة له ص29 .

(2) المعجم الكبير: للطبراني (5 / 195) رقم 5069 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – المختصرة (4 / 330) رقم 1750.

(3) سنن أبى داود: كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو (2 / 318) رقم 2506 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 541) رقم 5403.

(4) صحيح البخاري: كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (3 / 128) رقم 2443.

(5) صحيح البخاري: أبواب المساجد ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيرة (1 / 103) رقم 481.

فالواجب علي المسلمين جميعاً أن يكون كل واحد منهم لصاحبه بمنزلة الحسد الواحد ، لأن ما أفرح الأول أفرح الثاني ، وما أحزن الأول أحزن الثاني ، وأن كل واحد منهم عون لصاحبه في أمر الدنيا والآخرة ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً [1].

عن النعمان بن بشير ﷺ قال[2]: قال رسول الله ﷺ : **(مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى)** [3].

"فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره أحب أن يكون لأخيه نظيرها من غير أن تزول عنه" [4]. وعن أَبي هريرة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا ، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّر عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، والله في عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَونِ أخِيهِ)** [5].

من خلال ما تقدم من الأدلة وغيرها الكثير نجد أن الإسلام رغب في الوقوف بجانب المسلمين سواء في أفراحهم وأحزانهم ، وجعل الثواب لمن فعل ذلك في الدنيا والآخرة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ :**(أحبُّ الناسِ إلى الله تعالي أنفعُهم للناس ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى سُرُورٌ تُدْخِلُه على مسلم ، أو تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً ، أو تَقْضِي عنه دَيْناً ، أو تَطْرُدُ عنه جُوعاً ، ولأَنْ أمشي مع أخي المسلمِ في حاجةٍ أحبُّ إِلَيَّ**

---

(1) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (9 / 237).

(2) النعمان بن بشير بن سعد من بني الحارث بن الخزرج وأمه عمرة بنت رواحه أخت عبد الله بن رواحه، ويكنى أبا عبد الله، وكان أول مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ بأربعة عشر شهراً ، قتله أهل حمص سنة أربع وستين، واحترزوا رأسه، ووضعوه في حجر كلبية. انظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد دار صادر – بيروت (6 / 53).

(3) صحيح مسلم :كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4 / 1999) رقم 2586.

(4) فتح الباري: لابن رجب (1 / 41).

(5) صحيح مسلم: كتاب الدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4 / 2074) رقم2699.

من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ شهرًا ، ومن كفَّ غضبَه سترَ اللهُ عورتَه ومن كَظَمَ غَيْظَه ولو شاء أن يُمْضِيَه أَمْضاه ملأ اللهُ قلبَه رِضًا يومَ القيامةِ ، ومن مشى مع أخيه المسلمِ في حاجةٍ حتى تتهيأَ له أثبتَ اللهُ قدمَه يومَ تَزِلُّ الأقدامُ) [1].

4- الدعاء والاستغفار والترحم على أحيائهم وأمواتهم:

من مظاهر موالاة المؤمنين الدعاء والاستغفار والترحم على أحيائهم وأمواتهم ، والناظر للأدلة سواء في القرآن أو السنة يجد الحث على الاستغفار والترحم للأموات والأحياء.

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيم** ﴾ [الحشر : 10].وقال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ [إبراهيم : 41]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا** ﴾[آل عمران:147]. وقال تعالى: ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [محمد : 19].

وقال تعالى: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** ﴾ [نوح : 28].وحث الرسول ﷺ على الدعاء والاستغفار للمؤمنين في كثير من الأحاديث ، فقد ثبت أنه ﷺ دعا لأموات المسلمين جميعاً.

عَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ:السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ[2]الْغَرْقد)** [3].

---

(1) المعجم الكبير: باب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (12 / 453) رقم 13646 ، قال الألباني:(حسن) السلسلة الصحيحة – مختصرة – (2 / 574) رقم 906.

(2) مدفن أهل المدينة النبوية وفيه مدافن أكثر أهل المدينة ، انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: لمحمد بن عبد المنعم الحِميري (1 / 113) .

(3) صحيح مسلم:كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (2 / 669) رقم 973 .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما [1] قال: قال رسول الله ﷺ : **(اللهمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ ، وَلأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ)** [2].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(مَا من عبدٍ مسلمٍ يَدعُو لأخِيهِ بِظَهرِ الغَيبِ إلا قَال المَلَكُ : وَلَكَ بِمثْلٍ)** [3].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: لِلْأَعْرَابِيِّ**(لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا)** [4].وذلك لأن الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم من علامات محبتهم والرضي عنهم.

5- **احترامهم وتوقيرهم:**

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات : 11].

ويجب احترام المسلم حتى وإن كان في الرق.فقد روي عَنْ أَبِي ذَر ﷺ قَالَ: **(رَأَيْتُ رجلاً عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: لِي أَسَابَبْتَ فُلَانًا، قُلْتُ نَعَمْ: قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ نَعَمْ: قَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ قَالَ نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ)** [5].

---

(1) سبق الترجمة له ص 29.

(2) صحيح مسلم:كتاب فضل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم (4 / 1948) رقم 2506.

(3) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (4 / 2094) رقم 2732.

(4) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم (8 / 10) رقم 6010.

(5) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَاب مَا ينهي من السباب (8 / 16) رقم 6050.

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ :(**لا تَحَاسَدُوا[1]، وَلاَ تَنَاجَشُوا[2]، وَلاَ تَبَاغَضُوا [3]، وَلاَ تَدَابَرُوا[4]، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلم: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا ويشير إلَى صدره ثلاث مرات بِحَسْب امرئ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ ، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ**)[5].

6- الرفق بكبيرهم وصغيرهم:

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال:(**يا عائشة إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ**) [6].

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**) [7].

7- الستر عليهم:

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ **قال: (لاَ يَسْتُرُ الله عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [8]. وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ**

---

(1) تمني زوال النعمة عن أخيه وان تكون له ، انظر: النهاية في غريب الأثر: لابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، 1399هـ / 1979م (1 / 956).

(2) أن يزيد الرجل في ثمن السلعة لا لشرائها ولكن ليسمعه غيره فيزد ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (402/17).

(3) وهي نقيض الحب وهي الكراهية ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (121/7).

(4) الهجران والمقاطعة ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (11 / 265).

(5) صحيح مسلم:كتاب البر والصلة والآداب ، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (4 / 1986) رقم 2564.

(6) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق (4 / 2003) رقم 2593.

(7) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق (4 / 2004) رقم 5944.

(8) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة (4 / 2002) رقم 2590.

مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

8- زيارتهم والسرور عند رؤيتهم والاجتماع معهم:

أكثر ما يدخل السرور على قلب المؤمن من أخيه المؤمن البشاشة في وجهه وزيارته والاجتماع والجلوس معه ، ولقد كانت هذه الصفة من مظاهر الولاء للمؤمنين لعظمها .

عنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ تُكْتَبُ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الشَّوْكَةَ وَالْحَجَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الضَّالَّ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)** [2].

وعن أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ : **(لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)** [3].وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال:**(إن رجلا زارَ أخا لَهُ في قريةٍ أخرى ، فأرْصَدَ اللهُ لَهُ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكا ، فلما أَتى عليه قال : أين تُريدُ ؟ قال: أُريدُ أخا لي في هذه القرية ، قال: هل لك عليه من نِعْمة تَرُبُّها ؟ قال: لا ، غير أني أحبَبْتُه في الله ، قال: فإني رسولُ الله إليكَ بأنَّ اللهَ قد أحبَّكَ كما أحببتَه فيه)** [4].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ)** [5].

ومن فوائد محبة المؤمن لأخيه المؤمن إنها تكون سبب لمحبة الله لعبده ، وما يعين على طاعة الله واجتناب نواهيه ، لهذا كانت أصل المحبة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب المظالم ، بَاب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (3 / 128) رقم 2442.

(2) صحيح ابن حبان:كتاب البر والإحسان ، باب الجار (2 / 286) رقم 529 ، قال الألباني: (حسن) السلسلة الصحيحة (2 / 116) رقم 572.

(3) صحيح مسلم:كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (4 / 2026) رقم 2626.

(4) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحب في الله (4 / 1988) رقم 2567.

(5) صحيح ابن حبان:كتاب البر والإحسان ، باب الصحبة والمجالسة (2 / 335) رقم 575 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 778) رقم7780.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته فازداد حبك لله" [1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: المحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله ، ومحبة في الله ، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله ، ومحبة ما يبغضه الله تعالى ، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق ، فمحبة الله عز و جل أصل المحاب المحمودة وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لها" [2].

9- تقديم النصح لهم ومشاورتهم:

قال تعالى: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : 38]. وقال تعالى: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران : 159].

يقول ابن تيمية رحمه الله: والنصيحة واجبة بين المسلمين في أمور دينهم ودنياهم [3].

عن تميم الداري [4] رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ الله ؟ لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**) [5].

وعَنْ أَبِي نُخَيْلَةَ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ جَرِيرٌ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ قَالَ: (**أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ**) [6].

---

(1) مجموع الفتاوى (10 / 608).

(2) إغاثة اللهفان (2 / 140).

(3) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (28/ 230).

(4) تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي الفلسطيني، كنيته أبي رقية، كان يختم القرآن في ركعة وربما ردد الآية الواحدة حتى الصباح عاش في الشام ومات بها دفن بفلسطين وقبره ببيت جبرين ، انظر: الثقات: لابن حبان (3 /40).

(5) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة (1 / 74) رقم 55.

(6) سنن النسائي :كتاب البيعة ، باب البيعة على فراق المشرك – ترقيم أبي غدة– مع أحكام الألباني – (7 / 148) رقم 4177 ، قال الألباني: (حسن)السلسلة الصحيحة – مختصرة – (2 / 227) رقم 636.

10 – **الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين:**

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** ﴾ [النساء : 97- 98].

11- احترام حقوقهم وعدم التعدي عليها والمساس بها:

أقر الإسلام للعبد المسلم حقوق وواجبات ، فمن هذه الواجبات احترام حقوق الآخرين وعدم التعدي عليها ، لذلك حرم الله على المؤمن التعدي على حقوق الآخرين وسلب حقوقهم . عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وإتباع الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)** [1].

فحق العبد المسلم على أخيه المسلم رد السلام أن شاهده ، وزيارته إن مرض ، وتلبية الدعوة إن دعي ، وتشميته إذا عطس هذا في حال الحياة ، والدعاء له بالرحمة وإتباع جنازته حال موته ، وأن يعامله كما يحب أن يعامله الناس ، وحرم الاقتراب إليه بكل ما يكره ويبغض.

فقد جاء الإسلام محافظاً على حقوق المسلم ، فالواجب على المسلم احترام حقوق الآخرين ، ومن هذه الحقوق حفظ : الدين ، والنفس، والعقل ، والنسل ، والمال ، وهي الكليات الخمس التي يحرم الاقتراب منها بأي حال من الأحوال [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله" [3].

وجعل الله لمن تعدى على حقوق المؤمنين وإن كانت يسيرة عقوبة شديدة في الآخرة أنه يطوق بسبع من الأراضين ويدخل جهنم – والعياذ بالله – ولن يدخل الجنة ، هذا وإن دَلَّ فإنه

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز (2 / 71) رقم 1240 .

(2) انظر: مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد البهية: لصالح بن محمد بن حسن الأسمري ، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، 1420هـ / 2000 م (1 / 45).

(3) مجموع الفتاوى (3 / 283).

يذل على حرمة المساس والاقتراب من حقوق الآخرين. عن أبي إمامة [1] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ. وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رسولَ اللهِ ؟ قَالَ :وإِنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أراك)** [2].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ ؛ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ اِقْتَطَعَ شِبْرًا مِنْ اَلْأَرْضِ ظُلْماً طَوَّقَهُ اَللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)** [3].

ثالثاً: تعزيز مفهوم التقوى والخشية من الله:

للتقوى والخشية من الله عز وجل دور كبير في علاج النفاق ، لما للتقوى من مقام شريف. لان بتقوى الله عز وجل تصلح النفوس وتعود للحق.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : 70 ، 71].

حقيقة التقوى: عرفها ابن تيمية رحمه الله: التقوى هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه[4].

وقال رحمه الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله [5].

وقال ابن القيم رحمه الله: التقوى : هوى العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله [6].

ويبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال [7].

وقال بعض السلف : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس[8].

---

(1) سبق الترجمة له ص 113.

(2) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فاجرة بالنار (1 / 122) رقم 137.

(3) صحيح مسلم: كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (3 / 1230) رقم 1610.

(4) انظر: أمراض القلوب وشفاؤها (1 / 31).

(5) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (7 / 163).

(6) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 462).

(7) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (29 / 113).

(8) انظر: مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (2 / 22).

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ ،عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا**) (1).

يقول ابن باز رحمه الله: ومن أعظم التقوى التفقه في الدين ، وتدبر القرآن الكريم ، والامتثال لأوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، والسؤال عن كل ما أشكل من ذلك (2).

وإن الله ضمن للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس ، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع عنهم ما يضرهم ويجلب لهم ما يحتاجون إليه . فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللا فليستغفر الله وليتب إليه (3).

وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث:التقوى هاهنا وأشار إلى صدره. عَنِ الْحَسَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيطٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ مُحْتَبٍ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ لَهُ قُطْنٌ لَيْسَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ غَيْرُهُ وَهُوَ يَقُولُ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ(**ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ يَقُولُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا**) (4).

واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن والغرض الأصلي منها الإيمان ، وتارة التوبة ، وتارة ترك المعصية ، وتارة الإخلاص.

- أما الإيمان فقوله تعالى: ﴿ **فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾ [الفتح : 26].وقال تعالى: ﴿ **قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ** ﴾ [الشعراء :11] أي يؤمنون.

- وأما التوبة فقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** [الأعراف : 96].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ،بَاب التَّوْبَةِ قَالَ قَتَادَةُ { تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } الصَّادِقَةُ النَّاصِحَةُ (8 / 67) رقم 6308.

(2)انظر: مجموع فتاوى ابن باز (9 / 8).

(3) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (8 / 526).

(4) مسند أحمد – الرسالة – (38 / 269) رقم 23229 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 1166) رقم 11652.

- وتارة ترك المعصية بقوله تعالى: **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [النور : 52] .

- وتارة الإخلاص بقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : 102].

رابعاً: تقرير معنى العزة:

دعا الإسلام المؤمنين إلى تحقيق العزة والكرامة، وتجنب الضعف والوهن ، لما في العزة من رفع مكانة هيبة الإسلام والمسلمين ، فإن توفرت العزة فلن يجعل الله للكافرين والمنافقين على المؤمنين سبيلا.

فإذا تحققت العزة عند المسلمين رفعت مكانتهم ، فانقاد لهم المنافقون ، إما طوعاً أو كرهاً، فإن المسلمين كلما اجتمعوا وأظهروا لأعدائهم العزة ، ذل الأعداء وقوي الأولياء، وارتفعت كلمة الله ، وانخفضت كلمة المشركين.

قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾ [فاطر : 10].

قال ابن تيمية رحمه الله: "من أذل نفسه لله فقد أعزها ، ومن بذل الحق من نفسه فقد أكرم نفسه فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ومن اعتز بالظلم : من منع الحق وفعل الإثم فقد أذل نفسه وأهانها" [(1)]. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : 139]. وقال تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون : 8].

إن العزة للمؤمنين لا للمنافقين ، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعز المسلمين من المنافقين بل ذلك يقتضى أن من كان أعز كان أعظم إيمانا ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعز الناس وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين [(2)].وعليه فكلما كانت عزة المسلم قوية كلما ضعف النفاق والمنافقين وقضي عليهم.

(1) مجموع الفتاوى (28 / 327).

(2) منهاج السنة النبوية: لابن تيمية (2 / 25).



والواجب على كل مسلم مسئولية تحقيق العزة للمؤمنين بحسب قدرته ، واستطاعته فيكون بنفسه قائما بأمر الله تعالى ، عاملا بالإسلام والإيمان ، ظاهرا وباطنا ، ناصحا لإخوانه المسلمين ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، حتى تصلح أحوال المسلمين ، أو يلقى الله على تلك الحال [1].

خامساً: الدعوة إلى التوبة والاستغفار:

يبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج النفاق وأهله بالدعوة إلى التوبة والاستغفار لما لهما من مكانة عظيمة لا يعلمها إلا الله عز وجل ، ولهذا فإن التوبة جامعة لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان ، والدين كله داخل في مسماها ، لهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. قال تعالى: **إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** [البقرة : 222]. عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرضٍ فَلاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابهُ فأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فاضطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وقد أيِسَ مِنْ رَاحلَتهِ ، فَبَينَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**)[2]. وعن عمر بن الخطاب ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ :(**مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ الوُضُوءَ ، ثُمَّ يقول : أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ؛ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاء**)[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن الله أمر عبادة بطهارة كل من القلب وطهارة البدن ، والطاهرتين من الدين الذي أمر الله به وأوجبه ، وتكون عن طريق التوبة [4].

ولا ينبغي للمسلم أن يُؤخِّرَ التوبةَ ويُؤجِّلَها ويسوِّف فيها، بل الواجبُ المبادرةُ والمسارعةُ، فإنَّ المرءَ لا يدري ما يَعرِضُ له في هذه [5].

---

(1) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (26 / 49).

(2) صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب في الحض على التوبة والفرح بها (4 / 2104) رقم 2747.

(3) سنن الترمذي: أبواب الطهارة: باب فيما يقال بعد الوضوء (1 / 78) رقم 55، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 1112) رقم 11112.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (1 / 15).

(5) وللإستزاده عن الموضوع يمكن النظر للمبحث الثالث في الفصل الثالث.

وإن للاستغفار مكانة عظيمة في الدين الإسلامي ، لذلك نجد نصوص كثيرة من القرآن والسنة النبوية تبين مكانتها وأجرها عند الله. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء : 110].

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : 135].

ومن يعمل من العباد ذنباً من الذنوب بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله ثم يستغفر الله ، ثم يتوب إلى الله مما عمل من السوء ، ويتقرب لله بالأعمال الصالحة يجد رب العالمين ساتراً لذنبه رحيماً به [1]. فقد قرن الله التوبة مع الاستغفار. قال تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [هود : 52]. أي: "آمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك [2].قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ [محمد : 19].

يقول ابن تيمية رحمه الله: قرن الله في هذه الآية بين الاستغفار والتوحيد ، لارتباط الاستغفار بالتوحيد [3]. وقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} يحتمل وجهين : أحدهما : يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب. وقيل : لما ذكر له حال الكافرين والمؤمنين أمره بالثبات على الإيمان ، أي اثبت على ما أنت عليه من التوحيد [4].

والتوبة والاستغفار سبب لجلب الرزق والبركة .قال تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [نوح : 10- 12].

أي: "إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض ، وأنبت لكم الزرع ، وَأَدَرَّ لكم الضرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها"[5]. لذلك فقد كان الرسول ﷺ يكثر من الاستغفار وملازم له ، فقد روي عن أبى

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (9 / 194).

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 303).

(3) انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (24 / 241).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (16 / 242).

(5) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 / 233).

هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)** (1) ولفظ السبعين في الحديث للكثرة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر ، وذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار ، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائما فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجا إلى التوبة والاستغفار " (2).

فقد علّم الرسول ﷺ صحابته رضي الله عنهم يسد الاستغفار ، الذي إن مات قائله كان من أهل الجنة. عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ)**(3).

يقول ابن حجر رحمه الله: هذا الحديث سيد الاستغفار لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه(4).

وللاستغفار فوائد منها: يجلب الرزق ويكون سبباً في إنعام الله للمستغفرين ، يسهل الطاعات ويزيل الوحشة التي بين العبد وربه ، تصغر الدنيا في قلبه ، تبعد الشياطين عنه ، حصول محبة الله له ، يجد حلاوة الإيمان ، إقبال الله للمستغفر وفرحة بتوبته ، تحقق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السيئة (5).

ونخلص مما سبق: عِظم التلازم بين الاستغفار والتوبة، وشدَّة احتياج العبد إليهما للوقاية من شرور الذنوب وعلى رأسها النفاق أعاذنا الله منها.

سادساً: الوعيد الشديد على النفاق:

توعد الله عز وجل المنافقين العذاب الشديد في الدنيا والآخرة ، لما لهم من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين ، ويبرز دور العقيدة في علاج النفاق وأهله عن طريق عرض العقاب

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ، بَاب اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (8 / 67) رقم 6307.

(2) مجموع الفتاوى (10 / 88).

(3) صحيح البخاري: كتاب الدعوات- بَاب مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ (8 / 71) رقم 6323.

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (11 / 99).

(5) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم :عدد من المختصين (2 / 302).

الشديد للمنافق في الدنيا وما يترتب من عقاب الآخرة ، كل ذلك ليعمل المنافق عقله وليتوب لله عز وجل ويعتبر قبل فوات الأوان.قال تعالى:﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ [التوبة : 101].

يقول ابن كثير رحمه الله: عذاب المنافق عذاب شديد في الدنيا والآخرة ، أما عذاب الدنيا يكون بالجوع ، أو القتل ، أو السجن ، أو السبي ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه ، عذاب الآخرة والخلد فيه [1].

وقيل فضحهم في الدنيا فضحهم الله بكشف أمورهم، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسول ﷺ ويعذهم بلسانه ، أما عذابهم في الآخرة بالمصائب في أولادهم وأموالهم والجوع والقتل[2]. قال تعالى:﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[السجدة:21].

فالمنافق يعذب في الدنيا وهو العذاب الأدنى ثم ينتقل للعذاب العظم وهو نار جهنم والعياذ بالله ، وقد وضح الله أنه جامع المنافقين والكافرين في نار جهنم جمعا.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 140].

يقول ابن كثير رحمه الله: " أي: كما أشركوهم في الكفر، كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال، والقيود والأغلال. وشراب الحميم والغِسْلين لا الزّلال" [3].

سابعاً: اتباع الكتاب والسنة:

إن صلاح العباد في الدنيا وسعادتهم وفوزهم في الآخرة هو إتباع الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً والعمل بما فيهما من تنفيذ أوامر الله ورسوله ﷺ وتجنب ما نهيا ، واتباع الكتاب والسنة يكون بتحكيمهما والعمل بهما وعدم التفريق بينهما.

قال تعالى: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الأنعام : 155].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 205).
(2) انظر:الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (8 / 241).
(3) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 436).

أي: اجعلوا كتاب الله إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه ، واحذروا الله في أنفسكم، أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدّوا حدوده، وتستحلُّوا محارمه [1] وقال تعالى: ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف : 3].

عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَحَدُهُما كِتَابُ الله وَهُوَ حَبْلُ الله ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَة**) [2].

سميا ثقلين لعظمهما وشرفهما ، وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما ، وقدم كتاب الله لأحقيته بالتقدم ولما فيه من النور والهدي الذي من ضل عنه فقد زاغ طريق السعادة وهلك في ميادين الشقاوة [3].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**إني قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وسنتي وَلَنْ تَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ**) [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة والمفسدة [5].[6].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (12 / 238).

(2) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (4 / 1874) رقم 2408.

(3) انظر: فيض القدير: للمناوي (2 / 220). اقتضاء الصراط – (1 / 283)

(4) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي: كتاب آداب القاضي ، باب مَا يَقْضِى بِهِ القاضي وَيُفْتِى بِهِ الْمُفْتِى (10 / 114) رقم 20834 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 555) رقم 5543.

(5) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (1 / 283).

(6) وللاستزادة عن الموضوع يمكن النظر للمبحث الرابع من الفصل الأول ، المبحث السادس من الفصل الأول.

المبحث الرابع

البدع

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : تعريف البدعة.

المطلب الثاني : أقسام البدع .

المطلب الثالث : موقف الإسلام من الابتداع وأصحاب البدع.

المطلب الرابع : آثار الابتداع .

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج الابتداع .

المطلب الأول

تعريف البدعة

تعريف البدعة لغةً:

بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه . وبدع الركيَّة : استنبطها وأحدثها.قال تعالى : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [البقرة : 117]. والشيء البديع الذي يكون أولاً. فنقول: أبدعت الشيء قولاً وفعلاً ، إذا ابتدأته [1]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: 9] ونقول بدع هذا الأمر أي: أنه أول لم يسبقه إليه أحد والبديع: المحدث العجيب[2].

تعريف البدعة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الاصطلاح ، فمنهم من جعلها مقابل السنة ، ومنهم من جعلها عامة تشمل كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ سواء كان محموداً أو مذموماً ، ونبين ذلك فيما يلي : البدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب ، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعُلم الأمرُ به بالأدلة الشرعية: فهو من دين الله الذي شرعه الله وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك .وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن [3]. وقال ابن القيم رحمه الله في مفهوم البدعة : كل ما جاء مقابل السنة النبوية [4].

فقال العز بن عبد السلام رحمة الله:البدعة هي كل فعل لم يعهد في عصر الرسول ﷺ [5].

وعرفها الشاطبي رحمه الله بقوله : هي طريقة مخترعة في الدين تضاهي الشريعة ويقصد بها المبالغة في العبادة لله عز وجل [6].

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (1 / 209).

(2) انظر: لسان العرب: لابن منظور (8 / 6).

(3) انظر: مجمع الفتاوى: لابن تيمية (4 / 107 – 108) .

(4) انظر: الفوائد (1 / 108).

(5) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء ، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي ، دار المعارف بيروت – لبنان (2 / 172).

(6) انظر: الاعتصام: للشاطبي ، ضبط وتخريج: مشهور حسن آل سليمان ، مكتبة التوحيد (1 / 43).

من خلال ما سبق نجد أن البدعة هي كل ما حدث بعد عصر الرسول الله ﷺ ، فهي طريقة مخترعة لم يشرعها الله عز وجل ولا رسوله ﷺ سواء كانت محمودة أو مذمومة.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)** [1]. وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)** [2].وعن الْعِرْبَاضُ بن سارية ﷺ [3] قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ: **(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كان عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بسنتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)** [4].

وقال الشافعي رحمه الله: البدعة بدعتان بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم [5] .

نخلص مما تقدم: أن البدعة: كل قول ، أو فعل أُنشأ واتخُذ ديناً مما لم يرد في كتاب الله عز وجل ولا سنة رسوله ﷺ ولا عهد الصحابة ﷺ . فالدين ليس بالعقل بل بالتسليم لما جاء في الكتاب والسنة. عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: **(لَوْ كَانَ الدِّينُ بالرأي لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ)**.[6]

---

(1) صحيح البخاري: مَا جَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (3 / 184) رقم 2697.

(2) صحيح مسلم: كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (3 / 1343) رقم 1718.

(3) "العرباض بن سارية الفزاري السلمي، كان من البكائين ، سكن الشام ، روى عنه أهلها ، وكنية العرباض أبو الحارث ، مات سنة خمس وسبعين" الثقات: لابن حبان (3 / 321).

(4) سنن أبى داود:كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (4 / 329) رقم 4609 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة – (6 / 238) رقم 2735 .

(5) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ، 1405 (9 / 113).

(6) سنن أبى داود: كتاب الطهارة ، باب كيف المسح (1 / 63) رقم 162 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح: للتبريزي (1 / 114) رقم 525 .

المطلب الثاني

أقسام البدع

اختلف العلماء في تقسيمات البدع وهي كالتالي:-

أولاً: البدعة مقابل السنة:

وبه قال الشاطبي ، وابن حجر العسقلاني ، وابن حجر الهيتمي ، وابن رجب الحنبلي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والزركشي [1].

قال ابن تيمية رحمه الله: "أما ما لم يشرعه الله ، ولم ينزل به سلطانا إليه ، بل نهى عنه ﷺ كدعاء غير الله وعبادتهم من جميع المخلوقات الملائكة والأنبياء وغيرهم ، والحج إلى المخلوقين وإلى قبورهم: فهذه إنما يأمر بها من ليس معهم بذلك علم ولا وحي منزل من الله فهم يضاهون الذين يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم أو هم نوع منهم" [2]. وقال أيضاً رحمه الله: "أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب . فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية : فهو من الدين الذي شرعه الله وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك . وسواء كان هذا مفعولا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن فما فعل بعده بأمره" [3].

وقال الشاطبي رحمة الله:" البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية" [4].

ثانياً: البدعة كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ سواء كان محموداً أو مذموماً:

وبه قال الشافعي ، والعز بن عبد السلام ، والغزالي ، والنووي ، القرافي ، وابن الأثير.

---

(1) انظر: البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها: لعزت علي عيطة ، دار الكتب الحديثة ، مصر – القاهرة (195 – 198).

(2) مجموع الفتاوى (27 / 428).

(3) المصدر السابق (4 / 107 – 108).

(4) الاعتصام (1 / 26).

قال الشافعي:البدعة بدعتان: بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم [1].

وقد أدرج العلماء خمسه أحكام تحت البدع المحمودة ، والبدع المذمومة ، فقد قال ابن حجر رحمه الله : قد قسم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة [2].

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله:البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ ، وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة ، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة ، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة[3].

1- **البدع المحمودة:**

ويندرج تحتها ثلاثة أحكام وهي:- البدع الواجبة ، والبدع المندوبة ، والبدع المباحة.

أ - **البدع الواجبة:** وهي ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع ، كتدوين القرآن الكريم والسنة النبوية والقواعد الشرعية والشرائع السماوية خوفاً من الضياع فإهمال هذا التدوين حرام إجماعا.

ب - **البدع المندوبة:** وهي ما تناولته قواعد الندب وأدلته من الشريعة كصلاة التراويح.

والذي قَالَ فيها عُمَرُ بن الخطاب ﷺ : **نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنْ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ** [4].

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ،1405 (9 / 113).

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (13 / 253).

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي دار المعارف بيروت – لبنان (2 / 172 - 173).

(4) صحيح البخاري :كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان (3 / 45) رقم 2010 .

وقد يعتقد البعض أن هناك بدعة حسنة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ عندما قال: نعمت البدعة هذه وأن كلام عمر مخالف لكلام الرسول ﷺ عندما قال: **(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)** (1).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: " وهذا الذي فعله هو سنة ؛ لكنه قال: نعمت البدعة هذه ، فإنها بدعة في اللغة ، لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله ﷺ يعني من الاجتماع على مثل هذه ، وهي سنة من الشريعة" (2).

والبدعة الحسنة فهي ما يصدر من كل مبتدع مؤمن غير مخالف لقواعد الشريعة ولا يلزم من فعلها محذور شرعي ، كبناء المدارس وغير ذلك من أنواع البر الذي لم يكن زمن الرسول ﷺ ، لكن موافق لما جاءت به الشريعة الإسلامية (3).

ج – **البدع المباحة:** وهي ما تناولته أدلة الإباحة كاتخاد الناخل للدقيق.عن سَهْلٌ بن سعد ﷺ (4) مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْخُلًا مِنْ حِينَ ابتعثه اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ (5).

والصواب أن هذا القسم ليس من البدع ، لأن مسألة المناخل هي من باب التنعيم ولا يقال لمن تنعم انه مبتدع (6).

2- **البدع المذمومة:** ويندرج تحتها البدعة المحرمة ، والبدعة المكروهة.

أ- **البدع المحرمة:** وهي ما تناولته قواعد التحريم وأدلتها من الشريعة، كتقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية لمن لا يصلح لها بطريقة التوريث.

ب – **البدع المكروهة:** وهي ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة كتخصيص يوم من الأيام الفاضلة بنوع من أنواع العبادة ، كتخصيص صيام يوم الجمعة أو قيام ليله.

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الجمعة ، باب التخفيف في الصلاة (2 / 592) رقم 867.

(2) الفتاوى الكبرى (2 / 98).

(3) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث: لشهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شامة ، مطبعة النهضة الحديثة – مكة ، الطبعة: الثانية ، 1401هـ/1981م(ص 21).

(4) سهل بن سعد بن مالك الخزرجى الأنصاري ، كان اسمه حزناً فغيره الرسول ﷺ ، مات الرسول ﷺ وعمره خمس عشرة سنة ، وهو آخر من مات من الصحابة في المدينة المنورة ، مات سنة إحدي وتسعين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 200).

(5) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (7 / 74) رقم 4513.

(6) انظر: الاعتصام: للشاطبي (1 / 331) .

عن أَبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: **(لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي ، وَلاَ تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ)** [1].

ثالثاً: بدع حقيقية وبدعة إضافية:

أولاً: البدعة الحقيقية:هي البدعة التي لم يرد عليها دليل شرعي لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ولا إجماع ولا استدلال ، فهي شيء مخترع لا أصل له في الدين.مثل ذلك: الاحتفال بالمولد النبوي والتبرك بالآثار.

ثانياً: البدعة الإضافية: وهي البدعة التي لها جانبان: جانب مشروع موافق للشرع لكن المبتدع يدخل في هذا الجانب شيء آخر من عنده فيخرجها من أصلها المشروع. فتكون موافقة للشرع من جانب ومخالفة من جانب آخر [2]. كتخصيص يوم الجمعة بالصيام والقيام ، أو تخصيص صيام نصف شعبان ، أو الصيام واقفاً في الشمس. فالصيام والقيام مشروعان لكن تخصيص وقت معين لم يرد في الشرع وهذا هو الذي ابتدع.

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُك جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: **(أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)** [3].

رابعاً: بدع كلية وبدع جزئية:

القسم الأول: البدعة الكلية:

إذا كانت البدعة لا تقتصر على المبتدع نفسه بل تتعداه إلى غيره فتنتشر بين الكثير من أفراد المجتمع. مثل: بدعة إنكار حجية خبر الآحاد، أو التقبيح والتحسين بالعقل بدلاً من الشرع.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الصيام ، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً (2 / 801) رقم 1144.

(2) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 281) الاعتصام:للشاطبي (1 / 219).

(3) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح (7 / 2) رقم 5063.

فمن أنكر خبر الآحاد أنكر كثير من أحكام الدين لأن معظم الأحكام التي جاءت في السنة النبوية هي أخبار آحاد مثل خبر تحويل القبلة.

قال ابن حجر رحمه الله: كان الرسول يبعث إلى الملوك واحد ، ولم تزل كتبه تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهي فلم يكن أحد من ولاته يترك إنفاذ أمره وكذا كان الخلفاء[1].

ويقول الشوكاني: ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له [2].

القسم الثاني: البدعة الجزئية: وهي البدعة التي تقتصر على المبتدع نفسه ولا تتعدي غيره ، وهي الواقعة في الفروع الجزئية ولا يتحقق تحتها الوعد والوعيد [3].

ونخلص مما سبق أن البدع أقسام: وهي إما أن تكون مقابلة للسنة ، وإما أن تكون ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ سواء كانت محمودة أو مذمومة ، مكفرة سواء كانت بدع حقيقية ، أو إضافية ، أو كانت جزئية ، أو كلية ، وهي ما تكون في العبادات وهي المنهي عنها.

وإما بدع غير مكفرة والتي تكون في شؤون الحياة وهي التي لم يرد مخالفتها لنصوص القرآن والسنة. في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ أنه قال: **(قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)** [4]. فقول الرسول ﷺ : أنتم أعلم بأمر دنياكم يكون في مجال الدنيا ومعيشتها ، لا في مجال التشريع، فلا يكون هذا من باب البدع [5].

أما القول بوجود بدعة حسنة استناداً إلي قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهذا غير صحيح لأن مراد عمر رضي الله عنه البدعة اللغوية لا الشرعية.

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (13 / 241).

(2) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق : أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى 1419هـ - 1999م (1 / 138).

(3) انظر: البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها: لعزت علي عيطة ، دار الكتب الحديثة ، مصر - القاهرة (ص 358 - 359).

(4) صحيح مسلم: كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (4 / 1836) رقم 2363 .

(5) انظر: شرح النووي على مسلم: للنووي (15 / 116).

خامساً: البدع الفعلية والبدع التركية:

وبه قال الإمام الشاطبي رحمه الله فقد قسم البدعة إلى بدع فعلية وبدعه تركية.

أولاً البدع الفعلية: البدع الفعلية وهي المتعلقة بالفعل ، وهي البدع التي تشمل الفعل المخالف للسنة ، وتشمل كذلك الترك المخالف للسنة.

وتشمل كذلك الزيادة في الشرع ما ليس فيه كزيادة عدد الركعات في الصلاة، أو زيادة وقت الصوم المحدد له ، أو أن يدخل في الشرع ما ليس منه ، أو اختراع أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ .

ثانياً: البدع التركية: وهي ترك ما طلبة الشرع أو ندب إليه ، كأن يستحسن التارك ترك ما طلبه الشارع إيجاباً ، أو ندباً واستمر في ترك الواجب لما في ذلك من مخالفة السنة ، إلا أن يكون لمانع من الموانع كمانع طبي أو نفور جبلي.

ومن أخطر البدع التركية في حصرنا الحاضر ترك العمل بأحكام الدين والاحتكام إليه ، وترك ستر العورة ، وترك إخراج الزكاة وغيرها من أحكام الدين ، وتركهم كثير من السنن واستبدالها بالبدع [(1)]. ومن أمثله البدع التركية: كترك المسلم مباح من الطيبات لغير سبب ، أو عذر مقبول ، وإن تركه لعذر فلا شئ عليه.

مثل قول الرسول ﷺ للثلاثة نفر الدين أرادوا ترك الزواج ، والاستمرار في الصوم ، والاستمرار في الصلاة. عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ: **(أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)** [(2)].

---

(1) انظر: الموافقات: للشاطبي (1 / 175) والبدعة تحديدها وموقف الإسلام منها: لعزت علي عيطة (ص 356 - 358)

(2) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، باب بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى { فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ } (7 / 2) رقم 5063.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [المائدة : 87]. والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [البقرة : 168].

سادساً: البدع العقدية والبدع السلوكية:

أولاً: البدع العقدية:

وهي البدع الواقعة على الاعتقاد ، وهي أخطر وأشد أنواع البدع على الإطلاق ، وهو الاعتقاد المخالف لما جاء به الرسول ﷺ .

ثانياً: البدع السلوكية:

البدع السلوكية وهي البدع الواقعة سواء في الأقوال ، أو الأعمال.

أما البدع السلوكية الواقعة في الأقوال: وهي الأقوال التي ما كانت مغيره لما ورد من الرسول ﷺ

أما البدع السلوكية الواقعة على الأعمال: وهي بدع تقع على العمل سواء كان العمل ظاهراً أو باطناً .

فبدع الأعمال الظاهرة مثل الصلاة المخالفة لما ورد عن الرسول ﷺ ، وبدع العمل الباطن كمعاملة المؤمنين بالنفاق [1].

ونخلص مما سبق: أن البدع هو ما كانت في أصل من أصول الدين سواء كانت في عهد الرسول ﷺ أو بعد وفاته ﷺ سواء كانت جزئية أو كلية ، أما الفروع ومناحي الحياة اليومية لا يقع فيها البدع لأنها أمور متجددة في حياه الناس.

---

(1) انظر: البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها: لعزت علي عيطة (ص358).

المطلب الثالث

موقف السلف من الابتداع وأصحاب البدع

موقف السلف من الابتداع يتضمن ثلاث أمور:-

أولاً: التحذير من البدعة ومقاومة أهلها:

لقد حذر السلف الصالح ﷺ من الابتداع في الدين وإتباع أهل الأهواء والبدع لما فيه من خطر على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. فإن فهم السلف الصالح وتحذيرهم من البدع مبني على الكتاب والسنة، فهم أعلم البشر بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فالرسول ﷺ لم يترك باباً من أبواب الخير إلا وقد دلهم عليه وما من باب من أبواب الشر إلا وقد حذرهم منه. قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [الحشر : 7] . والمراد: عليكم إتباع ما أمركم به الرسول ﷺ من فعل ، وأن تجتنبوا ما نهاكم من شر [1]. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**) [2].

فقد فهم أفضل الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله عنه مفهوم الإتباع والابتعاد عن الابتداع حيث قال:"**أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ**" [3].

" فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثني عليه بالذي هو أهله. ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم وقد كانت بيعتي فلتة، وذلك أني خشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوما قط، ولا طلبتها ولا سألت الله تعالى إياها سرا ولا وعلانية وما لي فيها من راحة، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يدان ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني، **فعليكم بتقوى الله ، فإن أكيس الكيس التقى وإن أحمق الحمق الفجور، وإني متبع ولست بمبتدع** "[4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 /67).

(2) صحيح البخاري:كتاب الشهادات ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (3 / 184) رقم 2697.

(3) تهذيب سيرة ابن هشام: لعبد السلام هارون (ص 348).

(4) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ / 1993م (12 / 315).

فنلاحظ أن أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان متبع لرسول الله ﷺ في كل كبيرة وصغيرة دون زيادة ولا نقصان. لذلك نجد الرسول ﷺ يحذر من اتباع البدع وأصحابها فشعن الْعِرْبَاضُ بن سارية رضي الله عنه [1] وقال الرسول ﷺ :**(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)** [2]. ففي هذه الأحاديث تحذير من إحداث البدع والاقتراب من أهلها وأصحابها ، وتنبيه بخطرها على الأمة ، وتنفيرهم عن اقترافها والعمل بها. قال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : 7].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه قال: **(الاِقْتِصَادُ في السُّنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الاِجْتِهَادِ في الْبِدْعَةِ)** [3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين ،وعقوبته تكون تارة بالقتل ، وتارة بما دونهُ" [4].

يقول أيضاً رحمه الله: إن أهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم لأنهم شانوا بعض ما جاء به الرسول فبترهم الله فكان لهم نصيب من قوله تعالى: { **إن شانئك هو الأبتر**}" [الكوثر : 3] [5].

ثانياً: بيان حكم البدعة:

يختلف الحكم على البدع بأختلاف العلماء في تقسيمها ، فالعلماء الذين قسموا البدعة إلى بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة كالشافعي والعز بن عبد السلام في إما أن تكون حرام ، أو مباحة ، أو مندوبة ، أو مكروهة ، أو واجبة. والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة ، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة ، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة [6] .

---

(1) سبق الترجمة له ص 135.

(2) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ، باب التخفيف في الصلاة (2 / 592) رقم 867.

(3) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي ،كتاب العبادة ، باب الْقَصْدِ في الْعِبَادَةِ وَالْجَهْدِ في الْمُدَاوَمَةِ – (3 / 380) رقم 4933 ، قال الألباني: (صحيح موقوف) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 10) رقم 41.

(4) الفتاوى الكبرى (4 / 194).

(5) الرد على البكري (1 / 175) .

(6) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي دار المعارف بيروت – لبنان (2 / 172 - 173).

وأما من قال إن البدع كلها مذمومة كابن تيمية و الشاطبي يرون أن حكمها ضلال ، وفسق ، وتكفير، وذلك حسب درجة البدعة.

أ- فمنها ما هو كفر لا يحتمل التأويل ، كبدعة الجاهلية التي نبَّه عليها القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا** ﴾[الأنعام : 136]. وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ** ﴾ [الأنعام : 139]. وقوله تعالى :﴿ **اجَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ** ﴾ [المائدة : 103].

وكذلك بدعة المنافقين في اتخاذ الدين ذريعة لحفظ النفس والمال...وما أشبه ذلك من أنواع الكفر ، كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم ، ومنها ما هو من وسائل الشرك؛ كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها.

ب- ومنها ما هو معصية وضلال ؛ كبدعة التبتل ، والصيام قائماً في الشمس ، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .

د- ومنها ما هو مكروه ، كاجتماع الناس في المساجد للدعاء عشية عرفة - وذكر السلاطين في خطبة الجمعة ، ونحو ذلك . ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة :

ج- ومنها ما هو فسق اعتقادي؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية [1]

يقول ابن حجر رحمه الله: أما البدعة فالموصوف بها أما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق فالمكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة ، في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الإلهية في علي أو غيره ، أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: أن البدعة من الكبائر وأنها أكبر من كبائر أهل السنة ، فكبائر أهل السنة صغائر بالنسبة إلى البدع [3]. وقال أيضاً: البدعة قرينة الشرك كما ذكر الله في قوله

(1) انظر: الاعتصام: للشاطبي (1 / 337).

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (1 / 385).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 322).

تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف : 33]. فالإثم والبغي قرينان والشرك والبدعة قرينان [1].

لذلك فقد قال الشاطبي رحمه الله: الابتداع شر كله [2]. ثم قال: أن البدع حرام ولكن تتفاوت في حرمتها ، فنها كفر صراح ، كبدعة المنافقين في اتخاذهم الدين ذريعة لحفظ المال والنفس، وبدع الجاهلية التي ذكرها الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الأنعام : 136]. وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام : 139].

ومنها ما هو معصية ، كبدعة القيام في الشمس طوال النهار على جهة التعبد.

ومنها ما هو مكروه كما يقول مالك في اتباع رمضان بست من شوال ، وقراءة القرآن بالإدارة والاجتماع للدعاء عشية عرفة وذكر السلاطين في خطبة الجمعة على ما قاله ابن عبد السلام الشافعي [3].

ثالثاً: كشف شبهات المبتدعة وإبطالها:

الشبهة الأولى: التمسك بالقرآن ورد السنة:

نجد أن أصحاب البدع ببدعتهم يعتقدون أن الشريعة الإسلامية قائمة على القرآن وحدها ، وأنه لا حاجه معه إلا ما سواه. ولو كانت السنة حجة لتكفَّل الله بحفظها ، ولما حصر الحفظ في القرآن في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر : 9].

واستدلوا على أن الشريعة الإسلامية قائمة على القرآن وحده في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : 38]. وفي قوله تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل : 89].

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 63).
(2) انظر: الاعتصام (1 / 142).
(3) انظر: الاعتصام (1 / 314).

يمكن القول أن ما استدلُّوا به واهٍ لا حجة فيه ؛ ذلك لأن السنة إنما ما جاءت إلا لبيان للقرآن وتوضيحه وتفصيله ، فلولا السنة ما فهم القرآن . قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل : 44].

فقد حذر الرسول ﷺ من أصحاب البدع الذين يقتصرون على الأخذ بالقرآن وترك السنة النبوية. ففي الحديث الذي يرويه الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ[1] رضي الله عنه يَقُولُ: حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ ثُمَّ قَالَ: (**يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ**[2] **يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**)[3].

ففي الحديث تحذير صريح من الرسول ﷺ عن مخالفه السنة النبوية ، وأنه سيظهر في هذه الأمة من ينكر حجية السنة مدعياً الاكتفاء بالقرآن.وقد قال أبو أيوب السختياني :"إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم انه ضال مضل" [4].

فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله في هذه المسألة قولاً شاملاً وشافياً ، فقد قال أن الله أبان دينه لخلقه من وجوه أربعة وهي كالتالي:

1- ما أبانه نصاً في القرآن ، مثل جمل الفرائض كالصلاة والزكاة والصيام ، وتحريم الفواحش كلها ، ومنها: الزنا وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ونحو ذلك.

2- ما حكم بفرضه بكتابه ، وبينه على لسان رسوله ﷺ ، مثل عدد الصلوات ، ومقادير الزكاة وغيرها من الفرائض.

3- ما سنة رسوله ﷺ مما ليس له في كتاب الله ذكر ، وقد فرض الله عز وجل في كتابه طاعة رسوله ﷺ .

---

(1) المقدام بن معدا كرب الكندي، يكنى أبو كريمة وقيل أبو يحيى، سكن الشام كان يصفر لحيته مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة ، انظر: الثقات: لابن حبان (3 / 395).

(2) الفراش أو السرير ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 388) .

(3) مسند أحمد (28 / 429) رقم 17194 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 443) رقم 4422 .

(4) الكفاية في علم الرواية – الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (1 / 16).

4- ما فرض الله على خلقه الاجتهاد على خلقه في طلبه ، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد [1].

أما المراد بقوله تعالى: (**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**) فقد أخبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره ، إما تفصيلا وإما تأصيلا [2].أما استدلالهم أن الله قد حفظ القرآن ولم ليحفظ السنة ، نقول أن السنة من الوحي من الله والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم :3 ، 4] فقد قال ابن حزم رحمه الله: فصح لنا أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ إلا قسمين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية [3].

الشبهة الثانية: رد وإنكار حجية خبر الآحاد:

ذهبت المبتدعة بالقول إلى أن خبر الآحاد لا يفيد العلم مطلقاً وبنوا على ذلك أنه لا يجوز الاحتجاج به في مسائل الاعتقاد ، لأن مسائل الاعتقاد مسائل يقينية لا يطلب فيها إلا القطع.

فعند المعتزلة لا يقبل خبر الواحد في الاعتقادات إلا إذا جاء موافقا للعقل ، فيستدل به تعضيداً لا احتجاجاً ، وإلا ورد وحكم ببطلانه ، إلا إذا احتمل التأويل من غير تعسف [4]. ومما استدل به المعتزلة [5] في رد خبر الواحد من الأحاديث والآثار:-

1- قصة أبى بكر حين توقف في خبر المغيرة بن شعبة، في ميراث الجدة .

عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ جَاءَتِ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا فَقَالَ مَا لَكِ في كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى شيء وَمَا عَلِمْتُ لَكِ فِى سُنَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَارْجِعِى حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ. فَسَأَلَ النَّاسَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهَا السُّدُسَ. فَقَالَ أَبُو

---

(1) الكتاب:الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ،دار الكتب العلمية (1/21-22).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (6 / 420).

(3) انظر: الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن حزم ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، مكتبة عاطف ، مطبعة الامتياز- مصر ، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978 (1 / 108)

(4) انظر: شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبه - مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة ، الطبعة: الأولى 1384هـ / 1965 م (1 / 768 - 770).

(5) سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري بعد مخالفته حكم مرتكب الكبيرة ، يسمون بأصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، قالوا بأن القرآن مخلوق ، ونقي القدر ، وإن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، وإن الرب لا يفعل إلا الصلاح والخير ، وإن العبد إذا مات من غير توبة خلد في النار ، وهم أكثر من اثنتي فرقة ، انظر: الملل والنحل: للشهرستاني: (1 / 42) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: لعبد القادر البغدادي (1 / 114).

بَكْرٍ هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَتِ الْجَدَّةُ الأُخْرَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا فَقَالَ مَا لَكِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى شيء وَمَا كَانَ الْقَضَاءُ الذي قُضِىَ بِهِ إِلاَّ لِغَيْرِكِ وَمَا أَنَا بِزَائِدٍ فِي الْفَرَائِضِ وَلَكِنْ هُوَ ذَلِكَ السُّدُسُ فَإِنِ اجْتَمَعْتُمَا فِيهِ فَهُوَ بَيْنَكُمَا وَأَيَّتُكُمَا خَلَتْ بِهِ فَهُوَ لَهَا [1].

2- وقصة عمر ﷺ وتوقفه في خبر أبى موسى الأشعري ﷺ في الاستئذان :عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا في مجلس عند أبي بن كعب فأتى أبو موسى الأشعري مغضبا حتى وقف فقال أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع قال أبي وما ذاك قال استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات فلم يؤذن لي فرجعت ثم جئته اليوم فدخلت عليه فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثا ثم انصرفت قال قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك قال استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ قال فو الله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا فقال أبي بن كعب فو الله لا يقوم معك إلا أحدثنا سنا قم يا أبا سعيد فقمت حتى أتيت عمر فقلت قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا[2].

قال الإمام الآمدى في من احتج بالأحاديث السابقة على عدم الاحتجاج بخبر الآحاد : فعلم من ذلك أن ما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه لم يكن لعدم حجية خبر الآحاد عندهم، وإنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض، أو فوات شرط؛ لا لعدم الاحتجاج بها في جنسها، مع كونهم متفقين على العمل بها، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة، وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمور خارجة عنها .

وأما قصة عمر ﷺ وتوقفه في خبر أبى موسى في الاستئذان، فإن أبا موسى أخبره بذلك الحديث عقب إنكاره عليه رجوعه بعد الثلاث، وتوعده، فأراد التثبت خشية أن يكون دافع بذلك عن نفسه [3].

---

(1) سنن أبى داود: كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة (3 / 81) رقم 2896 ، قال الألباني: (ضعيف) ضعيف أبي داود – الأم – دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت الطبعة : الأولى – 1423 هـ (2 / 393) رقم 497.

(2) صحيح مسلم: كتاب الآداب ، باب الاستئذان (3 / 1694) رقم 2153.

(3) انظر: الرسالة: للشافعي (1 / 433).

وكذلك في قصة أبى بكر فتوقف أبى بكر في خبر المغيرة بن شعبة في ميراث الجدة . هذا ليس منه مطرداً، فهو يريد مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة باعتباره راوياً فرداً، ولا طعناً في حجية خبر الواحد .

وقال الإمام الشافعي: بعث رسول الله ﷺ سراياه وعلى كل سرية واحد، وبعث رسله إلى الملوك إلى كل ملك واحداً، ولم تزل كتبه تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهى فلم يكن أحد من ولاته يترك إنفاذ أمره، وكذا كان الخلفاء من بعده [1].

عن ابن عباس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ إلى اليمن قال: **(إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم)** [2].

فقد احتجُّ السلف الصالح بخبر الواحد المتلقي بالقبول في مسائل الصفات والقدر ، وعذاب القبر ونعيمِه ، وسؤال الملكين ، وأشراط الساعة ، والشفاعة لأهل الكبائر ، والميزان ، والصراط ، والحوض ، وكثير من المُعجزات ، وما جاء في صفة القيامة والحشر والنشر ، والجزم بعدم خلود أهل الكبائر في النار [3].

الشبهة الثالثة: تقديم العقل على النقل:

لقد ذهب أصحاب البدع بالقول بتقديم العقل على النقل ويعتقدون أن الوصول لليقين لا يكون إلا عن طريق العقل ، ورأوا أنه إذا تعارض النقل والعقل في شيء فإن العقل هو المقدم ، ظانين أنه يوجد بالفعل تعارض بين العقل السليم والنص الصحيح – حسب زعمهم – ولهم حجج في تقديم العقل على النقل وهى شبه لا تسلم لهم، ومنها: أن العقل هو الأصل والأساس للنقل وإلا لم يرد النقل.

إن الله خلق العقل وجعل من وظائفه أن يعقل دين الله وشرعه ، فلا يجوز له رد شيء من نصوص الكتاب والسنة.

---

(1) انظر:المصدر السابق (1 / 419)

(2) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ،باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (1 / 51) رقم 19.

(3) انظر: مجمل اعتقاد أئمة السلف: لعبد الله بن عبد المحسن التركي (1 / 145).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بين قط ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق" [1].

يقول الشاطبي رحمه الله: إذا تعاضد النقل مع العقل في المسائل الشرعية فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً ، ويتأخر العقل ويكون تابعاً ، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل [2].

ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله: "وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول، فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه، بل قال: {**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**} [الأعراف: 12]" [3].

الشبهة الرابعة: نفي صفات الله عز وجل:

أجمع المعتزلة على نفى صفات الله تعالى الأزلية، سواء منها ما كان من صفات الذات ، أو صفات الأفعال ، وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر، ولا غير ذلك من الصفات ، والذي دفعهم إلى نفى صفات الله تعالى، الخوض في ذلك بعقولهم والاعتماد عليها في معرفة الله سبحانه وصفاته

يقول الشهرستاني: "فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا : هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية ، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال ،واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها" [4].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية (1 / 85).

(2) انظر: الموافقات (1 / 125).

(3) شرح العقيدة الطحاوية – ط دار السلام – (1 / 207).

(4) الملل والنحل: للشهرستاني (1 / 42 – 43).

وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ ، من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل ،كما نفوا عنه ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاها عن نفسه سبحانه ،ونفاها عنه رسوله ﷺ ، مستندين في كل ذلك إلى كتاب ربهم،وسنة نبيهم ﷺ بل هو سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله [1].

قال تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : 11]. وقال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: 108]. وقال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الصافات:180].

قال بن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها[2].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: "لا يشبه بشئ من خلقه، ولا يشبهه شئ من خلقه... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا،ويرى لا كرؤيتنا"[3].

ويقول ابن حجر رحمه الله: اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة في إثبات أسماء الله وصفاته وعدم تأويلها، ولو كان تأويلها حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار، كالثوري ، والأوزاعى ، ومالك، والليث، ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم [4].

يقول الطحاوي رحمه الله: إن الله عز وجل موصوف بصفات الكمال ، ليس له فيها شبيه ، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع وبصير فليس سمعه كسمع الله وليس بصره كبصر ،

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (5 / 195).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (13 / 407).

(3) انظر: شرح الفقه الأكبر، لأبى منصور الحنفي، طبعة الشئون الدينية بقطر، ولملا على القاري ، مطبعة مصطفى الحلبى 1375هـ / 1955م (1 / 103- 112).

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري :لابن حجر (13 / 407).

ولا يلزم من إثبات الصفة التشبيه ، فصفات الله صفات كمال وصفات المخلوق صفات نقص[1].

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية- المكتب الإسلامي (1 / 137).



المطلب الرابع

آثار الابتداع

إن للبدع آثار سيئة على المجتمع المسلم ، خاصة أنها من أخطر الأمراض التي تصيب الفرد، فهي العدو الخفي الذي لا يشعر به المسلمون اليوم ، خاصة المسلم الملتزم الذي يجهل الأحكام الشرعية فهو يدافع عن البدعة التي يعتنقها ، ويعتقد أنه يتقرب بها إلي الله. فعلى المسلم الحذر كل الحذر من أصحاب الأهواء والبدع ، وأن يكون على بصيرة من دينه وأن يفرق بين ما هو دين وما ليس من الدين.

آثار البدع على الفرد والمجتمع في الجانب العقدي والسلوكي:

هناك العديد من آثار البدع على الفرد والمجتمع والتي تتعلق بالجانب العقدي والسلوكي منها:-

1- إضلال المجتمع المسلم:

عرفنا أن ظهور البدع وانتشارها فيه إماتة للسنة النبوية ، وعرفنا إن البدعة هي عكس السنة ومعلوم للجميع أن السنة هي نور وهداية للبشر ، فتكون البدع هدفها إضلال البشر عن نور الحق الذي أنزله الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾[النحل : 24 ، 25]. فليحملوا أوزارهم وأوزار من اتبعوهم ووافقوهم على ما هم عليه من ضلال وبدع [1]. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام : 116]. "وعلة ضلال الناس إتباعهم لأهوائهم بغير علم وبانصرافهم عن الهدى بالاسترسال في إتباع الهوى" [2]. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سبأ : 20].

فبانتشار البدع ينتشر الجهل والتي يترتب عليها إضلال المجتمع المسلم والدليل على ذلك ما يروي عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللَّهَ لَا**

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 565).

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لجابر موسى عبد القادر جابر أبو بكر الجزائري (4 / 176).

يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ) [(1)].

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ﷺ قال كَانَ: النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ **(دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)** [(2)].

2- إتباع الأهواء والشهوات:

لقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يتبعون الأهواء ويعرضون عن الحق الذي جاء به الشرع لما فيه من الانحراف عن الفطرة السليمة التي خلق الله البشر عليها. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة : 49]. وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾ [الأنعام : 150]. وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [ص : 26]. فالآيات تدل على وجوب الابتعاد عن من اتبع هواه وشغلته الدنيا بأعماله وأفعاله عن عبادة الله عز وجل وعن سنة رسوله ﷺ [(3)]. قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [الفرقان : 43].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " البدعة جهل وظلم ، وفيها إتباع الظن وما تهوى الأنفس معنى الضلال والغي والرشد" [(4)].

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فقال:

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (9 / 100) رقم 7307.

(2) صحيح البخاري:كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (9 / 51) رقم 7084.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (5 / 145).

(4) الزهد والورع والعبادة : تحقيق: حماد سلامة ، محمد عويضة ، مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة: الأولى ، 1407هـ (1 / 9).

(إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أمتي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ) [1].

3- هدم عُرى الإسلام والتقول على الله بغير علم:

البدع تهدم الإسلام من الداخل وتحقق ما لم يحققه أعداء الله بالسيف والحرب ، فصاحب البدعة يظهر بدعته على إنها من سنة الرسول ﷺ وإنها وحي من الله عز وجل ، فهو بذلك ينقض ويهدم عرى الإسلام ويتقول على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ ، فقد أوجب الرسول ﷺ لمن تقول عليه ﷺ الكذب بعذاب جهنم. عن أَنَسٌ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)**[2].

يقول الفضيل ابن عياض رحمه الله: "من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن زوج كريمته لصاحب بدعة فقد قطع رحمها ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا"[3]. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ ﷺ : **(سَيَكُونُ في آخر أُمَّتي أُناسٌ يحدِّثونَكُم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيَّاكم وإيَّاهم)**[4].

يحذر الرسول ﷺ في الحديث من أُناس يحدثون بما ابتدعوا من الضلالات والخلافات ، لم ترد عن صدر الأمة. وقد حرم الله عز وجل التقول عليه بغير علم ، كالابتداع في الدين وإتباع الهوى.قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : 169]. فقد جعل الله التقول عليه بغير علم من باب الشرك والوقوع في الفحشاء [5].

4- الانسلاخ عن الجماعة وتمزق وحدة الصف الإسلامي:

أصحاب البدع يمزقون وحدة الصف الإسلامي ، وينسلخون عن جماعة المسلمين ببدعتهم ومخالفتهم منهج القرآن والسنة ، فصاحب البدعة يشق جماعة المسلمين لأنه يعتمد على رغباته وشهواته ، ومن الأدلة على ذلك.

---

(1) سنن أبى داود:كتاب السنة ، باب شرح السنة (4 / 324) رقم 4599 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 441) رقم 4406.

(2) صحيح البخاري: كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (1 / 33) رقم 108.

(3) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (11 / 600).

(4) صحيح مسلم: المقدمة ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (1 / 12) رقم 6.

(5) انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: للشوكاني (1 / 393).

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الأنعام : 159]. وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : 153]. وقال تعالى: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم:32]. وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 105].

5- إماتة السنة النبوية والابتعاد عن الحق وأهله:

فإذا أُميتت سنة من سنن الرسول ﷺ ظهرت بدلاً منها بدعة. وكذلك الابتعاد عن الحق وأهله هو من أهم آثار ظهور البدع.

عن حسان بن عطية [1] قال: " **ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة** " [2].

6- استباحة الأعراض والأموال والأنفس:

فأصحاب البدع يستبيحون الأعراض والأموال والأنفس للدفاع عن بدعتهم ، فكل من خالفهم مستباح الدم والمال والعرض.

7- حبوط العمل.

إذا كانت البدعة مخافة للسنة ، وكانت السنة تنمي للعبد المسلم أجرة وتدخل الملتزم بها الجنة ، فمن المسلمات أن أصحاب البدع تحبط أعملهم ، فلا يقبل من صاحب بدعه يتقرب ببدعته إلى الله بدعته.حتى أن من ينشر البدع يحمل وزر من فعل تلك البدعة .

عن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ :**(فَمَنْ سَنَّ فِي الإِسلامِ سنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ،مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهمْ**

---

(1) تابعي من أهل الشام ، ثقة عابد فقيه من أعلم أهل زمانه مات سنة مائة وعشرون ، انظر: الثقات: لابن حبان (6 /223) تقريب التهذيب: لابن حجر (1 / 158) .

(2) سنن الدارمي: للدارمي: تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبح العلمي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة : الأولى ، 1407 هـ ، باب اتباع السنة (1 / 231) رقم 95 ، وقال الألباني :(صحيح) مشكاة المصابيح (1 / 41) رقم 188.

شَيءٌ،وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزْرُهَا ، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ) (1).

8- مرض القلوب وقسوته:

أصحاب البدع مصابون بمرض قلوبهم وقسوته لابتعادهم عن سنه رسوله ﷺ وما جاء به من الحق.

نخلص مما تقدم: أكبر خطر يداهم الإسلام والمسلمين هي البدع لما تحدثه من آثار سيئة سواء على صعيد الفرد أو على صعيد المجتمع ، فالبدعة تظهر للناس على أنها سنة فبذالك تموت السنة فيُضل المجتمع ويعيش وسط خرافات يعتقد أنها تقربه من الله عز وجل ، فهي بذلك تبعد العبد عن الصراط المستقيم الذي بينه الرسول ﷺ ، ولما للبدعة من خطر فقد حجب الله التوبة عن صاحب التوبة إن لم يدع بدعته. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ حتى يدع بدعته)** (2).

9- كثرة الجدل والخصومة:

فأهل البدع يكثرون من الجدل والخصومة في الدفاع عن بدعتهم ونشرها بين الناس ، فجدلهم قائم على الأهواء وتقديم العقل على نصوص الكتاب والسنة ، لذلك فقد حرم الشرع الجدل المذموم القائم على الخداع .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن الله تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً ، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً : فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وإِضَاعَةَ المَالِ)** (3).

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (2 / 705) رقم 1017.

(2) المعجم الأوسط: للطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة ، 1415هـ (4 / 281) رقم 4202 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 12) رقم 54.

(3) صحيح مسلم: كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه 3 / 1340) رقم 1715.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف : 58] [(1)].

10- اتباع المتشابه:

اعتمد أصحب البدع في نشر بدعتهم بين الناس على النصوص المتشابهة في بدعتهم وانحرافهم ، فقد حملوا النصوص فوق ما تطيق ، واعتمدوا على النصوص المتشابهة دون المُحكَمَة ، لأن النصوص المُحكَمَة عرف معنى النص ، والمراد منه ، أما المتشابه فهو ما استأثر الله بعلمه.

فالآيات المحكمة هي التي فيها عصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، وليس فيها تحريف ، أما المتشابهات لهن تحريف وتأويل ابتلي الله فيهن عباده [(2)]. قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران : 7].

ونخلص مما سبق: أن للبدع آثار سيئة على أفراد المجتمع الإسلامي ومن هذه الآثار إضلال المجتمعات الإسلامية فتقوم بهدم الإسلام والتقول الله عز وجل بغير علم وتمزق وحده الصف الإسلامي وانسلاخ الناس عن دينهم ، فهم يبعدون الناس عن الحق لذلك نجدهم يكثرون من استخدام الجدل المذموم ويعتمدون على الآيات المتشابهة لنشر بدعتهم وأفكارهم الباطلة.

---

(1) مسند أحمد (36 / 493) رقم 22164 ، قال الألباني: (حسن) الجامع الصغير وزيادته (1 / 1057) رقم 10570.

(2) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (6 / 177).

المطلب الخامس

دور العقيدة في علاج الابتداع

أولاً: التمسك بكتاب الله وإحياء سنة رسوله صلي الله عليه وسلم:

إن أفضل طريق لعلاج الابتداع هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً في العقائد والعبادات والمعاملات وفي جميع الظروف والأحوال.

1- الأدلة علي وجوب التمسك بالكتاب والسنة:

هناك الكثير من الأدلة من التي توجب على المسلم الموحد التمسك بالكتاب والسنة واعتبارهما المصدرين الأساسين لصلاح الإنسان في دنياه وأُخراه. قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الزخرف : 43]. وقال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء : 59]. أي: عليكم أيها المسلمون إتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والأخذ بكل ما ورد بهما ، فما أتاكم الله ورسوله فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل [1].وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾[الحاقة:44، 45]. فكل ما جاء به الرسول ﷺ يجب التمسك به لأنه وحي من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم : 3 ، 4]. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: (**أَيُّهَا النَّاسُ ، إنـي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي** [2] **أَهْلَ بَيْتِي**) [3].

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعياً لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح

ولا تك من قوم تلهو بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 345).

(2) أخص أقاربه ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (15 /521).

(3) سنن الترمذي: كتاب المناقب ، باب مناقب أهل النبي ﷺ (5 / 662) رقم 3786 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 452) رقم 4514.

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا [1].

2- تمسك السلف بالكتاب والسنة والنهي عن مخالفتها:

لقد أيقن الصحابة ﷺ أن التمسك بالكتاب والسنة هو أفضل الطرق وأصحها في علاج البدع."وَكَانَتْ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[2]

عن عُمَرَ بن الخطاب ﷺ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: **(إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)** [3]. وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: **(يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)** [4].

ويقول ابن القيم رحمه الله: ولا يمكن الرد علي أهل الباطل إلا بالتمسك والالتزام ، وإتباع بالسنة النبوية من كل الوجوه ولا يمكن موافقتها من وجه ، ومخالفتها من وجه آخر. فالسنة النبوية هي حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين [5].

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: فِيمَ الرَّمَلاَنُ[6] الْيَوْمَ وَالْكَشْفُ عَنِ الْمَنَاكِبِ وَقَدْ أَطَّأَ [7] اللَّهُ الإِسْلاَمَ وَنَفَى الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ ، مَعَ ذَلِكَ لاَ نَدَعُ شَيْئًا كُنَّا نَفْعَلُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [8].

---

(1) قصيدة ابن أبي داود: لعبد الله بن سليمان الأشعث ، تحقيق : محمود محمد الحداد ، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولي ، 1408 (1 / 26).

(2) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول الله تعالي { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }(9 / 0) رقم 6739 .

(3) صحيح البخاري: كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود (2 / 149) رقم 1597.

(4) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالي { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (9 / 0) رقم 6739.

(5) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الثانية ،الطبعة الثالثة ، 1418 هـ / 1998 م (4 / 1255).

(6) إسراع المشي مع تقارب الخطأ ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (11 / 294).

(7) ثبته وأرساه وأظهره ، انظر: المصدر السابق (11 / 294) .

(8) سنن أبى داود: كتاب المناسك ، باب في الرمل (2 / 118) رقم 1889 ، قال الألباني:(حسن صحيح) صحيح أبي داود ، مؤسسة غراس للتوزيع والنشر – الكويت ، 1423هـ / 2002م (6 / 137) رقم 1649.

وعن ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى{ **اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا** }(**وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ يَعْنِي قَوْلَهُ**) [1].

- أقوال الأئمة الأربعة ﷺ في الأمر بالتمسك بالكتاب بالسنة والنهي عن مخالفتها:

يقول الإمام مالك رحمه الله: " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق السنة من ذلك فاتركوه" [2].

ويقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله:" إذا صح الحديث فهو مذهبي" [3].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: إذا صح الحديث فاضربوا بمذهبي عرض الحائط [4].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: " لا تقلدني ولا مالكاً ولا الثوري ولا الشافعي " [5].

عن زيد بن أرقم ﷺ [6] قَالَ: قَامَ رسول الله ﷺ فِينَا خَطِيباً ، فَحَمِدَ الله ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ:(**أَمَّا بَعْدُ ، أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيب، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَوَّلَهُمَا : كِتَابُ اللهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ ، وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي ، أَذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي**) [7].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب المغازي ، باب قول الله تعالي { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ } (5 / 73) رقم 3952.

(2) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل: لشمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني ، تحقيق: زكريا عميرات ، دار عالم الكتب ، الطبعة: طبعة خاصة 1423هـ/ 2003م (4 / 54).

(3) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار:لابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، 1421هـ / 2000م (1 / 385).

(4) انظر: أسني المطالب في شرح روض الطالب: لزكريا الأنصاري، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة : الأولى ، 1422 هـ / 2000م (2 / 363).

(5) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (6 / 215).

(6) سبق الترجمة له 29.

(7) صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (4 / 1873) رقم 2406.

3- الآثار المترتبة علي التمسك بالكتاب والسنة:-

أ- السعادة في الدنيا والآخرة:

إن مصدر السعادة في الدنيا والآخرة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والالتزام بهما قولاً وعملاً واعتقاداً. فمن أراد إن يجمع السعادة في الدنيا والآخرة ، فعليه بطاعة الرسل وبما جاءوا به من الله [(1)]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : 2 ، 3]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : 4].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)** [(2)].

"إن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وإن أهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه أو علموه وخالفوه واتبعوا غيره" [(3)].

يقول ابن تيمية رحمه الله:"فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وإنما دخل في البدع من قصر في إتباع الأنبياء علماً وعملاً " [(4)].

ب- محبة الله عز وجل ورسوله ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : 31].

عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)** [(5)].

---

(1) انظر: بدائع الفوائد: لابن القيم (1 / 75).

(2) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ (9 / 92) رقم 7280.

(3) إغاثة اللهفان: لابن القيم (1 / 25).

(4) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية : تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر ، حمدان محمد ، دار العاصم – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ (5 / 445).

(5) صحيح البخاري:كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (1 / 12) رقم 16.

وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ [1] قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: **(لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَر)** [2]. قال تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : 54].

ج- الابتعاد عن الانحراف والبدع والضلال:

التمسك بالكتاب والسنة يحمي المسلم من الانحراف والضلال والوقوع في البدع والخرافات لما فيهما من النور والسعادة والهداية لحياة البشرية. قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** ﴾ [طه : 123]. وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة : 38]. ونهى الله عز وجل عن إتباع أهواء الكافرين وأصحاب البدع والظالمين. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة : 48].وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ** ﴾ [الشورى : 15].

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:**(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِه)** [3]. قال تعالى: ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ [يونس : 32].وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون** ﴾ [يونس : 35].

---

(1) عبد الله بن هشام بن زهرة بن عمرو بن كعب القرشي التميمي، له صحبة ولأبية ، سكن المدينة المنورة، ولد سنة أربع هجري ، عاش إلي خلافة معوية ﷺ ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 255).

(2) صحيح البخاري:كتاب القدر ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (8 / 129) رقم 6632.

(3) صحيح البخاري:كتاب العلم ، باب فضل من عَلِمَ وَعَلَّمَ (1 / 27) رقم 79.

د- التحرر من الخوف والوهن:

فالمسلم عندما يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتحرر من الخوف والوهن لاعتقاده الاعتقاد الجازم أن حياته ومماته بيد الله لا يستطيع الإنس والجن نفعه ولا ضره بشي ما لم يرده الله. قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ [1] لِابْنِهِ يَا بني: **(إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شيء حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. يَا بني إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّى)** [2].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت : 30].وقال تعالى:﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ**﴾[آل عمران : 175]. وقال تعالى: ﴿ **وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [البقرة : 40].

هـ- الشعور بعزة الإسلام والمسلمين:

هذا المفهوم رسخ في نفوس الصحابة ﷺ رسوخ الجبال فكان المسلم معتزاً بالإسلام والمسلمين.قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾ [فاطر : 10]. وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون : 8].

ويُبرز ربعي بن عامر ﷺ عزة الإسلام والمسلمين عندما دخل على رستم رأس الكفر"دخل ربعي بثياب صفيقة ، وسيف ، وترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له: ما جاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن

---

(1) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي الأنصاري ، يكني أبو الوليد ، كان من أحد النقباء يوم بيعة العقبة، شهد بدر والمشاهد كلها، ممن جمع القرآن عهد الرسول ﷺ ، قام بفلسطين ومات ببيت المقدس، عاش حتي سنة خمس وأربعين هجري ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 624-626).

(2) سنن أبى داود: كتاب الصلاة ، باب في القدر (4 / 362) رقم 4702 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة (5 / 566) رقم 2439.

ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله ؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي [1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أما إن نبيكم ﷺ قَالَ: **(إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)** [2]. قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 139].

ومن عزة عمر بن الخطاب ﷺ بالإسلام الذي ينتمي إليه كان مستعلياً بدينه متواضعاً لم تشغله الدنيا وزينتها. عن طارق بن شهاب ﷺ[3] قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة [4] وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر: أوه لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ **إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** [5]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 8].

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تغيير المنكرات التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم ، وعلى رأسها انتشار البدع لا بد له من قوة تحد من زحف البدع وانتشارها. ولما استفحلت البدع في مظاهر الحياة كان لا بد من التصدي لها وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفق القرآن والسنة.

---

(1) البداية والنهاية : لابن كثير، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة :الأولي ، 1408هـ /1988م (7 / 46 - 46).

(2) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة المعوذتين (1 / 559) رقم 817 .

(3) طارق بن شهاب ابن عبد شمس بن سلمه الأحمسي البجلي الكوفي، أبو عبد الله رأى النبي ﷺ لكن لم يسمع منه ،غزا في خلافة أبي بكر ﷺ روى عن عمر بن الحطاب ﷺ ، أخو كثير بن شهاب مات ﷺ سنة ثلاث وثمانين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 510).

(4) المشي في الماء ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (7 /147).

(5) المستدرك على الصحيحين:لأبي عبد الله النيسابوري-مذيل تلخيص الذهبي ، دار المعرفة – بيروت – لبنان (1 / 61- 62) رقم 207 قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة (1 / 117) رقم 51.

فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحيا السنن وتموت البدع ، ويضعف أهل الباطل والأهواء."فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة" [(1)].

قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : 104]. وقال تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ [آل عمران : 110].

عن ابن مسعود ﷺ ، أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّة قَبْلِي إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأخُذُونَ بِسنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ[(2)] يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل).**[(3)] وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قال : **(الإِسْلَامُ ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ).**[(4)] وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)** [(5)]. وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب كما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يقول: **(مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ).**[(6)]

وإن إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لدمار المجتمع ونشر البدع والضلال.

---

(1) الاستقامة: لابن تيمية (1 / 41).

(2) كل من يجئ بعد من مضي ، انظر : لسان العرب: لابن منظور (9 / 82).

(3) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (1 / 69) رقم 50.

(4) شعب الإيمان: للبيهقي ، باب وجوب الأمر بالمعروف (10 / 69) رقم 7179 ، قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 181) رقم 741.

(5) سنن الترمذي:كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4 / 468) قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 286) رقم 2313.

(6) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (1 / 69) رقم 49.

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ [1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)** [2].

ثالثاً: إحياء السنة وتطبيقها في المجتمع.

إن التمسك بالسنة النبوية وإحيائها وتطبيقها في أوساط المجتمعات تطبيقاً سلوكياً عملياً في جميع مناحي الحياة حتماً سيميت البدع ، فبنشر السنة وإحيائها وتطبيقها ستدفن البدع وتزول ، فتطبيق السنة يجعل البدعة أمراً منكراً في المجتمع ، فعندها ينفر الناس من تلك البدع.ولنشر السنة وتطبيقها بين المجتمعات لا بد من تعريفها لهم ، فالسنة هي: ما ورد عن النبي ﷺ من قول ، أو عمل ، أو تقرير ، أو صفة خُلُقية ، أو صفة خلقية ، سواء كان قبل البعثة ، أو بعدها [3]. ويعرفها ابن تيمية رحمه الله فيقول : تطلق السنة مقابل البدعة [4].

والسنة تطلق ويراد بها عمل الصحابة ، لا سيما عند الإتفاق لحديث الرسول ﷺ **(فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** [5].

فإحياء السنة يكون بالتأسي بالرسول ﷺ وتطبيق سنته ، التطبيق الذي يشمل كافه جوانب الدين من اعتقادات ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق وآداب ،ونظم اجتماعية ، وإدارية وسياسية شرعية.

---

(1) سبق الترجمة له ص 115.

(2) صحيح البخاري:كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستفهام فيه (3 / 139) رقم 2493

(3) انظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر: لطاهر بن صالح الجزائري ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة ص 2.

(4) انظر: منهاج السنة النبوية (8 / 105).

(5) سنن أبى داود: كتاب السنة ، باب في لُزُومِ السُّنَّةِ. (4 / 329) رقم 4609 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 432) رقم 4314.

ومما يعين على تطبيق السنة ونشرعها وبيانها وتعليمها للناس . قال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران : 187].

عن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني حدثني أبي عن جدي : أن رسول الله ﷺ قال:(**من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا . ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا**) [(1)]. أي: علمها وعمل بها ونشرها بين الناس وحث على متابعتها وحذر من مخالفتها [(2)].

رابعاً: القضاء على أسباب البدع:

يبرز دور العقيدة في علاج البدع ومحاربتها القضاء على أسباب البدع وبيانها للناس لتجنبها والحذر منها ، وقبل أن نتكلم عن القضاء على أسباب يجب معرفة أسباب البدع لمعرفة علاجها عن طريق الأسباب ومن أهم هذه الأسباب:-

1- الجهل المنتشر بين أفراد المجتمع ، ونقصد بالجهل جهل الأفراد بنصوص الكتاب والسنة. فلا يقوم البدع إلا العلم والعلماء ، فإذا فقد العلم والعلماء انتشر الجهل الذي يتيح انتشار البدع.

عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**) [(3)].

2- اتباع الأهواء: قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[القصص: 50].

3- الغلو والتنطع: سواء كان في العبادات ، أو المعاملات ، أو العادات.

---

(1) سنن ابن ماجه: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب من أحيا سنة قد أميتت (1 / 76) رقم 209 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح ابن ماجة (1 / 41) رقم 173.

(2)انظر: فيض القدير: للمناوي (2 / 12).

(3) صحيح البخاري: كتاب العلم ، بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ (1 / 32) رقم 100.

4- الإعجاب بالنفس والتعصب للآراء: قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [فاطر : 8].

5- التشبه بالكفار: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ الليثي أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ قَالَ وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ قَالَ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ **اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون**﴾ [الأعراف : 138].[1].

6- الإعراض عن تعلم الحق: قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُون**﴾ [البقرة : 170].

و يمكن القضاء على تلك الأسباب وذلك من خلال:-

1- "منع العامة من القول في الدين ، وعدم اعتبار آرائهم مهما كانت مناصبهم فيه .

2- الرد على ما يوجه إلى الدين من حملات ظاهرة أو خفية ، وكشف مظاهر الابتداع ، وتسليط الضوء عليها من القرآن والسنة لمنعها من التغلغل والانتشار .

3- الاحتراز من كل خروج عن حدود السنة مهما قلّ أثره أو صغر أمره .

4- صدّ تيارات الفكر العقائدي والتي لا حاجة للمسلم فيها ،بل وردّ النصّ بالتحذير منها ،كآراء غير المسلمين فيها يتصل بالعقيدة ، أو الأمور الغيبة ونحوها.

5- الاعتماد على الكتاب والسنة فقط في أمور العقيدة التي لا مجال للاجتهاد والاستحسان والقياس فيها . وعدم الاعتماد على ما يعده بعض أهل الضلال مستنداً كالعقل ونحوه . وما هو أوهى من ذلك كالمنامات ونحوها

- ترك الخوض في المتشابه ؛ لأن الخوض فيه علامة على أهل الزيغ والبدع . وسبب كل بلاء ومصيبة دخلت على المسلمين" [2].

(1) مسند أحمد (36 / 225) رقم 21897 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 174) رقم 5408.

(2) البدع الحولية: لعبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري (1 / 499).

المبحث الخامس

التوسل المذموم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوسل.

المطلب الثاني: أدلة التوسل من القرآن والسنة.

المطلب الثالث: التوسل البدعي وأنواعه .

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على التوسل البدعي.

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج التوسل المذموم.

المطلب الأول

تعريف التوسل

تعريف التوسل لغة:

للتوسل معاني متعددة في اللغة منها: الوسيلة: هي الدرجة والمنزلة والقربة عند الملك. وقيل: أن الوسيلة ما يتقرب به من الله تعالى ، فنقول: وسل فلان إلي الله أي تقرب واستقام إليه بعمل [1].

والواسل: هو الراغب إلى الله

والتَّوَسُّل: هي السرقة يقال: أخد فلان إبلي توسلاً ، أي سرقة.

وقيل: هي منزلة من منازل الجنة [2]. ويدل عليهما روي عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(إِذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أكونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ الله لِى الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)**[3].

وقيل: شئ واسل أي واجب [4].

فيحمل التوسل العديد من المعاني وهي:

1- التوصل إلى الشئ.

2- التقرب إلى الله عز وجل .

3- المنزلة عند الملك.

4- الدرجة والقربة.

---

(1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (31 / 75).

(2) انظر: لسان العرب: لابن منظور (11 / 724).

(3) صحيح مسلم:كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعة ثم يصلي علي النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة (1 / 288) رقم 384.

(4) انظر: النهاية في غريب الأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (5 / 402).

5- السرقة.

6- منزلة من منازل الجنة .

7- الواجب.

التوسل في الاصطلاح:

عرفه ابن تيمية رحمه الله: التوجه إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة[1].

وعرفها ابن القيم رحمه الله: إتباع الرسول ﷺ وطاعته والتقرب إلى الله عز وجل بأحب الأشياء إليه من أسمائه وصفاته [2].

وتم تعريفه: هو التقرب إلى الله بكل عمل يدفع لفعل الطاعات وترك المنكرات [3].

نخلص مما تقدم: أن التوسل: هو التقرب إلى الله عز وجل بكل ما يحب ويرضي وتجنب ما نهي عنه. قال تعالى:﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[آل عمران : 53].

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (1 / 415).

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م (4 / 201) .

(3) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: لشمس الدين الأفغاني (3 / 1447) .

المطلب الثاني

أدلة التوسل من القرآن والسنة

الناظر إلى القرآن والسنة يجد أن هناك الكثير من الأدلة التي تحث العبد المسلم على التقرب إلى الله بصالح الأعمال والابتعاد عن كل ما يغضب الله ، وتنهاه عن التقرب لغيره بشيء من خصائصه عز وجل ، ومن أدلة التوسل من القرآن الكريم والسنة النبوية: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة : 35]. يخاطب الله عز وجل في هذه الآية عباده أن يتقربوا إليه بكل ما يرضيه من الطاعات ، وأن يتجنبوا فعل المعاصي والسيئات [1]. قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء : 57] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: ابتغاء الوسيلة إليه هو ما يتوسل به ويتقرب إليه سبحانه وتعالي على وجه العبادة والطاعة والامتثال لأمره سواء على وجه السؤال له والإستعانة به لجلب منفعة ودفع ضرر [2].

فقد فهم الصحابة رضي الله عنهم التوسل المشروع وميزوا بينه وبين التوسل البدعي المحرم ومن الأدلة الواردة من السنة على مشرعيه التوسل ما يرويه أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: **(اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ)** [3].

توسل الصحابة رضي الله عنهم بالعباس توسل بما شرعة الله لهم وهي التوسل بالأعمال الصالحة ،والتوسل بدعاء الرجل الصالح ، فهذا التوسل هو أصل الدين ، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين [4].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (10 / 290)، تفسير النسفي:لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق: مروان محمد الشعار ، دار النفائس – بيروت ، 2005م (1 / 265).
(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (1 / 411).
(3) صحيح البخاري:كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي ﷺ (2 / 27) رقم 1010 .
(4) انظر: مجموع الفتاوى (1 / 201).

وكذلك من الأدلة الواردة على مشرعيه التوسل المشروع ما رواه عثمان بن حنيف ﷺ[1]: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ، فقال: ادعُ اللهَ أَن يُعَافِيَني، فقال: **(إن شِئْتَ دعوتُ ، وإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ ، فهو خَيرٌ لك ، قال : فادعُهُ ، قال : فأَمرهُ أن يتوضأَ فَيُحْسِنَ الوُضوءَ ، ويدْعوَ بهذا الدعاء: اللَّهمَّ إِني أسألُك وأتَوَجه إليك بِنَبِيِّكَ محمدٍ : نبي الرحمة ، إني توَّجهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقْضى لي ، اللَّهم فَشَفِّعْهُ في)** [2].

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بريده [3] عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ:**(اللَّهُمَّ أنى أَسْأَلُكَ أَنِّى أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالاِسْمِ الذي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دعي بِهِ أَجَابَ).** [4]

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ:**(يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ ، وَلَا قَزَعَةً [5] وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ قَالَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا)** [6].

---

(1) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي ، يكني أبا عبد الله ، أخو سهل بن حنيف ، كان عامل عمر ﷺ علي العراق ، توفي زمن معاوية ، انظر الثقات: لابن حبان (3 /261).

(2) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة (1 / 441) رقم 1385 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 216) رقم 2159.

(3) عبد الله بن بريده بن الحصيب الاسلمي ، ولد في عهد عمر لثلاث سنين خلون ، كان عبد الله قاضيا يروي عن سمره وعمران بن حصين وأبيه ، روى عنه الناس مات سنة خمس عشره ومائه ، انظر: الثقات: لابن حبان (5 / 16).

(4) سنن أبى داود: كتاب الصلاة ، باب الدعاء (1 / 554) رقم 1495 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة – (9 / 197) رقم 3411.

(5) قطعه من الغيم ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (22 / 5).

(6) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء ، باب تحويل الرداء في الاستسقاء (2 / 28) رقم 1013

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إذا كَرَبه أَمر قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)** [1].

وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : **(إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا ، فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)**[2].

نلاحظ في الدليل الأول أن عمرﷺ قال: كنا نتوسل بدعاء رسولك ﷺ فتسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعم رسولنا ﷺ فيسقون. وإن في باقي الأدلة كان الصحابة ﷺ يأتون للرسول ﷺ يتوسلون إلى الله بدعاء ﷺ ، أو بأسماء الله وصفاته وهذا واضح من خلال الأدلة السابقة. وعليه فالتوسل المشروع الوارد في القرآن والسنة و التوسل بأسماء الله وصفاته عز وجل ، أو التوسل بدعاء رجل صالح ، أو التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

---

(1) سنن الترمذي : كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ ، باب 92 (5 / 539) رقم 3524 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 891) رقم 8908 .

(2) سنن أبى داود: كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم (4 / 472) رقم 5052 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 41) رقم 408 .

المطلب الثالث

التوسل البدعي وأنواعه

التوسل البدعي: هو التوجه إلى الله عز وجل بالأعمال لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من السلف الصالح ﷺ .

أنواع التوسل البدعي:

هناك العديد من أنواع التوسل المذموم التي يقع فيه بعض المسلمين اليوم لجهلهم بها وعدم معرفتهم بها وهي التي تشكل الخطر على عقيدة المسلم ، ومن هذه الأنواع:-

1- التوسل إلي الله بذوات المخلوقين:

أ- المجوزين بالتوسل بالذوات:

ذهب بعض مما انحرفت عقيدتهم السليمة مثل الصوفية إلي جواز التوسل بذوات الأنبياء والأولياء الصالحين ، واعتقدوا أنها تقربهم إلى الله عز وجل ، واستدلوا بعديد من الأدلة جميعها ضعيفة وموضوعة لا أصل لها منها:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **(من خرج مِنْ بيته إلى الصلاة، فقال: اللَّهمَّ إني أسألُكَ بحق السائلين عليك، وبحق خروجي إليك ، إنك تعلم أنه لم يُخرِجني أَشَرٌ ولا بَطَرٌ** [1] **، ولا سُمْعَةٌ ، ولا رِياءٌ ، خَرجتُ هَرَبا وفِرَارا مِنْ ذُنُوبي إليك ، خرجتُ رجاءَ رحمتك، وشَفَقا من عذابك ، خرجتُ اتِّقَاءَ سخطك ، وابتغاءَ مرضاتك ، أَسألك أن تُنْقِذَني من النار برحمتك، وكَّلَ الله به سبعين ألف مَلَك يستغفرون اللهَ له ، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفْرُغَ من صلاته)** [2].

"اعلم أنه لا حق لأحد في الحقيقة على الله تعالى ، ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة وإنما هو رأي المعتزلة ألا أن له معنيين أحدهما اللزوم والثاني الالتزام فالأول كما قلنا والثاني

---

(1) يجعل الحق الذي جاء به الله من توحيد وعباده باطلاً ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (4 / 68).

(2) سنن ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلي الصلاة (1 / 256) رقم 778 ، قال الألباني: (ضعيف) السلسة الضعيفة ، مكتبة المعارف - الرياض (1 / 82) رقم 24 .



تفضل منه وإحسان حيث التزم لنا بأعمالنا ما لسنا أهلا لذلك فهو الجواد والمنعم يفضل على عباده بما يشاء" [1].

والصواب أن للعباد على الله حقوق وهي التي أحقها الله على نفسه ، فلا يوجب على الله إلا ما أوجبه الله على نفسه ، وكذلك يمكن إبطال من زعم أنه ليس للعباد على الله حق في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: 47] .وحديث الذي يرويه مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ. قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: أَلا يُعَذِّبَهُمْ)** [2].

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: " فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به، لأن السبب هو ما نصبه الله سببا"[3].

واستدلوا كذلك بجواز التوسل بالذوات بالحديث الضعيف الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لما أذنب آدم الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال: **(أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولا هو يا آدم ما خلقتك)**[4].

ويستندون كذلك على جواز التوسل بالجاه والذات على حديث يرويه بعض الجهال .

---

(1) شرح سنن ابن ماجه: للسيوطي – عبد الباقي – فخر الدين الدهلوي ، قديمي كتب خانه – مراكش (1 / 57).

(2) صحيح البخاري:كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلي توحيد الله تبارك وتعالى (9 / 114) رقم 7373.

(3) شرح الطحاوية – ط دار السلام – (1 / 236).

(4) المعجم الأوسط : للطبراني (6 / 313) رقم 6502. قال الألباني :(موضوع) السلسة الضعيفة ، مكتبة المعارف – الرياض (1 / 88) رقم 25.

(إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِجَاهِي ، فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " هذا حديث كذب موضوع لم يروه أحد من أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة في الدين ؛ فإن كان للميت فضيلة فرسول الله ﷺ أولى بكل فضيلة وأصحابُهُ من بعده . وإن كان منفعة للحي والميت فأصحابه أحق الناس انتفاعاً به حياً وميتاً . فعلم أن هذا من الضلال" [2].

فالتوسل بذوات الأنبياء وغيرهم لا يجوز ولم يقل به أحد من صدر الأمة ﷺ ، لكن يكون التوسل بدعاء الأنبياء وشفاعتهم والإيمان بهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوسل بذوات الأنبياء والسؤال بهم هذا توسل باطل لا أصل له في الشرع ولا في العقل ، أما التوسل بطاعتهم وبالإيمان بهم وبشفاعتهم فهو التوسل المشروع الذي كان عليه صدر الأمة [3].

ب- المانعين بالتوسل بالذوات:

التوسل بذوات المخلوقين منهي عنه فهو توسل مخالف للشرع سواء كان بذات الأنبياء أو بذوات الأولياء الصالحين سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم ،كأن يقول اللهم إني أسالك بذات نبيك محمد ﷺ أن ترزقني وترفع عني البلاء.

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوسل بذات الرسول ﷺ توسل بدعي مرفوض مخالف للشرع فهذا التوسل الذي لم تكن تعرفه الصحابة ﷺ لا في حياته ﷺ ولا حتى بعد مماته ﷺ سواء عند قبره ، أو عند قبر غيره [4].

فقد فهم الصحابة ﷺ ذلك لذلك نجد عمر بن الخطاب ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ يقول: **(اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ)** [5].

---

(1) السلسة الضعيفة- مكتبة المعارف – الرياض ، قال الألباني: (لا أصل له) (1 / 76) رقم 22 .

(2) مجموع الفتاوى (27 / 126) .

(3) انظر: الرد على البكري (1 / 186 – 187).

(4) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان – عجمان ، الطبعة: الأولى ، 1422هـ / 2001م (2 / 87) .

(5) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي ﷺ (2 / 27) رقم 1010 .

فعمر ﷺ كان يستسقي بعد وفاة رسول الله ﷺ بدعاء عم رسول الله ﷺ لا كما يعتقد البعض أنه كان يستسقي بذات العباس عم الرسول ﷺ ، فلو جاز التوسل بالذات لكان توسل عمر بذات النبي ﷺ أولي وأفضل.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله: " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر ، والمهاجرون ، والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس"[1].

والفعل الذي قام به عمر بن الخطاب من التوسل بدعاء النبي ﷺ ودعاء العباس ﷺ فعله معاوية بوجود الصحابة ﷺ والتابعين فتوسلوا بيزيد بن الأسود الجُرشيِّ ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ولا التابعين ولو كان فيه مخالفة للشرع لأنكر صحابة رسول الله ﷺ فعله [2].

2- **التوسل إلى الله بالقبور والمقبورين:**

إن من شر أنواع التوسل اليوم هو التوسل بالقبور والمقبورين ، فهى بدعة لم ترد زمن الرسول ﷺ ولا زمن السلف الصالح. فقد فهم الصحابة ﷺ أن هذا باب من أبواب الشرك الذي نهى رب العالمين عنه.

يقول ابن تيمية رحمه الله: لم يتوسل أحد من الصحابة ﷺ برسول الله ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ولا الصالحين سواء عند قبورهم أو قبر غيره ، فقد كانوا يحاربون كل من فعل ذلك[3].

فالتوسل بالقبور في الوقت الحاضر أخذ عدة صور ، وأشكال الإسلام منها براء.فمن الناس من يطلب من الميت أن يغفر الله له ، أو طلب الرزق ، أو المال ، أو الولد ، أو أن يشفي مريضه ، أو شئ من أمور الدنيا والآخرة ، ومنهم من يتبرك ويتمسح بهم تقرباً إلى الله

(1) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (2 / 123) ، قال الألباني :(ضعيف) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1235) رقم 12346.
(2) انظر: المصدر السابق (2 / 127) .
(3) انظر: المصدر السابق (1 / 448).

عز وجل كما كان يفعل أهل الشرك في التقرب للأصنام ، واعتقادها أنها واسطة تقربهم إلى الله . قال تعالى: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر : 3] .

فلو جاز التوسل بالقبور والمقبورين لتوسل عمر بن الخطاب ﷺ برسول الله ﷺ بعد وفاته بدلاً من التوسل بدعاء العباس ﷺ عم الرسول ﷺ . ولو جاز التوسل بأصحاب القبور وجعلهم واسطة تقربنا إلى الله عز وجل لما قال تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : 186] .

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ [1] النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا غلام (**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**) [2].

فهناك العديد من الأدلة التي تنهي المسلم الموحد عن التوسل بالقبور ، والتبرك بها حتى ولو قبر الرسول ﷺ وقبور الصالحين والأولياء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: (**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) [3]. الحديث ينهى المسلمون من صنيع الأمم السابقة من المشركين الذين اتخذوا قبور أنبيائهم قبلة يسجدون إليها ويعتكفون حولها ويعظموها تقرباً لله عز وجل.

فالرسول ﷺ يخبر الصحابة ﷺ أن هذا الصنيع شرك أكبر مخرج من الملة لا يرضاه الله ولا رسوله ﷺ [4].

---

(1) راكب خلف الرسول ﷺ علي الدابة ، انظر: المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر . محمد النجار (1 / 339).

(2) مسند أحمد (5 / 18) رقم 2803 . قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1392) رقم 13917.

(3) مسند أحمد (12 / 314) رقم 7358 ، قال الألباني : (صحيح) فقه السيرة: للغزالي ، تحقيق: الألباني ، دار القلم – دمشق ، الطبعة: السابعة 1998 (1 / 53) رقم 53.

(4) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للقرطبي ، تحقيق : مصطفي أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبه (5 / 45).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ **(لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)** (1). لعن الرسول اليهود والنصارى في الحديث لما كان يصدر منهم من التوسل بقبور الأنبياء والسجود علي مقابرهم والتوجه إلى قبورهم وقت الصلاة (2).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "يحرم أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين: ادع الله لي ، أو ادع لنا ربك ، أو اسأل الله لنا ، كما تقول النصارى لمريم وغيرها" (3).

يقول الإمام الطحاوى رحمه الله: "وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقا. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الروم: 47]...... فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي: "بحق السائلين عليك" وبين قوله: "بحق نبيك" أو نحو ذلك؟ فالجواب: أن معنى قوله: "بحق السائلين عليك" أنك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان، فإن فلانا وإن كان له حق على الله بوعده الصادق، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء! وقد قال تعالى: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** [الأعراف: 55]......... وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية. والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما (2 / 102) رقم1390.

(2) انظر :مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لمحمد عبد الله التبريزي ، تحقيق: جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولي ، 1422هـ / 2001 م (3 / 193).

(3) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (2 / 316).

الهوى والابتداع. وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضا؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟![1]. وقد قال ﷺ :**(من حلف بغير الله فقد أشرك)** [2].

3 – الإقسام على الله تعالي بالمتوسل به من الأولياء والصالحين:

والإقسام على الله كأن يقول القائل: أسألك بحق فلان ، أو فلان أن تدخلني الجنة ، وأن تغفر لي ذنبي سواء بحق الأنبياء أو الصالحين ، أو أن يقسم عليه أن لا يفعل فكل هذا من البدع المحدثة التي لم ترد عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

الإقسام على الله يكون على قسمين:-

أولاً: الإقسام المشروع: وهو نوعين وهما:-

أ- أن يقسم علي ما أخبر الله ورسوله ﷺ من نفي أو إثبات فهذا لا بأس به كأن يقال: والله ليشفعن الله نبيه ﷺ يوم القيامة ، والله ليدخلن الكافر النار.

ب- أن يقسم على الله بحسن ظنه بربه فهذا جائز.

عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنهما **(أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ فَأَبَوْا فَعَرَضُوا الْأَرْشَ[3] فَأَبَوْا فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَوْا إِلَّا الْقِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ)** [4].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية – ط دار السلام – (1 / 236- 237).

(2) سنن أبى داود: كتاب الإيمان والنذور ، باب كراهية الحلف بالآباء (3 / 217) رقم 3253 ، قال الألباني: (صحيح)صحيح الجامع الصغير وزيادته (1 / 1115) رقم 11149.

(3) مال يدفع علي بعض الجراحات كقطع اليد أو الأذن وغيرها وهي دون الدية .انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (17 /194) .

(4) صحيح البخاري: كتاب الصلح ، بَاب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ إِلَى قَوْلِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (6 / 24) رقم 4500.

ثانياً: الإقسام الغير مشروع:

وهو أن يقسم العبد على الله وهو معجب بنفسه ، ويسيء الظن بربه فهذا محرم منهي عنه [1]. عن جُندب بن عبدِ الله ﷺ [2] قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : قَالَ رَجُلٌ :**(وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ ! فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ)**[3] فالإقسام على الله بمخلوق من المخلوقات محرم ولو كان المخلوق أقربهم لله [4].

" وكره أبو حنيفة أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام، ونحو ذلك " [5]. قال تعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : 74] . فالواجب على المسلم إذا أراد أن يقسم أن يقسم لا على الأنبياء ولا الصالحين.عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)** [6].

---

(1) أنظر: القول المفيد علي كتاب التوحيد : لابن عثيمين ، ترتيب : سليمان عبد الله محمود أبا الخيل ، خالد علي محمد المشيقح ، دار العاصمة ، الطبعة: الأولي 1415هـ (2 / 261).

(2) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ، وقد ينسب إلى جدة فيقال: جندب بن سفيان ، سكن الكوفة ، ثم البصرة ، أهل البصرة يقولون عنه جندب بن عبد الله ، وأهل الكوفة يقولون جندب بن سفيان ، روي عنه أهل مصر ، وأهل الشام ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 509).

(3) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى (4 / 2023) رقم 39.

(4) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية: لعلماء نجد من عصر محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة: السادسة ، 1417هـ / 1996م (3 / 186).

(5) التوسل أنواعه وأحكامه: للألباني ، تحقيق: محمد عيد العباسي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة (1 / 37).

(6) صحيح البخاري: فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب أيام الجاهلية (5 / 42) رقم3836.

المطلب الرابع

الآثار المترتبة على التوسل البدعي

عرفنا فيما سبق أن الشريعة الإسلامية نهت المسلم عن استخدام التوسل المذموم لما فيه من الخطر في الدنيا والآخرة.

ومن أهم هذه الآثار على الفرد والمجتمع:-

1- الوقوع في الشرك والكفر:

التوسل البدعي المحرم يوقع صاحبة في الشرك لأن توسله مخالف لما جاء به الرسولﷺ ومخالف لنصوص للشريعة الإسلامية ، فهو بذلك يبعد نفسه عن المنهاج السليم الذي ارتضاه الله عز وجل لنفسه ورسمه رسوله ﷺ ، ويوقع نفسه في الشرك ، وشباك الشيطان. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِير** ﴾ [فاطر : 13]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان:13] .فمثلاً: الذين يدعون ويتوسلون بالأموات والغائبين ، والالتجاء إليهم من طلب الحوائج، وكشف الكربات، وإغاثة اللهفات، والاستغاثة بهم في جميع الطلبات، هو شرك لأن الذي يقضي ويكشف ويغيث هو الله ، ومن الأدلة على أن دعاء الأولياء من دون الله تعالى شرك أكبر.قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن: 18]، و(أحد) نكرة في سياق النهي يفيد العموم يعني لا يدعى إلا الله وحده، وأن دعاءه لغير الله شرك أكبر محبط لأعماله كلها كما قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ [الفرقان: 23]. ومن هنا ندرك أن دعاء أي مخلوق من دون الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل شرك به سبحانه وتعالى، وذلك كمن يأتون إلى قبور الأولياء والصالحين فيسألونهم حاجات شتى كشفاء مرضاهم ، ورد غائبهم ، وإنجاب عقيمهم ، ورد ضوالهم ، فهذا هو الشرك الأكبر.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ **(لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)** [1].

(1) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما (2 / 102) رقم1390.



يقول ابن تيمية رحمه الله: إن زيارة قبور الأنبياء وسائر المؤمنين على وجهين: -

أ - الزيارة الشرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات فيصلي عليه صلاة الجنازة.

ب - والزيارة البدعية التي هي من جنس الشرك : أن يزورها كزيارة المشركين وأهل البدع لدعاء الموتى وطلب الحاجات منهم ، أو لاعتقاده أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت [1].

2- انتشار البدع والخرافات في المجتمع الإسلامي:

فالتوسل بالقبور والموتى وذوات المخلوقين بدعة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا عن السلف الصالح ﷺ .

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوسل المبتدع ليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة النبوية، ولا في عرف أحد من صحابة رسول الله ﷺ [2].

فالتوسل المحرم ينشر البدع والخرافات بين الأفراد والجماعات ، فمثلاً: لو ترك الناس التوسل المشروع وتقربوا لله بالتوسل البدعي المحرم كطلب الرزق والولد من صاحب قبر ، حتماً هذا الفعل سينشر البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان [3].

3- هدم قواعد التوحيد السليم والابتعاد عن الحق وأهله:

ما دام التوسل المذموم مخالف لما جاء في الكتاب والسنة ولم يرد عن أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم جميعاً ، فهو بعيد عن الحق وأهله .

فالتوسل المذموم هو الطريق المؤدي للشرك ، وهدم قواعد التوحيد ، وتحريف النصوص الشرعية من القرآن والسنة ، كل ذلك تحت ذريعة حب الله ورسوله ﷺ ، والأولياء الصالحين والدعوة للتوحيد الخالص [4].

---

(1) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لابن تيمية (2 / 151).

(2) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (1 / 26) .

(3) وللإستزاده في الموضوع يمكن الرجوع إلي المبحث الرابع من الفصل الأول لمعرفة البدع وخطرها علي الأمة الإسلامية ، وصور البدع وأنواعها .

(4) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لابن تيمية (1 / 22) .

وعرفنا أن هذا النوع من التوسل لم يفعله أحد من سلف الأمة رضي الله عنه ، لأنه من البدع والخرافات والموقع صاحبة في الشرك الأكبر ، فما دام التوسل البدعي محرم لما يفعله أحد من السلف الصالح فهو من الباطل البعيد عن المنهاج الحق وأهله.

فمثلاً: لو تقرب العبد وتوسل إلى مخلوق من المخلوقات ، أو مقبور من المقبورين ، كطلب الرزق أو رفع بلاء ، نجده قد أوقع نفسه في الشرك والعياذ بالله ، وفي المقابل ابتعد عن الحق وهدم قواعد التوحيد السليمة.

4- تحريف النصوص الشرعية:

إن أصحاب التوسل المذموم يحرفون النصوص دفاعاً عن مذهبهم الباطل الذي تمسكوا به . قال تعالى: ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ [المائدة : 13].

فقد عرفنا أن أصحاب التوسل البدعي لم يستنوا في أقوالهم على دليل صحيح ، بل يعتمدون على أدله موضوعة ، لكن يقومون بتحريف تلك النصوص وترويج صحتها لخداع عوام الناس على مشروعية التوسل بذوات المخلوقين ، وبالقبور والمقبورين ، والإقسام على الله تعالى بالمتوسل به من الأولياء والصالحين [1].

5- التقليد الأعمى للمشركين:

يقوم بعض المسلمين اليوم بالتوسل بالقبور والأموات وغيرها من أنواع التوسل المذموم تقليداً للكافرين والمشركين. فمثلاً: نجد اليوم من شباب الأمة من يقلد اليهود والنصارى بالتوسل بالقبور والمقبورين ، أو السجود على مقابرهم ، حتى أصبح التقليد في جميع أنواع التوسل.

لذلك فقد لعن الرسول اليهود والنصارى لما كان يصدر منهم من التوسل بقبور الأنبياء والسجود علي مقابرهم والتوجه إلى قبورهم وقت الصلاة [2]. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ ؟)** [3].

---

(1) للاستزادة عن الموضوع يمكن النظر للمبحث الرابع من الفصل الثاني .

(2) انظر :مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لمحمد عبد الله التبريزي (3 / 193).

(3) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (4 / 169) رقم 3456.

المطلب الخامس

دور العقيدة في علاج التوسل المذموم

أولاً: إيجاد البديل الشرعي:

عرفنا فيما سبق أن التوسل المذموم بجميع أنواعه مرفوض ، ومنهي عنه ، وأنه يوقع صاحبه في الشرك ، لذلك أوجدت الشريعة الإسلامية بدائل عن التوسل المذموم يستخدمها المسلم ومن أهم هذه البدائل التوسل المشروع .

- التوسل الشرعي:

عرفنا أن التوسل هو التقرب إلى الله بكل ما يحب ويرضى ، وتجنب ما يبغضه الله –عز وجل ورسوله ﷺ . وقد شرع الله لنا أنواعاً من التوسلات المشروعة التي تحقق الغرض للمسلم في الابتعاد عن التوسل المحرم [1].

فالتوسل الشرعي هو ما كان قائماً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا نصيب للأهواء والشهوات فيه.

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن من أعظم معاني التوسل التقرب إلى الله بالإيمان بالله ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر والقيام بكل واجب ، ومستحب أمر الله به ورسله، وطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهى عنه" [2].

- أنواع التوسل المشروع :-

1- التوسل بأسماء الله الحسني وصفاته العليا:

أشرف أنواع التوسل ، وأفضلها عند الله هو التوسل بأسماء الله وصفاته .

يقول ابن القيم رحمه الله: التوسل إلى الله عز وجل بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا أحب إليه من التوسل بالمخلوقين ومن أعظمها وأجمعها الحي القيوم [3].

---

(1) انظر: التوسل أنواعه وأحكام : للألباني (1 / 16) .

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لابن تيمية (1 / 25) .

(3) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (4 / 201).

ومن الأدلة علي التوسل بأسماء الله وصفاته من القرآن والسنة. قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف : 180] . والتوسل بأسمائه كأن يقول المسلم: يا رحيم ارحمني ، ويا غفور اغفر لي ، ويا تواب تب عليّ ، ويا رزاق ارزقني.والتوسل بصفاته كأن يقال: يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض اغفر لي. قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر : 60].

عن مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ [1] قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاَتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: **(اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لي ذنوبي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** [2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي** إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ) [3].

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجله مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ ، وَنَبِيُّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)** [4].

---

(1) محجن بن الأدرع الاسلمي المدني ، من السابقين في الإسلام ، سكن البصرة ، مات في آخر خلافة معاوية ﷺ ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (5 / 778) .

(2) سنن أبى داود : كتاب الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد (1 / 374) رقم 987 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح أبي داود (4 / 140) رقم 905.

(3) مسند أحمد (7 / 341) رقم 4318 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة – (1 / 383) رقم 199.

(4) مسند أحمد : (41 / 474) رقم 25019 ، قال الألباني (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 216) رقم 2156 .

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : 186] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** [(1)].

كل هذه الأدلة التي ذكرت تحث المسلم على التوسل المشروع ، والتي تكون بأسماء الله وصفاته ، والتي يترتب عليها السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة .

2- التوسل إلى الله عز وجل بصالح الأعمال التي عملها العبد:

توجه العبد إلي الله بصالح الأعمال التي قام بها بقوله: اللهم بفقري ، وضعفي ، وإيماني ومحبتي لك أن تغفر لي ذنبي . قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران:53]. والتوسل بالعمل الصالح كقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم صخرة فسألوا الله بصالح أعمالهم التي عملوها ففرج الله عنهم. عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : **(خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فأفرج عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قَالَ فَفُرِجَ عَنْهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فأفرج عَنَّا فُرْجَةً قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى**

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (9 / 117) رقم 7383 .

تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِي قَالَ فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، وَلَكِنَّهَا لَكَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فأفرج عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُم) (1).

إن أصحاب الغار توسلوا وتقربوا إلى الله بخالص أعمالهم التي عملوها فكانت سبب نجاتهم من الهلاك المحتوم الواقع عليهم (2). قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى** ﴾ [آل عمران : 195] .

وقد أخبر الله عز وجل عن حالهم في التقرب لله بخالص الأعمال التي فعلوها. قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ** ﴾ [آل عمران : 193] . وقال تعالى: ﴿ **آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [المؤمنون : 109]

3- التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح:

كأن يطلب المسلم من رجل صالح الدعاء له فيقول اللهم اغفر لأخي فلان وارفع عنه البلاء وارزقه وآتيه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقه عذاب النار، إلى غير ذلك من الدعاء ، ويجوز دعاء الفاضل لمن هو أفضل منه . والأدلة كثيرة على جواز هذا النوع من التوسل.

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالي: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر : 10] .وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف : 97] . وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء : 64] .وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [غافر : 7] .

نستفيد من الآيات السابقة على جواز التوسل والتقرب إلي الله عز وجل بدعاء الأنبياء والأولياء الصالحين ففي الآية الأولى نجد أنهم يتوسلون إلى الله عز وجل بالدعاء الصالح لإخوانهم الذين ماتوا على الإيمان ، وفي الآية الثانية نجد أن أبناء إبراهيم عليه السلام يتوسلون

(1) صحيح البخاري:كتاب البيوع ،باب إذا اشتري شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي(3 / 79 -80) رقم 2215.
(2) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (9 / 193).



إلى الله بدعاء نبي الله إبراهيم أن يغفر لهم ذنوبهم وكذلك الآية الثالثة يتقرب الصحابة ﷺ إلى الله بدعاء واستغفار الرسول ﷺ .

يقول ابن تيمية رحمه الله: "دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واستغفارهم ، وشفاعتهم هو سبب ينفع إذا جعل الله تعالى المحل قابلاً له ، وإلا فلو استغفر النبي للكفار والمنافقين لم يغفر لهم"[1] . قال تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المنافقون : 6] .

ب - الأدلة من السنة النبوية :

الأدلة علي جواز التوسل والتقرب إلى الله بدعاء الأنبياء والأولياء الصالحين كثيرة منها:- عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ قَالَ ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ سَبَقَكَ عُكَاشَةُ)** [2]. نستفيد من الحديث أن عكاشة ﷺ يتوسل إلى الله بدعاء الرسول ﷺ فقال: اللهم اجعله منهم .

وعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رسول الله ﷺ : **(إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)** [3].

خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ﷺ [4] فَاسْتَسْقَى بِالنَّاسِ ، وَلَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَرَوْا سَحَابًا قَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ؟ فَقَالَ: هَذَا أَنَا . قَالَ: نَعَمْ **(فَاسْتَشْفِعْ لَنَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَنَا فَقَامَ فَعَطَفَ بِرَأْسِهِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّ " عِبَادَكَ هَؤُلَاءِ اسْتَشْفَعُوا بِي إِلَيْكَ فَمَا دَعَا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى مُطِرُوا مَطَرًا كَادُوا يغرقون مِنْهُ)** [5].

---

(1) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لابن تيمية (2 / 261).

(2) صحيح البخاري:كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة (7 / 146) رقم 5811.

(3) صحيح مسلم:كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3 / 1255) رقم 1631.

(4) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري ، قال البخاري: له صحبه ، شهد بدر ، وروي عن مسلم ، قتل بمرج راهط سنة أربع وستين ، وقيل: سنة خمسين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 479).

(5) شعب الإيمان: باب إخلاص العمل لله عز وجل (9 / 223) رقم 6577 ، قال الألباني: (صحيح) التوسل (1 / 41) .

ومن الأمثلة التي ذكرت من قبل توسل عمر بن الخطاب ﷺ عندما قال اللهم كنا نتوسل بك بنبيك واليوم نتوسل إليك بعم رسولك ﷺ أن تسقينا.

وكذلك حديث الصحابي الذي جاء إلى الرسول ﷺ يطلب منه أن يشفيه الله من مرضه فقال ﷺ له إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت.

ثانياً: الاستدلال بأقوال علماء العقيدة الإسلامية:

يُعتبر غياب دور العلماء والدعاة عن الساحة الإسلامية اليوم من أسباب انتشار الانحراف في مفهوم التوسل ، وقضايا الأمة الإسلامية. لذلك يجب إعادة تفعيل دورهم على أرض الواقع بشكل عملي ملموس ، لا التفعيل الشكلي و الصوري الذي لا قيمة له. فقد أخبر الرسول ﷺ أن العلماء المخلصين في دعوتهم لله هم ورثة الأنبياء والرسل. عن أَبي الدرداء ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)** [1].

يدلل الحديث دلالة واضحة أن العلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء لما يقوم به الداعي من نشر العلم وتبليغه للناس على الوجه الذي يرتضيه الله ورسوله ﷺ [2].

فالاستدلال بأقوال علماء العقيدة من الأمور المهمة التي من خلالها يتم القضاء على التوسل البدعي ، فمن خلال أقوال العلماء يميز العبد المسلم بين التوسل المشروع والتوسل البدعي.

- ويبرز دور العلماء في علاج التوسل البدعي في عدة نقاط منها:-

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السياج الذي يحمي المجتمع الإسلامي من انحراف التوسل المذموم. فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحيا السنة النبوية ، والتي بأثرها تموت الانحرافات من توسل بالقبور ، والتبرك بها ، وطلب الدعاء من الأموات وجعلها واسطة بينه وبين الله ، ومن كل توسل مخالف للدين الحنيف .

---

(1) سنن أبى داود : كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم (3 / 354) رقم 3643 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1125) رقم 11243.
(2) انظر: شرح صحيح البخاري :لابن بطال (1 / 179) .



قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة : 71] . وقال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : 17] .وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : 104] .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ : سَمِعت رَسُول الله ﷺ يقول : **(مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)** [1].

يخاطب الرسول ﷺ الصحابة ﷺ فيقول: يا معشر المسلمين المكلفين من رأي منكراً مخالفاً للشرع بقول ، أو بفعل ، أو بهما جميعاً فليغيره بجميع الوسائل الممكنة والطرق المشروعة. وتغيير المنكر يكون بعدة طرق كما بين الحديث باليد ، أو اللسان ، أو بالقلب.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ ، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: **(وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُوُنَّهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)** [2].

2- توعية المجتمع الإسلامي:

الواجب على العلماء توعية المجتمع المسلم بالتوسل الشرعي ، وأنواعه ، وتحذيرهم من التوسل البدعي المذموم ، وبيان خطره على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

3- صد الحركات والأفكار الهدامة الداعية للتوسل المذموم:

الجميع مطالب بصد الأفكار الهدامة وعلى وجه الخصوص العلماء والدعاة .والواجب على العلماء بيان خطر التوسل المذموم التي تروجه الفرق الضالة والوقوف في وجهها بتفنيد تلك الأفكار وبيان فسادها.

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (1 / 69) رقم 49.

(2) سنن الترمذي:كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4 / 468) قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 286) رقم 2313.

4- نشر الوعي الشرعي بالوسائل المختلفة:

مواجهة الأفكار الهدامة والمضللة يجب أن تكون بنشر الوعي الشرعي ، وتقديم الإسلام الصحيح باعتباره منهج الأمة الأصيل الذي ارتضاه الله لها ، وارتضته لنفسها ديناً ، مع استخدام الوسائل العلمية الحديثة في نشر الوعي ، وعدم الاقتصار علي الوسائل القديمة.

المبحث السادس
القصور في فهم الشهادتين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشهادتين .

المطلب الثاني: أهمية ومكانة الشهادتين.

المطلب الثالث: أركان الشهادتين.

المطلب الرابع: شروط الشهادتين.

المطلب الخامس: نواقض الشهادتين.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج القصور في فهم الشهادتين.

المطلب الأول

تعريف الشهادتين

الشهادتان في اللغة:

الشَّهَادَةُ : الإخبار بالشيء عن علم به ، وَاعْتِقَادٍ لِصِحَّتِهِ وَثُبُوتِهِ ، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان وواطأ القلب على اللسان ، فهي خبر قاطع ، تقول: شهد الرجل على كذا ، أي أخبر بالشئ ، وشَهِدَ الله قضى الله أَنه لا إله إلا هو وحقيقته عَلِمَ اللهُ وبَيَّنَ اللهُ لأَن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه. فنقول: أَشهد أَن لا إله إلا الله ، أي: أَعْلَم وأبينُ أَنه لا إله إلا الله ، وقوله أَشهد أَن محمداً رسول الله أَعلم وأُبيِّن أَنَّ محمداً رسول الله [1].

والإله هو المعبود المطاع ، فإن الإله هو المألوه ، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد والجمع آلهة[2].

الشهادتان في الاصطلاح:

أولاً: معني لا إله إلا الله:

معنى لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله ، وهي نفي وإثبات . لا إله نافيا جميع العبادة لغير الله ، إلا الله مثبتا جميع العبادة لله وحده لا شريك له.

عرفها ابن القيم رحمه الله: إفراد الله عز وجل بالألوهية ، والتعظيم دون سواه ، وسلامته من العبث والظلم وغيرها من صفات النقص ، مع إثبات صفات الكمال [3].

" وهو نفي الشرك ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك ، والعمل به [4]. قال تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة : 5].

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (3 / 238).

(2) انظر: المصدر السابق (13 / 467).

(3) انظر: أحكام أهل الذمة (1 / 414).

(4) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: لسليمان بت عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي ، دار الصميعي للتوزيع والنشر – بيروت ، الطبعة: الأولي ، 1428هـ / 2007م (1 / 281).



يقول ابن تيمية رحمه الله:هو الإقرار بالله ، والإنابة إليه [1].

ثانياً: معني محمد رسول الله.

معناها الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بها والانقياد لها قولا وفعلا واعتقادا ، واجتناب ما ينافيها من الأقوال والأعمال والمقاصد والتروك ، وبعبارة أخرى معناها طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع [2]. ويبرز من خلال ما سبق أن القصور الواقع اليوم عند الأفراد والمجتمعات في عدم معرفتهم المعرفة الحقيقية لمفهوم الشهادتين.

فمثلاً: نجد القصور في فهم الشهادتين اليوم في واقع الناس من موالاتهم لأعداء الله والتودد والتقرب إليهم من دون المؤمنين. لذلك فد بين الله عز وجل سبب عداوتهم ، وهو أنهم كفروا بما جاء من الحق ، ومن ذلك كفرهم بـ " لا إله إلا الله " فلما كفروا بها وجبت عداوتهم ، ووجب بغضهم ، ووجبت مفاصلتهم وحرم على المسلمين أن يوالوهم أو يلقوا إليهم بنوع من المودة والمحبة .

وحذرنا ربنا جل وعلا من موالاة الكافرين فقال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة : 1].

وفي المقابل حثنا الله على موالاة المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾ [التوبة: من الآية71].

وكذلك نجد القصور عند من لم يفهم الشهادتين في التمسك والاحتكام بالقوانين الوضعية ، أو الأعراف المخالفة للشرع ، كل ذلك يفعله لقصور فهم الشهادتين عنده.

ونخلص مما تقدم أن مفهوم الشهادتين: الإقرار بأن الله هو المعبود ، ولا معبود سواه ، أنه الخالق المالك المتصرف المطلق في الكون ، وأنه متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات النقص ، وأن محمد عبده ورسوله ، نصدقه فيما أخبر ، ونطيعه فيما أمر ونهى ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ، وعليه فلا يُتوكل إلا عليه ، ولا يُذبح ولا يُنذر إلا إليه.

---

(1) مجموع الفتاوى (2 / 6).

(2) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (1 / 51).

المطلب الثاني

أهمية ومكانة الشهادتين

إن للشهادتين مكانة عظيمة في الدين الإسلامي ، فهما مفتاح الدين ، وأول أركان الإسلام ، وأساس الدين ، وهما التي قامت بهما الدعوة الإسلامية ، والتي استمر الرسول ﷺ في دعوته ثلاثٍ وعشرين سنة يدعوا بهما لله عز وجل ، وهما التي تدخلان العبد في الدين الإسلامي ، فبدون الإقرار بهما لا يدخل الإنسان في هذا الدين.

تتمثل أهمية الشهادتين ومكانتهما في النقاط الآتية:-

1- لا يقبل إسلام العبد إلا بهما:

النطق بالشهادتين شرط لقبول إسلام العبد ودخوله في الإسلام ، فلا يقبل إسلام العبد إلا إذا نطق وأقر بهما. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ **(إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ)** [1]. وعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)** [2].وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: عَادَ النَّبِيُّ ﷺ غُلَامًا كَانَ يَخْدُمُهُ يَهُودِيًّا فَقَالَ لَهُ: **(قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى أَبِيهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا يَقُولُ لَكَ قَالَ فَقَالَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ صَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ)** [3].

نلاحظ من خلال الأدلة السابقة ، وغيرها من الأدلة ، أن الشهادتين هما البوابة التي من خلالها يمكن للعبد الدخول في الإسلام ، فلا يقبل إسلام المرء إلا بهما.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (2 / 128) رقم 1496.

(2) صحيح مسلم :كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان (1 / 36) رقم 8.

(3) مسند أحمد (21 / 278) رقم 13736، قال الألباني: (صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (8 / 190).

2- إثبات الإيمان لمن شهد الشهادتين وعمل صالحاً:

معلوم أن الإيمان درجات ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وأن أعلى درجات الإيمان الإقرار بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء : 94]. وعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ [1] من جهينة فأدركت رجلا فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته **لرسول الله** ﷺ فَقَالَ رَسُول الله :**أَقَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وقَتَلْتَهُ ؟! قُلْتُ : يَا رَسُول الله ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِن السِّلاحِ ، قَالَ :أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا ؟! فمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ**)[2]·يدل الحديث دلالة واضحة أن من قال لا إله إلا الله يثبت له الإيمان ويحرم قتله وإن قالها خوفاً ، لذلك عندما قال أسامة لرسول الله ﷺ قالها خوفاً ، قال له الرسول ﷺ أشققت عن قلبه.

3- كفر من جحد الشهادتين:

يدخل العبد في الإسلام بالإقرار بالشهادتين ، ويكفر ويكون مرتداً إذا نقض وجحد الشهادتين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: الردة تحصل بجحود العبد المسلم ما أدخله في الإسلام من إقرار بالشهادتين ، أو بسب الذات الإلهية ، أو سب الرسول ﷺ وشتمه [3].

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ** ﴾ [التوبة : 12]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا** ﴾ [الفتح : 13]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** [النساء: 136]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**

---

(1) بطن من جهينة ، وهم: بنو أحمس ابن عامر بن مودعة بن جهينة ، انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : لعمر رضا كحاله ، دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الثانية ، 1388 هـ – 1968 م (1 / 264).

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ،باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (1 / 96) رقم 96.

(3) انظر: الصارم المسلول (1 / 309) .

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء : 150 ، 151].

4- تعصم دم ومال من أقر بهما:

نهى الرسول ﷺ في عديد من الأحاديث عن قتل من أقر بالشهادتين وعمل بمقتاضاهما ، حتى لا يقتل المنافق الذي أقر بهما إلا إذا صدر منه الكفر الصريح. عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)** [1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)** [2].

وعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ [3] فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ)** [4].

5- البشارة بالجنة لمن أقر بهما أو من مات عليهما:

إن من فضائل الشهادتين في الآخرة ، دخول المؤمن بهما الجنة يتنعم بها ، ومن الأدلة علي ذلك: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **(مَنْ تَوَضَّأَ فَأَتَمَّ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ**

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الإيمان ، باب {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} (1 / 14) رقم 25.

(2) صحيح البخاري: كتاب أبواب القبلة ، باب فضل استقبال القبلة (1 / 87) رقم 392.

(3) سبق توضيحها ص 191.

(4) صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (5 / 144) رقم 4269



قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) (1).

وعن أبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ:(**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ)** (2). وعن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**(3). وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)** (4).

6- العتق من النار:

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ: **(مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا)** (5).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)** (6).

---

(1) سنن النسائي : ترقيم أبي غدة – مع أحكام الألباني: للنسائي ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية ، 1406هـ / 1986، كتاب الطهارة ، باب القول بعد الفراغ من الوضوء، (1 / 92) رقم 148 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1112) رقم 1112

(2) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب الثياب البيض (7 / 149) رقم 5827 .

(3) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب من مات على التوحيد دخل الجنة (1 / 55) رقم 27.

(4) سنن أبى داود:باب الحدود ، باب في التلقين في الحد (3 / 159) رقم 3118 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (1 / 366) رقم 1621.

(5) صحيح البخاري: كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفقهوا (1 / 37 – 38) رقم 128.

(6) صحيح البخاري:كتاب الإيمان ، بَاب زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ (1 / 17 – 18) رقم 44

7- تثقيل الميزان يوم القيامة:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ ، أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ ، والبطاقة في كفة ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** (1).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَالَ: **(إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ: لِابْنِهِ إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ وَأَنْهَاكَ عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ)** (2).

8- شفاعة الرسول ﷺ له يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ **(أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)** (3).

---

(1) مسند أحمد (11 / 570) رقم 6994 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 105) رقم 1533.

(2) مسند أحمد (11 / 150) رقم 6583 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة (1 / 259) رقم 134.

(3) صحيح البخاري:كتاب العلم ، باب الحرص علي الحديث (1 / 31) رقم 99 .

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما قال: يروي في حديث الشفاعة عن الرسول ﷺ **(يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ)** [1]. وعن أبي هريرة ﷺ قال : أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ **(يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)** [2].

9- زيادة الحسنات ومحو السيئات والذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ قَالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَـةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَـهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئة حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ)** [3].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ ، أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّـهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا غُفِرَ لَهُ)** [4].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (9 / 146) رقم 7510.

(2) صحيح البخاري:كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله (2 / 95) رقم 1360.

(3) صحيح البخاري :كتاب بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة (4 / 126) رقم 3293.

(4) سنن أبى داود :كتاب الصلاة ، باب ما يقال إذا سمع المؤذن (1 / 207) رقم 525 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1137) رقم 11368.

المطلب الثالث

أركان الشهادتين

للشهادتين ركنان وهما:-

1- لا إله إلا الله:

عرفنا أن معناها أنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل ، ولا ومعبود سواه .

ولا إله إلا الله لها ركنان وهما:-

أ – **نفي الشق الأول وهو (لا إله):**

أي: نفي إثبات الألوهية عن كل ما سوى الله ، ونفي كل ما اختص به الله عن المخلوقات .فكل المعبودات باطلة من دون الله سواء كانت بشرية ، أو حجرية من أصناماً ، أو أضرحة، أو كواكب ونجوم ، وما شابه ذلك. قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [الحج : 62].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فقد تبين بالقياس العقلي امتناعُ أن يكون معبودٌ إلا الله، كما امتنع أن يكون رب إلا الله" [1]. قال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّـهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّـهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء : 22] .

ب- **إثبات الشق الثاني (إلا الله):**

أي: إثبات الألوهية لله عز وجل دون سواه ، فهو الواحد المتفرد بالعبادة ، والمستحق بها دون سواه ، فلا يشاركه فيها أحد من خلقه. قال تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة :5]. فقد قصر الله العبادة والاستعانة علي نفسه ، ونهى العبادة والاستعانة بغيره. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾ [البقرة : 21] .

ويقول ابن تيمية رحمه الله: والذي جاءت به الرسل ، وأنزلت من أجله الكتب ، هو الإقرار بعبودية الله عن عبادة ما سواه ، ومحبته عن محبة ما سواه ، وخشيته عن خشية ما سواه [2].

---

(1) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (6 / 174) .

(2) انظر: الصفدية : تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة: الثانية ، 1406 هـ (2 / 1339) .



2- محمد رسول الله ﷺ :

والركن الثاني مرتبط بالركن الأول فلا يقبل من العبد الذي أقر بلا إله إلا الله حتى يقر بمحمد رسول الله. فالإقرار بلا إله إلا الله يوجب الإقرار بمحمد رسول الله ، فهما متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الآخر [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " أما الإيمان بالرسول ﷺ فهو المهم إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، ولا تحصل النجاة ، والسعادة بدونه ، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه ؛ ولهذا ركنا الإسلام هما ؟: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" [2].

والإقرار بمحمد رسول الله لها ركنان هما:-

أ-أنه عبد الله: وذلك بالإقرار بأنه عبد لله ، وأنه مخلوق ، وأنه من البشر لا يتصف بشيء من صفات الله ، وأنه متصف بصفات البشر . قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [الكهف : 110] .وقال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء : 1] .

عَنْ أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ**) [3]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فذكروني**) [4].

وجه الدلالة: يدل الحديث دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ مخلوق يجري عليه ما يجري على المخلوقات من النسيان ، وغيرها في أمور الحياة ، فهو واحد من البشر ، لا يعلم الغيب ولا بواطن الأمور، إنما يحكم بالظاهر في حال الاختصام بين البشر لعدم معرفته بالغيب إلا ما أعلمه الله.

(1) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1 / 492).

(2) مجموع الفتاوى (7 / 638).

(3) صحيح البخاري:كتاب الأحكام ، باب موعظة الأمام للخصوم (9 / 69) رقم 7169.

(4) صحيح مسلم:كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له (1 / 398) رقم 572.

كل هذا يتعلق بأمور الدنيا فلا يتعلق بأمر من أمور الدين ، والتشريع فالنبي ﷺ في أمور الدين يوحى إليه من الله عز وجل ، فهو منزه عن كل ما يتعلق عن بالبشر [(1)].

ومن الأدلة التي توضح أن الرسول ﷺ لا يخرج منه إلا الحق ، وأنه منزه في أمور الدين حتى وقت الغضب. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شيء أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فنهتني قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شيء تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّه ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ في الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: **(اكْتُبْ فَوَالَّذِى نفسي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ)** [(2)].

ب- إنه رسول الله واجب الطاعة والإتباع:

الرسول ﷺ هو آخر الأنبياء فلا نبي بعده بعث للناس كافة وهو أفضل الأنبياء وأكثرهم منزلة . قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ [البقرة : 253].

وقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : 40]. فالواجب الإيمان به ﷺ ، وبكل ما أخبر به دون إفراط ولا تفريط.

يقول ابن تيمية رحمه الله: والواجب علينا تصديق كل ما جاء به الرسول ﷺ ، وأخبر به وطاعته دون إفراط ولا تفريط ، وإن تقديم العقل على ما جاء به الرسول ﷺ باطل مردود[(3)].

قال تعالى:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** [النجم : 3 ، 4]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : 7]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء : 69].

---

(1) انظر: فيض القدير: للمناوي (2 / 215 – 219).

(2) سنن أبى داود:كتاب العلم ، باب في كتابة العلم (3 / 356) رقم 3648 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 208) رقم 2076.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 108).

المطلب الرابع

شروط الشهادتين

يعتقد كثير من المسلمين اليوم أن التلفظ بالشهادتين ، والنطق بهما يكفي للعبد المسلم ليكون مؤمناً ، ويستغنون بالتلفظ بها دون العلم بشروطها والعمل بمقتضاهما .

أولاً: شروط شهادة لا إله إلا الله:

لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي كالتالي:-

1- العلم :

أول شرط من شروط الشهادتين العلم ، فلا يعقل التلفظ بلا إله إلا الله دون العلم بمعناها ومضمونها المنافي للجهل.

فالعلم بالشهادتين يراد به نفي الألوهية لغير الله ، مع إثباتها لله عز وجل على الوجه الذي يرتضيه الله لنفسه [1]قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [محمد : 19] .

يخاطب الله عز وجل رسوله ﷺ في الآية قائلاً: اعلم يا محمد أنه لا معبود بحق تصلح له الألوهية إلا الله الذي خلق الخلق [2]قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : 9] . فالعلم بشهادة لا إله إلا الله تقتضي نفي الشرك ، وإفراد الله بالألوهية دون سواه [3]. قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزخرف : 86].

2- الإخلاص :

بعد معرفة العبد بمراد الشهادتين وعلمه بهما ، وجب عليه الإخلاص لله في جميع الأقوال والأفعال والنيات ، فلا تكون لسمعه ، أو منفعة أو رياء. قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة : 5] .

---

(1) انظر: معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، 1410 هـ / 1990م (2 / 419).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (22 / 173).

(3) حق النبي ﷺ علي أمته في ضوء الكتاب والسنة: لمحمد بن خليفة التميمي (1 / 117) .

وقال تعالى: ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** [غافر : 65] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: الإخلاص : "هي البراءة من كل معبود إلا من الذي فطرنا" [1].

ويترتب على الإخلاص لله في الشهادتين أن القلب يخلو مما سوى الله ، فتكون سكناته وحركاته لله. فمن لم يحصل له الإخلاص لله لم يكن من أهل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة [2]. عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ [3] ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)** [4].

3- اليقين:

وهو النطق بهما دون شك فيطمئن القلب بأنه لا معبود إلا الله . قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [الحجرات : 15]. يخبر الله في هذه الآية أن المؤمنين الذين آمنوا بيقين لم يشكوا في وحدانية الله ، ولا نبوة رسوله ﷺ [5].

يقول ابن القيم رحمه الله: "إن الشك لا يقوى على إزالة الأصل ، ولا يزول اليقين إلا بيقين أقوى منه أو مساوٍ له".[6]

عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : **(اذهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله ، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ)** [7].

---

(1) أمراض القلوب (1 / 61) .

(2) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية ، تحقيق :علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر ، حمدان محمد ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1414 هـ (6 / 29).

(3) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم الخزرج الأنصاري بدري عند الجمهور ، وأنه كان إمام قومه بني سالم ، ذكر بن سعد أن النبي ﷺ آخى بينه وبين عمر ، مات في خلافة معاوية وقد كبر ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 432).

(4) صحيح البخاري:كتاب أبواب المساجد ، باب المساجد في البيوت (1 / 93) رقم 425.

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (22 / 318) .

(6) إغاثة اللهفان (1 / 166).

(7) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا(1 / 60) رقم 31.

4- الانقياد :

وهو الاستسلام لأمر الله ورسوله ﷺ بالقلب واللسان وجميع الجوارح دون تكاسلٍ أو تهاونٍ.قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65]." أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون في الظاهر والباطن" [1]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾[لقمان : 22]

5- المحبة :

من شروط الشهادتين محبة الله ورسوله ﷺ ، وعدم تقديم حب أحد على حبهما .قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : 165] .عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا)** [2].

يدل الحديث علي أن من اكتمل الإيمان في قلبه قدمّ حب الله وحب رسوله ﷺ على كل حب من والوالد والولد والناس أجمعين [3].

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :**(فو الذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)** [4] قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : 54].

فالذي يقر أن الله هو المعبود المتفرد بالعبادة وحده دون سواه ، وأنه الخالق توجب عليه محبته لما يتصف به من صفات الكمال.

6- الصدق :

الصدق المنافي للنفاق والكذب ، فالمؤمن الحق صادق مع نفسه بعبوديته لله ، والإقرار بأنه لا إله إلا الله في السر والعلن. فإن الله تعالى نفى عن المنافقين الإيمان. قال تعالى:
﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ**

---

(1) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 349) .

(2) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب الحب في الله (8 / 14) رقم 6041

(3) انظر: فتح الباري: لابن رجب (10 / 463).

(4) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (1 / 12) رقم 13.

آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة 8 . 9] .ولو كانوا صادقين في قولها لشهد لهم بالإيمان، والله خير الشاهدين.

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ: (**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا**) [1]. وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النار**) [2].

7- القبول :

وهو أن يقبل العبد ما ورد عن الله ورسوله ﷺ دون تحريف أو تأويل ، ويكون بالقلب واللسان. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت : 33] . وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النساء : 125].

ثانياً: شروط شهادة أن محمد رسول الله ﷺ :

1- الإيمان به نبياً ورسولا:

أوجب الله سبحانه عز وجل على عبادة أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به من الله عز وجل ، وجعل الله الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به عز وجل في كثير من الآيات.

قال تعالى: ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [الحديد : 7 – 8]. وقال تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [التغابن : 8]. وقال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ**

(1) صحيح البخاري: كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفقهوا (1 / 37 – 38) رقم 128.

(2) صحيح البخاري: كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفقهوا (1 / 37– 38) رقم 128.

وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدا ﴾ [النساء : 136]. وقال تعالى: ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الفتح : 9].وقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين** ﴾ [الأحزاب: 40].

والإيمان به ﷺ يشمل أموراً: منها الإقرار برسالته واعتقادها باطناً في القلب ، النطق بذلك والاعتراف به ظاهراً باللسان ، والمتابعة له بالعمل بما جاء به من الحق والترك لما نهى عنه من الباطل. قال تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف:158]. والعمل بسنته وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر والتسليم له وتحكيم شرعه والرضا به ، والانقياد لسنته وأن نجعل هديه محل إجلال وتعظيم . قال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء : 65]

والإيمان أنه آخر الأنبياء والمرسلين لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**) [1].وأنه من البشر يجري عليه ما يجري على البشر من المرض والألم والنسيان

عن عبد الله ﷺ قال:(**صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا فقلنا يا رسول الله أزيد في الصلاة قال وما** ذاك قالوا صليت خمسا قال **إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتي السهو**)[2].

وأنه معصوم من كبائر الذنوب ، ولا يعلم الغيب إلا ما علمه الله عز وجل ، ولا يمنح شيء من صفات الربوبية.

2 – محبته ﷺ :

وهو أن تكون محبته أشد من محبة النفس ، والمال ، والولد والوالد ، والناس أجمعين، لأنه رسول الله وأن محبته من محبة الله وفي الله. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي**

(1) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ، بَاب خَاتِمِ النَّبِيِّينَ ﷺ (4 / 186) رقم 3535.

(2) صحيح مسلم :كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له (ج 1 / ص 402) رقم 572.

يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: 31] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)** [1].

محبة النبي ﷺ من أصول الإيمان وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل ، وقد قرنها الله بها ، وتوعد من قدم عليها شيء من الأمور المحبوبة طبعا من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك [2]. قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾ [التوبة : 24] .

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ)** [3].

فمن علامات محبة الرسول ﷺ الوقوف على هديه ﷺ والاشتغال بالسنة قولا وعملا وترك ما لم يشرعه واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وكثرة الصلاة والسلام عليه

بعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)** [4].

3- طاعته فيما أمر وترك ما نهي وزجر:

أمر الله عز وجل بطاعته رسوله ﷺ وجعل طاعته الرسول ﷺ هي طاعة لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ [الأنفال: 2].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْإِيمَانِ (1 / 12) رقم 13.

(2) انظر: فتح الباري: لابن رجب (1 / 43).

(3) صحيح البخاري: كتاب كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ ، بَاب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ (8 / 129) رقم 6632.

(4) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (1 / 12) رقم 16 .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي)** [(1)].

فقد أوجب الله عز وجل على عبادة طاعته وجعل طاعته فرضا لازما لكل من آمن بالله ، ولم يجعل لمؤمن اختيارا في أي أمر بعد قضاء الله ورسوله فيه . وقد استفاضت آيات الكتاب العزيز في بيان أهمية هذا الأمر والتأكيد على وجوبه وفرضيته.

قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد : نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة و ثلاثين [(2)]. قال تعالى:﴿ **وأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [آل عمران : 132]. وقال تعالى:﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : 71].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)** [(3)]. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور– 54].

وحذر من مخالفه أمرة قال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : 63] .

فطاعته ﷺ تكون في ترك ما نهي عنه وزجر من الخرافات والأباطيل وكل ما نهي الشرع الحنيف. والانقياد له ﷺ وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** [الحشر : 7] .

4- تصديقه فيما أخبر:

الواجب على المسلم تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر لأنه وحي من الله عز وجل قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى** [النجم: 3] . أي: ما يقوله الرسول من قولا عن هوى وغرض، إنما يقول ما أمر به ، ليبلغه إلى الناس كاملا موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان [(4)].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الأحكام ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (9 / 61) رقم 7137 .

(2) انظر: الصارم المسلول: لابن تيمية (1 / 59).

(3) صحيح البخاري: كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (9 / 92) رقم 7280.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7 / 443).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا)** [(1)].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **(اكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ)** [(2)].

5- إتباعه والاقتداء به:

وإتباعه والاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته ، سواء وافق الهوى أو عارضها.قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران/31].وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف/158].

فإتباع النبي ﷺ والاقتداء يكون بالسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء آثاره ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره ، في الظاهر والباطن.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب:21].

وإتباعه تكون في عدم مخالفه وتنفيذ حكمه سواء علمت الحكمة أو لم تعلم .عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ [(3)] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى

---

(1) مسند أحمد (14 / 185) رقم 8481 ، قال الألباني: (حسن) السلسلة الصحيحة (4 / 304) رقم 1726.

(2) مسند أحمد (11 / 57) رقم 6510 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة (4 / 45) رقم 1532.

(3) مسيل ومجرى الماء من الحرة إلى السهل وهي بالمدينة ، انظر: معجم البلدان: لياقوت الحميري (3 / 331).

يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}(1).

ومن شده اتباع الصحابة لرسول الله ﷺ نري أن عمر بن الخطاب ﷺ يقتدي برسول الله ﷺ في تقبيل الحجر الأسود.عن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ:لِلرُّكْنِ: **(أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ قَالَ فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَه)**(2).

6- عصمته في التبليغ ودعوى الرسالة:

عصم الله عز وجل رسوله ﷺ من الخطأ في تبليغ شرع الله إلى الخلق ، لأنه المبلغ عن أوامر الله ونواهيه.قول تعالى:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم : 3 ، 4]. فالآية نص في عصمة لسانه ﷺ من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان (3).

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ [الحاقة : 44 – 47] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **(اكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ)** (4).

---

(1) صحيح البخاري: كتاب المساقاة ، باب سَكْرِ الْأَنْهَارِ (3 / 111) رقم 2359.

(2) صحيح البخاري: كتاب الحج ، بَابُ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ أَوَّلَ مَا يَطُوفُ وَيَرْمُلُ ثَلَاثًا (2 / 151) رقم 1605.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7 / 443).

(4) مسند أحمد (11 / 57) رقم 6510 ، قال الألباني (صحيح) السلسلة الصحيحة (4 / 45) رقم1532.

7- الرضى بحكمه ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 47 - 51].

"بين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين ، وليس من المؤمنين ، وأن المؤمنين هم الذين يقولون: سمعنا ، وأطعنا فإذا كان النفاق يثبت ، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض ، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص ، والسب ، ونحوه" (1).

فالمؤمن يرضى بحكم الرسول ﷺ سواء كان الحكم في مصلحته ، أو عارضها ، وافق هواه أولا بخلاف المنافق الذي يرضي بحكم الرسول ﷺ إذا كان الحكم موافق لهواه ، وإلا فلا يرضى بحكم الرسول ﷺ .

ونخلص مما سبق أن الشهادتين لا يكفي مجرد النطق والإقرار بهما بل يشترط على العبد المسلم أن يكون عالماً بهما وبمضمونهما ، وأنه محب لله ورسوله مطبقاً لما أمر الله به ومخلصاً لما يصدر منه من الأعمال والأقوال ، ومبتعداً عن الرياء والسمعة ، صادقاً لا يصدر منه نفاقٌ ولا كذبٌ ، وإن شهادة أن محمدا رسول الله تقتضي الإيمان به وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما زجر.

(1) الصارم المسلول على شاتم الرسول: لابن تيمية (1 / 42).



المطلب الخامس

نواقض الشهادتين

عرفنا فيما سبق أن دخول العبد في الإسلام ، هو الإقرار بالشهادتين ، فكما كانت الشهادتان سبباً لدخوله في الإسلام يكون انكارهما سبباً في خروجه من الدين وكفره ، وقد يقع الإنكار في الشهادتين في الأقوال أو الأفعال أو النيات أو بهم جميعاً ، ويمكن تقسيم نواقض الشهادتين إلى عدة أقسام أجتهد في تقسيمها ، ولم أجد أحداً من قبل قد سلك هذا المسلك في التقسيم حسب حدود علمي.

أولاً : النواقض الواقعة في حق الله عز وجل :-

1- صرف العبادة لغير الله عز وجل :

صرف العبادة لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة إن مات العبد علي ذلك دون توبة.

قال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء : 23].

قال ابن تيمية رحمه الله: صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك ، وسواء كانت تلك العبادة رغبة من العبد أو رهبة منه ، فمن فعل ذلك فقد جعل لله نداً ، فهو جعل العبادة لمن لا يستحق ، كعبادة الأموات [1]. قال تعالى: ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [المؤمنون : 32]. فالعبادة هي أعلى الحقوق وأعظمها لله عز وجل ، أمرهم أن يعبدوه ، لا يشركون به شيئا[2].

2- إنكار خلق الله لبعض المخلوقات:

فمن اعتقد عدم خلق الله لبعض المخلوقات كفر بمفهوم الشهادتين وهي من الانحرافات الواقعة في الشهادتين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: من اعتقد إنكار خلق الله لمخلوقاته ، أو إنكار بعض خلقه للمخلوقات فهو منكر للرب الذي خلق كل شيء ، ومن أنكر الرب وخلقه لمخلوقاته فقد ارتد

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية : لمحمد خليل هراس (1 / 8) .

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 316) .

وكفر [1]. فالله خلق كل شيء فهو خالق الكون ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو علي كل شيء قدير [2].

3- أن يجعل بينة وبين الله واسطة:

قال تعالى: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر : 3] .كان العرب مقرون بأن الله هو الخالق ، ولا خالق سواه فهم مقرون بتوحيد الربوبية ، إلا أنهم جعلوا بينه وبينهم واسطة ، يجعلون معه آلهة أخرى يتقربون بها إلى الله فيذبحون لها تقرباً له ، ويتوسلون إليها ويسألونها كل ذلك تقرباً إلى الله [3].

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : 186].

4- إنكار صفات الله العليا وأسمائه الحسني:

وصف الله تعالي نفسه بصفات تخصه وتليق بذاته ، وجلاله ، فصفات الله كاملة لا يعتريها نقص ، بخلاف صفات المخلوقات المتصفة بالنقص ، فلا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق [4]قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف : 180] .

5- وصف الله ببعض مخلوقاته ووصف المخلوقات بصفات الله الخاصة به :

الله عز وجل متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص ، فلا يوصف بصفات المخلوقات ، ولا توصف المخلوقات بصفاته. قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير** ﴾ [الشورى : 11] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن شبة الخلق بالله فقد كفر [5].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (8 / 98) .

(2) انظر: المرجع السابق (2 / 160) .

(3) انظر: الرد علي المنطقيين: لابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي ، دار المعرفة – بيروت (1 / 101) .

(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: لصالح الفوزان (ص 15).

(5) انظر: مجموع الفتاوى (2 / 126).

6- الطعن في القرآن الكريم الذي هو كلام الله :

سلك من انحرفت عندهم مفهوم الشهادتين بالطعن في القرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل ، وطعنوا في القرآن من حيث دلالاته ومعانيه وأخباره وأحكامه ، وهم الذين يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ [النجم : 23] . يقول ابن القيم رحمه الله: من طعن في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ فقد حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً، فوجب أن يقتل ويصلب [(1)].

فالطعن في القرآن كأن ينكر بأن القرآن من الله ، أو ينكر شيء معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار اليوم الآخر وجحد ، البعث ، والنشور ، والجنة ، والنار ، وإنكار عاقبة الطاعة والمعصية [(2)]. ومن الأدلة على أن هذا الكتاب من عند الله قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [العنكبوت : 48] .وقوله تعالى :﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [سراء : 88] . وقال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : 82].

وقد توعد الله تعالى المنكرين المكذبين بهذا الكتاب بالنكال والعذاب. قال تعالى : ﴿ **أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ** ﴾ [الأنعام : 157] .

7- الاعتقاد بأن التشريع ووضع الأحكام من حق البشر لا حق لله فيها :

من النواقض والانحرافات الواقعة في مفهوم لا إله إلا الله ، الاعتقاد بأن التشريع ووضع الأحكام الشرعية هي حق للبشر يشرعونها حسب ما يرون فيها من مصلحة.

فهذا الاعتقاد يؤدي بصاحبه إلى الكفر والشرك ، لأن التشريع هو حق لله لا يجوز للعبد منازعته فيه. قال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : 40] .

(1) انظر: الصارم المسلول (1 / 387).

(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (17 / 116) .



ثانياً : النواقض الواقعة في حق الرسول ﷺ :-

1- الطعن في رسالته ﷺ :

الطعن في رسالة الرسول ﷺ تكون بإنكار نبوته ﷺ ، أو إنكار ما جاء به من الأحكام والتشريعات.

يقول ابن تيمية رحمه الله: المرتد هو من أنكر ما جاء به الرسول ﷺ ، أو كره كل ما جاء به ﷺ ، ومن أشرك بالله أو شك في صفة من صفاته ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم ويدعوهم [1]. قال تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة : 23].

2- الاستهزاء بشيء مما جاء الرسول ﷺ .

الاستهزاء بالرسول ﷺ أو بما جاء به ، كفر مُنافٍ للإيمان بأنه رسول الله ، والاستهزاء سواء بقصد أو بغير قصد يكفّر قائله. قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [التوبة : 65] . تدل الآية دلالة واضحة أن الاستهزاء بالله ورسوله ﷺ والمؤمنين كفر [2].

ومن صور الاستهزاء بالرسول ﷺ الاستهزاء بسنته ﷺ في الملبس والمأكل والمشرب والسواك وغيرها من سنن الرسول ﷺ .

3- بغض ما جاء به الرسول ﷺ :

فلا يبغض ما جاء به الرسول ﷺ إلا منافق وكافر ، فبغض ما جاء به الرسول ﷺ هو بغض للرسول ﷺ ، وللحق الذي هو من عند الله. قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد : 9]. وقال تعالى:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ [المؤمنون : 70].

4- الاعتقاد بأن هدي غير الرسول ﷺ أفضل من هدية ﷺ:

من النواقض الواقعة في حق الرسول ﷺ أن يعتقد العبد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هدي وحكم الرسول ﷺ .

---

(1) انظر: الفتاوى الكبرى (5 / 535) .

(2) انظر: الرد علي البكري: لابن تيمية (2 / 665).



يقول ابن باز رحمه الله: "قد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أن هدي غير رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسول ﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال" [1]. قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة : 50].

ثالثاً : النواقض الواقعة في حق المسلمين :-

1- تكفير المسلمين وعدم ولائهم.

2- خيانة المسلمين.

3- إباحة واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

(1) مجموع فتاوى لابن باز (1 / 269).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج القصور في فهم الشهادتين

يبرز دور العقيدة في علاج القصور في مفهوم الشهادتين في النقاط الآتية:-

أولاً:الانقياد لله ولرسوله ﷺ على الوجه الأكمل:

الواجب على العبد المسلم الانقياد لله ولرسوله ﷺ على الوجه الذي يرتضيه الله لنفسه ، ويرتضيه رسوله ﷺ لربه ، والانقياد يجب أن يكون في الظاهر والباطن.

1- أدلة الانقياد من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان : 22]. وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65].

يقول ابن كثير رحمه الله: يقسم الله تعالي بنفسه في هذه الآية أنه لا يؤمن العبد حتى يُحَكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، وينقاد لله ولرسوله ﷺ باطناً وظاهراً ، ويسلم أمره لله ولرسوله ﷺ بلا منازع ولا مشارك [1].

أسباب نزول الآية السابقة:عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ [2] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ. فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}.[3] ويتضح من خلال ما سبق وجوب الانقياد التام لحكم الله ولرسوله ﷺ فيما أحبّ العبد وما كره.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (2 / 349).

(2) تقدم توضيحها ص 61.

(3) صحيح البخاري: كتاب المساقاة ، باب سكر الأنهار (3 / 111) رقم 2359.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 51].

فالمؤمنون منقادون لحكم الله ولحكم رسوله ﷺ ، مقرين وطائعين بذلك غير مكرهين.(1)

يقول ابن القيم رحمه الله: الانقياد لله ولرسوله ﷺ دون سواهما أعلى أسس الإيمان وأقواها(2) . قال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [الحشر : 7].

وجه الدلالة فيما سبق أن العبد يجب عليه الانقياد لله ولرسوله ﷺ فيما أحب ، وفيما كره. وحتى الأنبياء مطالبون جميعاً بالانقياد لله عز وجل ، حتى أفضل الخلق سيدنا محمد ﷺ قد ضرب أروع مثل في الانقياد لله في جميع أمور حياته ﷺ .

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ قَالَ: **(اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سمعي وبصري ومخي وعظامي وعصبي)** (3).

2- علامات الانقياد لله ولرسوله ﷺ :

هناك العديد من علامات الانقياد لله ولرسوله ﷺ يمكن حصرها في النقاط الآتية:-

أ- الالتزام بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ :

إن من أشرف علامات الانقياد لله ولرسوله ﷺ الالتزام بطاعتهما على الوجه الذي ارتضاه الله لنفسه وما بلغه عنه رسوله ﷺ . قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [محمد : 33].وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [النساء : 59].وقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران:32].

يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في الآيات بطاعته وطاعة رسوله ﷺ على الوجه الأكمل.

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (19 / 205).

(2) الفوائد (1 / 156).

(3) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (1 / 535) رقم 771.

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :(**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**) [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فالكمال في كمال طاعة الله ورسوله ﷺ باطناً وظاهراً ، والغاية من إرسال الرسل طاعتهم واتباعهم فيما جاؤوا به من عند الله [2].

قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65].

يجب على العبد طاعة رسوله ﷺ ، والانقياد له في الظاهر والباطن ، التسليم لحكمه بلا مدافعة ولا منازعة [3].

يقول ابن القيم رحمه الله: إن طاعة الله ورسوله ﷺ ، وتحكيم ما أمر به الله ورسوله ﷺ هو مصدر السعادة في الدنيا والآخرة ، ومخالفة أمر الله ورسوله ﷺ ، والابتعاد عن طاعتهما هو مصدر كل شر [4].

والناظر إلى الأدلة في القرآن يجد أن طاعة الله ورسوله ﷺ سبب دخول العبد الجنة والفوز بها ، ونيل الدرجات العليا مع الأنبياء والشهداء ، وإن الابتعاد عن طاعتهما سبب الشقاوة في الدنيا والآخرة. قال تعالى:﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور : 52]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب:1 7].

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [النساء : 13].

يقول ابن القيم رحمه الله: "لا تكون طاعة الله ورسوله ﷺ سبباً لمعصية ، بل طاعة الله ورسوله لا توجب إلا خيراً" [5]. فالابتعاد عن طاعة الله ورسوله ﷺ شر يوجب العقاب.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالي{ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (9 / 61) رقم 7137.

(2) انظر: جامع الرسائل (2 / 182).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (2 / 349)

(4) انظر: الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه: لابن القيم ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مكتبة المدني – جدة (1 / 43).

(5) شفاء العليل (1 / 165).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن الخير كله في طاعة الله ورسوله ﷺ ، والشر كله في معصية الله ورسوله ﷺ ."[1] قال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : 63]. قال تعالى:﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا**﴾[النساء : 14].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) [2]. وعنه ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى. قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**) [3].

"الذي ينفع الناس طاعة الله ورسوله ﷺ ، وأما ما سوى ذلك فإنه لا ينفعهم لا قرابة ولا مجاورة ولا غير ذلك" [4].

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قَالَ: (**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا**) [5].

ب- الاستجابة التامة لله وللرسول ﷺ :

الحياة الحقيقية الطيبة إنما تكون بالاستجابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، وهي متباينة في الدرجات والمراتب ، كل ذلك بحسب تمسك العبد وقربه من الله تعالى ، فكلما ازداد تمسك وخضوع للكتاب والسنة تحكيماً وإذعانا ، وقبولاً وتسليماً ؛ ارتقى في درجات الحياة الطيبة ، وذاق طعمها ، فليحذر الإنسان من مخالفة شرع الله ، والإعراض عنه ؛ فإنها الخسارة في الدنيا

---

(1) الفتاوى الكبرى (3 / 148).

(2) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (9 / 94) رقم 7288.

(3) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ(9 / 92) رقم 7280.

(4) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، 1404هـ (2 / 48).

(5) صحيح البخاري:كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (4 / 6) رقم 2753.

والآخرة.قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : 24].

يخاطب الله المؤمنين بوجوب الاستجابة لله ولرسوله ﷺ على الوجه الأكمل الذي ارتضاه الله لنفسه ، وبينه رسوله ﷺ .

يقول ابن القيم رحمه الله: الحياة النافعة هي الاستجابة لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ ، فمن لم تحصل له استجابة لله ولرسوله ﷺ كانت حياته كالبهائم ، فالحياة الحقيقية هي الاستجابة لله ولرسوله باطناً وظاهراً، فهؤلاء هم الأحياء ، وإن ماتت أبدانهم ، والاستجابة تكون بالقلب والجوارح تبعاً لها ، فلا تنفع الاستجابة بالجوارح دون القلب ، فقد حذر الله من ترك الاستجابة بالقلب [1].

فالاستجابة لله تكون باتباع أمره والامتثال إليه في الواجبات من صوم ، وصلاة ، وحج وزكاة ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وغير ذلك من الواجبات ، واجتناب ما نهى عنه من شرب للخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم وأن لا نحتكم إلى غير شريعته وغيرها من المحرمات التي أمرنا الاجتناب عنها ، وبينها الرسول ﷺ . فالاستجابة لله ولرسوله ﷺ لا تتحقق إلا بالتحرر من الهوى. والاستجابة للرسول ﷺ تكون بتصديقه والإيمان به ، وبكل ما جاء به واتباع سنته وإحيائها ، والاستجابة له بعد وفاته ﷺ واجبة يحرم مخالفتها. قال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [النور : 63].

فليحذر عن مخالفة منهجه وشريعته ﷺ ظاهراً وباطناً ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ﷺ فما وافق ذلك قُبِل ، وما خالف ذلك فهو رد [2].

قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص : 50].

يقول ابن القيم رحمه الله: فقسم الله الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما إما الاستجابة لله والرسول ﷺ وما جاء به ، وإما اتباع الهوى فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى" [3].

---

(1) الفوائد (1 / 88 – 90).

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (6 / 90).

(3) إعلام الموقعين (1 / 47).

والمؤمن سريع الاستجابة لله ولرسوله ﷺ بخلاف المنافق والكافر الذي يرفض الاستجابة ، وإن استجاب لأمر الله ورسوله ﷺ يستجيب لمنفعة يريدها فإذا تحققت تلك المنفعة عاد لرفض الاستجابة. قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ *وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [النور : 47 ، 48].

3- **ثمرات الاستجابة لله ولرسوله ﷺ :**

للاستجابة لله ولرسوله ﷺ العديد من الثمرات منها:-

أ- **مغفرة الذنوب:**

قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ**﴾[الأحقاف: 31].

ب- **قبول الدعاء:**

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : 186].

ج- **حياة القلوب:**

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الأنفال : 24].

د- **التحرر من الجهل والخرافة والعبودية لغير الله:**

قال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : 31]. وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه : قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ من ذهبٍ ، فقال: يا عديُّ ، اْطرَحْ عنك هذا الوثَنَ ، وسمعته يقرأُ : اتَّخَذوا أَحْبارَهم ورُهبانَهم أربابا من دون اللّه.قال : **(إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنَّهم كانوا إذا أَحَلُّوا لهم شيئا اسْتَحَلُّوهُ ، وإذا حَرَّمُوا عليهم شيئا حَرَّمُوهْ)** (1).

---

(1) سنن الترمذي:كتاب تفسير القرآن ، باب سورة التوبة (5 / 278) رقم 3095 ، قال الألباني (صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة - (9 / 73) رقم 3293.

4-معوقات وموانع الانقياد لله والرسول ﷺ :

هناك العديد من الموانع التي تؤدي بالعبد المسلم إلى الفتور للانقياد لله ولرسوله ﷺ ومن أهم هذه الموانع:-

أ- اتباع الأهواء:

أوجب الإسلام على المسلم الانقياد لله ولرسوله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة سواء وافق هواه ، أو لم يوافق ، ونهاه عن اتباع الأهواء لما فيها من الانقياد للنفس وملذاتها ، وترك الانقياد لله ولرسوله ﷺ .

فقد حذر الله عز وجل من اتباع الأهواء لما فيها من الخطر على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ [ص : 26].يخاطب الله عز وجل في الآية نبي الله داود أن يحكم بين الناس بالحق المنزل من عند الله وأن لا يعدل عنه فيضلوا عن سبيله. وقد توعد الله من اتبع هواه ، وضل عن سبيله بالعذاب الشديد [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: اتباع الهوى يكون في الحب والبغض ، فقد نهى الله رسوله ﷺ عن إتباع أهواء الخلق [2] قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[البقرة : 120]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص : 50].وقال تعالى: ﴿ **فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا** ﴾ [النساء : 135].

يقول ابن تيمية رحمه الله: اتباع الهوى يصد عن الانقياد والتصديق لما أوجبه الله [3].

يقول ابن القيم رحمه الله: الانقياد إما أن يكون لله وللرسول ﷺ وما جاء به ، وإما اتباع الهوى فكل ما لم يأت به الرسول ﷺ فهو من الهوى [4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7 / 62 – 63).

(2) انظر: جامع الرسائل (2 / 206).

(3) انظر: النبوات ، المطبعة السلفية – القاهرة ، 1386هـ (1 / 168).

(4) انظر: إعلام الموقعين (1 / 47).

ب- **الكِبر:**

الكبر من أهم الموانع والمعوقات التي تقف في وجه العبد عن الانقياد ، والامتثال لأمر الله عز وجل ولأمر رسوله ﷺ لما في الكبر من إعجاب بالنفس ، واحتقار للناس والترفع عنهم.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان : 18]. وقال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾[الأعراف : 146]. وقال تعالى: ﴿ **فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [النحل : 29].

يقول ابن تيمية رحمه الله: الكِبر مقابل الإيمان ، وهو ينافي حقيقة العبودية [1].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(الْكِبْرِيَاءُ ردائي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِى فَمَنْ نازعني وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ في النَّار)** [2].

يقول ابن القيم رحمه الله:الكبر من أعظم أسباب منع الانقياد لهذا الدين ، فالكبر منع إبليس من الانقياد لأمر الله في السجود لآدم ، فمن تكبر عن الانقياد للحق أذله الله وفضحه [3]. ومن تكبر عن الانقياد لله ولرسوله ﷺ وما جاء به من الحق أذله الله وصغره وحقره [4].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ ، عن النبي ﷺ قَالَ : **(لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ! فَقَالَ رَجُلٌ : إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ، ونَعْلُهُ حَسَنَةً ؟ قَالَ : إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الكِبْرُ : بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)** [5].

يقول ابن تيمية رحمه الله: نفى الرسول ﷺ في الحديث الدخول المطلق للجنة لمن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر [6].

---

(1) العبودية (1 / 99).

(2) سنن أبى داود:كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر (4 / 102) رقم 4092 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 776) رقم 7758.

(3) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية والعلم والإدارة: لابن تيمية ، دار الكتب العلمية – بيروت (1 / 96).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (2 / 333).

(5) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر وبيانه (1 / 93) رقم 91.

(6) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (1 / 130).

ج- قسوة القلب:

قسوة القلوب وإعراضها عن الحق من أشد موانع الانقياد لله عز وجل ، والقلوب تمرض كما يمرض البدن ، ومرضه القسوة والبعد عن الحق. فصلاح العبد وفساده يترتب على القلب ، فإذا صلح القلب صلح البدن ، وانقاد العبد لربه وإذا فسد القلب فسدت الجوارح ، وانقاد الإنسان لشهواته ورغباته وابتعد عن طاعة ربه. عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ [1] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**) [2]. وقال تعالى﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد : 28].

يقول ابن القيم رحمه الله: " القلوب القاسية أبعد القلوب من الله" [3]. قال تعالى: ﴿ **لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ** ﴾[الحديد: 16]. وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [المائدة : 13].

فقد كان الرسول ﷺ يدعو الله عز وجل أن يثبت قلبه على الدين.عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كَانَ أكثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ﷺ (**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) [4].

د- الإعجاب والغرور بالنفس:

الإعجاب والغرور بالنفس توقع صاحبها – والعياذ بالله – في التكبر على الخلق فلا ينقاد لشرع الله ، فقد يعجب العبد ويغتر بفعل الطاعات فيتمنن على الله بفعلها ، وينسي نعمة الله عليه ، وشيئاً فشيئاً يمنعه الشيطان من الانقياد لشرع الله وحكمه ، ويزين له الشيطان عمله فيغتر بها كما اغتر الشيطان بنفسه ، وامتنع من الانقياد لحكم الله بالسجود لآدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [الأعراف : 12]. رفض إبليس الانقياد لأمر الله بالسجود واغتر بنفسه ، فقال: أنا

---

(1) سبق الترجمة له ص 115.

(2) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه (1 / 20) رقم 52.

(3) الفوائد (1 / 97).

(4) صحيح سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ ، باب 90 (5 / 538) رقم 3522 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 894) رقم 8932.

خير من هذا ، المخلوق من طين وأنا المخلوق من نار [1]. فمن يسلك مسلك الغرور فقد انسلخ من الإسلام كما تنسلخ الحية من قِشْرَها [2]. والإعجاب والغرور بالنفس من المهلكات التي يجب على العبد المسلم الابتعاد عنها.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يمشي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي بَطْنِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** [3] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : فشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)** [4].

هـ- التقليد الأعمى وإتباع الكبراء والسادة:

التقليد الأعمى للآباء والأجداد واتباع الكبراء ، والسادة من أخطر الأمور التي تعيق الفرد من الخضوع والانقياد لحكم الله ، فقد حذر الرسول ﷺ المسلم من اتباع الكبراء والسادة من غير الله. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ ؟)** [5].

إن أكثر ما يحتج به الكافر على عدم الانقياد لشرع الله هو اتباع الآباء والأجداد. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : 170].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ذم تقليد الآباء والكبراء والسادة في خلاف ما جاءت به الرسل ، وأما اتباع الرسل فهو الذي أوجبه لم يذم من اتبعهم أصلا" [6]. قال تعالى: ﴿ **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء : 74].

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 228).

(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (15 / 20).

(3) صحيح مسلم: كتاب اللباس ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (3 / 1654) رقم 2088.

(4) مسند البزار : باب أبي حمزة أنس بن مالك ﷺ (2 / 290) رقم 6491 ، قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 12) 53.

(5) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (4 / 169) رقم 3456.

(6) درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، دار الكنور الأدبية – الرياض ، 1391 هـ (4 / 78).

و – الإفراط والتفريط في الحق:

قال تعالى: ﴿ **يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾[الزمر: 56]. فيتحسر العبد المفرط يوم القيامة على تفريطه في الحق ، ويود لو كان من المخلصين.(1)

يقول ابن القيم رحمه الله: من العوامل التي تمنع العبد من الانقياد لله ولرسوله ﷺ الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال لله ورسوله ﷺ ، والغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي ، وهذا يجمع بين التفريط والإفراط (2). قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : 77]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا)** (3).

نخلص مما تقدم:معوقات الانقياد لله عز وجل ولرسوله ﷺ تكون باتباع الأهواء وما يصحبه من إعجاب بالنفس ، والتكبر على الآخرين ، والتقليد الأعمى للآباء والأجداد ، مع التفريط في الحق

ثانياً: توضيح مفهوم الشهادتين وغرسه في النفوس البشرية:

يبرز دور العقيدة في علاج القصور في فهم الشهادتين توضيح مفهومهما ، وغرسهما في نفوس البشر، ولا نفقد المعرفة فقط بل يجب التطبيق الامتثال العملي لمفهوم الشهادتين.وقد عرفنا فيما الشهادتين نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله تعالى ، وإثباتها لله عز وجل وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك في ملكه ، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج : 62].

يقول ابن تيمية رحمه الله:لا إله إلا الله إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع (4).

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7 / 110).
(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 496).
(3) صحيح البخاري:كتاب الإيمان ، باب الدّين يسر (1 / 16) رقم 39.
(4) انظر: دقائق التفسير (2 / 364).

ويقول ابن القيم رحمه الله:الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً، وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً، وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك [(1)].

والإيمان بمحمد رسول الله ﷺ يتضمن تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فما أثبته وجب إثباته ، وما نفاه وجب نفيه ، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة .

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما الإيمان بالرسول فهو المهم ، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله [(2)].

قال الإمام الطحاوى رحمه الله:"جب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا هملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية" [(3)].

ثالثاً: إبطال ما يناقضهما من الأقوال ، والأفعال ، والإرادات:

عالجت العقيدة الإسلامية القصور في فهم الشهادتين بإبطال كل ما يناقضهما سواء كان في الأقوال ، أو الأفعال ، أو الإرادات ، ففي حال إبطال ما يناقضهما يتضح للعبد المؤمن حقيقة الشهادتين ، لأن بمعرفة الضد يتميز الشئ المراد إيضاحه ، ويمكن إبطال ما ينقض الشهادتين عن طريق التالي:-

1- إثبات العبادة لله عز وجل دون سواه.

2- إثبات خلق الله للمخلوقات.

3- إثبات كل ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته الرسول ﷺ لربه ، ونفي كل ما نفاه الله عن نفسه وكل ما نفاه الرسول ﷺ عن ربه.

4- إفراد الله بالحاكميه.

---

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 27).

(2) مجموع الفتاوى (7 / 638 – 639).

(3) شرح العقيدة الطحاوية – ط دار السلام (1 / 70).

5- التسليم المطلق لما جاء به الرسول ﷺ .

6- التصديق بالأمور الغيبة الواردة في القرآن والسنة.

7- موالاة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، والبراء من الكفر والكافرين.

8- رد كل ما خالف الكتاب والسنة من الآراء والأهواء.

9- القضاء على كل ما يؤدي للكفر ، والنفاق ، والردة ، والشرك.

10- إفراد الله عز وجل بالذكر والدعاء والثناء ، والإستعانه ، والسؤال.

رابعاً: ضرب الأمثلة من واقع الأنبياء وأتباعهم:

عالجت العقيدة الإسلامية القصور في فهم الشهادتين عن طريق ضرب الأمثلة من حياة أنبياء الله عليهم أفضل السلام ، ومن حياه أتباعهم رضي الله عنهم جميعاً ، لتبين مكانه الشهادتين وإنه لا يمكن التنازل أو التفريط بهما ، حتى لو ضحى الإنسان بنفسه وماله من أجلهما ومن الأمثلة على ذلك:-

أولاً: من حياة الأنبياء: لقد ضرب أنبياء الله أروع الأمثلة في معرفتهم وتمسكهم " بلا إله إلا الله" قولاً وعملاً فقد طبقوها وبينوها لمن بعدهم أنه لا يجوز التفريط بها أو التنازل عنها ، بل علموا من بعدهم أن على العبد المسلم أن يقتل من أجلها لمكانتها وأهميتها ومن الأمثلة على ذلك.عندما دار الحديث بين رسول الله ﷺ وأبو طالب في التنازل عن شئ من دينه ، فقال رسول الله ﷺ يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله ﷺ وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا بن أخي قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبدا [1].

وكذلك ما حدث بين أسد ابن عبد العرى ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا يا محمد: هلم فلتعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعلى فيهما { **قل يا أيها**

---

(1) انظر: السيرة النبوية: لابن هشام ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل – بيروت ، 1411 هـ (2 / 101).

الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين } [الكافرون : 1 – 6] .أي إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم جميعا ولي دين [1].

ثانياً: من حياة أتباع الأنبياء:

ضرب أتباع الأنبياء المثل الأعلى في التضحية بالغالي والنفيس من أجل تمسكهم بدين الله. وتطبيق لا إله إلا الله محمد رسول الله ومن الأمثلة الدالة على ذلك :عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب . وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه . وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس . فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا . إلا بلال . فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه . فأخذوه فأعطوه الولدان . فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد ، أحد [2].

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ومن سبقهم من الأمن السابقة يعذب أشد لصده عن دين الله ، فيصبر ويثبت على "لا إله إلا الله محمد رسول الله" عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ: **(قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)** [3].

وقد روي الأمام مسلم عن قصة أصحاب الأخدود عن رسول الله ﷺ عندما قتل الغلام

"**فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت**

(1) انظر: المرجع السابق (2 / 208).

(2) سنن ابن ماجه: افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (1 / 53) قال الألباني: (حسن) صحيح ابن ماجة (1 / 30) رقم 122.

(3) صحيح البخاري: كتاب الإكراه ، بَاب مَنْ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ عَلَى الْكُفْرِ (9 / 20) رقم 6943.

امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق" [1]. فما صبرت تلك المرأة إلا وهي تعلم حقيقة لا إله إلا الله.

خامساً: بيان حسن عاقبة المتمسك بهما في الدنيا والآخرة:

تبرز دور العقيدة في علاج القصور في فهم الشهادتين ، ببيان حسن عاقبة التمسك بهما في الدنيا والآخرة وذلك من باب الترغيب بهما والحث على التمسك بهما قولاً وعملاً.

ويبرز حسن التمسك بالشهادتين عصمة دماء وأموال وأعراض من أقر بهما ، وإنه تدخله في دائرة الإيمان ، والبشارة بالجنة والعتق من النار ، وزيادة الحسنات وتثقيل الميزات يوم القيامة ، تمحوا السيئات والذنوب ، وشفاعة الرسولﷺ له يوم القيامة[2].

سادساً: بيان سوء عاقبة الغير متمسك بهما في الدنيا والآخرة:

عالجت العقيدة أصحاب القصور في فهم الشهادتين وذلك عن طريق العقاب ، فلمنكرين للشهادتين ، أو لأحدهما عقاب في الدنيا والآخرة. فعقابه في الدنيا يحكم بكفرة ، و حبوط عمله ، وردته ، وخروجه من دائرة الإسلام ، ووقوعه في الشرك الأكبر ،أما في الآخرة غضب الله ودخوله جهنم إن مات من غير توبة. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : 217].

من أشرك بالله ، أو جحد ربوبيته ، أو وحدانيته ، أو استهزأ بالله ، أو بأحد من رسله صلوات الله عليهم ، أو كان مبغضا لرسوله ، أو لما جاء به ، أو جعل بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ، كفر بالإجماع [3].

ولمزيد من معرفة سوء عاقبة الغير متمسك بهما في الدنيا والآخرة يمكن الرجوع إلى نواقض الشهادتين من البحث.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (4 / 2299-2300) رقم 3005.

(2) وللإستزاده عن الموضوع يمكن الرجوع لأهمية ومكانة الشهادتين من البحث.

(3) انظر: مؤلفات ابن عبد الوهاب (1 / 68).

الفصل الثاني
الانحراف في التصور الإسلامي ودور العقيدة في علاجه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القصور في فهم العبادة.

المبحث الثاني: القصور في فهم التوكل.

المبحث الثالث: الانحراف في فهم النصوص الشرعية والعمل بها.

المبحث الأول

القصور في فهم العبادة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : تعريف العبادة.

المطلب الثاني : مكانة العبادة.

المطلب الثالث : أنواع العبادة.

المطلب الرابع : شروط العبادة.

المطلب الخامس: دور العقيدة في علاج القصور في فهم العبادة.

المطلب الأول

تعريف العبادة

تعريف العبادة لغة:

هي الطاعة والذل والخضوع لله عز وجل [1].

تعريف العبادة في الاصطلاح:

عرفها ابن تيمية رحمه الله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة [2]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[الأنعام: 162].

وعرفها ابن القيم رحمه الله: هي غاية الحب مع كمال الذل لله عز وجل [3].

وتم تعريفها بأنها : فعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ابتغاء وجه الله والآخرة [4].

ونخلص مما تقدم: العبادة هي: الخضوع والتذلل لله بكل ما يحب ، ويرضى ، مع الشعور بلذة الطاعة.

---

(1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (8 / 331).

(2) انظر: الزهد والورع والعبادة ، تحقيق: حماد سلامة ، محمد عويضة ، مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة: الأولى ، 1407 (1 / 49) ، العبودية :لابن تيمية ، تحقيق: محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: السابعة المجددة 1426هـ / 2005م (1 / 44) .

(3) انظر: إغاثة اللهفان (2 / 133).

(4) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: لشمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (1 / 319).

المطلب الثاني

مكانة العبادة

للعبادة مكانة عظيمة عند الله تعالى ، وآثارها عظيمة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ، وتتمثل مكانة العبادة في الآتي:-

1- العبادة هي الغاية التي خلق الله العباد من أجلها:

إن الله خلق الإنس والجن للعبادة ، فهي حق الله على خلقه مع غناه عنهم وعن عبادتهم. قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : 56].

يقول ابن القيم رحمه الله: "أخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة ، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه ، فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها" [(1)]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[البقرة : 21].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ. قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: أَلا يُعَذِّبَهُمْ)** [(2)].

فالعبادة حق خالص لله رب العالمين لا يجوز أن يفرد غيره بها مهما بلغ ما بلغ من المنزلة العالية. فالمخلوق مهما بلغ من المنزلة فهو مخلوق ، لا يستحق شيئاً من العبادة ، حتى أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ [(3)]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِير** ﴾ [الأعراف : 188].

2- العبادة تقرب العبد من خالقه:

أفضل ما يتقرب به العبد لله عز وجل هو ما خُلق من أجله من العبادة والتذلل.

---

(1) الفوائد (1 / 122) ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 98) .

(2) صحيح البخاري:كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلي توحيد الله تبارك وتعالى (9 / 114) رقم 7373.

(3) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 210).

قال تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق : 19]. يخاطب الله عز وجل رسوله ﷺ فيقول: يا محمد ﷺ لا تطعه فيما ينهاك من المداومة على العبادة والتقرب لله في عبادته ، فإن الله يعصمك من الناس [1]. عن أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: **(إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)**[2]. فالله قريب من عباده المؤمنين الذين يتقربون إليه بالعبادة.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة : 186].

يقول ابن تيمية رحمه الله: وصف الله نفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ أنه قريب من عباده المتقربين إليه بالعبادة [3].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: **(والَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ أحدكم)** [4].

3- العبادة هي السياج التي تحمي العبد من الوقوع في الانحرافات والمنكرات:

خَلق الله الإنسان وخَلق له روحاً وجسداً ، ووازن بينهما، وجعل لكل منهما غذاء يناسبه ، فغذاء الروح العبادات التي تسمو بالعبد وترتقي به من الوقوع في الانحرافات . قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [الإسراء : 82] . وعن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه [5] قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : **(قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلا هَالِكٌ)** [6].

فقد حث القرآن على التمسك بالعبادات حتى تكون له السياج التي تحميه من الوقوع في الانحرافات.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 / 439).

(2) صحيح البخاري:كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (9 / 157) رقم 7536.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (5 / 464).

(4) صحيح مسلم :كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (4 / 2077) رقم 2704 .

(5) سبق له الترجمة 135.

(6) مسند أحمد (28 / 367) رقم 17142 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 782) رقم 7818.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء : 32] .

وجه الدلالة في الآية: أن الالتزام بعبادة الله تحث الإنسان على غض البصر ، والابتعاد عن الخلوة والاختلاط وغيرها من مقدمات الزنا ، فهي الحماية من الوقوع في الزنا.

4- الشعور بالقوة والطمأنينة والأمن الدنيوي والأخروي:

الالتزام بالعبادة تكسب العبد الشعور بالقوة والعزة والطمأنينة في الدنيا والآخرة ، فلا يخشى إلا من الله . قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : 28].

يقول ابن القيم رحمه الله: لا تطمئن القلوب ولا تسكن النفوس إلا بالتذلل والتضرع والتقرب من الله عز وجل [(1)].

5- تجنب العبد من وساوس الشيطان:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [البقرة : 168].

إقرار العبد بعبودية لله وإفراده بها دون سواه ، والامتثال له في جميع العبادات القولية والقلبية ، تحمي المسلم من وساوس الشيطان وخطره. قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس : 62].

6- هي الزاد الذي يقربَّ العبد من مرضات الله:

العبادة هي الزاد الذي يتزود به العبد المسلم ليتقرب به إلى الله ، ولينال مرضات الله ، والفوز بالجنة.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّه** ﴾ [البقرة : 207].

7- تحقيق العزة للإنسان:

قال تعالى: ﴿ **منْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾ [فاطر : 10]. طلب العزة يكون بالالتجاء إلى عبودية الله عز وجل[(2)].

---

(1) انظر: رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه: تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر ، مطابع الشرق الأوسط – الرياض ، 1420 (1 / 33).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 435)

المطلب الثالث

أنواع العبادة

قسم العلماء العبادة إلي عدة أقسام وهي: العبادة القوليه ، والبدنية ، والمالية ، والقلبية.

يقول ابن القيم رحمه الله: العبادة واقعة على القلب ، واللسان ، والجوارح ، وكل نوع من هذه الأنواع يتعلق به أحكام خاصة [1]. قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [آل عمران : 191].

اشتملت هذه الآية على جميع أنواع العبادة الإقرار باللسان ،والتصديق بالقلب ، والعمل بالجوارح، فقوله تعالى : {**يَذْكُرُونَ اللَّـهَ**} إشارة إلى عبودية اللسان ، وقوله : { **قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**} إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء ، وقوله : { **وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ**} إشارة الى عبودية القلب والفكر والروح [2].

أولاً:العبادة القوليه:

العبادة القوليه هي العبادة الواقعة على اللسان من ذكر ، وتسبيح ، وتهليل ، وتكبير ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، والعبادة القولية لها خمس أحكام وهي: الواجب والمباح ، والمستحب ، والمكروه ، والحرام.

1- **العبادات القوليه الواجبة:**

هناك الكثير من العبادات الواجبة الواقعة على اللسان الذي يثاب قائلها ، ومن أهم العبادات القولية الواجبة. النطق بالشهادتين ، وتلاوة القرآن ، والتلفظ بالأذكار الواردة في الصلاة من التسبيح في الركوع والسجود والدعاء والتكبير والتسليم والأذكار الواجبة في الحج ، ونحو ذلك ، ومما يجب أيضا رد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهل. وإرشاد الضال ، وأداء الشهادة المتعينة ، وصدق الحديث [3].

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 109).

(2) انظر: تفسير الفخر الرازي: لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي (1 / 1330).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (1 / 114).

عن جابر بن عبد الله ﷺ : قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **(أَفضل الذِّكر: لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاءِ : الحمد لله)** [(1)].

2- **العبادات القولية المباحة:**

الكلام الذي لا يترتب عليه شيء ، لا له ولا عليه [(2)].

3- **العبادات القولية المستحبة:**

" كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره ، وعند أخذ المضجع ، وعند الاستيقاظ من المنام ، وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة ، مثل: ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك" [(3)].

4- **المكروه من القول:**

الكلام الذي يكون تركه خير من التكلم به ، مع عدم العقوبة عليه. عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)** [(4)].

5- **المحرم من القول:**

النطق بكل ما يُبْغضُ الله ورسوله ﷺ ، كشهادة الزور ، والكذب ، والقذف ، والقول على الله بغير علم ، وسب المسلم وقذفه. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب : 57 ، 58].

ثانياً: العبادة البدنية:

العبادات البدنية وهي الواقعة على البدن من صوم وصلاة وغسل ووضوء وجهاد. يقول ابن تيمية رحمه الله: يجب إخلاص العبادات البدنية لله رب العالمين من صوم وصلاة

---

(1) سنن الترمذي:كتاب الدعوات ، باب دعوة المسلم مستجابة (5 / 462) رقم 3383 ، قال الألباني:(حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 199) رقم 1984.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (1 / 115) .

(3) الزهد والورع والعبادة: لابن تيمية (1 / 93).

(4) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (8 /11) رقم 6018.

وحج فلا يصح الركوع ولا السجود إلاّ لله ، ولا صيام إلا لله ، ولا حج إلا لله في بيت الله الحرام [1].

وأفضل العبادات البدنية هي عبادة الصلاة ، لما فيها من قراءة القرآن والذكر والتسبيح والركوع والسجود ولاشتمالها على العديد من عبادات البدن [2].

أما بالنسبة لوصول ثواب العبادات البدنية للميت من صوم وصلاة ، فمذهب أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي أنها تصل ، وذهب أكثر أصحاب مالك والشافعي أنها لا تصل [3].

ومن الأدلة على ذلك:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى)**[4]. وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ)** [5]. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ: **(نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ)** [6].

فعبادة البدن هي العبادة الواقعة على الجوارح الخمس ، فقد قسم ابن القيم رحمه الله: الجوارح الخمس إلي خمس وعشرين مرتبة ، إذ الحواس خمسة ، وعلى كل حاسة خمس عبوديات من الوجوب ، والمباح ، والمستحب ، والمكروه ، والحرام.

---

(1) انظر: بيان الدليل على بطلان التحليل ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، المكتب الإسلامي (3 / 18).

(2) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (2 / 60) ، مجموع الفتاوى: لابن تيمية (16 / 235).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (24 / 324).

(4) صحيح مسلم: كتاب الصيام ، باب قضاء رمضان في شعبان (2 / 804) رقم 1148.

(5) صحيح البخاري: كتاب الصوم ، باب من مات وعليه صوم (3 / 35) رقم 1952.

(6) صحيح البخاري: كتاب الإحصار وجزاء الصيد ، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة (3 / 18) رقم 1852 .

1- **عبودية السمع:**

فعلى السمع وجوب الإنصات ، والاستماع لما أوجبة الله ورسوله ﷺ . ويستحب الاستماع إلي قراءة القرآن ، وكل ما يحب الله ورسوله ﷺ ، ويكره الاستماع إلي كل ما يكره ولا يعاقب عليه ، ويحرم الاستماع إلي الكفر والبدع ، والاستماع إلى أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن ، والاستماع إلى المعازف .

2- عبودية النظر:

يجب النظر إلى المصحف وكتب العلم في تعيين تعلم الواجب ، والنظر لتمييز الحلال من الحرام ، ويستحب النظر إلى كتب العلم والدين ، ويكره النظر في الشيء الذي لا مصلحه فيه ، ويحرم النظر إلي الأجانب لغير عذر شرعي.

3- عبودية الذوق:

التذوق الواجب كتناول الطعام والشراب عند الإضرار ، ويستحب التذوق ما كان يعينك على طاعة الله ، ويكره تذوق المشتبهات والأكل فوق الحاجة ، والتذوق الحرام كتذوق الخمر والسموم القاتلة.

4- عبودية الشم:

الشم الواجب ما يميز بين الحلال والحرام ، ويستحب شم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس ، ويكره شم أصحاب الشبهات ، يحرم شم الطيب في الإحرام ، والنساء خشية الافتتان ، والطيب المسروق.

5- عبودية اللمس:

اللمس الواجب كلمس الزوجة حين الجماع ، ويستحب إذا كان فيه غض البصر ، وكف النفس عن الحرام ، ويكره لمس الزوجة في الإحرام للذة ، ويحرم لمس الأجنبيات [1].

ثالثاً: العبادة المالية:

وهي العبادة التي يتقرب صاحبها من الله بالمال من زكاة الفطر ، وزكاة المال ، وكفارات ونذور وغيرها.

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (1 / 116 - 120).



قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة : 274]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان : 9].

وتنقسم العبادة المالية إلى قسمين:-

1- العبادة المالية المحضة:

هي العبادة المقتصرة على المال دون البدن ، وتكون في الزكاة والصدقة وبعض الكفارات وفدية الصوم ، ويجب أن يكون الإنفاق من المال الحلال المحبب للنفس.

قال تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران : 92].

2- العبادة المالية البدنية:

هي العبادة المشتركة بين عبادة الجوارح ، وعبادة المال ، كعبادة الحج والجهاد التي تقوم على المال والبدن (1).

الحج عبادة مشتركة تقوم العبادة المالية على المال من جانب وعلى البدن من جانب آخر، فالعبادة المالية تقوم على تجهيز تكاليف الحج ونفقاته ، وعبادة بدنية تقوم على أركان الحج وغيرها.وكذلك الجهاد في سبيل الله يقوم على العبادة المالية والبدنية معاً ، فالعبادة البدنية تتمثل في القتال والتضحية بالنفس ، والعبادة المالية تتمثل في الإنفاق على الجهاد ، والمجاهدين بالمال من تجهيز العتاد والجند بكل ما يحتاجونه ، فقد بشر الرسول ﷺ أن المنفق بالمال في الجهاد له أجر المجاهدين حتى ولو لم يشارك في الجهاد.عن زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ ﷺ (2) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ**

---

(1) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار السلاسل- الكويت (2 / 54).

(2) زيد بن خالد الجهني مختلف في كنيته قيل: أبو زرعه ، وأبو عبد الرحمن ، وأبو طلحة ، شهد الحديبية ، كان معه لواء جهينة يوم الفتح ، روى عن النبي ﷺ وعن عثمان وأبي طلحة وعائشة ، مات سنة ثمان وسبعين بالمدينة وله خمس وثمانون ، وقيل: مات سنة ثمان وستين، وقيل :مات قبل ذلك في خلافة معاوية بالمدينة ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (2 / 603).

غَازِيًا فِـي سَبِيلِ اللَّـهِ بِخَيْـرٍ فَقَدْ غَـزَا) [1]. وعَنْ أَنَسٍ بن مالك ﷺ ، أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ: **(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)** [2].

يقول ابن كثير رحمه الله: العبادة المالية البدنية في الجهاد تقوم على الإنفاق ، وإعداد السلاح ، والخيل وغيرها من الأمور المتعلقة بالمال ، مع التضحية بالجسد [3].

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة : 267].

يقول ابن تيمية رحمه الله: النحر أفضل العبادات المالية على الإطلاق لاجتماعها على العبادتين المالية والبدنية ، فهي أفضل من الصدقة لما فيها من الامتثال لأمر الله ، وبذل المال عن طيب [4]قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[الأنعام: 162].

ومنهم قال: إن الزكاة هي أفضل العبادات المالية لتعظيمها لأمر الله تعالي ، والشفقة على خلق الله [5].

ويمكن التوفيق بين الرأيين بالقول:

الزكاة أفضل العبادات المالية المتعلقة بالقسم الأول من أنواع العبادات المالية ، وهي العبادة المالية المحضة التي لا تتعلق بالبدن ، وإن الذبح والجهاد أفضل العبادات المالية المتعلقة بعبادة المال والبدن معاً كما هو في القسم الثاني من أقسام العبادات المالية.

- وصول ثواب العبادة المالية للميت:

والعبادة المالية بجميع أشكالها يصل ثوابها للميت عند جمهور السلف [6].

(1) صحيح البخاري:كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير (4 / 27) رقم 2843.

(2) سنن أبى داود : كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو (2 / 318) قال الألباني (1 / 541) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم 5403.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 691).

(4) انظر: بيان الدليل على بطلان التحليل (2 / 469) ، الفتاوى الكبرى (2 / 370).

(5) انظر: فتح الباري: لابن حجر (2 / 7) ، تفسير الفخر الرازي: للرازى (22 / 161).

(6) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة : لابن قيم (1 / 122) اقتضاء الصراط: لابن تيمية (1 / 378).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ : (ِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) [1].

رابعاً: العبادة الاعتقادية (القلبية):

العبادة الواقعة على القلب كمحبة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، والتوكل على الله ، والصبر ، والتواضع له ، والخوف ، والرهبة ، والخشوع ، والرغبة ، والإنابة ، والإخلاص ، والشكر ، والصبر ، وحسن الطن بالله.

ومما يحرم منها الكبر ، والحسد ، والرياء ، والعجب ، والغفلة ، والنفاق ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله .

والعبادة القلبية هي من أعظم العبادات ، وجميع العبادات تبعاً لها. وهي مبتدأ التكاليف ، وأول واجب يجب معرفته بعد معرفة الله ومعرفة صفاته ، وصلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب [2]. عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ [3] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)** [4].

الحديث يدل دلالة واضحة على أن جميع العبادات مرتبطة بصلاح القلب وفساده ، فإذا صلح القلب صلحت جميع العبادات ، وعلى رأسها الجوارح ، وترتب عليها طاعة الله وذكره واجتناب نواهيه ، وإذا فسد القلب فسدت جميع العبادات ، وترتب عليها الابتعاد عن عبادة الله والوقوع في الحرام [5].

---

(1) سنن الترمذي:كتاب الإحكام ، باب في الوقف (3 / 660) رقم 1376 ، قال الألباني (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 80) رقم 795.

(2) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام: للعز بن عبد السلام ، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي ، دار المعارف – بيروت – لبنان (1 / 167).

(3) سبق الترجمة له ص 115 .

(4) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه (1 / 20) رقم 52.

(5) انظر: فتح الباري: لابن رجب (1 / 208).

فقد كان الرسول ﷺ يدعو الله أن يثبت قلبه بالدين لأن القلب هو أساس صلاح الجسد أو فساده.عن النواس بن سمعان الكلابي [1] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما مِنْ قَلْبٍ إلا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ)** [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: أعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبعاً لها ، فأعمال الجوارح مرتبطة بأعمال القلب ، وهل يميز المؤمن من المنافق إلا بما في القلب[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: عبودية القلب هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، وهي التي تظهر أثرها على الجوارح ، فلو أكره المسلم على النطق بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك [4]. ومن أهمية العبادات القلبية أنها أساس النجاة من النار، والفوز بالجنة ، ورضى الله. عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **(يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآن رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ [5]أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَلا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ، قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَنَسٌ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إلا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ ، وَلا هَجْرٌ ثَمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ**

---

(1) النواس بن سمعان الكلابي له صحبة سكن الشام روى عنه أبو إدريس الخولاني وأهل الشام ، انظر: الثقات: لابن حبان (3 / 411).

(2) سنن ابن ماجه:كتاب الإيمان وفضائل الصحابة ، باب فيما أنكرت الجهميه (1 / 72) رقم 199، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير (1 / 1395) رقم 13947.

(3) انظر: بدائع الفوائد (3 / 710).

(4) انظر: العبودية :لابن تيمية (1 / 88).

(5) الملاومة والمباغضة ، انظر:تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (39 / 443)

عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأحد مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ) [(1)].

الحديث يدل دلالة واضحة أن سبب دخول الصحابي ﷺ الجنة والفوز بها ، كان مبنياً على العبادة القلبية ألا وهي سلامة صدره من الغش والحسد ، لا بعبادة الجوارح ، وهذا لا يعني إهمال عبادة الجوارح والتقليل من شأنها، لأن العبادة القلبية هي المحركة لعبادة الجوارح ، والعبادات القلبية معوضة لعبادة الجوارح إذا تعذر القيام بها.

ومن الأدلة على ذلك: -

عَنْ أَبِي إمامة بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ [(2)] أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)** [(3)].

قال تعالي: ﴿ **وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾ [التوبة : 92]. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : **(إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ)** [(4)].

ونخلص مما سبق: أن جميع أنواع العبادات مرتبطة بعضها ببعض لا تصح عبادة إلا بباقي أنواع العبادات الأخرى.

فالعبادة البدنية لا تصح بدون العبادة القلبية ، والقولية ، وكذلك جميع العبادات لا تصح بدون العبادة القلبية. فقد أشار الرسول ﷺ في أكثر من موضع مبيناً ذلك منها:

---

(1) مسند أحمد (20 / 124- 125) رقم 12697، قال الألباني: (صحيح) السلسة الضعيفة (1 / 25).

(2) سبق الترجمة له ص 113.

(3) صحيح مسلم :كتاب الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (3 / 1517) رقم 1909.

(4) صحيح البخاري:كتاب المغازي ، باب نزول النبي ﷺ الحجر(6 / 8) رقم 4423 .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)** [1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ)**.[2]

---

(1) مسند أحمد (14 / 445) رقم 8856 ، قال الألباني: (صحيح لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 262) رقم 1084.

(2) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر وبيانه (1 / 93) رقم 91.

المطلب الرابع

شروط العبادة

هناك شروط للعبادة الصحيحة يجب أن تتوفر في جميع أنواع العبادات بلا استثناء ، وإن فقدت العبادات تلك الشروط تكون باطلة يجب ردها ، لأن العبادة أمر توقيفي لا يجوز الاجتهاد فيه. عن مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ ﷺ [1] قَالَ: قال النَّبِيَّ ﷺ : **(صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)** [2]. وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِى عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ يَقُولُ:**(لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فإني لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حجتي هَذِهِ)** [3].

ومن أهم شروط العبادة:-

1- إخلاص النية :

الإخلاص في العبادات هو أن تكون أقوال العبد وأفعاله لله في الظاهر والباطن ، لا يقصد بها شيئاً من الدنيا. قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا** ﴾ [الكهف : 110]. ومن أراد العبادة لشيء من الدنيا حبط عمله ولم يقبل.

قال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ﴾ [هود : 15] . يقول ابن القيم رحمه: لا يتحقق مفهوم العبادة لله في قوله إياك نعبد إلا بإخلاص النية لله رب العالمين ، في الظاهر والباطن ، وأن تكون خالصة لكل ما يحب الله ويرضاه [4].

فجميع العبادات سواء كانت مالية ، أو بدنية ، أو قلبية ، أو قولية يجب أن يتوفر بها إخلاص النية ، وإلا لم تقبل ولم يكن نصيبه منها إلا التعب والنصب [5] .

---

(1) مالك بن الحويرث بن أشيم بن زبالة بن خشيش بن عبد ياليل بن ناشب، يكنى أبا سليمان ، سكن البصرة مات بالبصرة سنة أربع وسبعين.انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (5 / 719).

(2) صحيح البخاري:كتاب التمني ، باب ما جاء في إجازة الخبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام وقول الله تعالي{ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } (9 / 86) رقم 2746.

(3) صحيح مسلم:كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً (2 / 943) رقم 1297.

(4) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 83).

(5) وللإستزاده عن الموضوع يمكن الرجوع للفصل الأول ص 147.

قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ [الفرقان : 23].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)** [1].

2- أن تكون موافقة للشرع:

يجب أن تكون العبادة لله بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ، وكل عبادة مخالفة لذلك فهي بدعة يجب ردها على أصحابها. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[آل عمران : 85].

يبين الله عز وجل في الآية: أنه من سلك طريقاً غير موافق للشرع سوى ما شَرَعَه الله فلن يُقْبل منه [2]. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)** [3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لمعرفة العبادة هل موافقة للشرع أم لا ؟ يجب عرضها على كتاب الله والميزان ، فيجب الإعراض عما لم يرد في الكتاب والسنة ، والابتعاد عن الهوى [4].

فَمن عبد الله بعبادة لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فلن تقبل وإن كانت خيراً .

ولو أن رجلاً أراد أن يذبح شاة كلما تمت له سنة من العمر ويتصدق بها ، فإن ذبح الذبيحة جائز لكن جعلها كلما تمت له سنة فلم يرد في الكتاب ولا في السنة.

ولو أراد رجل أن يصلي الظهر ست ركعات بدل أربع ، وأراد أن يزيد لا تقبل عبادته لمخالفتها للشرع [5].

ونخلص مما تقدم: لا يكفي لقبول العبادة أن تكون موافقة للشرع كما يعتقد البعض ، لكن يجب أن تكون موافقة للشرع ، وأن تكون تلك العبادة خالصة لوجه الله ، فإذا لم يتوفر شرط الإخلاص فلن تقبل عبادته

---

(1) مسند أحمد (14 / 445) رقم 8856، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 581) رقم 5801.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 70).

(3) صحيح البخاري: كتاب الشهادات ، باب قوله تعالى: أن يصالحا بينهما صلحا (3 / 184) رقم 2697.

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (4 / 227).

(5) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لمحمد العثيمين (7 / 335- 336).

المطلب الرابع

دور العقيدة في علاج القصور في فهم العبادة

أولاً: مطالعة سير وعبادة السلف الصالح:

الناظر إلى سيرة السلف الصالح ﷺ يرى مدى القصور الذي وقعت به الأمة الإسلامية اليوم في مجال العبادة. فبمعرفة عبادة الرسول ﷺ وأحوال السلف الصالح وبما كانوا عليه في صدر الإسلام من تمام العبادة والخضوع لله والتذلل له ، يجعل جيل اليوم يعلم مدى الانحراف والقصور الذي ألمَّ به بسبب جهله بحال وعبادة السلف الصالح. فبربط جيل اليوم بجذور آبائه تنهض عبادتهم من الغفلة ويصلوا إلى كنز الأمة المفقود ، آلا وهو العبادة الكاملة الخالصة لوجه الله.

1- نماذج من عبادة الرسول ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ **(كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ: عَائِشَةُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا)** [1].

فكانت عبادة الرسول ﷺ تتمثل في اجتهاده بالدعاء ، والاعتراف بالتقصير ، والافتقار إلى الله ، واجتهاده في الصلاة حتى تورمت قدماه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر [2]. عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :**(جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاَةِ)** [3].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)** [4].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب التفسير ، بَاب { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (6 / 135) رقم 4837.

(2) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال - (10 / 130).

(3) المعجم الصغير: للطبراني (2 / 39) رقم 741 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 544) رقم 5435.

(4) صحيح البخاري:كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (8 / 67) رقم 6307.

2- نماذج من عبادة الصحابة ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ [المؤمنون : 60]. وإن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يتقربون لله بجميع أنواع العبادة ، فقد قدموا الصدقات ، والقربات ، والنفقات ، وهم خائفون ألاّ تقبل منهم تلك العبادة [1]. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ { **الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** } يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ. قَالَ: لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ **(وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يُخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)** [2].

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: **(أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عندي فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مالي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ. قُلْتُ مِثْلَهُ. قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ. قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شيء أَبَدًا)** [3].

وعبد الرحمن بن سمرة [4] رضي الله عنهما قال: **(جاء عثمانُ ﷺ إلى النبيِّ ﷺ بألفِ دِينار حين جَهَّزَ جيشَ العُسْرة ، فنثرها في حَجْره.قال عبد الرحمن: فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُقلِّبها في حَجره، ويقول: ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم مرتين)** [5].

دلالة الأحاديث: الملاحظ من خلال الأدلة السابقة أن الصحابة تقربوا لله بالعبادة المالية فهذا أبو بكر يتصدق بكل ماله ، وعمر يتصدق بنصف ماله ، وعثمان يتصدق بألف دينار ، وغيرها الكثير الكثير ،أما بالنسبة لعبادة الصحابة في التقرب لله بالجهاد ففيها كثير من الصور

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 427).

(2) مسند أحمد (42 / 156) رقم 25263 ، قال الألباني:(صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة (1 / 304) رقم 162.

(3) سنن أبى داود:كتاب الطهارة ، باب الرخصة في ذلك (2 / 54) رقم 1680، قال الألباني (حسن) صحيح أبى داود (5 / 365) رقم 1473.

(4) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي ، يكنى أبا سعيد ، قال: البخاري له صحبة ، وكان إسلامه يوم الفتح ، وشهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ ثم شهد فتوح العراق ، وهو الذي افتتح سجستان ، مات في البصرة سنة خمسين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (4 / 310 - 311).

(5) سنن الترمذي: كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان ﷺ (5 / 626) رقم 3701 ، قال الألباني: (حسن) مشكاة المصابيح (3 / 323) رقم 6064.

منها:عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ. فَقَالَ: **(غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهُزِمَ النَّاسُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ فَمَضَى فَقُتِلَ فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ)** (1).

وعن أنس ﷺ قَال: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : لاَ يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ. فَدَنَا المُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ. قَالَ: **(يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ ﷺ** (2) **: يَا رسولَ اللهِ ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : بَخٍ بَخٍ ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ قَالَ : لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أهْلِهَا ، قَالَ: فَإنَّكَ مِنْ أهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ ، فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنّهَا لَحَياةٌ طَوِيلَةٌ ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)** (3).أما بالنسبة لعبادة الصلاة فقد كان عثمان بن عفان يختم القرآن كل ليلة في ركعة (4).

ثانياً: اعتبار الدنيا مزرعة للآخرة:

لقد اشتغل كثير من المسلمين اليوم بالدنيا وملذاتها ، وزين لهم الشيطان جمال الدنيا وزينتها، فتعلقوا بها ، ونسوا أن الدنيا هي مزرعة الآخرة ، فمن زرع في الدنيا خيراً حصد خيراً في الدنيا والآخرة ، ومن زرع شراً حصد شراً. قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة : 7 ، 8].

فالإقبال على الدنيا الفانية والتمسك بها يلهي العبد عن الآخرة ونعيمها ، فإذا أقبل العبد على الدنيا قصر في عبادة ربه.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب المغازي ، باب غزوة أحد وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (5 / 95) رقم 4048 .

(2) عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، شهد بدرا ، كان أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب ، انظر:الإصابة في تمييز الصحابة:لابن حجر(4/ 715– 716)

(3) صحيح مسلم: كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد (3 / 1509) رقم 1901

(4) انظر: الثقات: لابن حبان (2 / 264).

لذلك كان من أفضل الطرق لعلاج القصور في مفهوم العبادة ألا يتعلق العبد بالدنيا وما فيها.

1- **حقيقة الدنيا:**

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن هذه الدنيا وما عليها حقيرة إلا ذكر لا إله إلا الله ، فالدنيا لا تستحق أن يهتم المسلم بها هذا الاهتمام. فقال تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاد** ِ ﴾ [الحديد:20].وتتمثل حقيقة الدنيا في النقاط التالية وهي:-

أ- الدنيا ملعونة:

عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: **(أَلاَ إنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَـةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى)** [1]. فالدنيا ملعونة مبغوضة لأنها غرّت النفوس بزهرتها ولذتها ، فألهتها عن العبودية إلى الهوى، ومن الحق إلى الباطل ، فكل شيء فيها ملعون إلا ما قرب من عبادة الله من أعمال البر. [2]

يقول ابن تيمية رحمه الله: كل عمل في الدنيا ملعون ما لا يوافق الشرع ، ولا يراد به وجه الله ، إلا ما كان لله ورسوله ﷺ [3]. قال تعالى:﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : 110].

ب- الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة:

عن سهلِ بن سعد الساعدي ﷺ [4] قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ :**(لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)** [5].

---

(1) سنن الترمذي:كتاب الزهد ، باب 14(4 / 561) رقم 2322 ، قال الألباني:(حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 249) رقم 2489.

(2) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للمباركفوري ، دار الكتب العلمية – بيروت (6 / 505)

(3) انظر: العبودية (1 / 120).

(4) سبق الترجمة له ص 138.

(5) سنن الترمذي:كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (4 / 560) رقم 2320 ، قال الألباني:(صحيح) السلسلة الصحيحة (2 / 185) رقم 686.

فقد وصف الدنيا بأقل من جناح بعوضة للتحقير من قيمة الدنيا ومكانتها بالنسبة للآخرة ، ولو كان لها أدني قيمة لمنع الكافر منها [1].

ج- الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ : **(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ)** [2].

فالدنيا سكن للمؤمن لتجنبه محرماتها وزينتها ، وانشغاله بعبادة ربه عن الدنيا وما فيها ، بعكس الكافر الذي ينجر وراء كل ملذات وشهوات الدنيا.

يقول ابن القيم رحمه الله: الدنيا سجن المؤمن لما كان منه من سجن نفسه بقيود تمنعه من الاقتراب من الشهوات والملذات ، وجنة للكافر لما يطلق العنان لشهواته ورغباته دون قيود[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ :**(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)** [4].

ويروي أن عمر بن الخطاب ﷺ دخل على رسول الله ﷺ فإذا هو على عباءة ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كسرى وقيصر على الديباج [5] وأنت على هذه؟ فقال: **(يا عمر أَمَا تَرْضى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيا وَلَنَا الآخِرَةُ)** [6].

---

(1) انظر: شرح سنن ابن ماجه (1 / 302).

(2) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا (2 / 1378) رقم 4113 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 573) رقم 5724.

(3) انظر: عدة الصابرين (1 / 211).

(4) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب قول الرسول ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل (8 / 89) رقم 6416.

(5) ثياب من حرير مصفوف بالذهب ، انظر:تاج العروس من جواهر القاموس:لمحمد الزبيدي (25 / 69).

(6) صحيح البخاري:كتاب التفسير ، باب قوله { تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ } (6 / 156) رقم 4913.

د- الدنيا جيفة مستحقرة عند الله:

عن سهل بن سعد ﷺ [1] قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة . فإذا هو بشاة ميتة. فقال: **(أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى أَهْلِهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا)**[2] وعن جابر ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ[3]، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ [4] مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ، ثُمَّ قَالَ: **(أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدرْهَم ؟ فقالوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ ثُمَّ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً ، إنَّهُ أسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ ميِّتٌ ! فقال: فوَ اللهِ للدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)** [5].

وجه الدلالة: أن الدنيا أحقر وأذل عند الله من هذه الجيفة الميتة الذي هانت على البشر.

هـ - الدنيا طريق موصلة للآخرة:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ ، قَالَ : نَامَ رسول الله ﷺ عَلَى حَصيرٍ ، فَقَامَ وَقَدْ أثَّرَ في جَنْبِهِ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً . فَقَالَ: **(مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)** [6].

دلالة الحديث: يدل الحديث دلالة واضحة أن الدنيا هي الطريق المؤدي والموصل بالعبد إلى الآخرة ، فالدنيا كبيت له بابان دخل رجل من باب وخرج من الأخر، فقد شبه الرسول ﷺ الدنيا في الحديث برجل يسير في طريق فتعب فاستراح تحت في ظل شجرة ثم واصل السير، وهكذا الدنيا هي الطريق الموصل للآخرة.

---

(1) تقدم ترجمته له ص 138.

(2) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا (2 / 1376) رقم 4110.قال الألباني: (صحيح لغيرة) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 142) رقم 3236.

(3) جانبيه: انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (12 / 488).

(4) مقطوع الأذنين ،انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 439).

(5) صحيح مسلم :كتاب الزهد والرقائق ، باب (4 / 2272) رقم 2957.

(6) سنن الترمذي:الشهادات عن ﷺ ، باب 44 (4 / 588) رقم 2377 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1061) رقم 10606.

و- التمسك بالدنيا خسارة:

إذا كانت الدنيا جيفة ، وأنها عند الله أذل من الميتة ولا تساوى مقدار بعوضة ، فالتمسك بها خسارة . عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول ﷺ: **(مَنْ كانَتِ الآخرةُ هَمَّهُ ، جعل الله غِناه في قلبه، وجمع عليه شَمْلَهُ ، وأتَتْهُ الدنيا وهي راغِمَة ، وَمَنْ كانت الدنيا هَمَّه ، جعل الله فَقْرَه بين عينيه ، وفَرَّق عليه شَمْلَهُ ، ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له)** [1].

ز- الدنيا مُهلكة ومغرية:

عن عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ [2] ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ ، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ(**فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)** [3].

2- موقف السلف من الدنيا:

- كانت آخر خطبة خطب بها عثمان ﷺ في جماعة فقال: إن الله أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، وإن الدنيا فانية منقطعة ، وإن الآخرة باقية ، فلا تشغلكم الفانية عن الباقية [4].

- يقول مالك بن دينار ﷺ : بقدر ما تفرح للدنيا بقدر ما تخرج حلاوة الآخرة من قلبك [5].

---

(1) سنن الترمذي:كتاب صفه القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب 30 (4 / 642) رقم 2465 . قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1146) رقم 11456.

(2) عمرو بن عوف الأنصاري حليف بني عامر بن لؤي ، شهد بدرا وما بعدها ، سكن المدينة ،مات في خلافة عمر فصلى عليه ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 667)

(3) صحيح البخاري:أبواب الجزية ، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (4 / 96- 97) رقم 3158.

(4) انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر ، تحقيق: محب الدين بن عمر العمري ، دار الفكر – مكتبة الملك فهد الوطنية – دمشق ، 1415 هـ / 1995م (39 / 238).

(5) انظر: المصدر السابق (56 / 423).

– يقول ابن القيم رحمه الله: إن الدنيا كأمره عجوز قبيحة المنظر والمخبر [1].

– يقول ابن تيمية رحمه الله: كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، لأن الابن ينسب لأبيه ويحبه ويضاف إليه [2]. وقال أيضاً:"احذروا صاحب الدنيا أغوته دنياه ، وصاحب هوى متبع لهواه" [3].

3- مكانة الدنيا من الآخرة:

إن الدنيا مزرعة للآخرة ، وهى الموصلة إلى الله عز وجل فمن يزرع في الدنيا يحصد في الآخرة. وإن نعيم الدنيا ، وملذاتها بالنسبة للآخرة ، كمثل رجل وضع أُصبعه في البحر فلا يأخذ منه إلا اليسير ، وهكذا مكانة الدنيا من الآخرة.عن المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّاد [4] ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **(مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!)** [5].

وقال تعالى: ﴿ **أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ [التوبة : 38].

متاع الدنيا قليل وهذا بالنسبة إلى ذاتها ، وأما بالنسبة إلى الآخرة فلا قدر لها ، فيجب على المسلم أن يطلب نعيم الآخرة [6].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}** [7].

---

(1) انظر: عدة الصابرين (1 / 191).

(2) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (4 / 150).

(3) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (14 / 459)

(4) المستورد بن شداد بن عمرو بن حسل، القرشي المكي ، شهد فتح مصر واختلط بها ، توفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين من الهجرة. انظر:الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (6 / 90).

(5) صحيح مسلم:كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (4 / 2193) رقم 2858.

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (14 / 253).

(7) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (4 / 118) رقم 3244.

في الحديث تمثيل تقريبي عن نعيم الدنيا للآخرة ، وإلا فلا مقدار لنعيم الدنيا في اللذة ، والمدة مقارنة لنعيم الآخرة [1].

يقول ابن القيم رحمه الله: إن الناظر في الأشياء نظره الوصول إلى الحقيقة يميز الأشياء الصحيحة من السقيمة ، ويميز الوسيلة من الغاية ، فإن الناظر إلى الدنيا بالنسبة للآخرة يجد أن الدنيا قشرة ، وأن الآخرة لبه ، وأن الدنيا محل الزرع ، وأن الآخرة محل الحصاد ، فالدنيا دار معبر ، وممر ، والآخرة دار مستقر، فإذا عرف المؤمن أن الدنيا دار الممر الموصل إلى دار المستقر وجب عليه أن يستعد ويتزود للوصول إلي دار المستقر [2].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ [3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)** [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد عاب الله تعالي على من يقتصر على طلب الدنيا بقوله فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ، فأخبر أن من لم يطلب إلا الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب" [5].

ثالثاً: الإكثار من ذكر الموت وقصر الأمد:

طول الأمد ، والتعلق بالدنيا من أهم الأسباب التي تؤدي إلى القصور في مفهوم العبادة ، فالاشتغال والتعلق بالدنيا ، ونسيان الموت والدار الآخرة تؤدى بالإنسان إلى التسويف في العبادات فيقصر فيها لغفلته عن الموت.

فتذكّر الموت يجعل المسلم على صلة دائمة مع الله ، وأداء العبادات على الوجه الأكمل الذي ارتضاه الله لنفسه.

1- الأدلة من القرآن والسنة:

هناك كثير من الأدلة في القرآن والسنة تذكر المسلم بالموت ، وأن يكون مستعداً للقاء الله.

---

(1) انظر: فيض القدير: للمناوي (6 / 465).

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (3 / 278).

(3) سبق الترجمته له ص 138 .

(4) صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (4 / 119) رقم 3250.

(5) اقتضاء الصراط (1 / 352).

قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ [الزمر : 30].وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُم** ﴾ [الجمعة : 8]. وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه** ﴾ [القصص : 88]. وقال تعال :﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:26 ،27]. وقال تعالي:﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء : 78] وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **(أَكْثِرُوا من ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)** يَعْنِي: المَوتَ (1).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فقَالَ:(**هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ)** (2).

ففي الحديث ينبه الرسول ﷺ أمته على تقصير الأمل ، مع استشعار الموت ،والاستعداد له.(3) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ:**(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ:إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)** (4).

وجه الدلالة: تحث الأدلة السابقة ، وغيرها من الأدلة العبد المسلم على الإكثار من ذكر الموت ، وأن الموت يأتي فجأة دون علم مسبق أو إنذار ، وأن العبد غير مخلد في الدنيا.

لذلك يجب أن يعمل في حياته للاستعداد للقاء الله ، فإنه إن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)** (5).

---

(1) سنن الترمذي:كتاب الزهد ، باب ذكر الموت (4 / 553) رقم 2307 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، رقم 2090.

(2) صحيح البخاري: كتاب الرقائق ، باب في الأمل وطوله (8 / 89) رقم 6418.

(3) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (10 / 150).

(4) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب قول الرسول ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل (8 / 89) رقم 6416.

(5) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (8 / 106) رقم 6508 .

2- تذكر الموت خير لا شر:

تذكر الموت خير للعبد في الدنيا والآخرة لما يترتب عليه الامتثال لعبادة الله على الوجه الأكمل دون تقصير ، أو تفريط. ومن الأمور التي تذكر بالموت زيارة القبور.عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الآخِرَةَ)** [1].

يقول ابن القيم رحمه الله: إنما شرعت زيارة القبور لتذكرة العبد المسلم بالآخرة [2].

عن الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ﷺ [3] قال: كنا مع رسول ﷺ في جنازة ، فجلس على شفير القبر . فبكى حتى بل الثرى . ثم قال: **(يا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا)** [4].

3- الموت راحة للمؤمن وعذاب للكافر:

عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ يقول : (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا مَعَاشِي ، وأَصْلِحْ لِي آخِرتِي الَّتي فِيهَا مَعَادي ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي في كُلِّ خَيْرٍ ،(**وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**).[5]

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ [6] أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: (**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ. قَالَ: الْعَبْدُ**

---

(1) سنن ابن ماجه:كتاب الجنائز ، باب ما جاء في زيارة القبور (1 / 500) رقم 1569 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 589) رقم 5890.

(2) انظر: إغاثة اللهفان (1 / 198).

(3) البراء بن عازب بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، يكنى أبا عمارة ، ويقال: أبو عمرو ، له ولأبيه صحبة ، غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة ، وفي رواية خمس عشرة ، سافرت مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرا ، شهد الجمل وصفين ، مات سنة اثنتين وسبعين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 278).

(4) سنن ابن ماجه:كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء (2 / 1403) رقم 4195 ، قال الألباني: (حسن) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 164) رقم 3338.

(5) صحيح مسلم :كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (4 / 2087) رقم 2719.

(6) الحارث بن ربعي بن بلدمه السلمي الأنصاري ، كان يضع ماء للهر ثم يتوضأ منه ، توفي سنة أربع وخمسين ، انظر: الكنى والأسماء: لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابى ، تحقيق: نظر محمد الفاريابي ، دار ابن حزم – بيروت ، 1421هـ / 2000م (1 / 145).

الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا ، وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ. وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) [1].

المؤمن يستريح عند الموت من تعب الدنيا وملذاتها ، أما الفاجر يستريح العباد من أذاه ، وظلمه وارتكابه للمنكرات [2].

رابعاً: بيان العبادة الصحيحة التي يطلبها الله تعالى:

العبادة الصحيحة التي يطلبها الله عز وجل هي ما كانت موافقة للكتاب والسنة دون زيادة ونقصان ، وما توفرت فيها شروط العبادة الصحية من موافقتها للشرع ، مع إخلاص النية لله عز وجل. لذلك يتحقق مفهوم العبادة لله في قوله إياك نعبد إلا بإخلاص النية لله رب العالمين ، في الظاهر والباطن ، وأن تكون خالصة لكل ما يحب الله ويرضاه [3].وقد بينا العبادة الصحية قبل ذلك في شروط العبادة ، فيمكن الرجوع للمطلب الرابع من هذا المبحث لمعرفة شروط العبادة التي إن توفرت كانت العبادة صحيحة مقبولة.

فإذا اختل شرط من الشروط السابقة كانت العبادة مردودة لا تقبل عند الله ،عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدّ)**[4].

والعبادات إذا لم تكن خالصة لوجه الله عز وجل ، وغير موافقة للشرع لا تقبل ، بل أبطلها الإسلام. فمثلاً: الصائم إن لم يكن صومه لله عز وجل ، وموافقاً للشرع لن يقبل وذلك لحديث رسول الله ﷺ الذي يرويه ، أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَر)** [5].

"والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ، ولسانه عن الكذب ، والفحش ، وقول الزور ، وبطنه عن الطعام والشراب ، وفرجه عن الرفث ، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه ،

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب سكرات الموت (8 / 107) رقم 6512.

(2) انظر: الديباج على مسلم بن الحجاج: للسيوطي ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان – السعودية ، 1416 هـ / 1996م (3 / 34).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (1 / 83).

(4) صحيح البخاري:كتاب الشهادات ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (3 / 184) رقم 2697.

(5) مسند أحمد (14 / 445) رقم 8856 ، قال الألباني: (صحيح لغيره) صحيح الترغيب والترهيب – (1 / 262) رقم 1084.

وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ، فيخرج كلامه كله نافعا صالحا ، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور ، والكذب ، والفجور ، والظلم هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب ، فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام ، وصوم البطن عن الشراب والطعام فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده ، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم" [1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه)** [2].

وكذلك يبرز دور العقيدة في علاج القصور في العبادة وذلك بتوضيح مكانتها في الإسلام ، فهي التي خلق العبد من أجلها ، وهي التي تقرب صاحبها من خالقه ، وهي التي تحمي العباد من الوقوع في المنكرات ، والتي من خلالها يشعر العبد بعزة الإسلام والمسلمين ، وقد وضحنا هذا في مكانة العبادة في الإسلام ، فمتى عرف العبد ذلك عالج القصور الواقع عليه.

فللعبادة الصحية أثار على الفرد والمجتمع فهي تحقق الراحة والسكينة والطمأنينة في نفوس أصحابها ، فقد قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :**(يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا)**.[3]

والعبادة تجلب النفع وتدفع الضرر. قال تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح : 10-12].

وهى سبيل لصلاح المجتمع وتمكينه. قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ [النور : 55].

---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب: لابن القيم (1 / 43).

(2)صحيح البخاري:كتاب الصوم ، بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ (3 / 26) رقم 1903.

(3) سنن أبى داود: كتاب الأدب ، -باب في صَلاَةِ الْعَتَمَةِ. (4 / 453) رقم 4987 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 1386) رقم 13851.

خامساً: ذكر الانحراف في مفهوم العبادة:

تعالج العقيدة القصور في مفهوم العبادة عن بيان ذلك القصور للأفراد والمجتمعات لتجنبه والابتعاد عنه ، لان العبد المسلم إذا عرف القصور الواقع فيه الآخرين تجنبه ، وسنذكر في هذا الجانب قصر العبادة على القضايا التعبدية عند عوام الناس ، وعبادة الصوفية وما فيها من انحرافات وضلالات.

1- قصر العبادة على القضايا التعبدية:

هناك من انحرف مفهوم العبادة عنده فنجده يقصر العبادة على القضايا التعبدية فقط من صوم، وصلاة ، وحج ، وزكاة ، وأن ما سوى ذلك من معاملات ، وأخلاقيات ، وغيرها كل ذلك لا يدخل في مفهوم العبادة فقصر العبادة على بعض الشعائر فقط . هذا الانحراف سائد اليوم عند الكثير من شباب الأمة، لذلك نجد من يصلي ويصوم لكن في المقابل يؤذي جيرانه ، لاعتقاده أن الإحسان إلى الجار ليس من الأمور التي يتقرب بها إلا الله ، وهو لا يعلم أن الإنسان لن يدخل الجنة لو صام وصلى لكن يؤذي حيرانة. عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : **(لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)** [1]. وعنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **(إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ)** [2].

وكذلك نجد من يصوم ويصلي لكن إذا فرغ من ذلك لا يتورع عن الغش ، والسرقة ، والظلم ، أو يتعامل في الربا ، أو يخرج زوجته متزينة ، وهو يعتقد أنه لا علاقة بين تلك العبادات والمعاملات.

فالعبادة نظام شامل ، تشمل جميع مناحي الحياة. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين** ﴾ [الأنعام: 162]. فالعبادة غير مقتصرة على العبادات التعبدية بل تشمل جميع مناحي الحياة بشرط إخلاص النية لله مع موافقتها للشرع ، فمثلاً: عندما سؤل الرسول ﷺ هل يؤجر الرجل عند إتيان الزوجة وضح أنها عبادة يتقرب بها إلى الله

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار (1 / 68) رقم 46.

(2) مسند أحمد: رقم 9675 (15 / 421) قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب - (2 / 345) رقم 2560.

عز وجل. عن أبي ذر ﷺ قال : أنَّ ناساً قالوا : يَا رَسُولَ اللهﷺ ، ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالأُجُورِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ ، قَالَ :**(أوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ : إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقةً ، وَكُلِّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قالوا : يَا رسولَ اللهِ ، أيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أجْرٌ ؟ قَالَ : أرَأيتُمْ لَوْ وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ ؟ فكذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ)** [(1)].

نلاحظ من الحديث أن العبادة اشتملت على التكبير ، والتهليل ، والتحميد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،حتى الشهوة إذا وضعت في حلال صدقة يتقرب بها إلى الله عز وجل.

2- عبادة الصوفية وما فيها من انحرافات وضلالات:

عرفنا أن الله خلق العباد لعبادة ، وأن العبادة التي تقبل يجب أن تكون موافقة للشرع ، فأي عبادة لا توافق كتاب الله والسنة لا تقبل بك تكون من البدع التي توقع صاحبها في الضلال.

فنجد أن الصوفية من الذين انحرفت العبادة عندهم ، فنجدهم يتقربون لله بعبادات لم ترد لا في القرآن أو السنة ومن هذه الانحرافات:-

أ- قصرهم العبادة على المحبة: فقد قصرت الصوفية العبادة على المحبة ، فهم يبنون عبادتهم على جانب المحبة لله ويتركون الجوانب الأخرى ، مثل: جانب الخوف والرجاء ،كما قال بعضهم: أنا لا أعبد الله طمعا في جنته ولا خوفا من ناره ولا شك أن هذا من الضلال ، فمن هو الذي لا يطمع في الجنة ، ومن هو الذي لا يخاف من النار ، وقد جاءت الأدلة من القرآن والسنة على طمع العبد بربه أن يدخله الجنة ويباعده عن النار. عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال**

---

(1) صحيح مسلم :كتاب الزكاة ،باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2 / 697) رقم 1005.

تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال [1].فالعبادة ليست مقصورة على المحبة كما يزعمون ، مع أهمية المحبة لله ، بل لها جوانب وأنواع كثيرة غير المحبة ، كالخوف ، والرجاء ، والذل ، والخضوع ، والدعاء إلى غير ذلك .

قال ابن تيمية رحمه الله العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة [2].

وقال ابن القيم رحمه الله: هي غاية الحب مع كمال الذل لله عز وجل [3].

ب- يرجعون العبادات إلى أذواق شيوخهم ، فهم لا يعتمدون على الكتاب والسنة ، لذلك نجد أن عبادة الصوفية قائمة على البدع والخرافات.

يقول ابن القيم رحمه الله: لا تعتمد الصوفية على الكتاب والسنة وتعتقد أنه لا يشترط على العبد اتباع الكتاب والسنة ، لان الصدق عندهم يفتح الله على قلبه وينوره بنور من عنده مضاف إلى ما معه من نور العلم يعرف به كثيرا من أمر دينه فيستغني به عن كثير من علم الناس [4].

ج- تقربهم لله بالعبادة يكون بالرقص وضرب الدفوف والتصفيق.

د- ترك العبادة والخروج عن التكاليف الشرعية بسبب ما يسمونه الأحوال وهو تطور لذي الصوفية حتى يصل الفرد منهم إلى ترك والاستغناء عن العبادة [5]. وإن من الصوفية من يقول إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع واتصل بالله تعالى[6].

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (4 / 2199) رقم 2867.

(2) انظر: الزهد والورع والعبادة (1 / 44) .

(3) انظر: إغاثة اللهفان (2 / 133).

(4) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 367).

(5) انظر: حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين: صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان (1 / 8 - 19).

(6) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم (4 / 143).

هـ- التعمق والتشدد في العبادات مع ترك المباحات ، كترك الطعام والشراب ، والمدومه على الصيام والقيام واعتقدوا أنه من التصوف والتقرب الى الله (1).

الصوفية هم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة ، ومنهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال ، ومنهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل (2).

"ولهذا آمن الصوفية بأنهم أحباب الله ،وأصفياؤه ، وأولياؤه ، وصفوه عبادة ، وحراس ينابيعه وآياته ، كما آمنوا بأن أعمالهم ، وحركاتهم ، ومعارفهم ، وأذواقهم ومقاماتهم كلها هبات الله وفيض عطاياه ، وإن مولاهم سبحانه هو مربيهم ، ومعلمهم ، وهاديهم ، ومرشدهم إنه الحبيب القريب المجيب الآخذ بنواصيهم إلى وجهه الكريم" (3).

---

(1) انظر: تلبيس إبليس: لابن الجوزي دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، الطبعة :الأولى، 1421هـ/ 2001م (1 / 151).

(2) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين الرازي ، تحقيق : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1402(1 / 72).

(3) التعرف لمذهب أهل التصوف : محمد الكلاباذي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1400 (1 / 3).

المبحث الثاني
القصور في مفهوم التوكل

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : تعريف التوكل.

المطلب الثاني : مكانة التوكل في الإسلام .

المطلب الثالث :الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الرابع :مظاهر الإنحراف في مفهوم التوكل.

المطلب الخامس:الآثار المترتبة على القصور في فهم التوكل.

المطلب السادس:دور العقيدة في علاج القصور في فهم التوكل .

المطلب الأول

تعريف التوكل

تعريف التوكل لغةً:

التوكل من وكل يقال: توكل على الله ، أي: اعتمد على الله ، ووثق به [1].

ويقال: وكل بالله ، وتوكل عليه ، واتكل: استسلم له ، والتوكل ، وهو إظهار العجز ، والاعتماد على الغير [2].

تعريف التوكل في الاصطلاح:

عرفها ابن تيمية رحمه الله: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا[3]. وقال أيضاً رحمه الله : الاستعانة بالله عز وجل عما سواه [4].

عرفها ابن القيم رحمه الله: هو اعتماد القلب على الله وحده والركون إليه ، والوثوق به دون سواه [5]. قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة:23].

وقال أيضاً رحمه الله: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، يقلبه كيف يشاء [6].

وعرفها احمد بن حنبل رحمه الله: قطع الاستشراف بالإياس من الخلق [7].

هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب[8].

ونخلص مما تقدم: التوكل: الاعتماد على الله ، والوثوق به ، والاستسلام لأوامره .

---

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للفيومي (2 / 670).

(2) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (1 / 124).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (8 / 169).

(4) المصدر السابق (1 / 56).

(5) انظر: الفوائد (1 / 87).

(6) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 114).

(7) انظر: طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت (1 / 415).

(8) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (3 / 384).

المطلب الثاني

مكانة التوكل في الإسلام

التوكل على الله خلق رفيع من أعلى العبادات المتعلقة بالقلب ، والتي هي من لوازم الإيمان ، لا يتم توحيد العبد لله إلا بها، وللتوكل مكانة عظيمة في الإسلام لا يشعر بها إلا المتوكلون على الله عز وجل.

وتتمثل مكانة التوكل في الإسلام في النقاط التالية:-

1- حب الله للمتوكلين:

التوكل على الله من أشرف المقامات ، وأعلي رتب القلب منزلة ، وهي أعظم ما يعبد الله به، لذلك استحق حب العبد من قبل الله ، لا يستحق العبد هذا الحب إلا لمكانة التوكل عند الله سبحانه وتعالي وأهميته.

قال تعالى: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران : 159].

تدل الآية دلالة واضحة أن الله يحب المتوكلين عليه في جميع أمورهم ، والراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم [1].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نادي جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)** [2].

2- تحقيق الإيمان عند المسلم:

تتمثل مكانة التوكل في الإسلام في أنها تحقق الإيمان عند العبد المسلم ، فبمقدار التوكل على الله يزداد الإيمان في قلب العبد المؤمن ، وإذا نقص التوكل نقص الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة : 23].

قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران : 122].

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (7 / 346)

(2) صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق ، بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (4 / 111) رقم 3209.

الآية تخاطب المؤمنين بوجوب التوكل على الله ، والثقة به ، وإن قوة إيمان العبد تكون بحسب قوة توكله على الله [1].

يقول ابن القيم رحمه الله: التوكل على الله من لوازم الإيمان ، وإن قوة الإيمان عند العبد المسلم وضعفه ، يكون بحسب قوة التوكل على الله عز وجل ، فينتفي الإيمان عن العبد إذا انتفي التوكل [2]. قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ [يونس : 84].

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوكل على الله من أعظم الواجبات ، فقد أمر الله بالتوكل في أكثر من آية أعظم مما أمر بالوضوء ، والغسل من الجنابة [3].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال : 2].

يقول ابن القيم رحمه الله: "التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام ، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس ، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن ، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل" [4].

وقال أيضاً: إنّ التوكل من أعلى المقامات تعلقاً بالأسماء الحسنى ، فكلما كان العبد بالله أعرف كان توكله عليه أقوى [5].

3- جلب المنافع ودفع المضار:

تتمثل مكانة التوكل على الله في جلب المنافع للعبد المسلم في الدنيا والآخرة وتدفع عنه كل ما يضره سواء من قريب أو من بعيد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: ذهب جمهور العلماء أن المتوكل يحصل بتوكله حَلْبَ المنفعة ودفع المضرة عن نفسه وعن غيره .

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ، 1420 هـ / 2000م (1 / 145).

(2) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (1 / 386).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (7 / 16).

(4) طريق الهجرتين وباب السعادتين (1 / 389).

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 125).

قال تعالى: ﴿ **وَمن يتق الله يَجْعَل لَـهُ مخرجا وَيَرْزقـهُ من حَيْثُ لا يحْتَسب وَمن يتوكل على الله فَهُوَ حَسبه** ﴾ [الطَّلَاق 2 – 3].

فالتوكل على الله سبب من أسباب خروج العبد المسلم من الشدة ، والحصول على الرزق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **الَّذين قَالَ لَهُم النَّاس إن النَّاس قد جمعُوا لكم فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيمَانًا وَقَالُوا حَسبنَا الله وَنعم الْوَكِيل** ﴾ [آل عمرَان 173].

فقد مدحوا الله الذي يستحق المدح فهو نعم الوكيل الذي يجلب كل نفع ويدفع كل شدة [1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَاذْكُر اسْم رَبك وتبتل إِلَيْـهِ تبتيلا رب الْمشرق وَالْمغْرب لَا إِلَـه إِلَّا هُوَ فاتخذه وَكيلا** ﴾ [المزمل 8 – 9]. وَقَالَ تَعَالَى:﴿ **وآتينا مُوسَى الْكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل أَلا تَتَّخِذُوا من دوني وَكيلا**﴾ [سُورَة الْإِسْرَاء 2].

وعلى المسلم وجوب التوكل على الله لما في التوكل من جلب الرزق والمنفعة ، كطعام ، ودفع الضرر ، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله [2]. عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: سَمِعَت نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا [3] وَتَرُوحُ بِطَانًا [4])** [5].

يقول ابن القيم رحمه الله: التوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع المسلم عن نفسه ما لا يطيق من الشر والأذى من المخلوقات وظلمهم ، وجلب ما يحتاج إليه من المنافع [6].

4- سبب لدخول الجنة:

أكرم الله المتوكلين عليه بالجنة يدخلونها بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر.وهذا يبين مدى مكانة التوكل على المسلم:-

(1) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم – (1 /88- 89)

(2) انظر: الفتاوى الكبرى (1 / 106).

(3) خلاء البطون من الطعام ، انظر لسان العرب: لابن منظور (7 / 29).

(4) ممتلئة البطون ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (34 / 268).

(5) مسند أحمد (1 / 332) رقم 205 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة (1 / 309) رقم 310.

(6) انظر: بدائع الفوائد (2 / 464).

أ – دخول المتوكل الجنة بغير حساب:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ثُمَّ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **(هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ[1] وَلَا يَسْتَرْقُونَ[2] وَلَا يَكْتَوُونَ [3] وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ [4].

ب – يدخلون الجنة بوجوه مضيئة على صفة القمر:

عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ،فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ)** [5].

ج– المتوكلون من أول من يدخلون الجنة:

عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : **(أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً)** [6].

---

(1) لا يتشاءمون ويعتمدون على الله وحده ، انظر: القاموس المحيط: للفيروزآبادي (1 / 734).

(2) لا يطلبون الرقية التي كانت من أفعال الجاهلية ، وبما خالف كتاب الله ولم يرد ذكره ، انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (9 / 405).

(3) من يحرق جلدة بحديده ونحوها ويعتقد أنها سبب الشفاء دون الله ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (39 / 423).

(4) صحيح البخاري: كتاب الطب ، باب من لم يرق (7 / 134) رقم 5752.

(5) صحيح البخاري:كتاب اللباس ، باب البرود والحبرة والشملة (7 / 146) رقم 5811.

(6) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (4 / 132) رقم 3327.

وجه الدلالة: يتضح من خلال الأدلة السابقة مكانة التوكل في الإسلام ، أنها تدخل صاحبها الجنة بغير حساب ولا عقاب ، وأنهم يدخلونها بوجوه مضيئة تكون على هيئة القمر في حسنها ،وجمالها وهم من أول من يدخلونها بعد رسول الله ﷺ . وهي تحمي العبد من دخول جهنم أعاذنا الله منها جميعاً.

5- **كفاية الله المتوكل جميع شؤونه:**

إن الله يحمي عباده المتوكلين في جميع شؤون حياتهم ، وينصرهم كما وعد. قال تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ [الزمر : 36].وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قال: { **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا: مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }** [(1)].

يقول ابن القيم رحمه الله: من كان الله كافيه فلا يضره أذى ، وقال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء ، فلو توكل العبد على الله حق التوكل لجعل له من كل ضيق مخرجاً ، وكفاه ، ونصره [(2)].

عَنْ أُمِّ سلمة رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ. قَالَ: (**بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا**)[(3)].

والتوكل على الله يحمي العبد المسلم من وساوس الشيطان ، ومكرهم ، وحتى لا يكون للشيطان على المؤمنين سبيلا. قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [النحل : 99].

بين الله في الآية أن المتوكلين على الله محميون من الشيطان فلم يجعل للشيطان على المؤمن من سلطان وسبيل [(4)].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب التفسير ، بَاب { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ } (6 / 39) رقم 4563.
(2) انظر: بدائع الفوائد (2 / 465).
(3) سنن الترمذي:كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ ، باب35 (5 / 490) رقم 3427 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 884) رقم 8837.
(4) انظر:جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (17 / 295).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:(**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ. فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّه قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِىَ وَكُفِىَ وَوُقِىَ**) [1].

6- تثبت العبد على الحق:

قال تعالى: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** ﴾ [النمل : 79].

يقول ابن القيم رحمه الله: كون العبد على الحق يقتضي منه تحقيق مقام التوكل [2].

فالتوكل على الله حق التوكل تثبت العبد المسلم على الحق الذي لا يعتريه بأي وجه من الوجوه ، ويؤكد ابن القيم رحمه الله فيقول: "لو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأمورا بإزالته لأزاله"[3].

ونخلص مما تقدم: إلى أن للتوكل مكانة عظيمة لا يعلمها إلا الله ، فمن حرم نعمة التوكل فقد حرم أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة ، ومن مكانتها أنها سبب في محبة الله لعباده المتوكلين ، وكفايتهم جميع شؤون حياتهم ، فهى تجلب الخير ، وتدفع الضرر بأمر الله ، وهي تحقق الإيمان في قلوب المتوكلين ، وتدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب.

---

(1) سنن أبى داود:كتاب الأدب ، باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته (4 / 486) رقم 5097 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 50) رقم 500.

(2) انظر: طريق الهجرتين ودار السعادتين (1 / 388).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 81).

المطلب الثالث

الفرق بين التوكل والتواكل

حث الإسلام على التوكل ، والتمسك به ، ونهى عن التواكل ، والابتعاد عنه لما يترتب عليه من المفاسد والأضرار.

أولاً: التوكل.

التوكل: هو الاعتماد على الله في حصول النتائج مع وجوب الأخذ بالأسباب [1].

وقيل: التوكل هو "الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس" [2]

الأدلة من القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور**﴾ [الملك : 15]. وقال تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة : 105].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ : **(أعْقِلُها وأَتَوَكَلُ ، أو أُطْلِقُهَا وأتوكلُ ؟ قال: اعقِلْهَا وتوكل)** [3].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ [4] قَالَ: أَتَيْتُ النبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا **(فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَدَاوَى فَقَالَ: تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ)** [5].

---

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين (1 / 453).

(2) التعريفات : للجرجاني (1 / 97).

(3) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب 60 (4 / 668) رقم 2517 ، قال الألباني: (حسن) تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1984 م (1 / 23) رقم 22 .

(4) أسامه بن شريك الثعلبي العامري أحد بني ثعلبة بن سعد ، سكن الكوفة ، وروي عنه أهل الكوفة ، وأمه من الخيرات ، انظر: الثقات: لابن حبان (3 / 3).

(5) سنن أبى داود:كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى (4 / 1) رقم 3857 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 525) رقم 5241.

وجه الدلالة: الواضح من خلال الأدلة السابقة ، وغيرها الكثير من الأدلة التي توجب على العبد المسلم الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب.

ثانياً: التواكل.

التواكل: هو الاعتماد على الله في حصول النتائج مع استبعاد الأسباب وعدم الأخذ بها.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : **(كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ)** فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: من أنكر الأسباب لم يستقيم له توكل ، لكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه اعتماده على الله لا على الأسباب [2].

ومن خلال ما سبق: يكون التوكل هو الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب ، أما التواكل فهو الاعتماد الله مع عدم الأخذ بالأسباب.

لذا فإن المسلم مأمور بالتوكل ، والسعي ، والعمل ، والأخذ بجميع الأسباب ، والنتائج على رب الأسباب.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الحج ، باب قول الله تعالي {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (2 / 133 – 134) رقم 1523.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 120).

المطلب الرابع

مظاهر الإنحراف في مفهوم التوكل

عرفنا فيما سبق أن التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده والركون إليه ، والوثوق به دون سواه ، وعرفنا أن الأخذ بالأسباب لا ينافي في مفهوم التوكل ولكن الذي يفعل السبب يجب عليه ألا يعتمد على السبب، بل يعتمد على ربه جل وعلا. وبعد هذا نجد في المجتمعات الإسلامية من لم يفهم التوكل على حقيقته ، ومن أهم مظاهر الإنحراف في مفهوم التوكل:-

1- النظر إلى التوكل على أنه تواكل وترك للأسباب ، وهو يعلم أن التوكل لا ينافي فعل الأسباب ، والأمر واضح عنده ، ولكنه ينطلق من هذا الفهم المنحرف في تبرير عجزه وكسله وتفريطه.

يقول ابن القيم رحمه الله: فكثير من الناس يعرف التوكل وحقيقته وتفاصيله فيظن أنه متوكل وليس من أهل التوكل ، وإن كثيرًا ما يشتبه في هذا الباب المحمود ، ومنه اشتباه التوكل بالراحة وإلقاء حمل الكَلِّ ، فيظن صاحبه أنه متوكل ، وإنما هو عامل على عدم الراحة [(1)].

هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثا ، ونوح و زكريا نجارين ، وإدريس خياطا ، وإبراهيم ولوط زراعين ، وصالح تاجرا ، وكان سليمان يعمل الخوص ، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه ، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين [(2)]. عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :**(ما بعث الله نبيا إلا راعي عن، قال لأصحابه وأنت يا رسول الله قال وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط)** [(3)].

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هؤلاء الناس: "وهم من ذلك ملبوس عليهم، وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى في إخلاد النفس إلى البطالة؛ ولهذا تجد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الأسباب يتعلقون بأسباب دون ذلك، فإما أن يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة، وإما أن يتركوا واجبات أو مستحبات أنفع لهم من ذلك، كمن يصرف همته في توكله إلى شفاء مرضه

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 123- 125).

(2) انظر: تلبيس إبليس: لابن الجوزي (1 / 250).

(3) سنن ابن ماجه: كتاب التجارات ، باب الصناعات (2 / 727) رقم 2149 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح ابن ماجة (2 / 6) رقم 1745.

بلا دواء ، أو نيل رزقه بلا سعي، فقد يحصل ذلك، لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعي اليسير وصرف تلك الهمة والتوجه في عمل صالح: أنفع له، بل قد يكون أوجب عليه من تبتله لهذا الأمر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه " [1].

والنظر اليوم إلى حياة المسلمين يجد هذا القصور في ترك العمل للحصول على الرزق ، وترك التداوي ، وترك التعلم ، وفي المقابل يطلب من الله الرزق والصحة والعافية دون السعي والأخذ بالأسباب.

2- الاعتماد والإفراط في فعل الأسباب والتعلق بها محبةً وخوفاً ورجاء ، ومعلوم ما في هذا الانحراف من خطر شديد على التوحيد، فهو إما شرك أكبر: إذا اعتقد فاعل الأسباب أنها تؤثر استقلالاً ، وإما شرك أصغر: إذا لم يعتقد ذلك ، ولكنه تعلق بها وحابى من أجلها.

ومن صور ذلك الاعتماد على المخلوق من دون الله وكالاعتماد على الأموات والغائبين.

فالاعتماد على الأسباب ينافي حقيقة العبودية للحديث الذي يرويه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:**(يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّه يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُف)** [2]. هذا الحديث فيه ترك الاعتماد على الأسباب ، وفيه وجوب الاعتماد على الله والأمر بطاعة [3].

قال ابن القيم رحمه الله: كثير من المتوكلين يكون مغبونًا في توكله، وقد توكل حقيقة التوكل وهو مغبون، كمن صرف توكله إلى حاجة جزئية استفرغ فيها قوة توكله، ويمكنه نيلها بأيسر شيء، وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان والعلم ، ونصرة الدين، والتأثير في العالم خيرًا، فهذا توكل العاجز القاصر الهمة. كما يصرف بعضهم همته وتوكله، ودعاءه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم، ويدع صرفه

(1) مجموع الفتاوى (183/18).

(2) المعجم الطبراني (12 / 123) رقم 1143 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 149) رقم 5302.

(3) الموافقات: للشاطبي (3 / 553).

إلى نصرة الدين وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان ومصالح المسلمين [1].

3- جبن القلب والخوف من المخلوق والحذر الزائد من المخلوق الضعيف وتهويل أمره، وهذا من كيد الشيطان ووسوسته . قال تعالى: **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** [آل عمران: 175]. أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة فإذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجؤوا إلي، فأنا كافيكم وناصركم عليهم [2].

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 125-126).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 172).

المطلب الخامس

الآثار المترتبة على القصور في فهم التوكل

هناك العديد من الآثار المترتبة على القصور في فهم التوكل ، توقع العبد المسلم في كثير من المخالفات كل ذلك بسبب عدم الأخذ بالأسباب الواجبة في حقه ، واعتماد مبدأ التواكل.

ومن أهم هذه الآثار:-

1- زعزعة الثبات عن الحق:

إن العبد المؤمن المعتمد على الله الموقن اليقين الجازم أن كل ما في الدنيا بيد الله عز وجل وأنه لا يشاركه أحد من خلقه في ذلك يكون المؤمن ثابت على الحق لا يتزعزع مقدار أنملة ، بعكس الذي يعتمد على الله دون الأخذ بالأسباب ، أو يعتمد على الأسباب وحدها ، أو من ينكر الأسباب بالكلية ، نجده أنه يترتب على ذلك زعزعة الثبات في نفسه ، ويبتعد عن الحق. قال تعالى: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** ﴾ [النمل : 79].

والتوكل على الله حق التوكل سبب من أهم الأسباب التي تثبت العبد على الحق.عن شداد بن أوس ﷺ [1] كان رسول ﷺ يعلمنا أن نقول:(**اللهم إني أسألُك الثباتَ في الأمرِ وأسألك عزيمةَ الرُّشْدِ وأسألُك شكرَ نعمتِك وحسنَ عبادتِك وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليما**).[2]

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأنفال : 45]. وقال تعالى: ﴿ **فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ** ﴾ [الأنفال : 12].

وجه الدلالة في الأدلة السابقة: الاعتماد على الله ، والتوكل علية مع وجوب الأخذ بالأسباب يثبت العبد المسلم على الحق الذي لا يزعزعه الباطل ، فيأمر الله المؤمنين بالثبات على الحق مع ذكر الله ، والاعتماد عليه.

---

(1) شداد بن أوس الخزرجي ، أخ حسان بن ثابت، كان له عبادة واجتهاد في العمل ، سكن حمص ، توفي بفلسطين سنه ثمان وخمسين وقبره بها،انظر:الإصابة في تمييز الصحابة:لابن حجر(3 / 319-320).

(2) سنن الترمذي:كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ ، باب 23 (5 / 476) رقم 3407 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة - مختصرة - (9 / 8) رقم 3228.

2- الركون إلى الخلق:

ينبغي على العبد المسلم الاعتماد على الله ، والركون إليه مع تجنب الركون على أحد من البشر ، أو الركون على الأسباب من دون الله. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : 113]. ينهى الله العبد المؤمن من الركون للكافر لما فيه من الشرك بالله عز وجل. عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: **(قَالَ الله تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)** [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: من رجا أحد من المخلوقات ، وتوكل عليه خاب ظنه ، وأشرك بالله ، حتى لو رجا عمله ، أو علمه ، أو شيخه [2].

3- حب الدنيا والاغترار بها:

التمسك بالدنيا ، والاغترار بها ، وبما فيها من متاع زائل ، والاعتماد عليها وعلى من فيها ، يجعل العبد المسلم يقصر في مفهوم التوكل. وقد وضح الله أن التمسك بالدنيا والاعتماد عليها متاع زائل يغتر به الكثيرون. قال تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران : 185]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ** [3] **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)** [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: حب الدنيا والتمسك بها وتقديمها على الآخرة هو الخسران [5].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "الاستعداد للآخرة وقصر الأمل هو مفتاح كل خير، وحب الدنيا وطول الأمل مفتاح كل شر"[6].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء (4 / 2289) رقم 2985.

(2) انظر: بيان الدليل على بطلان التحليل (5 / 493).

(3) سبق توضيحهما في البحث ص 52.

(4) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب ما يتقي من فتنة المال ، رقم 6.

(5) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (7 / 560).

(6) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، دار الكتب العلمية – بيروت (1 / 48).

4- فقدان الصبر والتحمل:

المتوكل على البشر ، أو على الأسباب من دون الله ، دليل على ضعف الصبر ، والمتوكل على غير الله يتمسك بحبل ضعيف لا ينفع ، ولا يجزى. لذا فقد حث الله عباده المؤمنين على الصبر، وبين مكانة أصحابه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : 10].

عن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ ، أن الرسول ﷺ قال: **(مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ)** [(1)].

5- عدم الرضي بما قسم الله:

التوكل على الله يكسب العبد المسلم القناعة ، والرضى بما قسم الله ، بخلاف المقصر في مفهوم التوكل لا يرضي بما قسمه الله له.

قال تعالى: ﴿ **وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ** ﴾ [الأنعام : 113]. فمن أعرض عن التوكل فهو عاص لله ولرسوله ﷺ بل هو خارج عن حقيقة الإيمان [(2)].

6- ضعف قوة القلب وشجاعته:

التوكل على الله يكسب العبد المسلم قوة وشجاعته ، بخلاف المقصر في التوكل الذي يعتمد على الأسباب ، فيضعف قلبه وشجاعته. قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد:28].

يقول ابن تيمية رحمه الله:المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ، ودينه ، وحفظ لسانه [(3)]. وعن ابنِ عباسٍ ﷺ قَالَ: كنت خلف النَّبيّ ﷺ يوماً فَقَالَ: **(يَا غُلامُ ، إنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله ، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ ، وَاعْلَمْ : أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ**

(1) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب الصبر عن المحارم الله وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (8 / 99) رقم 6470.

(2) انظر: أمراض القلوب (1 / 52)

(3) انظر: المصدر السابق (1 / 43)

لَكَ ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ) [1].

7- القصور في طمأنينة النفس وراحتها:

أكثر العباد شعوراً بطمأنينة النفس وراحتها المتوكلون على الله الدين يأخذون في توكلهم ، واعتمادهم على وجوب الأخذ بالأسباب.

بخلاف العبد الذي يعتمد على الآخرين ، أو على نفسه دون الاعتماد على الله والأخذ بالأسباب ، أو وجود قصور في مفهوم التوكل عنده ، نجده لا يشعر باطمئنان النفس وراحتها.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة:51].فالمسلم مطمئن النفس ، ومرتاح البال لاعتقاده أن ما يصيبه هو ما قدره الله له.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالتوكل : محض الاعتماد والثقة والسكون إلى من له الأمر كله ، وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها ، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون : هذا من أقوى أسباب توكله ، وأعظم دواعيه ، فإذا تحقق ذلك علماً ومعرفة وباشر قلبه حالا : لم يجد بداً من اعتماد قلبه على الحق وحده ، وثقته به ، وسكونه إليه وحده وطمأنينته به وحده لعلمه أن حاجاته وفاقاته ، وضروراته ، وجميع مصالحه كلها بيده وحده لا بيد غيره ، فأين يجد قلبه مناصا من التوكل بعد هذا" [2].

من خلال ما سبق يتضح أن القصور في مفهوم التوكل لدى المجتمع المسلم يجعله يركن للخلق من دون الله ، فيتمسك المجتمع بالدنيا ، ويتركون السعي للآخرة ، فهم في حيرة لضعف إيمانهم ، ولعدم ثباتهم على الحق ، فهم لا يرضون بما قسم الله ، ويسعون دائماً لامتلاك الدنيا كل هذا وغيره ، لضعف مفهوم التوكل عندهم.

---

(1) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ ، باب 59 (4 / 667) رقم 2516 ، قال الألباني:(صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 149)رقم 5302.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 136).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج القصور في فهم التوكل

يبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج القصور في فهم التوكل عن طريق:-

أولاً: غرس مفهوم الاعتماد على الله مع تعميق وجوب الأخذ بالأسباب:-

عرفنا فيما سبق أن من مظاهر الإنحراف في مفهوم التوكل الاعتماد على الأسباب ذاتها ، أو عدم الأخذ بالأسباب البتة ، ومعلوم كما عرفنا أن التوكل يجمع الاعتماد على الله وحده مع وجوب الأخذ بالأسباب ، ومن هنا يبرز دور العقيدة في علاج القصور في مفهوم التوكل عن غرس مفهوم الاعتماد على الله وحده دون سواه ، مع تعميق وجوب الأخذ بالأسباب.

1- الاعتماد على الله وحده دون سواه مع الأخذ بالأسباب:

الأمة الإسلامية اليوم مأمورة بوجوب الاعتماد على الله وحده دون سواه مع الأخذ بالأسباب ، وعدم التهاون بها. قال تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان : 58]. وعرفنا فيما سبق إن من مظاهر الانحراف في مفهوم التوكل هو ترك الأسباب ، لذلك يبرز دور العقيدة في علاج القصور في فهم التوكل بعلاج تلك المظاهر وهي وجوب الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله عز وجل.

واتخاذ الأسباب أمر ضروري ، وواجب على كل مسلم مع وجوب الاعتماد على الله ، ولكن هذا لا يعني الحصول على النتيجة لأن هذا متعلق بأمر الله ، ومشيئته.والرسول ﷺ أعد كل الأسباب ، واعتمد على الله أن ينصره.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه ، فمَنْ أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وحدها، فالأسباب محل حكمة اللّه وأمره ، ونهيه ، والتوكل متعلق بربوبيته ، وقضائه ، وقدره" [1].

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كنت خلف النَّبيّ ﷺ يوماً ، فَقَالَ: يَا غُلامُ ، إنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ : (**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله ، وإِذَا**

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 120).



اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ) (1).

ويقول ابن القيم رحمه الله: الواجب على المسلم أن يكون توكله على الله ، واستعانته به والتجاؤه إليه ، فإذا سأل ، سأل الله ، وإذا استعان ، استعان بالله ، فمن استعان بغير الله فقد أشرك بالله (2). قال تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة : 5].

فالأمة الإسلامية مأمورة بوجوب الأخذ بالأسباب ، وعدم التهاون بها ، فلا يجوز الاعتماد عليها فهي من باب الشرك بالله. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾ [النساء : 102].

يقول ابن تيمية رحمه الله: الالتفات على الأسباب ، والاعتماد عليها دون الله شرك في التوحيد ، فقلب العبد يجب أن يكون معتمداً على الله لا على الأسباب (3). عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : **(المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ وَفي كُلٍّ خَيرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ . وَإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدرُ اللّهِ ، وَمَا شَاءَ فَعلَ ؛ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ)** (4).
والواجب على العبد المسلم ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله. فالاعتماد على الله في تحقيق النصر دون الأخذ بالأسباب لا يتحقق ، وكذلك الأخذ بالأسباب

---

(1) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ ، باب 59 (4 / 667) رقم 2516 ، قال الألباني:(صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 149)رقم 5302.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 347).

(3) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، (1 / 262) ، مجموع الفتاوى (8 / 70).

(4) صحيح مسلم: كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (4 / 2052) رقم 2664.

يمنع النصر دون الاعتماد على الله. قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه** ﴾ [آل عمران : 159].

يقول ابن باز رحمه الله: فمن تمام التوكل الأخذ بالأسباب والأخذ بالأعمال ، فلا توكل بلا أسباب ، ولا أسباب بلا توكل ، فالمؤمن يجمع بينهما يعتمد على الله مع وجوب الأخذ بالأسباب الشرعية [(1)].

يقول ابن القيم رحمه الله: فلا ينفع التوكل على الله مع الاعتماد على غيره ،والركون إليه ، كمن يعتمد على الله باللسان دون القلب ، فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء ، كأن يقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره ، لذلك سر التوكل ، وحقيقته هو الاعتماد على الله وحده مع وجوب الأخذ بالأسباب [(2)].

ولا يتم التوحيد إلا بمباشرة الأسباب ، والأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل [(3)] .

2- الأدلة الواردة على وجوب الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب:-

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

هناك كثير من الأدلة في القرآن الكريم تبين وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه مع وجوب الأخذ بالأسباب. قال تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان : 58]. وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[الملك : 29]. وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا** ﴾ [الملك : 29].

ب- الأدلة من السنة النبوية:

كان الرسول ﷺ من أعظم المتوكلين على الله ، إلا أنه لم يكتفِ بالتوكل على الله دون الأخذ بالأسباب ، فقد جمع بينهما. عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سَهِرَ مَقْدَمه المدينة ليلة ، فقال: **(لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ ، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إذ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ** [(4)] **سِلَاحٍ ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُول اللَّهِ ﷺ : مَا**

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى: لابن باز (28 / 175).

(2) الفوائد (1 / 87).

(3) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت ، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ / 1994م ، (4 / 15).

(4) صوت السلاح ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (17 / 189).

جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ فَدَعَا لَهُ رَسُول اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ) [1].

ففي الحديث وجوب الأخذ بالأسباب ، والعمل به ، والحذر من العدو ، وأن التوكل على الله لا ينافي تعاطي الأسباب [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: فقد كان الرسول ﷺ من أعظم المتوكلين فقد لبس لأمته [3] وثبت يوم أحد ، واختفى يوم الهجرة في الغار ثلاثاً فقد كان متوكلاً في جميع أحواله وآخذاً بالأسباب[4].

فقد كان عليه السلام متوكلاً على رب العزة في كل مناحي الحياة ، فقد أخذ بالأسباب يوم بدر عندما رتب الجيش ، وبني العريش ، ووقوف أمام بئر بدر ، وتقرب لله بالدعاء ، وكذلك يوم أحد عندما جعل الرماة فوق الجبل مع العلم أنه كان معصوم من الله أن ينالوا من الرسول ﷺ بسوء. قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة : 67].

ومن شدة توكله على الله والاعتماد عليه قال: لأبي بكر يوم الهجرة في الغار ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

عَنْ أَبِي بَكْر الصديق ﷺ قَالَ: **(قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُما)** [5].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "وكان يدخر لأهله قوت سنة ، وهو سيد المتوكلين ، وكان إذا سافر في جهاد ، أو حج ، أو عمرة حمل الزاد ، والمزاد ، وجميع أصحابه وهم أولوا التوكل حقا ، وأكمل المتوكلين بعدهم : هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة ، أو لحق أثراً من

(1) صحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ (4 / 1875) رقم 2410 .

(2) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: لبدر الدين الحنفي (21 / 365).

(3) الدرع ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (7 / 29).

(4) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (1 / 255).

(5) صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة ، مناقب المهاجرين وفضلهم (5 / 4) رقم 3653.

غبارهم فحال النبي وحال أصحابه محك الأحوال ، وميزانها بها يعلم صحيحها من سقيمها فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم" [1].

3- ثمرات التوكل والاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب:

هناك العديد من الثمرات المترتبة على الاعتماد على الله والأخذ بالأسباب ومن هذه الثمرات:

أ- تحقيق النصر والثبات:

الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب من أهم عوامل تحقيق النصر ، والتمكين ، فلا ينتصر المومنين دون أن يجمعوا بين التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب ، وإلا يستحيل النصر. ومما عمت به البلوى اليوم سواء على مستوى الأفراد ، أو على مستوى المجتمعات التقصير في التمسك بدينهم ، وترك الأخذ بالأسباب بحجة التوكل على الله.

وكثير من المسلمين اليوم يعتقدون بأن النصر من عند الله ، وهذا صحيح ، لكن النصر يحتاج إلى الإعداد ، والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب. قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ [الأنفال : 60].

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: اتخاذ الآلات العسكرية من تجهيز ، وإعداد لا ينافي التوكل ، والحذر لا ينفي القدر [2].

فإعداد السلاح من الأسباب الواجبة على المسلم أن يتخذها قبل بدء المعركة ، وعليه ألا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ، ولا ضرراً ، بل السبب المسبب فعل الله والكل يقع بمشيئته [3]. قال تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[الأنفال : 9]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران : 126].

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 135).

(2) انظر: فتح الباري صحيح شرح البخاري (6 / 94).

(3) المصدر السابق (11 / 410) .

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ [1] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ جَيْشٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ في خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا وَقَالَ: **(فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَلاَ تُنْزِلْهُمْ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ فِيهِمْ)** [2].

الاعتماد على النفس ، أو على الأسباب من دون الاعتماد على الله تكون من أسباب الهزيمة. قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِماَ رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة : 25].

ب- راحة الضمير:

المتوكل على الله حق التوكل ، الآخذ بالأسباب يشعر بسكون القلب ، وراحة الضمير لاعتقاده أن كل شئ بيد الله لا نصيب فيه للمخلوق ، على عكس من يعتمد على الأسباب ، ويعتقدها سر النجاة في الدنيا. قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** ﴾ [طه : 123]. وقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل : 97].

يقول ابن القيم رحمه الله: من كان الله كافيه فلا يضره أذي ، فإن لكل عمل جزاء ، وجزاء التوكل كفاية الله لعبده ، وإخراجه من كل ضيق [3].

وعن صهيب بن سنانٍ رضي الله عنه [4] قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : **(عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ**

---

(1) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمى ، تابعي ثقة ، عهد عمر لثلاث خلون من خلافته ، ومات سنة خمس ومائة ، الثقات لابن حبان (4 / 303) ، معرفة الثقات : للعجلي (1 / 426).

(2) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (3 / 1357) رقم 1731.

(3) انظر: بدائع الفوائد (2 / 465).

(4) صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو ، أبو يحيى ، وقيل: أبو غسان ، المعروف بالرومي صاحب رسول الله ﷺ ، شهد بدرا ، وأحد ، والخندق ، والمشاهد كلها ، كان كثير شعر الرأس ، وكان يخضب بالحناء ، كان رجلاً أحمر ، شديد الحمرة ، ليس بالطويل ، ولا بالقصير مات بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو بن سبعين سنة ، انظر: تهذيب الكمال : للمزي (13 / 237 – 239) (4).

لَهُ خير ولَيسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ ، وإنْ أصَابَتْهُ ضراءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ) [1].

ج- يورث الرزق:

التوكل على الله والأخذ بالأسباب سبب من أسباب الرزق ، فلو توكل العبد على الله في طلب الرزق دون الأخذ بالأسباب لا يرزق.

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: سَمِعَت نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا** [2] **وَتَرُوحُ بِطَانًا)** [3].

قال تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ [مريم : 25].

4- أمثله من حياة الرسل تدلل على وجوب الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب:

لا بد من وجوب الأخذ بالأسباب والاعتماد على رب الأسباب مهما بلغت منزلة العبد عند الله ورفعت مكانته ، حتى الأنبياء أكمل الناس إيمانا مأمورين بالأخذ بالأسباب ، ومن أمثلة ذلك:-

-إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات : 102].

-نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾ [هود : 41].

-لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد** ﴾ [هود : 80].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير (4 / 2295) رقم 2999.

(2) سبق توضيحهما ص 360.

(3) مسند أحمد (1 / 332) رقم 205 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة (1 / 309) رقم 310.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ : **(يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ)** [1].

-موسي عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء:61 ، 62]. وقال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الشعراء : 63].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾ [البقرة : 60].

نلاحظ من خلال الأدلة السابقة أن أنبياء الله عليهم أفضل السلام قد جمعوا بين الاعتماد على الله والتوكل عليه وبين الأخذ بالأسباب.

فإبراهيم عندما رأى الرؤيا أنه يذبح ولده إسماعيل قد أخذ بالأسباب ، وتوكل على رب العزة، ويبرز دور إسماعيل في التسليم التام لأمر الله والتوكل عليه.

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الصافات : 103 - 105].

وكذلك نبي الله نوح علية السلام يأخذ بالأسباب ، ويعتمد علي رب العالمين في بناء السفينة ، وكذلك موسي عندما فر من فرعون هو وقومه فقيل له يا موسي إنا لمدركون ، فأجاب جواب المتوكل علي ربه إن معي ربي سيهذين ، ويظهر مدى شده توكله على الله مع الأخذ بالأسباب عندما ضرب البحر بالعصا فأصبح كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ.

ثانياً: التسليم بقضاء الله وقدره:

هناك ارتباط وثيق بين التسليم بالقضاء والقدر ، وبين التوكل على الله ومع وجوب الأخذ بالأسباب ، لان التوكل كما عرفنا هو اعتماد القلب على الله وحده والركون إليه ، والوثوق به دون سواه ، مع انطراح القلب بين يدي الرب ، يقلبه كيف يشاء ، وكذلك التسليم بالقضاء

(1) صحيح البخاري:كتاب الأنبياء ، باب قوله: فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ (6 / 77) رقم 4694.



والقدر الذي يؤمن العبد المؤمن كل ما يصدر عنه من أفعال وحركات تكون بقدر الله عز وجل ، ومن هنا المسلّم بقضاء الله وقدرة ، نجده معتمد على ربه في كل كبيره وصغيرة ، لذلك نجد أن العقيدة عالجت القصور في مفهوم التوكل ، بتسليم العبد المؤمن بقضاء الله وقدرة ، فالمؤمن بقضاء الله عز وجل يشعر براحة النفس والطمأنينة لأنه يعلم علم اليقين أن كل شئ مقدر له وكذلك المتوكل على الله عز وجل.

1- تعريف القضاء والقدر:

" القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل في الإنزال [1]. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [الحجر : 21].

قال ابن حزم رحمه الله: القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا [2].

2- الأدلة الواردة من القرآن والسنة:

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا بهما، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته ، وتقريره.

أ- الأدلة من القرآن:

هناك الكثير من الأدلة في القرآن الكريم توجب على العبد المسلم الإيمان بالقضاء والقدر:

قال تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾ [الأحزاب : 38].وقال تعالى:﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : 3]. وقال تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾ [النساء : 47].

قال تعالى: ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى*الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾[الأعلى:1-3]. قال تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر : 49].

---

(1) انظر: أصول الإيمان للإمام محمد بن عبد الوهاب (1 / 90) شرح السيوطي لسنن النسائي: للسيوطي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية 1406هـ / 1986 (8 / 270). فتح الباري : لابن حجر (11 / 477).

(2) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – (3 / 31)

قال تعالى: ﴿ **لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** ﴾ [الأنفال : 42].

ب-**الأدلة من السنة:**

هناك العديد من الأدلة في السنة النبوية تبين وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ، وأنهما ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا بالإقرار بهما ، ومن هذه الأدلة:

عَنْ طاووس ﷺ [(1)] أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ كُلُّ شيء بِقَدَرٍ. قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(كُلُّ شيء بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ [(2)] أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ)** [(3)].

حديث جبريل المشهور علية السلام ، الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ ،عندما جاء جبريل إلى الرسول ﷺ بصورة بشر فسأله عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان.**(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ . قَالَ: أَنْ تُؤمِنَ باللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ الآخِر ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ)** [(4)] .

وعن الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قال: علمني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ في الْوِتْرِ **(اللَّهُمَّ اهْدِنِى فِيمَنْ هَدَيْتَ وعافني فِيمَنْ عَافَيْتَ وتولني فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لي فِيمَا أَعْطَيْتَ وقني شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِى وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ)** [(5)].

---

(1) طاووس بن كيسان اليماني الحميري وقيل الهمذاني ، سكن بالجند وهي بلده معروفة باليمن ، من كبار التابعين والعلماء والفضلاء ، سمع عدد من الصحابة كابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وأبا هريرة ، ﷺ وغيرهم من الصحابة ، مات بمكة سنة ست ومائة ، انظر: تهذيب الأسماء: لمحي الدين بن شرف النووي ، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا (1 / 283).

(2) ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (28 / 474).

(3) صحيح مسلم :كتاب القدر ، باب كل شئ بقدر (4 / 2045) رقم 2655.

(4) صحيح مسلم:كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه(1 / 36) رقم 1.

(5) سنن أبى داود: كتاب سجود القرآن ، باب القنوت في الوتر (1 / 536) رقم 1427 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (1 / 283) رقم 1273.

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ وَفي كُلٍّ خَيرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ **(وَإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرُ اللّهُ ، وَمَا شَاءَ فَعل ؛ فَإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ)** [1].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ[2]ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ. قَالَ: **(كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسِّرَ لَهُ)** [3].

قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ [4] لاِبْنِهِ**(يَا بني إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شيء حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)** [5]. نخلص مما سبق: التسليم بالقضاء والقدر يحقق النصر ، والتمكين في الأرض ، والثبات على الحق ، ويريح الضمير لاعتقاده أن كل شيء بيد الله عز وجل ، وإن كل ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وإن ما أخطئه لم يكن ليصيبه.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (4 / 2052) رقم 2664.

(2) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، يكني أبا نجيد ، أسلم عام خيبر ن غزا عده غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح ، مات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 705).

(3) صحيح البخاري: كتاب القدر، باب جف القلم على عِلْمِ الله { وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } (8 / 122) رقم 6596.

(4) سبق الترجمة له في البحث ص 120.

(5) سنن أبى داود:كتاب الصلاة ، باب في القدر (4 / 362) رقم 4702 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة (5 / 438) رقم 2439.

3- بيان مراتب القضاء والقدر:

قسم ابن القيم القضاء والقدر إلي أربعة مراتب ؛ مَنْ لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي:-

أ- علم الله سبحانه بالأشياء قبل حدوثها:

فقد اتفق الرسل عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم ، وكذلك جميع الصحابة ، ومن تبعهم من الأمة على علم الله بالأشياء قبل حدوثها (1).

والأدلة على علم الله بالأشياء كثيرة جداً منها:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾ [النجم : 30]. وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق : 12]. وقال تعالى:﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ [الحشر : 22].فالله يعلم الأشياء قبل حدوثها ، وأنه لا تخفى عليه خافية فهو سبحانه يعلم كل شئ ، فمن اعتقد بأن علم الله يقع بعد حدوثه فقد وقع في الضلال ، والكفر ، والتكذيب ، ووصف بالجهل (2) .

ب- الإيمان بكتابة المقادير:

المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر هو الإيمان بكتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: **(كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ ، وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)** (3).

يقول ابن تيمية رحمه الله: كتابة الله للمقادير كانت قبل خلق الخلق ، فعلم الله بالأشياء وكتابته إياها قبل خلقها، وإن ثبوتها في العلم غير ثبوتها في الوجود (4).

قال تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾ [يس : 12].

---

(1) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن القيم (1 / 29).

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (3 / 33).

(3) صحيح مسلم:كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (4 / 2044) رقم 2653.

(4) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا - (4 / 11).

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحج : 70].

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد ، وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة [1] فنكس فجعل ينكت [2] بمخصرته ثم قال: (**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**) [3] .

ج- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة:

الإيمان بان ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو ما أجمع عليه الأنبياء ، والرسل ، وجميع الكتب السماوية ، والفطرة السليمة ، وإن ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله ، فليس مشيئة أحد من العباد كمشيئة الله ، فما شاء الله كان ، وإن لم يشأ العباد ، وما شاء الناس لم تكن إذا لم يشأ الله [4].

قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [الإنسان : 30].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَفَّانُ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ قَالَ وَمَا يُؤْمِنُنِي(**وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ قَالَ عَفَّانُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[5].

---

(1) ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ، أو عُكازه ، وما شابهها ، وقد يتكأ عليه ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (11/ 172).

(2) يضرب الأرض بعصا وما شابه ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (2 / 100).

(3) صحيح مسلم :كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (4 / 2039) رقم 2647.

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (5 / 156) ، الفتاوى الكبرى (5 / 232).

(5) مسند أحمد (43 / 230) رقم 26133 ، قال الألباني: (صحيح) الاحتجاج بالقدر: لابن تيمية ، تحقيق: الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ، 1404هـ (1 / 45).

د- الإيمان بأن الله خالق كل شئ:

الإقرار بأن الله خالق كل شئ ، وإن ما سواه مخلوق له ، وخلق الله للأشياء وفق ما قدر الله لها في اللوح المحفوظ [(1)].

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [غافر : 62]. وقال تعالى: ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾ [فاطر : 3]. وقال تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّـهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ [لقمان : 11]. وقال تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر : 62].

4- الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب:

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب ، فمن موجبات الإيمان بالقدر وجوب الأخذ بالأسباب، فقد فهم الصحابة ﷺ أن الإيمان بالقدر هو السعي ، ووجوب الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: حديث عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشام حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ[(2)] لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشام.قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشام فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فنادي عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ **(أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ)** [(3)].

---

(1) الرد على المنطقيين: لابن تيمية (1 / 381).

(2) قرية بوادي تبوك من طريق الشام ، تبعد على بعد ثلاث عشرة مرحلة من المدينة.انظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي (3 / 212).

(3) صحيح البخاري:كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون (7 / 130) رقم 5729.

يدل الحديث دلالة واضحة أن فعل عمر بن الخطاب ﷺ في عدم دخول الشام من مقام التوكل، والتمسك بالأسباب [1].

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ: **(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى }** [2].

ويتضح من خلال ما سبق أن الإيمان بالقدر لا يمنع العبد المسلم من ترك العمل والأخذ بالأسباب ، بل يدفعه بالاعتماد على الله مع السعي ، والعمل ، وعدم الاعتماد على الأسباب.

5- الانحراف في مفهوم القضاء والقدر:

عرفنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون شيء إلا بمشيئته ، وهو خالق أفعال العباد كما هو خالق سائر المخلوقات [3] وإن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله ، ولا يقولون هو نفس فعل الله [4].

ولكن ظهرت فرق انحرفت عقيدتهم في مفهوم القضاء والقدر ، فذهبت الجبرية بالقول أن العبد مجبور على فعله والجبر حق يوجب وجود أفعاله عند وجود الأسباب التي يخلقها الله وامتناع وجودها عند عدم شيء من الأسباب . وإذا كان مجبورا يمتنع أن يكون الفعل حسنا أو قبيحا لمعنى يقوم به [5]. واستدلت الجبرية بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال : 17].فنفي الله عن نبيه ﷺ الرمي ، وأثبته الله لنفسه.

عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبيﷺ قال :**(ما من أحد يدخله عمله الجنة فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة)** [6].

---

(1) فتح الباري: لابن حجر (10 / 185).

(2) صحيح البخاري:كتاب القدر ، باب { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } (8 / 123) رقم 6605.

(3) انظر: الحسنة والسيئة: لابن تيمية (1 / 131).

(4) انظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية (2 / 177).

(5) انظر: مجموع الفتاوى (16 / 235).

(6) صحيح مسلم :كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (4 / 2169) رقم 2816.

و كذلك ذهب الروافض بأن الله عز وجل يفعل القبائح وأن جميع أنواع المعاصي والكفر وأنواع الفساد واقعة بقضاء الله وقدره وأن العبد لا تأثير له في ذلك وأنه لا غرض لله في أفعاله وأنه لا يفعل لمصلحة العباد شيئا ، وأنه تعالى يريد المعاصي من الكافر ولا يريد منه الطاعة وهذا يستلزم أشياء شنيعة [(1)]. وقالوا أن أفعال العباد هي كلها اضطرارية ، كحركات المرتعش ، والعروق النابضة ، وحركات الأشجار ، وإن إضافتها إلى الخلق مجازاً [(2)].

في حين أن المعتزلة يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، بل العبد مستقل بفعله ، وأن الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء . وسلكوا مسلك نفاة القدر في هذا وقالوا في الوعيد بنحو قول الخوارج . قالوا : إن من دخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها [(3)].واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [المؤمنون : 14].

أما القدرية: فقد نفوا القدر بالكلية فقد جعلوا العباد خالقين مع الله عز وجل لذلك فهم مجوس الأمة [(4)].

الرد عليهم:

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد ، وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه : الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه ، وخلق لها خيرها وشرها. قال: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر ، يقال قدرت الشيء ، وقدرته بالتخفيف ، والتثقيل بمعنى واحد ، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى : { **فقضاهن سبع سموات في يومين** }" [(5)].

وإن من قال أن أفعال العباد كلها فعل الله فلا فرق عندهم بين أفعال المؤمنين والكفار، والبهائم وحركات الجمادات ، فإن مرادهم أن كل ما سوى الله فهو فعله ، وأنه لا فضيلة في ذلك

---

(1) انظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية (3 / 1).

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: للألباني – المكتب الإسلامي (1 / 436).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (14 / 347).

(4) انظر: المصدر السابق (1 / 437).

(5) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية ، تحقيق: محمود أبو سن ، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض ، الطبعة: الأولي: 1422هـ (1 / 9).

لمخلوق على مخلوق ، فإن هؤلاء الجهال الذين لا يفرقون بين ما خلقه وقدره وما أمر به وفرضه [1].

أما ما استدلت به الجبرية بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال :17] فهو دليل عليهم لان الله عز وجل أثبت لرسوله ﷺ رمياً بقوله: **إِذْ رَمَيْتَ** ، فعلم أن المثبت غير المنفي ، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف ، وانتهاؤه الإصابة ، فالمعني يكون ما أصبت إذا حذفت ولكن الله أصاب.

أما ما استدلوا به في الحديث **(ما من أحد يدخله عمله الجنة فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة)** [2].

فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات ، فالمنفي في قولهﷺ : **(**لن يدخل الجنة أحد بعمله**)** باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة.

أما استدلال المعتزلة في قوله تعالى: ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ يكون المعني أحسن المصورين الخالقين [3].

ونخلص مما سبق: أن الله خالق كل شيء ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون شيء إلا بمشيئته ، وهو خالق أفعال العباد كما هو خالق سائر المخلوقات ، ولكن أعطي الإنسان حرية الاختيار فإما أن يختار فعل الخير فيثاب عليه ، وإما أن يختار طريق الشر فيعاقب عليه لذلك خلق الله الجنة والنار. قال تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [القلم : 35 ، 36]. وقال تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ [ص : 28].

---

(1) انظر: الرد على البكري : لابن تيمية (1 / 317- 318).

(2) صحيح مسلم :كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (4 / 2169) رقم 2816.

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية : للألباني (1 / 438).

المبحث الثالث
الانحراف في فهم النصوص الشرعية والعمل بها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : منهج أهل السنة في التعامل مع النصوص .

المطلب الثاني : أسباب وقوع الانحراف في فهم النصوص.

المطلب الثالث : نماذج من النصوص الشرعية التي وقع الانحراف في فهمها.

المطلب الرابع : دور العقيدة في علاج الانحراف في فهم النصوص الشرعية.

المطلب الأول

منهج أهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية

أهل السلف هم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد عاصروا نزول الوحي وتلقوا النصوص الشرعية من الرسول ﷺ وما جاء به من الحق والهدى ، سمعوا الرسول ﷺ وشاهدوا أفعاله وكل تحركاته ﷺ .لذلك فلا بد أن يكون فهمهم للنصوص الشرعية ، ومنهجهم أصح من فهم غيرهم ، وأقوالهم أتم من غيرهم لما أكرمهم الله به من فضل الصحبة ، وصحة الإيمان ، والاستقامة على الدين ، فكل من خالف منهج أهل السنة والجماعة في فهم النصوص والتعامل معها فهو باطل مردود.

فمنهج أهل السنة في النصوص قائم على ما كان عليه صدر الأمة من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، منقادين للرسول ﷺ باطناً وظاهراً فلا يقدمون كلام أحد من البشر على كلام الله عز وجل.

ويبرز منهج أهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية من خلال النقاط التالية:-

1- النظرة الشمولية للنصوص الشرعية في الموضوع الواحد:

تعامل أهل السنة مع النصوص الشرعية يقوم على جمع النصوص الشرعية الواردة في الموضوع الواحد ، والنظر إليها نظرة شمولية.

والأصل في التعامل مع النصوص الشرعية عدم الاقتصار على دليل واحد ؛ بل يشترط جمع جميع النصوص في الموضوع الواحد من القرآن والسنة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: أفضل الطرق وأحسنها في تفسير القرآن: تفسير القرآن بالقرآن ، فما أُجْمِلَ في موضع فُسَّرَ في موضع آخر ، فإذا لم تجد ذلك وجد في السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له [1]. قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ [النساء : 105]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾ [النحل : 64].

(1) انظر: مجموع الفتاوى (13 / 363).

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ﷺ [1] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)** [2].

"وسنة رسول الله ﷺ تفسر مجمل القرآن ، وتبينه ، وتدل عليه ، وتعبر عنه ، وهى مفسرة له لا مخالفة لظاهره " [3].

-تفسير القرآن بالقرآن:

جاءت آيات القرآن توضح وتفسر بعضها بعضاً فما جاء موجزاً في موضع فُصل في موضع آخر ، وما جاء مطلقاً قُيد في موضع آخر. قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ [المجادلة : 3]. وقال تعالى: ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ** ﴾ [النساء : 92].

ففي الآية الأولى جاءت توضح كفارة الظهار ، وهو تحرير رقبة ، ولم تقيد الآية الرقبة المؤمنة ؛ بل جاءت مطلقة قيدتها الآية الثانية وهي الرقبة المؤمنة [4] .

قال تعالى: ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾ [المائدة : 1]. وقال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ** ﴾ [المائدة : 3].

أحل الله أكل بهيمة الأنعام ، وحرم ما يتلي عليكم فقد جاءت الآية مجمله فصلتها الآية الأخرى التي أشارت إلى تحريم أكل الميتة ، والدم ولحم الخنزير [5].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾

[الأعراف : 23]. وقال تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : 37].

---

(1) سبق الترجمة له ص 145.

(2) سنن أبى داود:كتاب السنة ، باب لزوم السنة (4 / 328) رقم 4606 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 441) رقم 4408.

(3) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: لابن تيمية (22 / 91).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (31 / 113).

(5) انظر: أحكام القرآن: للجصاص ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1405هـ (3 / 289).

نلاحظ أن الآية السابقة من سورة البقرة فسره الآية من سورة الأعراف وهو أنه تلقى آدم من الله عز وجل التوبة والرحمة عما فعل من عصيانه لآمر الله في الجنة.

وجه الدلالة: توضح الآيات السابقة أن القرآن جاء مجملاً في موضع ، فُصل في موضع آخر ، والمطلق في موضع قُيد في موضع آخر ، وهذا ما يسمي تفسير القرآن بالقرآن.

- **تفسير السنة للقرآن:**

جاءت السنة النبوية تفصل ، وتبين أحكام القرآن ، وتوضح معانيه ، فقد جاءت الأحكام في القرآن غالباً على سبيل الإجمال ، وتكفلت السنة بالبيان ، والتفصيل.

والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة جداً منها:

قال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة : 43].

فقد جاءت الآية توضح وجوب الصلاة ، والزكاة ، ولكن دون معرفة عدد الصلوات ، والركعات ، والأوقات ، ومقادير الزكاة ، ومصارفها فبينتها السنة النبوية.عن مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ ﷺ قال:[1] أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فقال: **(صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)** [2].

قال تعالى :﴿ **السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ** ﴾

[المائدة : 38]. ذكر الله عقوبة السرقة في القرآن قطع اليد لكن لم يقيد مقدار القطع ، وبما تقطع ، ومقدار السرقة ، فجاءت السنة النبوية تفصل عقوبة قطع اليد.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ قَالَ الْأَعْمَشُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ وَالْحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ)** [3]. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: **(تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ في رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا)**[4].

---

(1) سبق الترجمة له ص 236.

(2) صحيح البخاري:كتاب التمني ، باب ما جاء في إجازة الخبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام وقول الله تعالي{ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } (9 / 86) رقم 2746.

(3) صحيح البخاري: كتاب الحدود ،باب لعن السارق إذا لم يسم (8 / 159) رقم 6783.

(4) سنن أبى داود:كتاب الحدود ، باب ما يقطع فيه السارق (4 / 236) رقم 4386 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 530) رقم 5293.

قال تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّـهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ ولد** ﴾ [النساء : 11].

وضحت الآية السابقة أن الوالد يرث من ولده ، وأن الولد يرث من والده ، حتى جاءت السنة النبوية موضحة للقرآن بأن من شروط الميراث اتحاد الدين بين الولد ، والوالد [(1)].

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ)** [(2)].

2- فهم النصوص الشرعية والتعامل معها دون إشكال ولا تعارض:

فهم أهل السنة والجماعة النصوص الشرعية فهماً سليماً دون إشكال ، ولا تعارض لأن النصوص الواردة في القرآن والسنة يصدق بعضها بعضاً ؛ لأنها وحي من الله ، ويستحيل التناقض بين النصوص الواردة عن الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : 82].

قال ابن القيم رحمه الله: النصوص الواردة عن الرسول ﷺ يصدق بعضها بعضاً ، ويشهد بعضها لبعض ؛ فالإشكال الذي يقع في النصوص إنما يقع في الفهم لا في النصوص ، والواجب على كل مؤمن أن يَكَل ما أُشكل عليه من النصوص إلى نفسه لا إلى النصوص نفسها.[(3)]

يقول الطبري رحمه الله في تفسر الآية السابقة: "وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم ، لاتِّساق معانيه ، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه ، وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد البعض" [(4)].

(1) انظر: الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي ، تحقيق: أبو عبدالله السورقي – إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (1 / 13) .

(2) صحيح البخاري:كتاب الفرائض ، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له (8 / 156) رقم 6767

(3) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (2 / 271).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن (8 / 567).

يقول ابن تيمية رحمه الله: حقيقة الذين يجوزون تعارض النصوص الإلهية والنبوية ، فهم لا يحتجون بالنصوص الشرعية ، ويقدمون العقل على النقل ، ومعلوم أن عصر الجيل الأول من الصحابة والتابعين ﷺ لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بالعقليات ، أو يقدم العقل على النقل [(1)].

3- فهم النصوص الشرعية وفقاً للأهداف العامة من إنزاله:

لقد أنزل الله القرآن الكريم لهداية الناس إلى الحق والخير ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد الخالص لله عز وجل. لذلك فهم أهل السنة والجماعة القرآن الكريم وتعاملوا معه وفق الأهداف العامة من إنزاله ولتزموا به في واقع الحياة قولاً وعملاً.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء : 9].

ويشمل هذا الهدف العديد من الجوانب منها:-

أ- إصلاح عقائد العباد وتصحيح المفاهيم غير الصحيحة عن الذات الإلهية والرسل واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وغيرها:

جاءت النصوص الشرعية بتصحيح عقائد العباد والمفاهيم غير الصحيحة المنتشرة في المجتمع ، فسلك أهل السنة والجماعة مسلك السلف في إصلاح العقائد الفاسدة التي لا تمت للإسلام بصله. قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [المؤمنون : 23].

وقال تعالى:﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الزخرف : 43].

"وأما ما أخبر به الرسول ﷺ فإنه حق في نفسه لا يختلف باختلاف عقائد الناس ، وأحوالهم فهو الحق الذي لا يقبل النقيض ، ولهذا كل ما عارضه فهو باطل مطلقاً" [(2)].

ب-تزكية النفوس وإصلاحها وتربيتها على الفضائل والأخلاق الحميدة وتطهيرها من الانحرافات والعيوب:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : 21].

(1) انظر: درء تعارض العقل النقل (3 / 24).

(2) المصدر السابق (2 / 106).

وتزكية النفوس تكون بترك الكفر ، والنفاق ، والفسوق ، والبدعة ، والشرك ، والرياء ، وحب الجاه والرئاسة ، والحسد ، والعجب ، والكذب ، والشح ، والغرور ، والغضب ، وحب الدنيا، وإتباع الهوى [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: تزكية النفوس تكون بطاعة الله وصالح الأعمال ، وترك المحرمات ، والفواحش ، والظلم ، والشرك ، والكذب وغير ذلك [2]قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ [الشمس : 9].

يقول ابن القيم رحمه الله: تزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان ، فلا سبيل لتزكيتها إلا عن طريق الانقياد ، والتسليم لله ولرسوله ﷺ [3].

ج- تحرير العقول من الخرافات والأوهام والاعتماد على الدليل والبرهان:

كرم الإسلام العقل وجعله مناط للتكليف ؛ لذي فضل الله المسلم على المخلوقات لتميزه بالعقل الذي يميز الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ؛ لذلك خص الله أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد الشريعة. قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة : 197]. وقال تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة : 179].

فقد حث الإسلام أصحاب العقول بعدم قبول الخرافات ، وتقليد الآباء الذين وألغوا عقولهم، وتفكيرهم. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : 170].

يقول ابن تيمية رحمه الله:ليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما جاء به من الهدي والحق شئ يخالف العقل الصحيح [4] .

د- بناء الأمة المتميزة في جميع المجالات:

فهم النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة والعمل بها يجعل الأمة الإسلامية متميزة في جميع المجلات القائمة على العدل ، والمساواة ، والشورى.

---

(1) للاستزادة عن الموضوع يمكن الرجوع لكتاب: المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى.

(2) انظر: العبودية (1 / 91).

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 315).

(4) انظر: الرسالة العرشية ، المطبعة السلفية – القاهرة ، الطبعة: الأولي ، 1399هـ (1 / 29).

4- التعامل مع النصوص دون تحريف ولا تعطيل وتجنب الأهواء والرغبات الشخصية:

أهل السنة يتعاملون مع النصوص الشرعية بالانقياد دون تحريف ، ولا تعطيل ، ويتجنبون الأهواء ، والرغبات في تطبيق تلك النصوص.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "من آمن بما وصف الله به نفسه ووصف به رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تكييف فقد اتبع سبيل المؤمنين" [1].

أهل السنة والجماعة يتعاملون مع نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تشبيه ، يصفون الله بما وصف الله به نفسه ، وبما ووصفه رسوله ﷺ [2].

وأهل السنة والجماعة يتحرون منهج سلف الأمة في تعاملهم مع النصوص الشرعية فهم يتجنبون الأهواء ، والرغبات الشخصية والحزبية التي تسلكها الفرق الضالة ، وينطبق على تعاملهم بالنصوص ، قوله تعالى:{ **وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** [البقرة : 285].

5- التوسط والاعتدال في فهم النصوص والتعامل معها دون الإفراط والتفريط:

فهم أهل السنة أن التعامل مع النصوص الشرعية يجب أن يكون قائماً على التوسط دون الإفراط ، ولا التفريط.

يقول ابن تيمية رحمه الله: أهل السنة التزموا الوسطية والاعتدال في جميع النصوص والمسائل الشرعية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [3].

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)** [4].

---

(1) بيان الدليل على بطلان التحليل (1 / 498- 499).

(2) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: لشمس الدين السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة: الثانية ، 1402هـ / 1982م (1 / 94).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (3 / 141).

(4) صحيح البخاري:كتاب النكاح ، باب لزوجك عليك حق (7 / 31) رقم 5199.

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:(**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**) [1].

فقد أخبر الرسول ﷺ أن من سلك هذا الفعل فليس على طريقته ، وسنته ، لما أوجبوا على أنفسهم من التشديد فقد عابهم ﷺ لأنهم لم يلتزموا طريقة ﷺ من النوم ، والزواج ، والإفطار كما وأرادوا أن يفعلوا ما تفعل الرهبانية من التشديد [2].

ونخلص مما سبق فنقول: يجب على الأمة الإسلامية اليوم ضرورة الرجوع إلى منهاج السلف في التعامل مع النصوص الشرعية لأنه لا خيار لنا عن منهاج السلف الذي هو المنهج العلمي الصحيح الذي يقوم على الصفاء ، والإيمان ، ويجعل المسلم منشرح النفس ، ويحثه على فعل الخير فيجب على المسلمين أخذ الأمور من مصادرها الصحيحة ، أما غير ذلك فهذا لا يفيد لأنه لا يوصل صاحبه إلى المنهج الحق ، ولا إلى فهم الحق.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه : 124].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح (7 / 2) رقم 5063.

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (9 / 105).

المطلب الثاني

أسباب وقوع الإنحراف في فهم النصوص.

هناك العديد من الأسباب التي يمكن من خلالها الوقوع في الإنحراف لفهم النصوص الشرعية ، ومن هذه الأسباب:-

1- الاعتقاد بوجود تناقض بين النصوص الشرعية:

من أهم الأسباب التي توقع الانحراف في فهم النصوص الشرعية الاعتقاد بوجود تناقض ، وتضارب بين نصوص القرآن نفسه ، أو وجود تضارب وتناقض في السنة نفسها ، أو تضارب بين نصوص القرآن والسنة ، أو الاعتقاد بوجود تناقض بين النصوص الشرعية والعقل.

يقول ابن تيمية رحمه الله: يمتنع تعارض الأدلة القطعية فلا يجوز تعارض دليلان قطعيان سواء كانا دليلين عقليين ، أو سمعيين ، أو كان دليلاً عقلياً ، والآخر سمعياً ، وإن الأدلة القطعية متوافقة ، ومتعاضدة فيما بينهما [1]. وقد تأملت عامة ما تنازع الناس فيه من النصوص الصحيحة فوجدت ما خالف النصوص شبهات فاسدة يعلم العقل فسادها فهى تناقض الشرع [2].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: لا تناقض ولا تضارب بين آيات القرآن ، والأخبار النبوية ، ولا بين أحدهما الآخر ، بل جميع الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية تؤدي معنىً واحداً وقد شهد الله بعدم وجود الاختلاف بينها لأن القرآن والسنة وحي من الله [3].

وقال: الأدلة الشرعية لا يمكن بأي حال من الأحوال التناقض فيما بينها ؛ ولكن قد يقع التناقض من جهة فهم المجتهد فهذا ممكن [4].

يقول الإمام النووي رحمه الله: "وأما إذا تعارض حديثان في الظاهر، فلا بد من الجمع بينهما ، أو ترجيح أحدهما، وإنما يقوم بذلك غالباً الأئمة الجامعون بين الحديث ، والفقه ، والأصوليون المتمكنون في ذلك الغائصون على المعاني الدقيقة" [5].

---

(1) انظر: جامع الرسائل (2 / 39).

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 83).

(3) انظر: الاعتصام: الشاطبي (2 / 64).

(4) انظر: الموافقات: للشاطبي (5 / 342).

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (1 / 35).

2- عدم المعرفة بالناسخ والمنسوخ:

عدم معرفة المسلم بالناسخ والمنسوخ يوقعه في انحراف فهم النصوص ، والتعامل معها ، وقد يبني حكماً شرعياً خاطئاً ، لأن الناسخ يبطل حكم المنسوخ ، فقد يبني حكماً شرعياً على نص منسوخ لا يؤخذ به إلا تلاوةً ، والقرآن نفسه يبين وقوع تغيرات في بعض الآيات ، وهي ما تسمى بالناسخ والمنسوخ. قال تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة : 106]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ** ﴾ [النحل : 101]. ويقع النسخ بين القرآن بالقرآن ، أو نسخ السنة بالسنة ، أو نسخ السنة للقرآن ، أو نسخ القرآن للسنة ، ويشترط أن يكون النسخ في نفس الموضوع [1].

"وقد ذهب البعض بمنع نسخ السنة بالقرآن لأن نسخ السنة بالقرآن يلبس على الناس دينهم ويزعزع ثقتهم بالسنة ، ويوقع في روعهم أنها غير مرضية لله وذلك يفوت مقصود الشارع من وجوب إتباع الرسول ﷺ وطاعته واقتداء الخلق به في أقوالهم ، وأفعالهم ولا ريب أن هذا باطل فما استلزمه وهو نسخ السنة بالقرآن باطل" [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: يجوز نسخ السنة بالقرآن [3].

ومعرفة المسلم بالناسخ والمنسوخ يجعله يتعرف على الحلال والحرام حتى لا يقع به ، فبجهل المسلم الناسخ والمنسوخ في النصوص الشرعية يوقع نفسه ، والآخرين في الهلاك ، لذلك يتبادر إلى ذهنه وجود تضارب بين النصوص الواردة في القرآن والسنة ، وبناء على ذلك ينحرف فهمه للنصوص الشرعية.

- ومن الأمثلة على نسخ القرآن بالقرآن:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ** ﴾ [البقرة : 221]. نسخت الآية التي تحرم الزواج بالآية الثانية التي تبيح الزواج من أهل الكتاب.

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان ، مكتبة المعارف للتوزيع والنشر ، الطبعة: الثالثة ، 1421هـ / 2000م (1 / 243- 244).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الثالثة (2 / 246).

(3) المستدرك على مجموع الفتاوى (2 / 31).

قال تعالى: ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** ﴾ [المائدة : 5].

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ [البقرة : 219]. نسخت هذه الآية بالآية الثانية [1]. قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ [التوبة :103].

عن ابن عباس ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ : لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما أجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله . ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل وقامت عليه البينة ، أو كان حمل ، أو اعتراف . وقد قرأتها (**الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا ، فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ بِمَا قَضَيَا مِنَ اللَّذَّةِ**) [2].

- ومن أمثله نسخ القرآن بالسنة:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فمن اضطر غير بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ** ﴾ [البقرة : 173]. حرم الله في الآية السابقة تناولَ الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، فجاءت السنة بنسخ بعض الميتة ، وبعض الدم [3]. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**) [4].

أما نسخ السنة بالقرآن ، كاستقبال بيت المقدس في الصلاة لم ينسخا نصاً من السنة لتحويلها لبيت الله الحرام إلا نص من القرآن [5]. قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ [البقرة : 144].

---

(1) للاستزادة عن الموضوع يمكن الرجوع لكتاب: الناسخ والمنسوخ : للنحاس ، والناسخ والمنسوخ: للكرمي.

(2) سنن ابن ماجه:كتاب الحدود ، باب الرجم (2 / 853) رقم 2553 ، قال الألباني:(صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة (7 / 114) رقم 2913.

(3) انظر: الناسخ والمنسوخ: لابن حزم ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1406هـ (1 / 23).

(4) سنن ابن ماجه:كتاب الأطعمة ، باب الكبد والطحال (2 / 1102) رقم 3314 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 21) رقم 210.

(5) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني (2 / 245).

أما بالنسبة لنسخ السنة بالسنة ، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء وهو كثير(1). عن عبد الله بن بُرَيْدَة عن أبية [2] رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **(كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُوروها)** [3].

3- الجهل بسعة لسان العرب:

القرآن الكريم نزل بلسان العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم فمن جَهلَ لسان العرب فقد أوقع نفسه في انحراف ، وفهم النصوص الشرعية ، فلا يستطيع من جهل لغة العرب التعامل معها. قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف : 2]. وقال تعالى: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ [الشعراء : 195]. إن الله عز وجل أنزل القرآن عربياً لا عجمة فيه ، بمعنى أنه جاء في ألفاظه ، ومعانيه وأساليبه على لسان العرب ، فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه وهو اعتبار ألفاظها ، ومعانيها ، وأساليبها [4].

يقول ابن تيمية رحمه الله: الاستدلال بالقرآن إنما يكون بلغة العرب التي أُنزل بها ، فلا يجوز حمل ألفاظ القرآن على غير لغة العرب ، بل يضع القرآن على موضعه الذي أُنزل به ، ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفاً للكلام عن مواضعه التي بينها الله [5].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جَهلَ سعة لسان العرب وكثرة ، وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها ، ومن عَلِمَه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانهم" [6].

---

(1) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: لمرعي الكرمي ، تحقيق: سامي عطا حسن دار القرآن الكريم – الكويت ، 1400 هـ (1 / 37).

(2) سبق الترجمة له ص 186.

(3) صحيح مسلم: كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه(2 /672) رقم 977.

(4) انظر: كتاب الاعتصام: للشاطبي (2 / 50).

(5) انظر: بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعهم الكلامية: لابن تيمية ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى ، 1392هـ (1 / 492).

(6) الرسالة ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية (1 / 50).

4- الوضع من قبل الوضاعين:

من أشد الأسباب خطورة في انحراف النصوص الشرعية لدى عامة المسلمين البسطاء الاعتماد على أحاديث موضوعة لا تمت للإسلام بصلة ، فلو تحدثت مع شخص يحفظ حديث موضوع من الصعب تغيير حاله لاعتقاده أنه متمسك بنص من نصوص الرسول ﷺ ، لذلك نجد أن الوضاعين قد يضعون الأحاديث لحث الناس على الخير ، فقد يكون الحديث مخالفاً لنص من نصوص القرآن أو لنص من نصوص السنة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ،عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: **(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)** [1].

فقد يتطاول البعض على سنة رسول الله ﷺ فيكذب على لسانه ، فيضن أنه من عند الله ، ويعتقد البعض أنه حجة في الدين ، وهو ليس بحجة [2] .

يقول ابن القيم رحمه الله: لقد اصطنع الوضاعون الأخبار ، والأحاديث وصاغتها ألسنتهم بهدف الكيد للإسلام ، والمسلمين وصرف الناس عن الصراط المستقيم ، فما نزلت نازلة بالإسلام إلا من هؤلاء الوضاعين[3].

فقد قال أحد الوضاعين نحن نكذب لرسول الله ﷺ ، ولا نكذب عليه ، ولم يعلم هذا الجاهل من قال عليه ما لم يقل فقد كذب ، واستحق من الوعيد الشديد [4].

5- تقديم العقل على النقل:

من أسباب وقوع الانحراف في فهم النصوص الشرعية تقديم العقل على النقل ، ومعلوم أن العقل الصريح السليم يوافق نصوص الكتاب والسنة ، فالأصل أن يكون العقل موافقاً للنقل لا أن يقدم العقل على النقل ، ومعلوم أن الله حث العقل في كثير من الآيات على التدبر ، والتفكير ، وأعطاه منزله ومكانة عظيمة ، كل هذا لا يعني تقديمه على النقل لأن العقل قاصر عن الإدراك خاصة الأمور الغيبية فلا يجوز للعقل إلا التسليم والانقياد للنقل.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب من سُمى بأسماء الأنبياء (8 / 44) رقم 6197.

(2) انظر: اقتضاء الصراط :لابن تيمية (1 / 9).

(3) انظر: الصواعق المرسلة (1 / 300).

(4) انظر: نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: لابن القيم ، تحقيق: حسن السماعي سويدان ، دار القادري – بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1411هـ/ 1990م (1 / 103).

فقد قال علي ﷺ : **(لَوْ كَانَ الدِّينُ بالرأي لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ. وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ)** [(1)].

يقول ابن تيمية رحمه الله: النصوص الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يعارضها العقل الصحيح إلا ما كان في النص من اضطراب مخالف للحق من شبه وخيالات [(2)].

وبين الله في كتابه ، وعلى لسان نبيه ﷺ ، إن أعظم الناس إتباعاً من كان متبعاً لكتابه الذي أنزله ، ونبيه الذي أرسله كان أعظم من فرّق بين الحق والباطل ، ومن كان أبعد عن كتاب الله ورسوله ﷺ كان أبعد عن الحق [(3)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: إن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ، ومطابق للفطرة فهما متصادقان متعاضدان لا يتعارضان يشهد أحدهما بصحة الآخر ، فإذا تعارض العقل ، والوحي قدم النقل على العقل فقبحاً لعقل يعارض الوحي [(4)].

6- تفسير النصوص بالأهواء والآراء:

مذهب أهل السنة والجماعة في تفسير النصوص الشرعية هو التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة كما سار عليه سلف الأمة ﷺ ، بخلاف من يفسر النصوص بالآراء والأهواء نجده يقع في الانحراف ، والتخبط لبعده عن المنهج السليم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: من خالف الكتاب والسنة بقياس فاسد ، أو نقل كاذب فقد وقع في الضلال ، والهلاك وترك الحق بحجة الأخذ بالذوق ، وترك الكتاب والسنة [(5)].

ويقول الإمام الطحاوى رحمه الله: " كل من قال برأيه ، وسياسته مع وجود النص ، أو عارض النص بالمعقول ، فقد ضاهى إبليس ، حيث لم يسلم لأمر ربه" [(6)].

---

(1) صحيح: سبق تخريجه ص 101.
(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 85).
(3) انظر: مجموع الفتاوى (13 / 6).
(4) انظر: شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل (1 / 302).
(5) انظر: مجموع الفتاوى (13 / 68).
(6) شرح العقيدة الطحاوية: الألباني ، دار السلام (1 / 207).

7- التأويل الباطني والقول بأن للقرآن ظاهر وباطن:

من أسباب وقوع الإنحراف في فهم النصوص القول بالتأويل الباطني ، وأن للنصوص الشرعية ظاهر وباطن. ويزعم البعض [1] إن للقرآن ظاهر وباطن ، ويعتقدون أن الباطن مخالف للعلم الظاهر ، فمعتقد ذلك إما زنديق ملحد ، أو جاهل ضال [2].

وقالوا إن ما في القرآن من ظواهر هي رموز إلى بواطن لم يفهمها العوام ، وقد فهمها الإمام المعصوم فتعلمنا منه ، تعلمنا منه بمشاهدة ذلك في قلبه بالعين أو سماعا من لفظه ، وذهبوا بالقول أنه لا يمكن الوثوق بما تفهمه من ظاهر النص[3].

وقالوا من عمل بالظاهر والباطن فهو منا ، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس منا [4].

واستدلوا بعده أدله موضوعة وضعيفة ومن هده الأدلة:

1- ما روه عن النبي ﷺ : **(ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن)** [5].

2- قال عمر كان رسول الله ﷺ وأبو بكر **يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي)** [6].

---

(1) الباطنية من الإسماعيلية ، النصيرية ، والفلاسفة ، وغلاة المتصوفة والمتكلمين.

(2) انظر: رسالة زهر بذر الحقائق: لحاتم بن إبراهيم الحامدي، تحقيق: عادل العوا ، مطبعة الجامعة السورية ، 1378هـ/ 1958م (ص 172- 173)

(3) فضائح الباطنية :لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت (1 / 52).

(4) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها: لمحمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، السعودية – الرياض ، الطبعة : الأولى 1404هـ / 1984م (1 / 131).

(5) قال الألباني:(ضعيف) السلسة الضعيفة (3 / 510) رقم 1337.

(6) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد بن درويش بن محمد ، دار الكتب العلمية ، وهو موضوع (1 / 199) رقم 982.

المطلب الثالث

نماذج من النصوص الشرعية التي وقع الانحراف في فهمها

هناك العديد من النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة يقع بعض المسلمين في الانحراف بها نتيجة عدم فهمها ، لا نقول : الانحراف السلوكي ، أو العقدي ، أو الأخلاقي ، لكن نقصد وقوع العبد المسلم في الانحراف الواقع على الفهم فقط (شبهة فهم النص) وفي حال معرفة مراد النص تزول عنه الشبهة.

ولا أريد أن أتحدث عن الفرق الضالة ، والمنحرفة كيف وقعت في الانحراف ؟ لا نقول نتيجة عدم فهمهم للنصوص ؛ بل أوقعوا أنفسهم في الانحراف قصداً ، واختياراً لدوافع شخصية ، أو سياسية ، أو حزبية ، وغيرها من الدوافع الفاسدة ؛ ولكن أريد أن أُشير إلي بعض الأمثلة التي وقع بها المسلمون قديماً وحديثاً ، أو قد يقع العبد المسلم بها نتيجة عدم الفهم المناسب للنصوص الشرعية.

- نماذج للنصوص التي وقع الانحراف بسبب عدم فهمها:-

1- قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا** ﴾ [المائدة : 93]. لقد تأول قدامة بن مضعون الجمحي ﷺ هذه الآية وهو من الصحابة هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً ، وأحد والمشاهد كلها ، ولاه عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله بشرب الخمر ، فأراد عمر جلدة ، فقال: قدامة لم تجلدني؟ وبيني وبينك كتاب ، فقال عمر: وفي أي كتاب الله تجد ألا أجلدك؟ فقال: في قوله تعالي: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**﴾ [المائدة : 93]. فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، وشهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحد والمشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه ، فردوا عليه بحرمة الخمر، فأمر عمر فجلد ثمانين جلدة [1].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (6 / 297 - 298).

يقول ابن تيمية رحمه الله:هذه شبهة وقعت لبعض الأولين من الصحابة ﷺ عندما شربوا الخمر ، وتأولوا جواز شرب الخمر واستدلوا بقوله تعالي:{**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** } [1].

وجه الدلالة: يتضح من خلال السابق أن قدامة ﷺ لم يفهم النص الشرعي وهو من جيل الصحابة ﷺ فترتب على ذلك شرب الخمر الذي حرم بنص شرعي ، لذلك نجد أن قدامة قد وقع في شرب الخمر متأولاً النص لاعتقاده من يؤمن ويعمل صالحاً فلا إثم عليه في أي شئ يفعله.

2- قال تعالى:﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِن الْفَجْر** ﴾[البقرة : 187].عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ [2] قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} **عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**)[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد غلط في كثير من فهم القرآن من لا يحصيه إلا الله تعالى حتى في زمن النبي ﷺ فهم طائفة من قوله تعالى: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر أن المراد به الخيوط التي هي من جنس الحبال" (4). "ومن الصحابة من أكل بعد طلوع الفجر في رمضان حتى تبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود" (5).

ويتضح من خلال ما سبق أن عدي بن حاتم ﷺ لم يفهم النص القرآني فكانت النتيجة المترتبة على ذلك نقص في إتمام العبادة كما أراد الله ورسوله ﷺ .

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (11 / 403).

(2) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن عدي الطائي ، ولده الجواد المشهور أبو طريف ،أسلم في سنة تسع ، وقيل: سنة عشر ، وكان نصرانيا قبل ذلك ، شهد فتح العراق ، وشهد صفين مع علي ﷺ ، ثم سكن الكوفة ، مات بعد الستين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر (4 / 469 – 470).

(3) صحيح البخاري:كتاب الصوم ، باب قوله تعالي: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ} (3 / 28) رقم 1916.

(4) الرد على البكري (2 / 616).

(5) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (19 / 227).

3- قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ. ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ)** [1]. يتوهم البعض من خلال الحديث السابق أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ممسك بها حتى قالوا إن الحديث موهم للحلول.

يقول ابن تيمية رحمه الله: لا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن أن يكون القلب متصلاً بالأصابع مماس لها ، ولا يقتضي مباشرته لديه ، فهذا السحاب مسخر بين السماء ، والأرض وهو لا يمس السماء ، ولا الأرض [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: وصف الرسول ﷺ أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن فمن تأول غير ذلك على غير حقيقته كان ذلك جحداً للربوبية ، وعناداً ، وكفراً صريحاً [3]. ومنهج أهل السلف في هذا الحديث ، وغيره من الأحاديث الأخذ بالظاهر ، وأن لله أصابع حقيقية نثبتها كما أثبتها الرسول ﷺ لربه من غير تأويل ، ولا تشبيه ، ولا تكييف ، فلا نزيد على ذلك ، ولا ننقص[4].

4- عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : إنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ **يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ ، كَيْفَ أعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ! يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ! يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)**[5].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب القدر ، باب تصريف الله تعالي القلب كيف شاء (4 / 2045) رقم 2654.

(2) انظر:الرسالة التدمرية (1 / 32).

(3) انظر: الصواعق المرسلة (1 / 221).

(4) انظر: لوامع الأنوار البهية: لشمس الدين الحنبلي (1 / 238).

(5) صحيح مسلم :كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل عيادة المريض (4 / 1990) رقم 2568.

كثير من المسلمين اليوم حين يقرأون هذا الحديث يتوهم لهم أن الله يقع عليه ما يقع على المخلوقات من صفات النقص ، كالمرض ، والجوع ، والعطش ، حاشا لله وتعالي الله عن ذلك علواً كبيراً ، لكن يقع هذا الانحراف لدى القارئ لعدم فهمه للحديث ، واعتقاده أن هذا الحديث مخالف للعقل.

يقول ابن تيمية رحمه الله: فمن قال: إن هذا الحديث مخالف لدلالة العقل لأنه يقتضي الحلول ، وأنه تعالى تجري عليه صفات المخلوقات من مرض ، وجوع ، وعطش ، فمن قال ذلك لم يفهم معنى الحديث ولم يتدبره فإن الحديث قد فسره المتكلم به ، وبين مراده بياناً زالت به كل شبهة ، وبين أن العبد هو الذي جاع ، وأكل ، ومرض ، وعاد ، وأن الله لم يمرض ، ولم يجع ، ولم يعطش [1]. ويقول أيضاً رحمه الله: والحديث فسر أن المراد جوع عبده ومحبوبه لقوله (**لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**) ولم يقل لوجدتني قد أكلته وقال:(**لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**) ولم يقل لوجدتني إياه ، لأن المحب يتفق هو ومحبوبه يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ، ويأمر بما يأمر به ، ويبغض ما يبغضه ، ويكره ما يكرهه وينتهي عما ينتهي عنه [2].

"قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له. قالوا: ومعنى وجدتني عنده. أي: وجدت ثوابي ، وكرامتي ويدل عليه قوله تعالى: في تمام الحديث لو أطعمته لوجدت ذلك عندي لو أسقيته لوجدت ذلك عندي أي ثوابه والله اعلم"[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله:هذا الحديث موافق لعديد من الآيات منها: قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح : 10]. وقال تعالى:﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء : 80]. لو استحل المسلمون ما استحللتم به من الجوع ، والعطش بحق الله كما اعتقدتم في الحديث ، لكان الاستدلال في الآيتين السابقتين أن محمداً ﷺ إله من جنس استدلالكم ، ولا فرق بين الله ورسوله ﷺ [4].

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 85) ، الرسالة التدمرية (1 / 32).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (2 / 462).

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (16 / 126).

(4) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: لابن القيم ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة (1 / 157).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "إن الآية يمتنع أن يراد بها الحلول فإنه قال يد الله فوق أيديهم ، و يد النبي ﷺ كانت مع أيديهم لا فوقها فلم تكن يده يد الله" [(1)].

5- قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[المائدة : 44].

قد انحرف العديد من الجماعات المعاصرة اليوم في فهم الآية ، مما أدى إلى تكفير المجتمعات والحكومات الإسلامية التي لم تحكم بما أنزل الله ، حيث استدلت بالآية السابقة أنه من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ، بل تعدوا أكثر من ذلك فقالوا بوجوب قتل واستحلال دماء ، وأعراض ، وأموال من لم يحكم بما أنزل الله ، أو لم يكفر الحكومات التي لم تحكم شرع الله.

يقول ابن تيمية رحمه الله:" تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فَكَفَّرَ أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم" [(2)].

وهؤلاء تناسوا وتجاهلوا أن التكفير له ضوابط شرعية فمن ارتكب ناقض من نواقض الإسلام حكم بكفره ، لكن بعد أن تتوفر فيه عدة شروط وضعها أهل السنة والجماعة [(3)].

6- عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: **(مَنْ عَادَى لِيَ وَلِيِّاً ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَع بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)** [(4)]. قد فهم بعض الناس هذا الحديث فهماً غير صحيحاً فاعتقدوا بوقوع الحلول ، والاتحاد بين الخالق والمخلوق ، وأن الله يكون سمع الولي ويده ورجله.

وليس المقصود كما فهم بعض الناس ؛ بل الصواب أن العبد لا يحرك جارحةً من جوارحه إلا في الله ولله ، فجوارحه كلها تعمل بالحق ، فمن كان كذلك لم ترد له دعوة [(5)].

---

(1) الرد على البكري (1 / 367).

(2) مجموع الفتاوى (13 / 31).

(3) وللإستزاده عن موضوع التكفير أسبابة وشروطه وموانعه يمكن الرجوع إلي المبحث الثاني من الفصل الأول ص 37 .

(4) صحيح: سبق تخريجه ص 56 .

(5) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (10 / 212).

فالمقصود بالحديث: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع ، وبصره في النظر ، ويده في اللمس ، ورجله في المشي ، فالله ييسر له سبل ما يحبه ويعصمه عما يكره من الإصغاء إلى اللغو بسمعه ، وبطش ما لا يحل ، وعليه تكون سرعة إجابة الدعاء من الله وإن مساعي الإنسان تكون بالجوارح الأربع [1] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن العبد يسمع والله تعالى ذكر في الحديث عبداً ، ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه ، ومحباً ومحبوباً ، وسائلاً ومسئولاً ، ومعطياً ومُعطى ، ومستعيذاً ومستعاذاً به ، ومعيذاً ومعاذاً ، فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر فإذا كان كذلك لم يكن ظاهر قوله كنت سمعه وبصره ويده ورجله أن الخالق يكون جزءاً من المخلوق أو صفة فيه تعالى الله عن ذلك وإنما ظاهره وحقيقته أن الله تعالى يسدد هذا العبد في سمعه ، وبصره وبطشه ، ومشيه فيكون سمعه لله تعالى إخلاصاً وبه استعانة وفيه شرعاً واتباعاً وهكذا بصره وبطشه ومشيه [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: وتأمل كيف قال: بي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، ولم يقل فلي يسمع ، ولي يبصر ولي يبطش ، إن العبد إذا سكت سكت بالله ، وإذا نطق ، نطق بالله ، وإذا أبصر فبه يبصر وبه يبطش ، وبه يمشي ، وبه يتحرك ، وبه يحي ، وبه يموت [3].

---

(1) انظر: شرح السنة متنا وشرحا: للبغوي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1403هـ / 1983م (5 / 20).

(2) انظر: القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني: لابن عثيمين (1 / 72).

(3) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1 /130– 131).

المطلب الرابع

دور العقيدة في علاج الانحراف في فهم النصوص الشرعية

أولاً: تربية الجيل على منهج التلقي السليم:

اعتمد أهل السنة والجماعة المنهج السليم في التلقي ، وهو الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً ، وترك القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وضربها عرض الحائط ، لذلك وجب تربية الجيل المسلم اليوم على ما تربي عليه صدر الأمة ﷺ ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكان من أعظم ما أنعم الله على صحابة رسول الله ﷺ اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بينهم ، ومن تبعهم أنه لا يقبل من أحد عارض القرآن لا برأيه ولا عقله ولا قياسه ، لأن ما جاء به الرسول ﷺ من ربه من البينات الواضحات تهدي للتي هي أقوم[1]. وكان الرسول ﷺ يغذي أصحابه ﷺ بالقرآن والسنة ، ويزكيهم بالعمل حتى أصبح هذا الدين أحب إليهم من آبائهم ، وأبنائهم ، وأموالهم ، ومن الناس أجمعين حتى من أنفسهم ﷺ فتحملوا معه أعباء الدعوة فنصروه وآزروه [2].

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ [3] قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْآنَ يَا عُمَرُ)** [4].

فقد ربى الرسولُ ﷺ صحابته ﷺ على الطريق الحق الذي لا اعوجاج فيه ، ولا يأتيه الباطل من خلفه ، ولا من بين يديه ، لذلك فقد غضب عندما وجد عمر ﷺ يقرأ من صحيفة لأهل الكتاب.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (13 / 28).

(2) انظر: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: لابن تيمية ، تحقيق: عبد العزيز محمد الفريح ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة ، 1422هـ / 2001م (13 / 1221).

(3) سبق الترجمة له ص 185.

(4) صحيح البخاري:كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يَمِينُ النبي ﷺ (8 / 129) رقم 6632.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ. فَقَالَ: (**أَمُتَهَوِّكُونَ** [1] **فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**)[2].

يدل الحديث دلالة واضحة أن المنهاج السليم للتربية هو الذي ارتضاه الرسول ﷺ لصحابته ﷺ ، ولأمته من بعده وهو التمسك بالكتاب والسنة ، وتجنب ما سوى ذلك لأن الأمة غير محتاجة في شئ من دينها إلا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن تربية الجيل على منهاج الكتاب والسنة هو الطريق الصحيح الذي به ترجع الأمة إلى ربها ودينها.

يقول ابن القيم رحمه الله: يجب على العبد كمال التسليم له ﷺ ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، وعدم معارضته ، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضي بحكم غيره [3] .

وإن سبب انحراف كثير من الناس عن الإيمان ، هو انحرافهم عن صحة المعرفة التي جاء بها الرسول ﷺ ، ولا يمكن تلقي المعرفة إلا بمعرفة ما جاء به الرسول ﷺ [4] .قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب : 36].

وقد يعتقد البعض أن تربية الجيل مقتصرة على القرآن دون السنة لوجود كل شئ في القرآن مستدلاً بعدد من الآيات. قال تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : 38].

وقال تعالى:﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل : 89].

صحيح أن منهاج التربية الصحية قائم على القرآن الكريم ، لكن السنة النبوية المصدر الثاني بعد القرآن ، فالقرآن وضح الأصول مجملة ، والسنة وضحت ، وفسرت وبينت ، فلا يجوز الاقتصار على القرآن دون السنة في تربية الجيل.

---

(1) الأحمق المتهور المضرب في القول ، يكون على غير استقامة فيسقط في الردى، انظر :لسان العرب: لابن منظور ، (10/ 508) ، تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (27 / 411).

(2) مسند أحمد (23 / 349) رقم 15156، قال الألباني: (حسن) مشكاة المصابيح (1 / 38) رقم 177.

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 387).

(4) انظر: الفوائد (1 / 85).

يقول ابن القيم رحمه الله: "السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين ، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين" [1].عن المقدام بن معد يكرب [2]ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(ألا هلْ عَسَى رجلٌ يَبْلُغُهُ الحديثُ عنِّي ، هو مُتَّكئُ على أرِيكَتِهِ ، فيقول : بيننا وبينكم كتابُ الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللْناهُ ، وما وَجَدْنا فيه حرامًا حرَّمْنَاهُ ، وإن ما حرَّم رسولُ الله كما حَرَّمَ اللهُ)**[3] .

ثانياً: التسليم المطلق للنصوص الشرعية والانقياد لها مع تفعيل دور العقل:

الواجب على العبد المسلم الانقياد المطلق للنصوص الشرعية سواء كانت موافقة لأهوائه أم معارضة لها ، وسواء فهم معناها ، أو لم يفهم ، ولا يعني ذلك إهمال دور العقل ، والتقليل من شأنه، فالعقل السليم موافق للنصوص الصحيحة ، وما على العقل إلا التسليم المطلق للشرع ، والالتزام به دون مناقشة ولا منافسة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: العقل السليم شرط في معرفة العلوم وكمال صلاح الأعمال ، وبه يكتمل العلم ، والعمل ، لكن ليس مستقلاً بذاته بل إذا كان متصلاً بنور الإيمان ، والقرآن ، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس ، لكن إذا اعتمد على العقل وحده افتقر عن إبصار ما يمكن إبصاره وكانت أقواله وأفعاله حيوانية ، فالعقل لا يمكن أن يكون أساس الأشياء ونصوص القرآن تابعة له كما يعتقد أصحاب الكلام ، ولا يمكن ذم العقل وإهماله كالصوفية[4].

يقول ابن القيم رحمه الله: فتقدم العقل على نصوص الشرع يقدح من مكانة العقل ؛ لأن العقل قد شهد للوحي أنه أعلم منه، وإن نسبة علوم العقل بالنسبة للوحي أقل من حصى بالنسبة لجبل ، أو تلك التي تعلق بالأصبع بالنسبة إلى البحر ، فتقديم العقل على الشرع قدحاً في العقل والشرع [5].

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، تحقيق: بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان – دمشق ، الطبعة: الثالثة ، 1421هـ / 2000م (1 / 8).

(2) سبق ترجمته له ص 145.

(3) مسند أحمد (28 / 429) رقم 17194، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1415) رقم 14146

(4) انظر: مجموع الفتاوى (3 / 337– 338).

(5) انظر: الصواعق المرسلة على الجهميه والمعطلة (3 / 810).

"فتبين أن أصل طريق من يعارض النصوص النبوية برأيه ، وعقله هي طريق أهل النفاق والإلحاد ، وطريق أهل الجهل ، والارتياب لا طريق ذي عقل ، ولا ذي دين" [1] .

عن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ [2] ﷺ قال: **(اتَّهِمُوا الرَّأْيَ فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)**[3].

ويقول ابن حجر رحمه الله:بالنسبة لحديث سهل بن حنيف عندما قال: اتهموا الرأي ، إن كان يدل على ذم الرأي ؛ لكنه مخصوص إن كان الرأي مخالفاً للنصوص القرآن والسنة [4] .

ويجب التسليم والانقياد الكامل للنصوص الواردة في القرآن والسنة على الوجه الذي ارتضاه الله و رسوله ﷺ دون تعارض ولا تناقض فيما بينهما. قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [النساء : 59]. وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65].

يقول ابن كثير رحمه الله: "إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلّمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[5] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: يجب الإيمان والتسليم المطلق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه من القرآن والسنة سواء عرفنا معناه ، أو لم نعرف ، فليس لنا أن نؤمن ببعض النصوص ، ونكفر ببعض ، أو نعتني بالبعض دون الآخر [6] فما يزال كثير من صحابة رسول الله ﷺ يمر بآية من القرآن ، أو نص من النصوص أو لفظة من الألفاظ فيؤمن بها ، وإن لم يفهمها [7].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية (3 / 24).

(2) سبق الترجمة له ص 112.

(3) صحيح البخاري:كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } (5 / 128) رقم 4189.

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (13 / 288).

(5) تفسير القرآن العظيم (2 / 349).

(6) انظر: مجموع الفتاوى (7 / 37).

(7) انظر: المصدر السابق (16 / 410).

ثالثاً: إبطال دعوى التعارض بين النص العقل:

أنزل الله الرسل عليهم السلام وأمر التسليم بكل ما جاءوا به من النصوص الشرعية ، وفي المقابل خلق الله الإنسان وكرمة وميزه عن غيره من المخلوقات بعقله ، لذلك لا يوجد تعارض بين النقل الصحيح والعقل السليم ، ومن هنا يبرز دور العقيدة في علاج الانحراف في فهم النصوص الشرعية عن طريق إبطال التعارض بين النص والعقل. وأما ما يظهر من تعارض بين النصوص نفسها ، أو بين النص العقل فهو تعارض ظاهري يقع في نفس الشخص المجتهد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فالذي يعرف بالحس والعقل الصريح لا يخالفه شرع ولا عقل ولا حس ، فان الأدلة الصادقة لا تتعارض مدلولاتها ولكن ما يقال بقياس فاسد وظن فاسد يقع فيه الاختلاف" [1].

ويمكن رفع التعارض بين النصوص نفسها أو بين النص والعقل في عدة طرق وهي:-

1- أن يطلب الجمع بين الدليلين ، لاحتمال أن يكون بينهما عموم وخصوص ، أو إطلاقاً أو تقيداً ، لأن إعمال الأدلة كلها أولى من إهمالها ، أو إهمال بعضها [2].

2- إن لم يتيسر الجمع بينهما وكان الدليلان مما يقبلان التناسخ ، يكون المتأخر ناسخاً للمتقدم.

يقول الشافعي رحمه الله: إذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف ، كان أحدهما ناسخ والآخر منسوخ [3].

3- إن تعارض العقل مع النقل يقدم النقل على العقل ، لان الواجب أن يقدم ما حقه التقديم وهو النقل ، ويؤخر ما حقه التأخير وهو العقل ، ولأنه لا يصح تقديم الناقص حاكما على الكامل[4].

---

(1) الرد على المنطقيين (1 / 267).

(2) انظر: إرشاد الفحول إرشاد الفحول لي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد على الشوكاني – مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة: الأولى 1356هـ / 1937م (1 / 276.)

(3) انظر: اختلاف الحديث: الشافعي ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1985م(1/ 487).

(4) انظر: الاعتصام (1 / 523).

فالعقل السليم لا يعارض النقل الصحيح ، لان الشرع الصحيح والعقل الصريح متصادقان ، متعاضدان ، يصدق أحدهما الآخر ، ويشهد أحدهما بصحة الآخر[1]. وإما أن يكون العقل صريح والنقل مكذوباً موضوعاً فعندها يقدم العقل الصريح على النقل المكذوب.

رابعاً:إبطال منهج المتأولين الباطنيين والقول أن للقرآن ظاهر وباطن:

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن دعوى الظاهر والباطن في النصوص فيها من الإجمال والإشكال ما يحتاج معه إلى التفصيل والبيان: فالباطن إما أن يراد به علم الأمور الباطنية ، مثل العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال والعلم بالغيوب التي أخبرت به الرسل عليهم أفضل السلام ، وإما أن يراد به العلم الباطن عن فهم أكثر الناس. وإن هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل ما لا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة . ولا شك أن من العلوم ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ، ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب كالإيمان بالله والجنة والنار وغير ذلك ، والناس متفاوتون في هذا العلم على نوعين: الأول: باطن يخالف العلم الظاهر.الثاني: باطن لا يخالف العلم الظاهر. فأما الأول فباطل ؛ فمن ادعى علماً باطناً ، أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا إما ملحدا زنديقا ، وإما جاهلاً ضالاً. وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام في العلم الظاهر قد يكون حقا ، وقد يكون باطلاً ، فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فإن علم أنه حق قبل ، وإن علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية [2]. والنصيرية [3]. وأمثالهم ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين . وشر هؤلاء القرامطة فإنهم يدعون أن للقرآن والإسلام باطنا يخالف الظاهر ؛ فيقولون:

(1) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن تيمية (1/ 331).

(2) نسبة إلى محمد بن إسماعيل رحمه الله وهم ليسوا على دينه ، يزعمون أنه هو الذي كتم السر الباطن الذي نزل على محمد ﷺ ، وأمر بكتمه عن الناس إلا على رضي الله عنه ، فهو لا يخرج إلا للأئمة المعصومين ، أنكروا حقائق اليوم الآخر ، انظر: الرد على أهل الأهواء والبدع: لمحمد بن أحمد الملطي ص 32.

(3) نسبة إلى محمد بن نصير النميري ، ادعى النبوة ثم الربوبية ،وقد يسمون بالنميرية ، يزعمون أن الله قد حل في علي ، أباحوا المحرمات ، يسبون عائشة رضي الله عنها ويكرمون ابن ملجم ، انظر: الملل والنحل: للشهرستاني (1 / 188 – 189).

الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا ، والصيام كتمان أسرارنا ، والحج السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون: إن الجنة للخاصة : هي التمتع في الدنيا باللذات ، والنار هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها ، ويقولون إن الدابة التي يخرجها الله للناس هي العالم الناطق بالعلم في كل وقت ، وإن إسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا ، وجبريل هو العقل الفعال الذي تفيض عنه الموجودات ، والقلم هو العقل الأول (1).

وأما الثاني: باطن لا يخالف العلم الظاهر، فالكلام فيه كالكلام في العلم الظاهر ، فمنه ما يكون حقاً ومنه ما يكون باطلاً.

الوجه الأول:أن يكون المعنى المذكور في نفسه باطلاً مخالف للحق ، فلا شك في بطلان هذا النوع.

الوجه الثاني: أن يكون المعنى صحيحاً حقاً ، لكن يستدل عليه من القرآن والسنة وهذا قسمان:

أحدهما أن يقال: إن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله فمن قال المراد بقوله:{ **تذبحوا بقرة**} [البقرة : 67]. هي النفس وبقوله { **اذهب إلى فرعون** }[طه : 24] هو القلب وقوله تعالى : { **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**} [الفتح : 29].{ **والذين معه** } أبو بكر { **أشداء على الكفار** } عمر { **رحماء بينهم** } عثمان { **تراهم ركعا سجدا** } علي : فقد كذب على الله إما متعمدا وإما مخطئا .

والقسم الثاني أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من دلالة اللفظ وهو من الإشارات عند الصوفية ، وهو منقسم إلى صحيح وفاسد ، كمن يقول في قوله تعالى: { **لا يمسه إلا المطهرون** } [الواقعة : 79] إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال : كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحا واعتبارا صحيحا.أما العلم اللدني والذي يتعلق به غالبة الصوفية ، ويدعون أنه علم الحقيقة وأنه يخالف العلم الظاهر ، ويستدلون بقصه موسي والخضر ، فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم ، قال تعالى: { **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ**

(1) انظر: مجموع الفتاوى (13 / 232 – 236).



صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [النساء : 66 – 68]. وليس هذا الفتح الإلهي ما يخالف الشرع ، وكل ما يخالف الشرع يحكم ببطلانه [1].

وأن العقائد الباطنية بمنهجها التأويلي ، تجاوز خطير لكل العقائد والمفاهيم التي جاء الإسلام من أجلها ، بل هي في سعيها لتثبيت الظاهر وكشف الباطن تحاول لنسف الإسلام كدين ، وأن تكرس بدلاً منه مفاهيم باطله [2].

وأخيراً يمكن القول: إن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين [3].

خامساً: محاربة الوضع والوضاعين من أهل البدع.

لقد سلك الوضاعون إلى محاربة الإسلام من الداخل عندما عجزوا من القضاء عليه بالسيف، والقتال فلجأوا إلى طرق خبيثة لتشويهه ، وذلك عن طريق وضع الأحاديث الموضوعة المخالفة لنصوص الشريعة كل ذلك للكيد من الإسلام وأهله ، وللانتصار لفرقهم وأهوائهم ، فأخذوا يحدثون الناس ، ويشوقوهم بكثير من القصص بغطاء إنها من كلام الرسول ﷺ أو كلام السلف الصالح فتارةً يحثون الناس على فعل الخير ؛ لا للخير نفسه ؛ بل بهدف صد الناس عن القرآن والسنة ، والاعتقاد أن تلك النصوص هي الدين الموحى به من الله ؛ لنشر البدع والخرافات.

1- أسباب الوضع في النصوص الشرعية:

هناك العديد من الأسباب التي دفعت الوضاعين إلى الوضع في النصوص الشرعية الواردة في السنة النبوية ومن أهم هذه الأسباب:-

أ- الكيد للإسلام وأهله:

عندما فشل أعداء الله من القضاء على الإسلام والمسلمين ، ومحاربته بشكل مكشوف لجأوا إلى طرق خبيثة خفيه لتشويهه ، وهدمه من الداخل.

---

(1) انظر: المصدر السابق (13 / 240- 245).

(2) انظر:الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها: لمحمد أحمد الخطيب (1/ 134).

(3) انظر: فضائح الباطنية: للغزالي (1 / 18).

ولقد بذل أهل الكفر الجهود المتواصلة في التشكيك ، والكيد في الإسلام ، ومحاربة أهلة فأنفقوا الكثير من الأموال بهدف محاربة الإسلام وأهله [1] .

ومن النصوص الموضوعة التي وضعوها بهدف تشكيك المسلمين في دينهم .(**أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى إلا أن يشاء الله**)[2] .

يدل النص دلالة واضحة على مدي الكيد ، والحقد الذي وقع به الواضعون في التشكيك ، ومحاربة الإسلام فوضعوا الجزء الأول (**أنا خاتم النبيين ، ولا نبي بعدي**) وهي صحيحة لكن الشق الثاني فهي زيادة مكذوبة تفتح الباب أمام الكذابين إدعاء النبوة. عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**) [3].وعَنه ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بني بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**) [4].

ب- الانتصار للفرق والأهواء:

لجأ الكثير من الوضاعين ، والزنادقة إلى وضع الأحاديث للدفاع عن فرقتهم ، وجماعاتهم لنشر أفكارهم ، ومعتقداتهم. فقال بعضهم: كنا إذا اجتمعنا استحسنا شيئا جعلناه حديثا[5].

فقد وضع بعض المتعصبين لعلي ﷺ فقالوا:(**علي ﷺ خير البشر فمن أبى فقد كفر**)[6].

والصواب أن خير البشر بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبى طالب ﷺ .

---

(1) انظر: فتاوى مهمة لعموم الأمة: لابن باز – لابن عثيمين ، تحقيق: إبراهيم الفارس ، دار– العاصمة الرياض ، الطبعة: الأولي ، 1413هـ (1 / 120).

(2) الموضوعات: أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة: الأولي 1386هـ / 1966م (1 / 279).

(3) سنن أبي داود : كتاب العلم ، باب في كتابة العلم (3 /356) رقم 3648 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1 / 208) رقم 2076.

(4) صحيح البخاري:كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ (4 / 168) رقم 3535.

(5) انظر: الموضوعات: لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي (1 / 39).

(6) المصدر السابق (1 / 348).

عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ ،أن رسول الله ﷺ بعثه عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:(**أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ: عَائِشَةُ قُلْتُ مِنْ الرِّجَالِ قَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ عُمَرُ فَعَدَّ رِجَالًا فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ**)[1].

ج- حث الناس على فعل الخير:

لجأ بعض الوضاعون إلى وضع الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ ، ولم يكتفوا بالأحاديث الصحيحة عنه ﷺ في الحث على الخير ، وكانوا يقولون نحن نكذب له لا نكذب عليه ﷺ .وقد قال أحد الوضاعين حديث مكذوب نسبه للرسول ﷺ يحث فيه الناس على الخير فقال: (**من قال لا إله إلا الله خلق الله كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان " وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدثته بهذا، فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها قال له يحيى بن معين بيده تعال فجاء متوهما النوال، فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث، فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ ، فإن كان لابد والكذب فعلى غيرنا فقال له: أنت يحيى بن معين ؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققته إلا الساعة، قال له يحيى كيف علمت أنى أحمق ؟ قال كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما**) [2].

فقد قال أحد الوضاعين نحن نكذب لرسول الله ﷺ ولا نكذب عليه ، ولم يعلم هذا الجاهل من قال عليه ما لم يقل فقد كذب ، واستحق من الوعيد الشديد [3].

(1) صحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ (4 / 1856) رقم 2384.
(2) الموضوعات: لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي (1 / 46).
(3) انظر: نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: لابن القيم (1 / 103).

د- تحقيق مصالح دنيوية:

قام بعض التجار بوضع أحاديث موضوعة لتحقيق مصالح دنيوية ، ولبيع السلع ، ونفادها فقد كان يكذب على لسان الرسول ﷺ بعض الأحاديث في فضل بعض الأطعمة لإقبال الناس عليه ولنفادها فقد قالوا: **(قُدّس العدس على لسان سبعين نبيا)** [1].

هـ - تشويق الناس وإثارة اهتمامهم:

حيث كانت تعقد لهم جلسات يحدثون بها الناس بقصص مكذوبة على النبي ﷺ لتشويق الناس، فيكثر الناس ، وتتسع حلقاتهم

2- منهج العلماء في محاربة الوضع:

بذل العلماء رحمهم الله جهوداً عظيمة في محاربة الأحاديث الموضوعة ، والكشف عنها، وبيانها مع التصدي لواضعيها ، والتحذير منهم ومن مجالستهم ، ومن الاستماع إليهم ،

ويمكن أن نلخص منهج العلماء في عدة نقاط من أهمها:-

أ- البحث عن الأسانيد:

لقد سلك العلماء لمعرفة صحة الحديث من عدمه البحث عن أسانيد الحديث ، فلولا الأسانيد لما عرف الحديث الصحيح من الموضوع. فلا يقبل حديث لا يوجد له إسناد، بل يعتبر باطلاً ، وما روي بسنده يبحث فيه سنداً ، ومتناً على ضوء شروط القبول، وقواعد هذا العلم [2].

"قال يحيى بن سعيد[3]: سألت شعبة ، وسفيان ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة عن الرجل يتهم في الحديث ، أو لا يحفظه ؟ قالوا: بين أمره للناس " [4].

---

(1) كتاب معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة: لمحمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ،1406هـ / 1985(1 / 172).

(2) انظر: منهج النقد في علوم الحديث ، لنور الدين عتر، دار الفكر دمشق- سورية ، الطبعة: الثالثة 1418هـ/ 1997م (1 / 309).

(3) يحيي بن سعيد بن العاص ، تابعي وسط ، أخو عمرو بن سعيد الأشدق ليس لهما صحبه.انظر الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر(6 / 711).

(4) الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ،المكتبة العلمية – المدينة المنورة (1 / 43).

فلا يقبل أي حديث ليس له سند ، لأنه من خلال السند يعرف حال الراوي من حيث الصدق والكذب ، ولو كان للحديث سنداً لا بد للنظر في حال الراوي.

قال عبد الله ابن المبارك [1] : الإسناد من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وقال سفيان الثوري رحمه الله [2] : الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل ، وقال الشافعي: الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل [3].

قال أحمد بن حنبل: طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف ، وقال يحيى بن معين: قيل له في مرضه الذي مات فيه : ما تشتهي ؟ قال : بيتاً خالياً ، وإسناداً عالياً [4].

ب-البحث في أحوال الرواة:

تتبع العلماء أحوال الرواة ، وصنفوهم من حيث القوة ، والضعف فبحثوا في الرجال ،وتتبعوا سلوكهم ورواياتهم، والتحذير منهم وفضحهم، والإعلان بكذبهم على رؤوس الخلائق [5]. "لذلك كان لا بد للصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من معرفة الرواة معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم ، أو كذبهم فدرسوا حياتهم ، وتواريخهم ، وأحوالهم" [6].

---

(1) أبو عبد الرحمن ، ولد سنه ثمان عشره ومائة ، مات في رمضان سنة احدي وثمانين ومائه ، انظر: التاريخ الكبير: للبخاري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (5 / 212).

(2) أبو عبد الله بن سفيان بن سعيد الثوري الكوفي ،من اتباع التابعين ، ولد سنة سبع وتسعين ، اتفق العلماء على وصفه بالبراعة في علم الحديث ، والفقه ، والورع ،توفي بالبصرة سنة احدي وستين ومائة ، انظر: تهذيب الأسماء: للنووي ، تعليق وتصحيح: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنبرية ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (1 / 215).

(3) انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث : للسخاوي ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة: الأولي ، 1403هـ (3 / 4).

(4) انظر: مقدمة ابن الصلاح: لابن الصلاح ، مكتبة الفارابي ، الطبعة: الأولي ، 1984 (1 / 150).

(5) انظر: منهج النقد في علوم الحديث (1 / 307).

(6) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمي ، الطبعة: الأولى 1419هـ / 1989م (1 / 37).

وروى الإمام مسلم رحمه الله في مقدّمة صحيحة أنّ محمداً بن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم [1].

وقال علي بن المديني: أشرف العلم الفقه في متون الأحاديث ، ومعرفة أحوال الرواة [2].

ج- جمع الأحاديث الموضوعة في كتب معينة:

جمع العلماء الأحاديث الموضوعة في كتب معينة ، وميزوها عن غيرها ، لكشفها وللتنبيه عليها والتحذير منها ، وهناك الكثير من هذه الكتب نذكر بعضها:

- كتاب الموضوعات: لابن القيم الجوزي.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: للألباني.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: الشوكاني.
- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: لمرعي بن يوسف الكرمي.

(1) صحيح مسلم (1 / 15).

(2) انظر: منهاج السنة النبوية: لابن تيمية (7 / 309).

الفصـل الثالث
الانحراف السلوكي ودور العقيدة في علاجه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التطرف والغلو.

المبحث الثاني: الانحراف عن القيم والأخلاق.

المبحث الثالث: جنوح المجتمع نحو الفواحش.

المبحث الرابع: التبعية والتقليد للكافرين.

المبحث الأول
التطرف والغلو

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كل من التطرف والغلو.

المطلب الثاني: أنواع الغلو ومظاهرة.

المطلب الثالث: أسباب الغلو.

المطلب الرابع:الآثار المترتبة على التطرف والغلو.

المطلب الخامس: حكم الغلو.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج التطرف والغلو.

المطلب الأول

تعريف التطرف والغلو

تعريف الغلو في اللغة:

غلا في الأمر يغلو غلوّا، أي جاوز فيه الحدّ ، يقول: الغين ، واللّام ، والحرف المعتلّ أصل صحيح في الأمر يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر ، وغلا الرجل في الأمر غلوّا إذا جاوز حدّه، وغلا بسهمه غلواً إذا رمي به سهماً إلى أقصي غايته [1]. ويقال: غلا الرجل في الدين. أي: تشدد وتصلب حتى تجاوز الحد [2]. قال تعالي:﴿ **لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة : 77].

الغلو في الاصطلاح:

عرفها ابن تيمية رحمة الله: "الغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق " [3].

وقال ابن حجر رحمه الله: "الغلو هو المبالغة في الشئ والتشدد فيه بتجاوز الحد" [4].

وعرف أنه: مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد ، أو القول ، أو العمل [5].

ويتضح مما تقدم أن الغلو: تجاوز الحد ، والتشدد فيه.

تعريف التطرف في اللغة:

التعمق في الكلام ، والتغالى فيه ، فهم يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً قولاً ، وفعلاً [6].

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (4 / 312).
(2) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (39 / 178).
(3) اقتضاء الصراط المستقيم (1 / 106).
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري (13 / 278).
(5) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: لمحمد بن خليفة التميمي (2 / 643).
(6) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (22 / 264).

تعريف التطرف في الاصطلاح:

التطرف هو من الطرف ، والطرف سواء كان هنا أو هناك ، هو الابتعاد عن الوسطية. وهو التشدق بالشئ ، والتعمق فيه ، وهو من أنواع الغلو [1].

وقيل: " أن يتكلم الإنسان بالكلمات الغريبة من اللغة التي لا يفهمها الناس" [2].

ويتضح مما تقدم أن التطرف: المبالغة في الشئ ، والتكلف فيه لإظهار الفصاحة.

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين (1 / 396).
(2) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان (1 / 278).

المطلب الثاني

أنواع الغلو ومظاهرة

لقد أنزل الله كتابه ، وجاءت أحكامه وسطاً بين الغلو والتنطع فقد نهي عن الغلو في الدين. قال تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة : 77]. وجاءت السنة النبوية تؤكد على الاعتدال ، وتنهي عن الغلو والتنطع في جميع مناحي الحياة.عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)** [1]. وهناك العديد من أنواع الغلو ، والتي نهي الإسلام العبد المسلم من فعلها ، أو الاقتراب منها لما فيها من الخطر عليه في الدنيا والآخرة.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: إياكم والغلو في الدين فإن الغلو يقع في الاعتقادات والأعمال[2].

أولاً: الغلو الاعتقادي:

الغلو الاعتقادي: هو المتعلق بجانب العقيدة ، وهو أخطر أنواع الغلو وأشدها ، وهو يُوقع الإنسان في الشرك – والعياذ بالله – ويحث على العداوة والبغضاء والاقتتال بين أفراد المجتمع.

ومن أشد مظاهر الغلو الاعتقادي:-

1- الغلو في الأنبياء:

يجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء ، وبما جاءوا به من الحق ، ونؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية ، فهم لا يملكون النفع أو الضر لهم أو لغيرهم. قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ** ﴾ [الأعراف : 188]. فقد نهي الله عز وجل في الغلو في الأنبياء ، والرسل فمن اعتقد خلاف ذلك فهو من جنس النصارى وأشباهِهم من المشركين وأهلِ البدع[3].

---

(1) سنن ابن ماجه:كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (2 / 1008) رقم 3029 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح ابن ماجة (2 / 177) رقم 2455.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم (1 / 106).

(3) انظر: جامع المسائل: لابن تيمية – عزير شمس (5 / 106).

فقد نهي الرسول ﷺ أصحابه ﷺ عن المجاوزة في مدحه كما مدحت النصارى عيسي ﷺ .

عن عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)** [1]. فمعنى الحديث: أي لا تغلوا في مدحي كما غالت النصارى في عيسى ﷺ فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد الله ورسوله ﷺ .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لاَ تَجْعَلُوا قبري عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ)** [2].

فقد وقع اليهود والنصارى في أشد أنواع الغلو وأخطرها ، حيث قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى عيسي ابن الله . قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عزير ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾ [التوبة : 30]. فغلا اليهود في عيسي عليه السلام حتى قذفوا مريم ، وغالت النصارى فقالت: ابن الرب، ومنهم من قال أنه الرب فهم بين الإفراط والتفريط وهذا شرك وكفر [3]. وقد رد القرآن على غلو أهل الكتاب من اليهود ، والنصارى في أمر عيسي عليه السلام في أنه عبد الله ورسوله فلا تقولوا في عيسي غير الحق. قال تعالى : ﴿**يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه** ﴾ [النساء : 171].

ويبرز غلو الصوفية في النبي محمد ﷺ في ما يسمونه (الحقيقة المحمدية) وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أما عن فحوى هذه الأسطورة وهي جعل النبي محمدًا ﷺ هو المخلوق الأول قبل الأكوان جميعًا ، وهو الذي استوى على العرش ومن نور النبي ﷺ خلق الله جميع الأكوان بعد ذلك السماوات والأرض والملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات . فأصبحت الحقيقة المحمدية الصورة الكاملة المتجسدة للذات الإلهية التي لا ترى بذاتها، ولا تنفصل عن هذا الوجود ، فالنبي محمد

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الأنبياء ، باب قول الله {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (4 / 167) رقم 3445.

(2) سنن أبى داود:كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (2 / 169) رقم 2044، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1319) رقم 13182 .

(3) انظر: جامع لأحكام القرآن: للقرطبي (6 / 21).

ﷺ عند مشايخ التصوف الذين جاؤوا هو الله المتجلي على العرش. أو هو صورة الله المصغرة وهو الذي منه استمدت كل الموجودات وجوداتها وانفلقت عنه كل الأنوار وكل الأكوان وكل الموجودات . . وهو يعني أن محمدًا ﷺ هو البذرة الأولى لكل موجود فكأنه بذرة لشجرة كان منها بعد ذلك الساق والفروع والأوراق والثمار والأشواك، فهكذا بدأ الوجود بمحمد ﷺ ثم خلق من نوره العرش والكرسي والسماوات والأرض وآدم وذريته وتفرع الخلق وتدرج بعد ذلك من المخلوقات التي خلقت من نور النبي محمد ﷺ فالموجودات كلها في عقيدة التصوف شيء واحد متفرع عن أصل واحد أو قل شجرة متفرعة عن بذرة واحدة [1].

2- الغلو في الصالحين:

الغلو في الصالحين يكون باتباعهم في كل ما يقولون وما يفعلون بلا دليل ، والإستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والقول أنهم معصومون ، وأنهم يصلون إلى مرتبة الرسل فقد سلك هذا المسلك الصوفية والشيعة . فادعوا أن هناك أولياء، وأن أولئك الأولياء قد ارتقوا رتبة ارتفعوا بها عن رتبة الأنبياء ورتبة الرسل ، رفع الشيعة الأئمة إلى منزلة الأنبياء والرسل فقد سلكوا بأن عصمة الأئمة ليس أقل من عصمة الأنبياء والرسل ، فهم لا يخطئون عمداً ولا سهواً .فالإمام مطهر من الذنوب ، مبرأ من العيوب ، موسوم بالحلم ، لا يعادله عالم ، فهو لا نظير له [2].

يقول محمد رضا الباقر في عصمة الأئمة: " ونعتقد أن الأمام كالنبي ، يجب أن يكون معصوم من الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً وسهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع ، والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي" [3].

(1) انظر: مصرع التصوف:لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ، الناشر : عباس أحمد الباز – مكة المكرمة (2 / 225) وحقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: لحمد بن خليفة بن علي التميمي (2 / 711). الصوفية نشأتها وتطورها: لمحمد العبْده طارق عبد الحليم (1 / 36).

(2) انظر: الكافي : للكليني (1 / 119).

(3) عقائد الإمامية: محمد الظافر ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الرابعة 1403هـ / 1980م (1 / 104)

وينسبون إلى أئمتهم معرفة الغيب فقد قالوا " إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم ، وأن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم" [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: قد يبلغ الغلو بهذه الطوائف والأفراد إلى أن يفضلوا أنفسهم ومناهجهم وطرقهم على ما جاء به الأنبياء من الله ، وعند التحقيق نجدهم من أجهل الناس وأضلهم [2].

وقد تمادي البعض في غلو الصالحين فقالوا: أن الرب يحل في الصالحين ، ويتكلم على ألسنتهم وأن الناطق في أحدهم هو الله لا نفسه [3].لذلك لا بد من بيان غلو كل من:-

أ- غلو الشيعة في أئمتهم:

قد غالت الشيعة في أئمتهم ورفعوهم في مكانة عظيمة ، فتارة بالقول بعصمة الأئمة وأنهم منزهون من الخطأ ، فهم لا يخطئون عمداً ولا سهواً .

يقول الكليني:الأئمة مطهرون من الذنوب ، مبرؤون من العيوب ، لا يدانيه أحد ، ولا يوجد منه له نظير ولا بديل [4].

ويقول الخميني: للإمام منزله عظيمة ومقاماً محموداً ودرجات سامية ، تخضع له جميع ذرات الكون ، ولهم مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل [5].

لذلك فقد جعلوا الإيمان بهم ركن من أركان الإسلام فقد قالوا" بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، قال زرارة: وأي شيء من ذلك أعظم ؟ فقال:الولاية أفضل لأنها مفتاحهن" [6].

وقال الخميني: "نحن نعتقد بالولاية ونعتقد ضرورة أن يعين النبي خليفة من عدة وقد فعل"[7].

(1) انظر: أصول الكافي : للكليني (1 / 196).

(2) انظر: الفتاوى الكبرى (6 / 623).

(3) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية (3 / 385).

(4) انظر: الكافي (1/ 119 -120).

(5) انظر: الحكومة الإسلامية (2 / 18).

(6) انظر:المصدر السابق (ص 52).

(7) المصدر السابق (1 / 18).

وذهبوا بوجوب طاعة الأئمة وتكفير من أنكرهم فعن أبي الصباح قال: أشهد إني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:" أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته ، وأن الحسن إمام فرض الله طاعتـه ، وأن الحـسين إمـام فـرض الله طاعتـه ، وأن محمـد بـن علـي إمـام فـرض الله طاعته"[1].

فقد غالت الشيعة في علي ﷺ فوضوا العديد من الأحاديث الموضوعة في حقه ، فقالوا: إن رسول الله ﷺ قال: عن جبريل أنه قال لي: **(يا محمد علي خير البشر، من أبى فقد كفر)** [2]. فقد ذهبوا إلى من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد طاعتهم فهو كافر ضال مستحق الخلود في النار [3]. وزعموا في أن أئمتهم يعلمون الغيب ، فعن جعفر الصادق قال: "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون [4].

ب- غلو الصوفية في أوليائهم:

غالت الصوفية في أوليائهم ورفعوهم إلى مرتبة عاليه فقد جعلوهم معصومين من الخطأ والنواقص ، وقد جعلوا العصمة شرطا للولي. ومنهم من ينفي الولاية تماما عمن وقع في زلة أو خطيئة ، ومنهم من قدم أوليائهم على الأنبياء. يقول ابن عربي: من شروط الإمامة أن يكون الإمام معصوماً [5].

ويبرز غلو الصوفية في أوليائهم عدم الاعتراض على الأولياء في كل ما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال وإن كانت مخالفة للعقل الصحيح ، فهم معصومين من كل المعاصي . يقول الكردي: " ومن آداب المريد مع شيخه عدم الاعتراض عليه في كل ما يفعله ، ولو كان ظاهره حراما ، وأن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي مغسله " [6]. وإن مِن أجلّ الكرامات التي

---

(1) أصول الكافي (1 / 109).

(2) موضوع:انظر: الموضوعات: لأبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي (1/ 39).

(3) البحار (8 / 366).

(4) أصول الكافي: الكليني (1 / 261).

(5) انظر: الفتوحات المكية: دار صادر – بيروت (3 / 183).

(6) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب :لمحمد أمين الكردي ، جمعه ابنه نجم الدين ، المكتبة التوفيقية ص 479 .

تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصي ، والمخالفات ، ولا يكون ولياً إلا إذا كان موفّقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات ، معصوماً بكل وجه عن جميع الزلات [1].

" وتتميز خصوصية الولاية من العمومية بالتطهير من الرذائل والتحلي بالفضائل... صاحب الخصوصية مالك لنفسه من غلبة الشهوة عليه "[2].

وممن نقل عن عصمة أولياء الصوفية " الشيخ للمريدين أمين الإلهام ، كما أن جبريل أمين الوحي ، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس"[3].وزعموا أن الولي هو مصدر المعرفة والتلقي عن الله ، فهم يأخذون من الله مباشرة ، وإن الرسل عليهم السلام يأخذون من الله بواسطة جبريل عليه السلام ، لذلك فهم يقدمون الولي على النبي. قال ابن عربي:" اعلم أن كل ولي لله تعالى إنما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبي ﷺ ، فمنهم من يعرف ذلك ، ومنهم من لا يعرفه ، ويقول: قال لي الله ، وليس إلا تلك الروحانية ، وقال: الولي إنما يكاشف بالمثال ، كما يرى مثلا البدر في الماء بواسطته ، وكذلك الحقائق الغيبية ، والأمور الإشهادية مجلوة ، وظاهرة في بصيرة النبي ﷺ ، وله عياناً لا مثالاً ، والولي لقربه منه ومناسبته له ، لهدية بهدية ، ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك فيه" [4].

ومنهم من غلى في أوليائهم فقد يجعلون الولي مساوياً لله في كل صفاته ، فهو يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت ، ويتصرف في الكون ، ومنهم من لا يعتقد ذلك ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم ؛ سواءً كان في حياتهم أم بعد مماتهم [5].

---

(1) الرسالة القشيرية : لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1422هـ – 2001 م ص 160 .

(2) البحر المديد:لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي ، دار الكتب العلمية للنشر – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1423 هـ – 2002 م (4 / 487) .

(3) التصوف المنشأ و المصادر :لإحسان إلهي ظهير ، شبكة الدفاع عن السنة. (ص 205) ، نقلاً عن كتاب عوارف المعارف للسهروردي (ص 404).

(4) البحر المديد (6 / 11).

(5) انظر: أولياء الصوفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لموسى بن محمد بن هجاد الزهراني 2004م (ص 6– 7).

ج- غلو العامة في زعمائهم وحكامهم:

وقد تمادي اليوم من ضعفت عقيدتهم وابتعدوا عن الحق في غلوهم من زعمائهم وحكامهم ، كل ذلك للحفاظ على عروشهم ومصالحهم المرتبطة بالحكام والزعماء ، ويبرز غلوهم في حكامهم تقديم كلامهم على نصوص الكتاب والسنة ، والاعتقاد بأن كلامهم ينفد دون إبطاء أو تفكير ، ودون النظر إلى مدي موافقة كلامهم للشرع الحكيم ، ومن الغلو كذلك في الحكام الزعماء أنهم لا يناقشون ولا يراجعون في تصرفاتهم وأقوالهم مهما بلغت من التمرد على الشرع أو في عدم تحكيم شرع الله في شؤون الحياة ، انتشرت العبارة في غلوهم في زعمائهم نفد ثم ناقش ، أي نفد الآمر سواء كان موافق الشرع أو كان مخالفاً وهذا من أشد الغلو في الزعماء والحكام. ومن هذا الغلو والطاعة للحكام والرؤساء تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للأحكام الشرعية في تحليل الحرام؛ كإباحة الربا ، والزنا ، وشرب الخمر ، ومساواة المرأة للرجل في الميراث، وإباحة السفور والاختلاط ، أو تحريم الحلال ؛ كمنع تعدد الزوجات، وما أشبه ذلك من تغيير أحكام الله واستبدالها بالقوانين الشيطانية.

لذلك فإن طاعة الحكام والزعماء يجب أن تكون في حدود الشرع ، فلا تجب طاعته في معصية أو كل ما خالف الشرع الحنيف. عَنْ عَلِيٍّ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ ادْخُلُوهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ لِلْآخَرِينَ لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)** (1).

3- الغلو في أصل الإيمان:

سلك أهل السنة ، والجماعة الوسطية والاعتدال في أصل الإيمان فلم يغلوا كالمتشددين ، ولم يفرطوا كالمقصرين ، فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

لذلك نجد أهل السنة والجماعة هم وسط بين الغلاة المتشددين وبين المفرطين ، فلم يجعلوا مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان ، ولم يطلقوا العنان على أن الإيمان يكفي المعرفة فقط.

---

(1) صحيح البخاري: كِتَاب أَخْبَارِ الْآحَادِ ،بَاب مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ (9 / 88) رقم 7257.

يقول الإمام الطحاوى رحمه الله: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه ، وأن الإيمان هو: الإقرار باللسان والتصديق بالجَنان ، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان ، وأن الإيمان واحد وأهله في الأصل سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقي ، ومخالفة الهوى ، وملازمة الأولي"

وقد أجمع أهل السلف على من صدق بقلبه ، وأقر بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه كان عاصياً لله ورسوله ، واستحق الوعيد ، وأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ما دام غير مستحل لها ؛ بل هو في مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، وإن الإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي [1].

هذا مذهب أهل السنة والجماعة بخلاف من انحرفت عقائدهم وأفكارهم ، فقد ذهب المعتزلة بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولكن لا يدخل في الكفر ، فهو في منزلةٍ بين المنزلتين، وذهبت الجهمية [2] بالقول: أن الإيمان هو المعرفة فقط ، وأن الكفر هو الجهل به، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله وحده ، وأن الناس تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز ، وذهبت الجبرية بالقول: أنهم لا يشهدون للفرد بالإيمان ولا بالكفر[3].

فلو نظرنا إلي معتقداتهم لوجدناها مخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ ، ما هذا الغلو الذي وقعوا فيه ؛ تارة يقولون: إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ، ولكن لا يدخل في الكفر ، وتارة إن الإيمان هو المعرفة به ، لا أعرف ما هذا الغلو الذي وقعوا فيه ، ولو سلمنا بقولهم أن الإيمان بالمعرفة لكان إبليس من أكثر المخلوقات إيماناً ، ولتساوي المؤمن مع الكافر.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية – المكتب الإسلامي (ص331 – 333).

(2) هم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي ، تلميذ الجعد بن درهم ، قالوا إن الإيمان هو المعرفة ، وإن الكفر هو الجهل فقط ، وقالوا بفناء الجنة والنار ، وقالوا إن أفعال تنسب إليهم بالمجاز ، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله وحدة ، انظر: الملل والنحل: للشهرستاني (1 / 85) ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: للأشعري (1 / 279).

(3) شرح العقيدة الطحاوية– المكتب الإسلامي (ص 522 – 524).

ثانياً: الغلو العملي:

الغلو العملي هو أقل خطورة من الغلو الاعتقادي ، لا يعني ذلك التساهل به لكن يجب على كل موحد تجنبه والابتعاد عنه ، وهو محصور في جانب الفعل سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح. عن عبد الله ابن مسعود ﷺ : أنّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: (**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قالها ثَلاثا**)[1]. فالمراد بالحديث المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**) [3].

مظاهر الغلو العملي:-

1- الغلو في الصلاة:

فالغلو الواقع في الصلاة أن يفرغ الإنسان حياته للصلاة دون انقطاع أو الالتفات للزوجة والأبناء ، أو كتعذيب الإنسان لنفسه بعدم الجلوس سواء كان سليماً أو مريضاً ، مع الصلاة في الشمس الحارقة مع اعتقاده أن بذلك يتقرب بالعبادة لله ، أو كمن يتفرغ للصلاة مع إهمال باقي العبادات من القول بالمعروف والنهي عن منكر ومخالطة الناس ومساعدتهم. لذلك فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة.فَقَالَ مَنْ هَذِهِ فَقُلْتُ امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي قَالَ: (**عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَ اللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**) [4].

وعن أنس ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الحَبْلُ ؟قالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ . فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : (**حُلُّوهُ ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ** [5].

(1) صحيح مسلم :كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (4 / 2055) رقم 2670.

(2) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (16 / 220).

(3) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، باب الدين يُسر (1 / 16) رقم 39.

(4) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك (1 / 542) رقم 785.

(5) صحيح البخاري:أبواب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة (2 / 53 – 54) رقم 1150.

تدل الأحاديث على عدم الغلو في الصلاة ، وعلى المسلم الإقبال عليها بنشاط ، وإن تعب فليجلس حتى يعلم ما يقول. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ: **(أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ. وَقَالَ: اكْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ)** [1].

2- الغلو في الصيام:

فمن الغلو والتنطع في الصيام تعذيب الإنسان لنفسه بالصوم أثناء السفر ، أو بالصوم دون انقطاع لما فيه من الإضرار بالجسد والزوجة ، أو من يصوم ويجلس في الشمس.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَرَأَى رَجُلاً قَدَ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا لَهُ ؟ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ)** [2].

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ: صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام)** [3].

عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عن رَسُولُ الله ﷺ قال: **(إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ)** [4].

3- الغلو في الصدقة:

الغلو الواقع في الصدقة أن يتصدق العبد بمال لا يمتلك غيره ، ثم يسأل الناس الصدقة عن حاجة ، أو أن يتصدق بماله ، ويترك أبناءه فقراء من بعده يسألون الناس.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب القصد والمداومة على العمل (8 / 98) رقم 6465.

(2) صحيح مسلم:كتاب الصوم ، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر (2 / 786) رقم 1115.

(3) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب لزوجك عليك حق (7 / 31) رقم 5199.

(4) صحيح ابن حبان:كتاب الصوم ، باب صوم المسافر (8 / 333) رقم 3568 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 277) رقم 2766.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا له عَنْ دُبُرٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسول الله ﷺ فَقَالَ : أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ: لا ، فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي ؟ فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَجَاءَ بِهَا رسول الله ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ:(**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عن أهلك شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يُرِيدُ عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ**)[1].

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ لَا قُلْتُ فَالشَّطْرُ قَالَ لَا قُلْتُ الثُّلُثُ قَالَ فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ (**إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ** تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ)[2].

4- الغلو في الدعاء:

عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلاَةِ وَقُمْنَا مَعَهُ. فَقَالَ أعرابي في الصَّلاَةِ (**اللَّهُمَّ ارحمني وَمُحَمَّدًا وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ للأعرابي: لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا**)[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الدعاء حرام فإنه سُؤَالُ الله أن لا يرحم من خلقه غيرهما"[4].

5- الغلو في الحج:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ .قَالَ: مَا بَالُ هَذَا. قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ. قَالَ: (**إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ أَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ**) [5].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الزكاة ، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة (2 / 692) رقم 997.

(2) صحيح البخاري:كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (4 / 3) رقم 2742.

(3) سنن أبى داود:كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الصلاة (1 / 329) رقم 882 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 926) رقم 9260.

(4) مجموع الفتاوى (21 / 162).

(5) صحيح البخاري:كتاب الإيمان والنذور، باب من نذر المشي إلى الكعبة (3 / 19 - 20) رقم 1865.

وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **(أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثاً . فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ. ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ)** [1].

فتدل الأحاديث دلالة واضحة على عدم الغلو في عبادة الحج ، فنهي الرسول ﷺ عن تعذيب العبد لنفسه ، فمن مظاهر الغلو في الحج كالذي نذر أن يمشي ولا يركب فقال عنه الرسول ﷺ أن الله غني عن تعذيب هذا لنفسه ، ومن الغلو في الحج أن يلزم العبد نفسه بالحج كل عام كما أشار الرسول ﷺ في الحديث الثاني.

ثالثاً: الغلو في المعاملات:

تجاوز الحد في الأمور التي تقع ضمن المعاملات وتحريم كل شئ حتى ولو كانت وسيله ، وأنه لا يجوز للإنسان أن يشتري ما زاد عن حاجاته الضرورية ، فقالوا من اشتغل بالدنيا فهو غير مريد الآخرة ، وهذا قول الصوفية ، وفي مقابل هذا التشديد تساهل من قال: يحل كل شئ في المعاملات في ما ينمي المال والتجارة والاقتصاد سواء بطريق مشروع ، أو طريق الغش والربا والاحتكار وغير ذلك [2]. فالأصل في المعاملات الإباحة ما لم يرد نص يحرم المعاملة ، ويمنعها. قال تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة : 275]. حرم الله الربا لما فيه من الضرر الواقع على المحتاجين ، وأكل المال بالباطل ، وهو موجود في المعاملات الربوية [3]. فكل معاملة قائمة على الغش والخداع والإضرار يحرم التعامل والاستمرار بها.عن أَبي هريرة ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **(مَرَّ عَلَى صبرة** [4] **طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلاً ، فَقَالَ: مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله. قَالَ:أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ ! مَنْ غشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)** [5].

---

(1) صحيح مسلم:كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر (2 / 975) رقم 1337.

(2) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين (1 / 381).

(3) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (29 / 419).

(4) الطعام المجتمع كالكومة ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (12 / 529).

(5) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (1 / 99) رقم 102.

رابعاً: الغلو في العادات:

التمسك بالعادات المخالفة للشرع ،أما إذا كانت موافقة للشرع فالاستمرار بها واجب.

يقول ابن تيمية رحمه الله: العادات هي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليها ، والأصل فيها عدم المنع ، إلا ما منعه الله ورسوله ﷺ [1].

"والعادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب واللبس فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة فحرمت منها ما فيه فساد ، وأوجبت ما لا بد منه ، وكرهت ما لا ينبغي ، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ، ومقاديرها، وصفاتها" [2].

يقول ابن عثيمين رحمه الله: "الغلو في العادات: وهو التشدد في التمسك بالعادات الجاهلية القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها.

أما إن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة" [3].

ومن الغلو في العادات التمسك بالأعراف المخالفة للشرع سواء في الأفراح أو الأحزان فمثلاً: من الأعراف المخافة للشرع اليوم ما يحدث في الأفراح من حفلات ماجنة ، وما يحدث من اختلاط بين الرجال والنساء ، وما يحدث من دخول أهل العريس أو العروس على النساء أثناء الفرح للتصوير مع العرسان وتقديم الهدايا ، كل ذلك يفعل بحجه أنها من الأعراف السائدة في المجتمع.

---

(1) الفتاوى الكبرى (4 / 12).

(2) القواعد النورانية الفقهية: لابن تيمية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت ، 1399 هـ (1 / 113).

(3) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (7 / 18).

المطلب الثالث

أسباب الغلو

هناك العديد من الأسباب التي تؤدي لحدوث الغلو سواء عند الفرد ، أو عند أفراد المجتمع في البلد الواحد ، أو عند الأمة الإسلامية جمعاء ، ومن هذه الأسباب:-

1-الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية:

يعد الجهل بأحكام ونصوص الشريعة الإسلامية من أسباب الغلو والتنطع في الدين ، فقد يعتمد على حديث موضوع ، ويبني عليه حكماً شرعياً خاطئاً يضل الناس ، ويُضل ، أو يعتمد على تفسير النصوص الشرعية على عقله وهواه ، فيؤوّل النصوص تأويلات فاسدة بعيدة كل البعد عن المنطق ، ومنهم بجهله لا يفرق بين السنة والبدعة فيترك السنة ويتمسك ويتشدد للبدعة معتقداً أنه على حق.

عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)** (1).

ومنهم من يعتمد على نصوص الكتاب دون نصوص السنة النبوية ، فيبني عقائداً ، وأفكاراً على تلك النصوص ، ويتشدد بها ، وقد يكون النص القرآني الذي اعتمد عليه منسوخ ، أو مطلق ، لذلك يجب الرجوع إلى السنة النبوية فهي مفسره ، وموضحة ، ومبينة ومقيدة للقرآن الكريم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: فالكتاب والسنة هما العمدة في معرفة الدين أصوله ، وفروعه ، دلائله ومسائله ، فهما إماما يؤتم بهما في أصول الدين ، وفروعه (2).

2-عدم التمييز بين المنهاج الصحيح والمنهاج الخطأ:

المنهاج السليم الذي لا اعوجاج فيه هو المنهاج القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما دونه من المناهج الوضعية المخالفة لهما باطل مردود ، لا يعتريه إلا النقص والتقصير

(1) صحيح البخاري:كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (1 / 32) رقم 100.
(2) انظر: مجموع الفتاوى (16 / 471).

والتفريط ، فمن لم يميز المنهاج الصحيح المستمد من الكتاب والسنة والموافق للعقل السليم ، والفطرة السليمة وبين المنهاج الذي يعتريه النقص بلا شك وقع في الغلو والتشدد.لأن المنهاج الصحيح الذي ارتضاه الله لعبادة المؤمنين منهاج قائم على الوسطية والاستقامة

يقول ابن القيم رحمه الله: من سلك المنهاج النبوي لم ينحرف انحراف الغالين ، ولم يقصر تقصير المفرَّطين [1]. قال تعالى: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾ [الجن : 16].

فأصحاب الغلو والتشدد يعتمدون على القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لذلك تجد الواحد منهم يكفرَّ المجتمع ، ويبيح قتله لمعصية ؛ سواء أكانت كبيرة أو صغيرة.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(وقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ . قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. ثُمَّ قَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَنْكِبُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدِ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ)** [2].

فالتمسك بالمنهاج الصحيح القائم على الكتاب والسنة ، يحفظ المسلم من الانحراف والوقوع في الغلو والتشدد لأنه منهاج قائم على الوسطية والاعتدال ، بخلاف المنهاج الخطأ القائم على الغلو والتشدد.

3 – الاعتماد على الآيات المتشابهة:

اعتمد الغلاة ، والمتشددون على النصوص المتشابهة في غلوهم وانحرافهم ، فقد حملوا النصوص فوق ما تطيق ، واعتمدوا على النصوص المتشابهة دون المُحكَمَة ، لأن النصوص المُحكَمَة عرف معنى النص ، والمراد منه ، أما المتشابه فهو ما استأثر الله بعلمه.

فالآيات المحكمة هي التي فيها عصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، وليس فيها تحريف ، أما المتشابهات لهن تحريف وتأويل ابتلي الله فيهن عباده [3].

(1) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (2 / 88).
(2) صحيح مسلم:كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (2 / 890) رقم 1218.
(3) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (6 / 177).

فمن أسباب ظهور الفرق الكلامية ، وتشعب مذاهبها دخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم تحصيل أمر استأثر الله به ، حتى تفرقوا ، وتشعبوا شِعَباً ، وصاروا لأجله طوائف وأحزابا [1].

لذلك فقد أنكروا الصفات الخبرية ، وأنكروا نصوص الوعيد ونصوص المعاد ، وما وصفت به الجنة والنار بحجة أن الآيات متشابهة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: نفاة الصفات والقدر أضل من النصارى والخوارج ؛ إذ كان هؤلاء قد أخذوا بالمتشابه من كلام الله ورسوله ﷺ ، وجعلوه محكماً ، وجعلوا المحكم متشابهاً ، أما نفاة الصفات والقدر من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة ، جعلوا ما ابتدعوه ، بآرائهم هو المحكم الذي يجب اتباعة وإن خالف ما عليه الكتاب والسنة ، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء وإن كان صريحاً قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه [2].

فقد أنكروا الصفات الخبرية ، وقالوا: إنها لا تعلم بالعقل ، وأن نصوصها مشكلَة متشابهة ، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل فإنها عندهم محكمة بينة.

ومنهم من يُنكر الصفات مطلقاً ، ويجعل نصوصها مشكلة ، دون ما يثبته من نصوص الأسماء الحسني. ومنكر المعاد ، وما وصفت به الجنة ، والنار ، ومنكر القدر ، ونصوص الوعيد يجعلون نصوصها مشكلة [3]. فهكذا فهم يغلون ويشددون في النصوص الشرعية بحجة أنها من المتشابه فيلون عنق الآيات القرآنية.

4- شيوع الظلم في أوساط المجتمع:

الظلم الواقع على الفرد في المجتمع في جميع مناحي الحياة سواء كان ظلم اقتصادياً ، أو سياسياً ، أو اجتماعياً ، أو أمنياً يجعل الفرد يغلو في أفكاره تجاه السياسة المفروضة عليه ، ويحاول التحرر من القيود الواقعة عليه ، فيلجأ إلى تكفير الحكام لما يراه من الأفعال الصادرة عنهم ، ثم يغلو فيكفر من لم يكفر الحكام فيصبح المجتمع في نظره كافراً مستباح الدم كما هو الواقع في جماعات التكفير والهجرة ، وغيرها من الجماعات التي تكفر المجتمعات.

---

(1) انظر: التحف في مذاهب أهل السلف: للشوكاني ، تحقيق: سيد عاصم علي ، دار الصحابة للتراث – طنطا ، الطبعة: الأولي ، 1409هـ / 1989م (1 / 17).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (13 / 143).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 12).

فقد حرم الله الظلم ، وحث على التخلص من الظلم ، لكن لا يجوز التخلص من الظلم باستباحة أموال ودماء المؤمنين.عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ آمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)** [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وكل عمل يؤمر به فلا بد فيه من العدل ؛ فالعدل مأمور به في جميع الأعمال ، والظلم منهي عنه نهيا مطلقا" [3].

5 – محاربة الدولة للأفراد المتمسكين بالدين:

تلجأ غالبية الدول والحكومات المعاصرة إلى محاربة المتمسكين بالشريعة الإسلامية ، وتعذيبهم بكل الوسائل دون قيود ولا شروط ، تارة بالقتل ، وأخري بالسجن ، أو التعذيب إلى غيرها من الوسائل ، كل ذلك لصد الناس عن دينهم ، ولخوفهم على عروشهم ومناصبهم ، يفعلون ذلك بحجة الحفاظ على الأمن الداخلي للدولة ، أو الحفاظ على المصالح المشتركة بينها وبين دول الكفر والطغيان ، يخدعون شعوبهم بأسماء براقة ، تارة باسم محاربة الإرهاب ، وتارة أخرى باسم محاربة المخربين والمتطرفين.

سهلوا في المقابل نشر الرذيلة ، فوفروا الأندية الساقطة ، والملاهي المشبوهة ، والحانات والمراقص باسم الحرية والديمقراطية وتحرير المرأة ، في ظل تلك المتناقضات التي يسجن ويهان من يتمسك بدينه ووطنه ، وفي المقابل يكرم ويعطى من يتنازل عن دينه وخلقة.

كل هذا وغيره الكثير الكثير أدي إلى ظهور الغلو ، والتشدد عند بعض الأفراد ، والمجتمعات.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب المظالم ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة (3 / 129) رقم 2447.

(2) سنن الترمذي:كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (5 / 17) رقم 2627 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1166) رقم 11656.

(3) الرد على المنطقيين: لابن تيمية (1 / 425).

6- ضعف التربية الإيمانية وتربية الجيل على الغلظة والشدة:

لا سبيل لنجاحنا في هذه الدنيا إلا بالتربية الإيمانية الصحيحة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإتباع منهاجه السليم في إصلاح النفوس ، وتقويم السلوك ، وتعليم مبادئ الخير ، والتنشئة على الأخلاق الحميدة القائمة على المودة ، وإحسان الظن بالمخالف ما أمكن إلى ذلك سبيلا ، والابتعاد عن الغلظة والشدة.

فانعدام التربية السليمة ومعاملة الجيل وتربيته على الغلظة والتشدد حتماً سينتج الغلو ، والتطرف بين أفراد المجتمع.حتى النبي ﷺ مأمور بالابتعاد عن الغلظة والقسوة في حديثه ، ولو كان ذلك لتركوه وحده. قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : 159]. يخاطب الله رسوله ﷺ فيقول له: لو كنت سيئ الكلام يا محمد ﷺ ، وقاسي القلب لانفضوا عنك وتركوك [1].

فقد ربى الرسول ﷺ صحابته ﷺ على التربية الإيمانية القائمة على اليسر لا الغلظة والتشديد. عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ. فَقَالَ: لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)** [2].

7- عدم الإقتداء بالنبي ﷺ في تقواه وأخلاقه:

من أهم الأسباب المؤدية إلى الغلو هو عدم الإقتداء بالرسول ﷺ وبما جاء به من الحق الذي هو نور في الدنيا والآخرة.

لذلك نجد أصحاب البدع والفرق الضالة وقعوا في ضلالتهم لبعدهم عن الإقتداء برسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 148).

(2) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس (8 / 30) رقم 6128.

المطلب الرابع

الآثار المترتبة على التطرف والغلو

1 - ظهور البدع والوقوع في الشرك:

من اخطر الآثار المترتبة على الغلو والتطرف ابتداع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن ثم الوقوع بصاحبها في الشرك - والعياذ بالله-.

فتعظيم الرسول ﷺ لا يكون إلا بما شرع ربنا ، وبينه نبينا ﷺ ، فقد يسلك الغلاة مسلكاً آخر في تعظيم الرسول ﷺ بحجة محبته فيعظمونه بدون قيود فيبتدعون بدعة ما أنزل بها الله توقعهم في باب الشرك. فمنهم من يقدس الأنبياء ، ويستعين بهم على قضاء حوائجه ، ويرفعهم إلى مرتبة الألوهية. فقد كره الرسول ﷺ من أصحابه أن يواجهوه بالمدح حتى لا يقعوا في الغلو.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)**[1]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ فَقَالَ: **(مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، فَقَالَ: جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)** [2].

فظهرت البدع في العبادات نتيجة الغلو والتطرف ، فأصبح بعض عامة المسلمين يغلو في العبادة ، ويعتقد أنها تقربه إلى عبادة الله [3] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: قد بالغ البعض في رمي الجمار فيرمي الحجار الكبار بدل الحصى الصغار ، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين [4].

---

(1) مسند أحمد (20 / 23) رقم 12551 ، قال الألباني: (صحيح) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، 1405هـ (1 / 99) رقم 127.

(2) مسند أحمد (5 / 297) رقم 3247 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة – (1 / 266) رقم 139.

(3) للاستزادة يمن الرجوع للمبحث الرابع من الفصل الأول لمعرفة أخطار البدع والشرك على الإسلام.

(4) انظر: اقتضاء الصراط مخالفة أصحاب الجحيم (1 / 106).

2- حدوث العداوة والبغضاء وإضعاف صفوف المسلمين:

الغلو ، والتشدد بين المسلمين يضعف قوتهم ، ويحدث بينهم العداوة والبغضاء بينهم ، فيتجرأ عليهم عدوهم. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال : 46].

يقول ابن تيمية رحمه الله: الغلو يوجب العداوة والبغضاء والافتراق بين المسلمين ، والأصل ترك ذلك جميعاً لما شرعه الله ، ورسوله ﷺ [1].

ووقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين من أعظم الفساد ، ومن صدود القلب عن ذكر الله[2]. لذلك أوجب الله على المسلمين الموحدين توحيد الصفوف والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** ﴾ [الصف : 4]. وقال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : 103].

"إن الله تعالى يأمر بالألفة ، وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة ، والجماعة نجاة" [3].

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَبَاغَضُوا [4] وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّام)** [5].

3- واستباحة دماء المسلمين والوقوع في أعراضهم وأموالهم:

حفظ الله دماء عباده ، ومنع الاقتراب منها إلا بوجه حق فلا يجوز لعبد أياً كان منصبه وموقعه من المساس والاقتراب من دماء المسلمين.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)**[6].

---

(1) انظر: الاستقامة (1 / 237).

(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (32 / 227).

(3) الجامع لأحكام القرآن: للطبري (4 / 159).

(4) سبق توضيحها ص 121.

(5) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر وَقَوْلِهِ تَعَالَى { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (8 / 19) رقم 6065.

(6) صحيح البخاري:كتاب الديات ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ } (9 / 5) رقم 6878.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)** [1].

فهناك الكثير من الأدلة التي تحرم الاقتراب من دم العبد المسلم بغير حق ، إلا أن البعض تجرأ على سفك دماء المسلمين بسبب الغلو ، والتشدد بنصوص القرآن والسنة النبوية.

فقد ذهبت الخوارج إلى استباحة دماء ، وأموال مخالفيهم ، والشهادة عليهم بالكفر والشرك[2]. لقد استباحوا قتل عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما لغلوهم وحقدهم.

ويظهر غلو الشيعة والتشدد عندهم إلى استباحة دماء ، وأموال ، وأعراض المسلمين من أهل السنة والجماعة [3]. فالناظر إلى حال أهل السنة والجماعة الذين يسكنون البلاد التي يكثر أهلها من الشيعة يجد أن أهل السنة مستباحوا الدم ، والعرض ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إليه الأهواء بين الأمة أنه يؤدي إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والأعراض ووقوع العداوة والبغضاء [4].

4- الإفراط و التفريط في نصوص الكتاب والسنة:

التشدد والغلو يوقع صاحبه في الإفراط في النصوص الشرعية ، فقد يتشدد في تفسير نص من نصوص القرآن أو السنة إذا كان موافقاً لهواه أو لجماعته أو لحزبه أو لمصلحة خاصة به ، فيقوم بلي عنق الآيات ، ويتلاعب بالنصوص الشرعية ، ويفسرها كما يريد هو ، فيكفر المجتمعات ويستبيح دماء وأموال وأعراض المسلمين . قال تعالى: ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [النساء : 46]. أي: "يتأولونه على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل، قصدا منهم وافتراء"[5].

---

(1) صحيح البخاري :كتاب الديات ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ }(9 / 2) رقم 6862.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (12 / 300).

(3) انظر: موقف الشيعة من أهل السنة: لمحمد مال الله ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: الثالثة ، 1049 هـ (1 / 46).

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية (1 / 40).

(5) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 323).

ما أقبح هؤلاء ، أطلقوا العنان لأنفسهم ، فهم مختلفون على كتاب الله يقولون على الله بغير علم ، ويخدعون جهال الناس [1].

فقد سلكوا في تحريف النصوص الواردة في القرآن والسنة فحرفوا معانيها ، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد في الإسلام [2].قال تعالى: ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ [النجم : 23] [3].

وكذلك التفريط يوقع صاحبه في الغلو والتطرف فمن يتساهل في التعامل في النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة يقع ويوقع الآخرين في الغلو ، خاصة إذا كان التفريط في نسبه كل ما قيل من الآثار إلى رسول الله ﷺ على أنه حديث نبوي ، وبذلك تنقلب السنة بدعة، والبدعة سنة ويصير الباطل حقاً.

فكثير من المسلمين يتساهلون في التعامل مع النصوص الشرعية ، ويحتكم بغير شريعة الله والبعض يعتقد أن ذلك التساهل لا يؤثر في تمسكه بالإسلام ، ولا يدروا هؤلاء أنهم أوقعوا أنفسهم في الكفر.قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة – 44]. فالتساهل في أمور الدين لا يقل خطورة عن الغلو بل هو شر منه ، خاصة من يعتقد بأن الدين يسر يريد بذلك التحلل من شرائعه.

قال ابن القيم رحمه الله: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: فأما إلى غلو ومجاوزة ، وغما إلى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلق رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم وهذا أن المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير وخوفوا من بلى بأحدهما بالهلاك وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو الحال أكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غالبا متجاوزا في بعضه والمهدي من هداه الله "[4].

---

(1) انظر: رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه: لابن القيم (1 / 25).

(2) انظر: الصواعق المرسلة على الجهميه والمعطلة: لابن القيم (1 / 216).

(3) للاستزادة في الموضوع يمكن الرجوع للمبحث الرابع من الفصل الثاني.

(4) الروح (1 / 257).

5- **التعصب للأشخاص والأحزاب:**

نهي الإسلام عن التعصب سواء كان لشخص ، أو حزب ، أو جماعة ، وأمر بالوحدة ، والاعتصام بحبل الله ، والانقياد له ولرسوله ﷺ . عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ فَكَسَعَ [1] رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَالَ: **(مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)** [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " التعصب لآمر من الأمور بلا هدي من الله فهو من عمل الجاهلية"[3].

فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون ، وأما إن زادوا في ذلك وتعصبوا لمن في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء على حق أو باطل فهذا الذي ذمه الله [4]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص : 50].

6- **هجر العمل بالكتاب والسنة:**

إن الغلو الواقع عند كثير من الناس اليوم سواء في العبادات ، أو المعاملات ، أو العادات هو هجرانهم لكتاب الله وسنته ﷺ . فبهجر الإنسان للقرآن والسنة النبوية سواء في عدم الرجوع إلى الاحتكام إليهما ، أو قراءتهما والوقوف عند نصوصهما ينزلق في الغلو والتطرف في أفعاله وأقواله.

يقول ابن القيم رحمه الله: هجر القرآن الكريم أنواع:-

أحدها:هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه

---

(1) سبق توضيحها ص 109.

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، بَاب قَوْلُهُ { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (6 / 154) رقم 4905.

(3) مجموع الفتاوى (11 / 28).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (11 / 92).

الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به

الثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم

الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه

الخامس: هجر الاستشفاء التداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به [1]. قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ [الفرقان : 30].

قال ابن مسعود ﷺ : هذا القرآن مأدبة الله فمن استطاع منكم أن يتعلم منه شيئا فليفعل ، فإن أصغر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء ، وأن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي عامر له ، وإن الشيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة [2].

7- إظهار الدين بصورة سيئة منفرة.

إن من الأسباب التي تؤدي للغلو اليوم في أوساط المجتمعات هو إظهار الدين الإسلامي بصورة متناقضة سيئة منفرة خاصة عند أصحاب البدع والأهواء والشهوات.

فالواجب على المؤمن الحق عرض الإسلام على الناس بصورة حسنة ، إلا أن أصحاب الغلو والتطرف يظهرون الإسلام للناس بصورة سيئة منفرة تبعد من يريد الدخول في الإسلام. فمثلاً: الغلاة يغرضون الإسلام بصورة التضييق والمنع عن الناس ، كمنع الزواج ، أو تعذيب الإنسان لنفسه بالوقوف في الشمس وحرمانها من الطيبات ، فلا يهتم لملبسه ولا مظهره ، فمثلاً لو سؤل أحد الغلاة عن الإسلام لأجاب أن الإسلام هو دين قطع اليد في حال السرقة ، والرجم أو الجلد في حال الزنا ، والجلد في شرب الخمر ، يعرض الإسلام للآخرين بصورة الجلد والقتل وسفك الدماء كل هذا وغيره يعطي صوره

---

(1) انظر :الفوائد (1 / 82).

(2)المعجم الكبير: من مناقب ابن مسعود (9 / 129) رقم 8642 ، قال الألباني: (حسن لغيره موقوف) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 83) رقم 1444.

منفره لمن يحول الدخول في الإسلام. أو كالذي يكفر المجتمعات التي تلبس ملابس الغرب.

فكثير من يعيش في بلاد الغرب يعرض الإسلام بصورة سيئة ، وذلك عن طريق التعامل مع الآخرين كأن يكون غاش في بيعه وشرائه ، فيتعامل مع الآخرين بسوء الأخلاق ، حتماً سيعطي للآخرين الصورة السيئة عن الإسلام والمسلمين.

المطلب الخامس

حكم الغلو

الغلو محرم سواء كان في العقائد ، أو العبادات ، أو المعاملات ،أو العادات ، وأداة ذلك كثيرة منها:-

أولا: الأدلة من القرآن الكريم:

الناظر إلى الآيات القرآنية يجد أنها تحث على تجنب الغلو ، وترك التنطع في الدين ، والحث على الوسطية والاعتدال ورفع الحرج. قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ [النساء : 171].

ينهي الله عز وجل أهل الكتاب عن الغلو في أمر عيسي عليه السلام فقد رفعوه فوق المنزلة التي أمر الله بها ، فرفعوه إلى منزلة الألوهية ، بل غلّو في أتباعه فنسبوا إليهم العصمة في أقوالهم وأفعالهم [(1)].

قال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : 31].

يسّر الله علي عباده المؤمنين ، ورفع عنهم الحرج ، وأمرهم بتجنب التشدد والغلو والتنطع في كثير من الآيات. قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج : 78]. وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة : 185]. وقال تعالي: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : 286].

فالناظر إلى هذه الآيات – وغيرها الكثير من الآيات – يجد أن الله حرم الغلو والتنطع في الدين ، وحث علي نشر اليسر ، وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها دون تجاوز الحد.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (2 / 277).



ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

هناك الكثير من النصوص الواردة في السنة النبوية تنهي المسلم من الغلو ، والتنطع في الدين ، وأن يشدد على نفسه فوق طاقتها في أمور الدنيا والدين ، ومن هذه الأدلة:

عن معقل بن يسار ﷺ [(1)] قال: قال رسول الله ﷺ : **(صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وغَالٍ فِي الدِّينِ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ)** [(2)]. وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ)**[(3)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رِجَالٌ يَنْصَبُونَ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ نَصَبًا شَدِيدًا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(تِلْكَ ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ وَلِكُلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلأَمّ مَا هُوَ وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى مَعَاصِي اللَّهِ فَذَلِكَ الْهَالِكُ)** [(4)].

وعن أَبِي وَائِلٍ ﷺ [(5)] قال: كان أَبَو مُوسَى **(يُشَدِّدُ فِي الْبَوْلِ ويَبُولُ في قَارُورَة ويقَولَ إن بَنِي إِسْرَائِيلَ كان إِذَا أَصَابَ جلد أَحَدَهُمْ الْبَوْلُ قَرَضَه بالمقاريض فقَالَ حُذَيْفَةُ لَوَدِدْتُ أَنَّ صاحبَكم لَا يُشَدِّدُ هذا التَّشديد فلَقَدْ رَأَيْتُني أنا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَتَمَاشَى ، فأتى سُباطةَ خَلْفَ فقام كما يقوم أحدُكم ، فبَالَ فَانْتَبَذْتُ منه ، فأشار إليَّ ، فجئتُ ، فقمتُ عند عَقِبه حتى فرغ)** [(6)].

---

(1) معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن أبي بن كعب ، اسلم قبل الحديبية ، شهد بيعة الرضوان ، حفر نهر معقل بالبصرة بأمر من عمر ، مات بها في خلافة معاوية ﷺ .انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (6 / 184 – 185).

(2) المعجم الكبير: باب معقل بن يسار (20 / 213) رقم 495 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 725) رقم 7246.

(3) مسند أحمد : (20 / 346) رقم 13052 . قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 401) رقم 4009.

(4) مسند أحمد : (11 / 99) رقم 6540 ، قال الألباني (حسن) السلسلة الصحيحة (6 / 349) رقم 2850.

(5) شقيق بن سلمه الأسدى ، أبو وائل ، أدرك النبي ﷺ وهاجر بعده ، صاحب ابن مسعود ، روي عن أبي بكر وعمر وعلي وحذيفة وغيرهما ، روى عنه الأعمش ومنصور وعمرو بن مرة وغيرهما.انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (3 / 386).

(6) صحيح مسلم:كتاب الطهارة ، باب الاستنجاء بالماء من التبرز (1 / 228) رقم 273.

ثالثاً: من أقوال السلف:

يقول ابن تيمية رحمه الله: الغلو في البشر يؤدي بالعبد إلى الشرك [1].

قال ابن القيم رحمه الله: "قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ، ولا يبالي بأيهما ظفر.

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله وأصحابه ﷺ "[2].

قال ابن حجر رحمه الله: "لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز ، وانقطع فيغلب" [3].

فقد نهي الرسول ﷺ عن التعمق والغلو في العبادات ، وإجهاد النفس في العمل بها خشية الانقطاع [4].

---

(1) جامع الرسائل (1 / 275).

(2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 116).

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري (1 / 94).

(4) انظر: شرح صحيح البخاري: لابن بطال (4 / 120).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج التطرف والغلو

أولاً: الوسطية والاعتدال في الدين:

ميز الله هذه الأمة عن غيرها بالوسطية ، والاعتدال ، فهي وسوط بين الإفراط ، والتفريط ، أو بين الغلو والتقصير ، وسط بين الأمم والديانات السابقة.

قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : 143]. فهذه الأمة لم تغلُ غلو النصارى في أنبيائهم ، ولم تقصر تقصير اليهود في أنبيائهم فهم وسط بين أولئك ، وهؤلاء [1]. كما ميز الله أهل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد خص الله تبارك وتعالى محمدا ﷺ بخصائص ميزه بها على جميع الأنبياء ، والمرسلين ، وجعل له أفضل شرعة وأكمل منهاج كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها ، وأكرمها على الله من جميع الأجناس ، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم ، وجعلهم وسطا عدلا خيارا ، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، لم يحرم عليهم شيئا من الطيبات كما حرم على اليهود ، ولم يحل لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى ، ولم يضيق عليهم باب الطهارة ، والنجاسة كما ضيق على اليهود ، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى ، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ، ولا الوضوء للصلاة ، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة ، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب ، والطاعات حتى يقال في فضائل الراهب له أربعون سنة ما مس الماء ، ولهذا تركوا الختان" [2].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (2 / 154).

(2) الجواب الصحيح (1 / 68 – 69).

مظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام:-

1- الوسطية والاعتدال في مجال العقيدة:

عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة الصحيحة السليمة التي كان عليها صدر الأمة من الصحابة والتابعين ، وما دونها من العقائد فاسدة وباطلة. وتظهر وسطية العقيدة الإسلامية من خلال النقاط الآتية:-

أ- الوسطية والاعتدال في الإيمان بالله عز وجل:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شئ ومليكه ، وهو وحده المتفرد بالعبادة ، وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص. قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : 11].

وتظهر الوسطية والاعتدال في الإيمان بالله ، أن نثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته الرسول ﷺ لربه وأن ننفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه الرسول ﷺ عن ربه.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر الله في كتابه العزيز من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، فهم وسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة وسط في الأمم السابقة [1]. فهم وسط في صفات الله ، وسط بين أهل التعطيل وأهل التشبيه [2].

والإسلام وسط بين عقيدة اليهود والنصارى الذين غالوا في حق الله ، وفرّطوا في حقه فوصفوه بما لا يليق في حقه عز وجل . قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** ﴾ [المائدة : 18]. وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة : 64].

ب- الوسطية والاعتدال في الإيمان بالأنبياء والرسل:

أهل السنة ، والجماعة يؤمنون بجميع الأنبياء بلا تمييز ، ويقرون بما جاءوا به من الله.

قال تعالى:﴿ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ [البقرة : 285].

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة: لابن تيمية (2 / 243).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (3 / 141).

ويؤمنون أنهم من البشر ، شرفهم الله بالرسالة ، فهم يجري عليهم ما يجري على البشر من الموت والمرض ، فلا يتصفون بشئ من صفات الألوهية. قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** ﴾[الجن : 26 ، 27].

التوسط في حق الأنبياء هو الإيمان بهم ونصرتهم وإتباعهم بما جاءوا به ، فلا يفرط في حقهم كما فعلت اليهود ، والنصارى [(1)].

فالشريعة الإسلامية وسط بين اليهود الذين نسبوا الفواحش في حق الأنبياء ، وبين النصارى الذين رفعوا شأن عيسى عليه السلام إلى مرتبة الألوهية.

ومن وسطية الإسلام في حق الأنبياء أنهم يأتون يوم القيامة يشهدون للأنبياء أنهم بلّغوا الأمانة ، وأدوا الرسالة على أكمل وجه بخلاف الأمم السابقة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ ، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)** [(2)].

ج- الوسطية والاعتدال في الإيمان بالكتب السماوية:

نؤمن بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام ، بالحق والهدى ، فلا نفرق بينها ، فنؤمن بالقرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزابور ، وصحف إبراهيم وموسي وإنها من عند الله جميعاً ، وأنه لا يجوز التلاعب أو التحريف بها. بخلاف اليهود والنصارى الذين يحرفون الكتب السماوية لمتاع زائل. قال تعالى: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾ [النساء : 46].

يخبر الله تعالي عن بني إسرائيل أنهم يشترون الضلالة بالهدي ، ويحرفون كلام الله ليشتروا به ثمناً قليلا [(3)].

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (2 / 393).

(2) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، بَاب قَوْلِهِ تَعَالَى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم (9 / 107) رقم 7349.

(3) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 323).

قال تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ** ﴾ [البقرة : 85].

د – الوسطية والاعتدال في الإيمان باليوم الأخر:

نؤمن بكل ما أخبر الله عز وجل عن اليوم الآخر وما بينه رسوله ﷺ بعد الموت من عذاب القبر ، والبعث ، والحشر ، والصراط ، وغيرها. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ [الأنعام : 92].

فأهل السنة وسط بين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ، وبين الذين يقرون بأشياء لم يذكرها الله ورسوله ﷺ عن اليوم الآخر. قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [الإسراء : 10]. قال تعالى:﴿ **قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية : 24].

يقول ابن تيمية رحمه الله: افترق الناس في اليوم الآخر إلى ثلاث فرق : سلف الأمة يؤمنون بكل ما أخبر الله عن اليوم الآخر ، وفريق أثبتوا ما أخبر الله من الثواب والعقاب ، ونفوا كثيراً عما أخبر الله من الصفات التي تقع في اليوم الآخر ، وفريق نفي كل ما أخبر الله عن اليوم الآخر [1].

هـ– الوسطية والاعتدال بالإيمان بالملائكة:

نؤمن بوجود الملائكة ، وأنهم خلقوا قبل آدم ، وأنهم خلقوا من نور ، لايعصون الله ما أمرهم ، ولا يعلم عددهم إلا الله ، نؤمن بهم كما أخبر ربنا في كتابه ، وما أخبر رسولنا ﷺ في سنته دون زيادة ولا نقصان.

قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : 285].

فأهل السنة وسط بين الذين ينكرون وجود الملائكة ، وبين من يصفونهم بصفات لم ترد في الكتاب والسنة ، أو من يعبدون الملائكة ، أو يستعينون بهم. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى** ﴾ [النجم : 27]. وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا** ﴾ [الزخرف : 19].

---

(1) انظر: الرسالة التذمرية (1 / 21).



فالملائكة لا يوصفون بالأنوثية ولا الذكورية ، فإن الكفار قالوا: إن الملائكة هم بنات الله [1]. قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : 80].

يقول ابن تيمية رحمه الله: يكفر من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا تعبد من دون الله ، مع الاعتقاد أنهم مخلوقات لله [2].

ت- الوسطية والاعتدال بالقضاء والقدر:

ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى:﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر : 49]. وقال تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [الحجر : 21].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شئ من أفعال العباد وغيرها ، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه ووعده ووعيده ، وأنه لا حجة لأحد على الله في ترك مأمور ، ولا فعل محظور" [3].

فالسلف الصالح وسط بين من يؤمن بالقدر لكن ينفي الأمر ، وبين الذين يقرون بالأمر ، وينكرون القدر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: هناك من ظن أن الإيمان بالقدر هو أن الله خالق أفعال العباد كما يظنه المباحية المشركية فهم يقرون بالقدر دون الأمر ، وبين القدرية المجوسية الذين يقرون بالأمر دون القدر [4].

2- الوسطية والاعتدال في مجال الأخلاق:

والإسلام وسط في الأخلاق بين الغلاة الذين يشددون على الإنسان ، ويشبهونه أنه ملاك لا يخطئ ، وبين الذين يشبهون الإنسان بالحيوانية يجري وراء شهواته ورغباته دون قيود ولا ضوابط ، فأخلاق الإنسان في الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط ، فالإنسان له عقل يميز

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (17 / 104).
(2) انظر: الرسالة التدمرية (1 / 75).
(3) مجموع الفتاوى (8 / 466).
(4) المرجع السابق (8 / 179).

الصواب من الخطأ ، وله شهوة تجذبه من ملذات الحياة ، لكن الإسلام ضبط تلك الشهوات بالأخلاق . وهذا لا يعني أن الإنسان لا يخطئ بل يخطئ ويتوب إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة : 286].

3- الوسطية والاعتدال في مجال العبادات:

الإسلام وسط بين من يغلو في عباداته ، ويترك الدنيا ومخالطة الناس ، وبين من يترك عبادته فلا يعبد الله ويعتبر الدنيا هي جنته ، والصواب الموازنة بين العبادة والدنيا.

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال:جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا **(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)** [1]. فالمسلم يعتبر الدنيا مزرعة للآخرة ، لكن لا ينسى نصيبه منها.

قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً** ﴾ [البقرة : 201].

4- الوسطية والاعتدال في مفهوم التوكل:

الإسلام وسط بين من ينكرون الأسباب ، ويعتمدون على الله ، وبين من ينكرون التوكل ويعتمدون على الأسباب وحدها ، فالمسلم يتوكل على الله حق التوكل ، ويعتمد عليه في كل صغيرة وكبيرة مع وجوب الأخذ بالأسباب. قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران : 122].

يقول ابن القيم رحمه الله: الإسلام وسط بين طائفتين في مفهوم التوكل ، طائفة عطلت الأسباب التي اقتضتها حكمة الله ويمنعون ارتباطها بالمسببات ، فوقعوا في التفريط بسبب ما عطلوا من الأسباب ، وطائفة اعتمدت على الأسباب ، وأعرضت عن جانب التوكل [2].

---

(1) صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح (7 / 2) رقم 5063.

(2) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (2 / 363 – 364).

5- الوسطية في طلب الدنيا:

الإسلام وسط بين من يكون همه الدنيا على حساب الآخرة فيتعلق بملذاتها ، وبين من يترك الدنيا. قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص:77].

قال بعض السلف:" أنت محتاج إلى الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما"[1].

قال تعالى:﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة :201]. اشتملت الآية على كل خير في الدنيا من رزق ، وزوجة صالحة ، وعلم نافع ، وعمل صالح، وصرفت كل شر. واشتملت على كل حسنه في الآخرة من دخول الجنة والابتعاد عن النار [2].

6- الوسطية في إنفاق المال:

الإسلام وسط بين من ينفق ماله بغير حاجة ، وبين البخل والشح ، فهو وسط بين الأنفاق والبخل.قال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان : 67]. فهم وسط بين الإفراط والتفريط فلم يسرفوا في إنفاقهم فوق الحاجة ، ولا بخلاء فيقصرون[3]. قال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف : 31]. وقال تعالى:﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾ [الإسراء : 29].

يقول ابن القيم رحمه الله: الفرق بين الاقتصاد والشح ، أن الاقتصاد خلق محموداً يتولد من خلقين: العدل ، والحكمة ، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل ، وبالحكمة يضع كل واحد منهما في موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد ، وهو وسط بين طرفين مذمومين.

---

(1) الزهد والورع والعبادة : لابن تيمية (1 / 95).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 558).

(3) انظر: المصدر السابق (6 / 124).

وأما الشح، فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن ، وضعف النفس ، ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعا ، والهلع شدة الحرص على الشيء ، والشره به فتولد عنه المنع لبذله ، والجزع لفقده"[1].

ثانياً: التربية الإيمانية:

تقوم العقيدة الإسلامية على علاج التطرف والغلو عن طريق التربية الإيمانية القائمة على الكتاب والسنة ، لان التربية هي عملية بناء المسلم تربية شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى حد التمام وهو الحد الذي يصل فيه إلى أن يكون محاسباً لنفسه بنفسه ويراقبها ويتابع تربيها ليبتعد عن الغلو والتطرف .وتكمن أهمية التربية الإيمانية للأفراد وللمجتمع ، أنها حارسة تحيي الضمير الإنساني ، وتشجع على الالتزام الحقيقي والتغيير الفعلي. والتربية الإيمانية هي التي تجعل الغلاة ينقادون انقياداً تاماً للأوامر الدينية بدافع من عقيدتهم، دون حاجة للرقابة، ودون خوف من العقاب الدنيوي ، وتكمن أهمية التربية الإيمانية في أنها كفيلة بتصحيح النيات ، وترسيخ الإخلاص وصقل النفوس وتهذيبها، وإيجاد الضمانات لعدم حصول الانحرافات وعلى رأسها الغلو والتطرف.

وهناك العديد من الأسس للتربية الإيمانية منها:-

1- التربية الإيمانية تربية تكاملية شاملة:

ويقصد أنها لا تقتصر على جانب من جوانب شخصية الإنسان ، بل هي متكاملة تشمل تربية النفس وتربية العقل ، بحث لا يطغى جانب على جانب ، لان كل جانب يؤثر على الجانب الآخر ، وهي تربية نفسية تخاطب عاطفة الإنسان ووجدانه ، وهي تحرر العقول من التعصب والانغلاق وضيق الأفق ، كما إنها تحرر العبد من الخوف والضعف.

2- التربية الإيمانية تربية متوازنة:

فهي تربية تحقق التوازن بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح ، بعكس التربية المسيحية التي تقوم على الرهبانية ، ولا كالتربية الفلسفية التي تقوم على الحياة المادية ، وهي تقوم بالتوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

---

(1) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (1 / 237).

قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص : 77].

3- التربية الإيمانية تربية سلوكية عملية:

فالتربية لا تكتفني بمجرد بالقول بل تتعداه إلى العمل والممارسة ، لأن من تمام كمال الإنسان المسلم تطابق بين أقواله مع أفعاله.

4- التربية الإيمانية تربية فردية واجتماعية معاً:

التربية الإيمانية تقوم على التربية الفردية وكذلك التربية الاجتماعية ، دون إهمال لجانب على آخر فالمسلم أخ المسلم ، والمسلم للمسلم كالبيان المرصوص.عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عن ْالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)** (1).

5- التربية الإيمانية تربية ضير الإنسان:

فهي ضمير للإنسان والرقيب على لأفعاله وأقواله ، فقد حرص الإسلام على تربية ذلك الضمير ويجعله حياً يقضاً في السر والعلن ، وأن يعبد الله كأنه يراه .

6- التربية الإيمانية تربية لفطرة الإنسان وإعلاء لدوافعه:

تقوم التربية الإيمانية على تربية فطرة الإنسان تربية صحيحة تقوم على التوسط والاعتدال تتماشى مع فطرة الإنسان ، دون تشدد ولا إفراط.

7- التربية الإيمانية تربية موجهه نحو الخير:

تقوم التربية الإيمانية على تربية المجتمع على الفضيلة والالتزام بالخلق الكريم وحثه على الخير الذي فيه سعادة لهم في الدنيا والآخرة.

8- التربية الإيمانية تربية مستمرة:

ليس هناك في الإسلام سن أو نهاية لتربية الإنسان لنفسه على القيم والأخلاق بل تمتد طول حياة الإنسان فهي من المهد إلى اللحد.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الصلاة ، بَاب تَشْبِيكِ الْأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (1 / 103) رقم 481.

9- التربية الإيمانية تربية متدرجة:

يعتبر التدرج في التربية أساساً من الأسس المعروفة في التربية الإسلامية ، لان الترفع عن السلوك المذموم يحتاج إلى وقت حتى يكتسب السلوك المطلوب ، لذلك فقد تدرج الرسول ﷺ في تعليم الصحابة رضي الله عنهم ومعلوم أن الله حرم شرب الخمر على مراحل.

10- التربية الإيمانية تربية محافظة مجددة:

التربية الإيمانية تربية محافظة على مبادئ سماوية راسخة ثابتة تقوم على نقلها إلى الأجيال المتعاقبة ، ولكن التربية ليست محافظه فحسب إنما تربية متجددة صالحة لكل زمان ومكان لتواجه متطلبات العصر ولتفي بحاجات المسلمين.

11- التربية الإيمانية تربية إنسانية عالمية:

فهي تربية بعيدة عن التعصب أو التمييز العرقي أو الاجتماعي ، لذلك أمر الإسلام بالمساواة في المعاملة بين الناس دون تمييز[(1)].

ثالثاً: القدوة الحسنة:

تعالج العقيدة الإسلامية التطرف والغلو في الدين عن طريق القدوة الحسنة ، لان انتشار الغلو والتنطع في الدين ما كان لينتشر لولا وجود القدوة الحسنة التي يقتدي بها. ففي حال وجود القدوة الحسنة الذي يقتدي بها الناس ينعكس ذلك على أفراد المجتمع إيجاباً، لان الأتباع ينظرون إلى القدوة نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم ويقلدونه في كل كبيرة وصغيرة.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **(اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وَقَالَ إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ)** [(2)].

وإنّ من الوسائل المهمّة جدّا في تبليغ الدّعوة إلى اللّه، وجذب النّاس إلى الإسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، القدوة الطّيّبة للدّاعي ، وأفعاله الحميدة ، وصفاته العالية ، وأخلاقه

(1) انظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: لمحمد منير مرسي ، مكتبة عالم الكتب – القاهرة ، 1998م(ص 65 – 79).

(2) صحيح البخاري: كتاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ (9 / 96) رقم 7298.

الزكية ممّا يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها نموذجا يقرأ فيه النّاس معاني الإسلام فيقبلون عليها، وينجذبون إليها ؛ لأنّ التّأثّر بالأفعال والسّلوك أبلغ وأكثر من التّأثّر بالكلام وحده [1].

وحين تفتقد القدوة الحسنة فما أيسر أن تحل القدوة السيئة مكانها،وإذا حلت القدوة السيئة وجدنا التطرف والغلو ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بأن نجتهد في اختيار القدوة .قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التَّوْبَةِ : 128]

يقول ابن القيم رحمه الله: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه" [2].

رابعاً: محاربة الدين للتطرف وتحذيره من الغلو:

تعالج العقيدة الإسلامية الغلو والتطرف في الدين عن طريق محاربها للتطرف والتحذير من الغلو للابتعاد عنه وعدم الوقوع فيه.عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :(**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**) [3].

وقد جاء تحذره ﷺ تارة بأسلوب النهي الصريح ، وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد ، وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

عن عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**) [4].

وقد حذر النبي ﷺ أمته كذلك من الغلو في حقه ﷺ ، لما يعلمه ﷺ من منزلته في قلوب المؤمنين.فقد خشي ﷺ أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له

(1) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: لعدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد (2 / 351).

(2)الفوائد (1 / 49).

(3) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (2 / 1008) رقم 3029 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح ابن ماجة (2 / 177) رقم 2455.

(4) صحيح البخاري:كتاب الأنبياء ، باب قول الله {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} (4 / 167) رقم 3445.

وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله. فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لاَ تَجْعَلُوا قبري عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ)** (1).

وقد حذر الإسلام من الغلو في الصالحين وقبورهم فقد قال ابن القيم رحمه الله: التحذير من الغلو في قبور الصالحين، وذلك بالعكوف عندها، أو البناء عليها، أو غير ذلك من أي مظاهر الغلو، والنبي ﷺ حذّر من البناء على القبور، وحذّر ﷺ من الصلاة عند القبور، والدعاء عند القبور، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، وحذّر ﷺ من إسراج القبور (2).

فلذا يجب على العلماء والأمراء توعية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم وإعادتهم إلى الوسطية والاعتدال حتى يكونوا من خير الأمم التي أخرجت للناس ، ويكونوا خيارا عدولا أهلا للشهادة على الناس في الآخرة وقيادتهم في الدنيا (3).

وقد حذر الإسلام من التنطع والغلو في جميع العبادات سواء كانت قولية أو فعليه.

قال ابن حجر رحمه الله : "وفيه التحذير من الغلو في الديانة والتنطع في العبادة، بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة" (4).

ومحارة الدين للتطرف يكون بإتباع كل ما جاء به الرسول ﷺ قولاً وعملاً ، في الظاهر والباطن ، وبسد كل الطرق المؤدية إليه من الغلو في الصالحين أو المقبورين ، أو رفع الأنبياء فوق منزلتهم .

خامساً: الوعيد الشديد للغالين وبيان سوء عاقبتهم:

توعد الإسلام للغالين بوعيد شديد في الدنيا والآخرة لوقوعهم في الشرك ، فتارة توعدهم بالهلاك ، وتارة أخرى بالحرمان من شفاعة الرسول ﷺ ، وتارة أخرى الابتعاد عن مجلس النبي

---

(1) سنن أبى داود:كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (2 / 169) رقم 2044، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1319) رقم 13182 .

(2) انظر: إغاثة اللهفان (1 / 184).

(3) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد: ليوسف القرضاوي ، دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م (ص242).

(4) فتح الباري: لابن حجر (12 / 301).

ﷺ يوم القيامة. ومن الأدلة الدالة على ذلك:-عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(هلك المتنطعون قالها ثلاثا)** [1].

وعن معقل بن يسار ﷺ [2] قال: قال رسول الله ﷺ : **(صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وغَالٍ فِي الدِّينِ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ)** [3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: **(إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إلَيَّ ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَومَ القِيَامَةِ ، أحَاسِنكُمْ أَخْلاَقَاً ، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ ، وأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَومَ القِيَامَةِ ، الثَّرْثَارُونَ ، وَالمُتَشَدِّقُونَ ، وَالمُتَفَيْهِقُونَ)** [4].

(1) صحيح مسلم: كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (4 / 2055) رقم 2670.

(2) سبق الترجمة له ص 351.

(3) المعجم الكبير: باب معقل بن يسار (20 / 213) رقم 495 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 725) رقم 7246.

(4) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم باب ما جاء في اللعن والطعن (4 / 370) رقم 2018. قال الألباني:(صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 242) رقم 2415.

المبحث الثاني
الانحراف عن القيم والأخلاق

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأخلاق الإسلامية.

المطلب الثاني: حث الإسلام على القيم والأخلاق.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف عن القيم والأخلاق الإسلامية.

المطلب الرابع:مظاهر الانحراف في القيم والأخلاق.

المطلب الخامس: الآثار المترتبة على الانحراف عن القيم والأخلاق.

المطلب السادس:دور العقيدة في علاج انحراف القيم والأخلاق.

المطلب الأول

تعريف الأخلاق الإسلامية

تعريف الأخلاق لغة:

الخلق مصدر من خَلق يَخلُقه خلقاً وهي اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلق عليها ، تدل على تقدير بالشئ . نقول فلان خليق بكذا: أي قادر عليه وجدير به ' والخُلْقُ بالضم ، وبضمتين: السجية ، والطبع ، والمُروءةُ ، والدينُ ، وحقيقة الخلق ، أنه صورة الإنسان الباطنة ، وهى نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة ، وأوصافها ، ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة ، وقبيحة [1].

تعريف الأخلاق في الاصطلاح:

"عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ، ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه [2].

وعرفها الماوردي : بأنها غرائز كامنة تظهر بالاختيار ، وتقهر بالاضطرار [3].

ويعرّف ابن مسكويه: بأنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، أو يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه ، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا [4]

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 85).

(2) التعريفات: للجرجاني (1 / 136).

(3) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك : لعلي بن محمد الماوردي (1 / 2).

(4) انظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه في التربية: لابن مسكويه ، دار الكتب العربية ، بيروت ، الطبعة : الثانية 1401هـ / 1981م (1 / 4 – 5).

المطلب الثاني

حث الإسلام على القيم والأخلاق

جاء الإسلام لتنظيم حياة الإنسان ، وتحديد علاقته بخالقه ، وبنفسه ، وبغيره من الناس ضمن نظام شامل يتناول جميع مناحي الحياة ، بهدف الارتقاء بالحياة الإنسانية على أساس الفضيلة والأخلاق الرفيعة.

فقد كان الرسول ﷺ يدعو ربه عز وجل أن يهديه لأحسن الأخلاق ، لذا فقد شهد الله له أنه على خلق عظيم. قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : 4].

فقد كان ﷺ متمسكاً به ، وبآدابه ، وأوامره ونواهيه ، وما يشتمل عليه من مكارم ، ومحاسن الأخلاق. لذلك فقد حث الإسلام على أحسن القيم والأخلاق ودعا إلى التخلق بها ، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:-

1- الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق:

حث الإسلام على التمسك بالقيم والأخلاق المحمودة ، وجعل لمن يتمسك بها ثواباً عظيماً في الدنيا والآخرة ، ونهى عن الأخلاق المذمومة ، وأمر بتجنبها وحذر من عاقبة من يتصف بها. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)** [1].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَبَّرَ ، ثُمَّ قَالَ: **(وَاهْدِنِى لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ ، لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّى سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ)** [2].

فلا يعتقد الفرد المسلم أن الشريعة الإسلامية هي كثرة صلاة ، وصيام ، وقيام ، وزكاة وغيرها من العبادات – وهذا خير – لكن يشترط أن تكون تلك العبادات مبنية على قاعدة قوية من الأخلاق.

فالأخلاق تتكامل مع أحكام العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات لتشكل قاعدة قوية ينطلق بها المسلم في إظهار الدين بشكل كامل في جميع جوانبه.

(1) مسند أحمد (14 / 512) رقم 8952 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 515) رقم 5144.

(2) صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامة(1 / 535) رقم 771.

فالعبادات ما فرضت إلا لتظهر وترسخ حسن الأخلاق سواء على صعيد الفرد ، أو الجماعات. عن أبي ذر ﷺ قال: قَالَ لي رسول الله ﷺ :**(اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)** (1).

فالصيام مثلاً لم يفرض على المسلم لعقابه ، أو منعة من الطعام والشراب والمتاع ، إنما فرض لحكمة جليلة وهي تقوي الله. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : 183].

فقد فرض الله الصيام لما فيه من زكاة النفس ، وطهارتها ، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة ، والأخلاق الرذيلة (2).

فلو صام الفرد الدهر كله ، وصلى الفرائض ليلاً ونهاراً ، وأنفق ماله ، وساء خُلقه فلن يقبل منه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)** (3).

وعنه أيضا ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : قَالَ اللهُ عز وجل : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَام ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، **(فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ** (4) **وَلاَ يَصْخَبْ** (5) **فإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ)** (6).

يقول ابن تيمية رحمه الله: أمر الله بالصيام لأجل التقوى ، فإن لم تحصل التقوى لم يحصل المقصود من الصوم فينقص أجره بحسب عمله ، فإن صام وفعل المنهيات من غيبة ، ونميمة ، وأكل الحرام لم يحصل مقصود الصوم ، وقد يذهب أجر الصوم (7).

---

(1) المعجم الكبير: باب صدي بن عجلان أبي إمامة (8 / 169) رقم 7709 ، قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 8) رقم 2655.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 497).

(3) صحيح البخاري:كتاب الصوم ،باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم (3 / 26) رقم 1903.

(4) ما يكون بين الرجل وامرأته ، من المغازلة والتقبيل ونحوهما ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمد الزبيدي (5 / 263).

(5) الضجة ، واضطراب الأصوات للخصام ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (1 / 521).

(6) صحيح البخاري:كتاب الصوم ، باب هل يقول إني صائم إذا شتم (3 / 26) رقم 1904.

(7) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (3 / 174).

فجميع العبادات يجب أن تبني على حسن الأخلاق لتقبل عند الله عز وجل ولا تذهب هباء. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [العنكبوت : 45]. وقال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ [التوبة : 103]. وقال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة : 197].فحث الإسلام على الأخلاق الحميدة لما يترتب عليها من صفاء النفوس ، وراحة الضمائر ، التي تجعل العلاقات الاجتماعية بين الناس تقوم على المودة والاحترام والتعاون ، بعيداً عن الظلم والإساءة. عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : **(اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)** [1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال : **(يا نبي الله أوصيني قال :اعبد الله لا تشرك به شيئا قال : يا نبي الله زدني قال :إذا أسأت فأحسن ، قال : يا رسول الله زدني قال : استقم وليحسن خلقك)** [2].

"وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً ، لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ، ولا عجولاً ولا حقوداً ، ولا بخيلاً ، ولا حسوداً ، بشاشا هشاشا يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق" [3].

لذلك فقد حث الإسلام على الصدق ، والإخلاص ، والأمانة ، والحياء ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصبر ، والإخاء ، وغيرها ، ونهي عن الكذب ، والرياء ، والحسد والشح ، وإتباع الهوى ، والغرور ، والنفاق ، والكفر ، والشرك ، وغيره.

---

(1) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في معاشرة الناس (4 / 355) رقم 1987 . قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 8) رقم 2655.

(2) صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان ، باب الجار (2 / 283) رقم 524 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 431) رقم 4309.

(3) إحياء علوم الدين : للغزالي ، دار المعرفة – بيروت (3 / 70).

2- ترتيب الجزاء والثواب الحسن على التحلي بالأخلاق:

أعد الله عز وجل لأصحاب الأخلاق المحمودة الثواب والجزاء الحسن ، فالأخلاق الحميدة الفاضلة تثقل الميزان يوم القيامة ، وتقرب صاحبها من الله عز وجل ، وتكسبه الثواب العظيم ، والفوز بالدرجات العليا في الجنة ، والقرب من الرسول ﷺ يوم القيامة ويمكن بيان ذلك من خلال ما يلي: -

أ- حب الله عز وجل لهم:

عن أسامة بن شريك قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ كأن على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه أناس فقالوا :**(يا رسول من أحب عباد الله إلى الله ؟ قال : أحسنهم خلقا)** [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : **(أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناس ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله سُرُورٌ تُدْخِلُه على مسلم ، أو تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً ، أو تَقْضِي عنه دَيْناً ، أو تَطْرُدُ عنه جُوعاً ، ولأَنْ أمشيَ مع أخي المسلمِ في حاجةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ شهرًا ، ومن كفَّ غضبَه سترَ اللهُ عورتَه ، ومن كَظَمَ غَيْظَه ولو شاء أن يُمْضِيَه أَمْضاه ملأ اللهُ قلبَه رِضًا يومَ القيامةِ ، ومن مشى مع أخيه المسلمِ في حاجةٍ حتى تتهيأَ له أثبتَ اللهُ قدمَه يومَ تَزِلُّ الأقدامُ)** [2].

ب - ملازمة النبيﷺ يوم القيامة:

صاحب الخلق الحسن من أقرب الناس ملازمة للرسولﷺ يوم القيامة فيكون مرافقاً له جنباً لجنب.عن أبي ثعلبة الخشني [3] عن النبي ﷺ قال: **(إن أحبكم إلي ، وأقربكم مني في الآخرة ،**

---

(1) المعجم الكبير باب ما جاء في التداوي وترك الغيبة وحسن الخلق (1 / 181) رقم 471 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 18) رقم 179.

(2) المعجم الكبير: باب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (12 / 453) رقم 13646، قال الألباني: () السلسلة الصحيحة – المختصرة (2 / 574) رقم 906.

(3) جرثوم بن ناشر ، ويقال: ابن ناشب ، وقيل : اسمه جرثومة بن ناشب وخشينه ، نزل الشام ، له صحبه بايع الرسول ﷺ بيعة الرضوان ، ضرب له سهمه يوم حنين ، مات سنة خمس وسبعون ، انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر (66/ 96 – 97).

أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي ، وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقاً ،المتشدقون[1] ، المتفيهقون[2] ، الثرثارون [3]) [4].

ج – **الفوز بدخول الجنة:**

صاحب الأخلاق يفوز يدخل الجنة بحسن أخلاقه ، وأن قلة صلاته وصيامه وصدقته، ومن ساء خلقه دخل النار وإن كثر صلاته وصيامه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: **(إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ [5] وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ)** [6].

وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: **(تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ)** [7].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ [8] قَالَ: شهدت النَّبِيَّ ﷺ والأعراب يسألونه قالوا يا رسول الله **(ما خَيْرُ مَا أُعْطِيَ العبد ؟ قَالَ خُلُقٌ حَسَنٌ)** [9].

---

(1) المتوسعون في الكلام من غير احتياط ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 172).

(2) المتكبرون الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ، انظر: النهاية في غريب الأثر: لابن الأثير (3 / 950).

(3) كَثْرة الكلام وتَرْدِيدُه ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (10 / 317).

(4) صحيح ابن حبان:كتاب الحظر والإباحة ، باب الحظر والإباحة (12 / 368) رقم 5557 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 242) رقم 2415.

(5) لبن جامد مستحجر ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (4 / 108).

(6) مسند أحمد (15 / 421) رقم 9675 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 345) رقم 2560.

(7) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ، باب حسن الخلق (4 / 363) رقم 2004 ، قال الألباني: (حسن) السلسلة الصحيحة مختصرة – (2 / 669) رقم 977 .

(8) سبق الترجمة له ص 264.

(9) صحيح ابن حبان:كتاب الطب ، باب ذكر الأمر بالتداوي (13 / 426) رقم 6061 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 564) رقم 5632.

د- **تثقيل الميزان يوم القيامة:**

عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها: عن أَبَي الدَّرْدَاءِ ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ)**[1].وفي رواية أبي الدرداء ﷺ قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **(مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّومِ ، وَالصَّلاةِ)**[2].

" وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها" [3].

هـ - **الوصول إلى درجه الصائم نهاراً القائم ليلاً:**

حسن الخلق يرفع صاحبه يوم القيامة إلى الصائم ، القائم للصلاة في الثواب والأجر.

عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)** [4].

استحق صاحب الخلق الحسن الارتقاء إلى درجة القائم الليل ، الصائم ، لان صاحب الخلق يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس وهو جهاد كبير ، فأدرك ما أدركه القائم الصائم من مجاهدة النفس فاستويا في الدرجة [5].

---

(1) صحيح ابن حبان :كتاب البر والإحسان ، باب حسن الخلق (2 / 230) رقم 481 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 14) رقم 134.

(2) سنن الترمذي:كتاب البر والصلة ، باب حسن الخلق (4 / 363) رقم 2003 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1067) رقم 10664.

(3) تحفة الأحوذي :المباركفوري (9 / 306).

(4) سنن أبى داود:كتاب الأدب ، باب حسن الخلق (4 / 400) 4800 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (3 / 102) رقم 5082.

(5) انظر: فيض القدير: للمناوي (2 / 428).

3- ربط الأخلاق بالإيمان بالله:

ربطت الشريعة الإسلامية الأخلاق بالإيمان بالله عز وجل ربطاً قوياً ، فإن صاحب الأخلاق المحمودة حتماً سيكون قوي الإيمان بالله عز وجل ، وكذلك قوي الإيمان حتماً سيكون من أصحاب الأخلاق . عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)** [1].

وإن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه ، فالعلاقة بين الإيمان بالله والأخلاق علاقة تكاملية ، إن ضعف إحداهما ضعف الأخر.عن بن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: **(الحياء والإيمان في قرن فإذا سلب أحدهما اتبعه الآخر)** [2].

فمثلاً: الرجل الذي يُؤْذِ جَيرانه حكم عليه الرسول ﷺ بعدم كمال إيمانه ، فعَنْ أَبِي هريرة ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائقه [3])** [4].

أقسم الرسول عليه السلام في الحديث ثلاث مرات أنه لاؤمن من لايؤمن جاره بوائقه ، ومعناه أنه لايؤمن الإيمان الكامل ، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة [5].

فمثلاً: ربط الله عز وجل بين والكرم والإحسان إلى الجار وقول الخير وبين الإيمان بالله واليوم الآخر ، فالمؤمن بالله واليوم الآخر حتماً سيتصف بالأخلاق الحسنة من الإحسان إلى الجار ، وقول الخير عند الحديث ، وإكرام الضيف.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)** [6].

---

(1) سنن أبى داود:كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان (4 / 354) رقم 4684 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 18) رقم 179.

(2) المعجم الأوسط (8 / 174) رقم 8313 ، قال الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (3 / 3) رقم 2636.

(3) الغوائل والشرور ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (25 / 106).

(4) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (8 / 10) رقم 6016.

(5) انظر: شرح صحيح البخارى : لابن بطال (9 / 222).

(6) صحيح البخاري: كِتَاب اللِّبَاسِ، بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ(8 / 11) رقم 6018.

4- ضرب الأسوة في التحلي بالأخلاق :

إن غرس القيم والأخلاق الحميدة لا تكون إلا عن طريق الأسوة الحسنة القائمة على الأخلاق والقيم الإسلامية ، فالأسوة الحسنة أساس التربية ، ولن تصلح تربيه الأفراد والمجتمعات على القيم والأخلاق إلا بوجود الأسوة الحسنة ، فقد كان الرسول ﷺ يغرس في أصحابه الأخلاق والقيم عن طريق بسيرته العطرة. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب/21].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ)** (1).

والأمثلة من حياة الرسول ﷺ كثيرة جداً منها ما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنهما قال ، خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا (2).

وعنه أيضاً قَالَ: **(كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)**(3).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (4).

---

(1) شعب الإيمان: باب طلاقة الوجه وحسن البشر (10 / 402) رقم 7695 ، قال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 9) رقم 2661.

(2) صحيح مسلم: كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (4 / 1804) رقم 2309.

(3) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ (4 / 95) رقم 3149.

(4) صحيح مسلم : كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (4 / 170) رقم 2165.

المطلب الثالث

أسباب الانحراف عن القيم والأخلاق الإسلامية

هناك العديد من الأسباب التي تؤدي لانحراف القيم ، والأخلاق الإسلامية سواء عند الأفراد ، أو المجتمعات ، ومن أهم هذه الأسباب:-

1- **ضعف التربية الإسلامية الصحيحة:**

من أخطر الأسباب التي تؤدي إلى انحراف القيم والأخلاق الحسنة ، ضعف التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

فانحراف التربية في جميع مؤسسات المجتمع القائمة على الأسرة و المدرسة والإعلام من أكثر المؤثرات على القيم والأخلاق.

أ - الأسرة:

الأسرة هي الحصن الحصين لجميع الأبناء ، يتعلمون بها كل ما يلزمهم ، وهي المؤسسة الأولى للطفل ، توفر له ما يتطلبه ، وهي المصدر الأول للتلقي ، فيتلقي الطفل كل ما يصدر عن الأبوين ، ويتأثر بهما ، فهما المثل الأعلى له في الأقوال والأفعال ، وكل ما يصدر عنهما ، فلو وجد الأبناء الآباء متمسكين بدينهم ، وأخلاقهم ، انعكس ذلك عليهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)** [1]. فيتمثل دور الأسرة في تعليم الطفل ، ومساعدته على الإيمان بالله ، وغرس العقيدة في قلبه ، وتعويد الطفل على الآداب ، والأخلاق الإسلامية بالممارسة العملية لا عن طريق الكلام ، وتعليمه بما يدور حوله ، وكيفية التعامل معها ، وتقبل أفكاره ، والاستماع إليها دون التقليل من شأنه [2].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه (3 / 120) رقم 2409.

(2) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ : لعدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد (1 / 166 – 167).

ففي حال إهمال الآباء للأبناء ، وعدم تعليمهم الأخلاق الحسنة ، وعدم وجود القدوة الحسنة للأبناء ، حتماً سينحرف الأبناء عن الأخلاق الحسنة.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كبارا" [1].

ب- المدرسة:

المدرسة مؤسسة يتعلم بها الطفل القيم والأخلاق المحمودة بعد الأسرة ، فإذا كانت النظم والمعلومات التي يتعلمها الطفل في المدرسة بعيدة عن الإسلام ، حتماً سيقع الطالب في الأخلاق السيئة ، لذا فمن الواجب على المدرسين أن يكونوا أصحاب رسالة داعين إلى الأخلاق الحسنة . والتلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة يراها في كل معلم من المعلمين ليقتنع بكل ما يتعلمه ، وليرى فعلاً أن كل ما يطلب منه من السلوك أمراً واقعياً يمكن تطبيقه [2].

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب : 21].

لكن يظهر الدور السلبي للتعليم في المدارس ، والذي ينعكس حتماً على القيم ، والأخلاق عند التلاميذ كما نراه اليوم من الاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعات ، وما يترتب عليه من مفاسد ، فيتعلم الطفل من صغره أن يكون له صديقة يتكلم ، ويتعامل معها دون قيود ، أو حدود ، فيحمل الطالب هذه الفكرة منذ صغره فتصبح عادة مألوفة عند الكبر.

فقد أمر الرسول ﷺ على منع الاختلاط بين الصغار حتى بين الأخوة الصغار في البيت.

عَنْ عَمْرِو بْنِ العاص ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في الْمَضَاجِعِ)** [3].

---

(1) تحفة المودود بأحكام المولود ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق الطبعة: الأولى ، 1391 هـ / 1971م (1 / 229).

(2) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: لعبد الرحمن الخلاوي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى ، 1399هـ / 1979م (ص 230).

(3) سنن أبي داود:كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (1 / 185) رقم 495 ، قال الألباني: (صحيح) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (7 / 190) رقم 2108.

يقول ابن باز رحمه الله: من أعظم آثار الاختلاط الزنا الذي يهدم قيم المجتمع ، وأخلاقه ويفتك به [1].

ج- الإعلام:

وسائل الإعلام سلاح ذو حدين فقد يتعلم الشاب الأخلاق الحميدة من وسائل الإعلام الهادفة بجميع أنواعها ، وقد يقع في شباك الإعلام الفاسد الذي يُعلم الشباب سوء الأخلاق ، ويدعوهم إلى الفاحشة والرذيلة .

2- ضعف الوازع الديني والانشغال بعيوب الآخرين:

ضعف الوازع الديني لدى الشباب ، وانشغالهم بعيوب الناس حتماً سيوقعهم في الانحراف عن القيم والأخلاق. فضعيف الإيمان ينجر وراء شهواته ورغباته في الدنيا ، ويطلق لها العنان لإشباعها دون رقيب ، فيوقع نفسه في مهالك الانحراف والفساد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** [2].

"الإيمان هو روح الأعمال ، وهو الباعث عليها ، والآمر بأحسنها ، والناهي عن أقبحها ، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه وائتمار صاحبه ، وانتهاؤه" [3].

لذلك نجد ضعف الإيمان عند العبد مع كثرة المغريات ، والملهيات في المجتمع ، سيقع في وحل الفساد والانحراف ، وسيشغل نفسه بعيوب الآخرين ، وينسى عيوبه.

بخلاف من كان الإيمان يملأ قلبه ، ويشغل نفسه بعيوبه عن عيوب الآخرين نجده متصفاً بصفات الأخلاق التي تحميه من الانحراف.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ،عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (1 / 419).

(2) صحيح البخاري:كتاب اللقطة ، باب لا يُشرب الخمر (8 / 157) رقم 6772.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (3 / 284).

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقة فأَخْفَاها حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [1].

يقول ابن القيم رحمه الله: "من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس"[2].

ومن عيوب النفس الانشغال بعيوب الناس ، والبحث عنها ، والانشغال عن عيوب نفسه ، فمن لم يفتش عن عيوب نفسه يجب أن يسكت عن عيوب غيره ، ويسكت عنهم [3].

عن أَبي هريرة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا ، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّر عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، والله في عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَونِ أخِيهِ)**[4].

3- الفراغ عند الشباب:

حرص الإسلام على استغلال الوقت واستثماره ، وعدم تضييعه إلا بما فيه مصلحه وفائدة ، فالوقت نعمة من الله ، سيحاسب العباد عليها.

وعدم استغلال الوقت الاستغلال الجيد ، سيوقع الشباب في الانحراف عن القيم والأخلاق.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ**[5] **فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)** [6].

فالشباب الذين يستغلون أوقات فراغهم في العبادات ، وما يفيدهم في الدنيا والآخرة نجدهم بعيدين عن الانحراف ، بخلاف من لا يشغل أوقاته يكون عرضة للانحراف.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الجماعة والإمامة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (1 / 133) رقم 660.

(2) الفوائد (1 / 57).

(3) انظر: عيوب النفس: لمحمد الحسين السلمي ، تحقيق: مجدي فتحي السيد ، مكتبة الصحابة طنطا ، 1408 هـ (1 / 12).

(4) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وعلى الذكر (4 / 2074) رقم 2699.

(5) الخسران والحرمان ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (11 / 164).

(6) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب لا عيش إلا عيش الآخرة (8 / 88) رقم 6412.

عن أَبي برزة [1] ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : **(لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ ؟)** [2] .

4- الرفقة السيئة:

حث الإسلام على اتخاذ الصديق الحسن لما فيه الخير في الدنيا والآخرة ،وما ينتج عنه من حث صديقه على طاعة الله ، والالتزام بالأخلاق الحسنة ، ونهي عن مصاحبة الصديق السيئ لما ينتج عنه من سوء خلق. قال تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف : 67]. يتبرأ الأصدقاء من أصحاب المعاصي من بعضهم البعض يوم القيامة فيكونون أعداء ، إلا الأصدقاء الذين تخَّالوا على تقوى الله [3]. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قال: **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)** [4].

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا خَبِيثَةً)** [5].

5- غياب دور العلماء والدعاة عن الاهتمام بقضايا الشباب:

من الأسباب المؤدية إلى انحراف الشباب غياب دور العلماء ، والدعاة عن دورهم في الاهتمام بقضايا الشباب والأمة ، وعدم الوقوف على مشاكلهم المتعددة .

---

(1) نضله بن عبيد الاسلمي مشهور بكنيته ، كان اسمه نضله بن ينار ، فسماه الرسول ﷺ لان ينار اسم شيطان ، شهد فتح خيبر ومكة ، سكن المدينة ثم نزل البصرة ، غزا خرسان ، شهد مع علي ﷺ قتل الخوارج بالنهروان وشهد صفين ، مات بخرسان سنة أربع وستين ، انظر: الأصابه في تمييز الصحابة: لابن حجر (6 / 433 – 434).

(2) سنن الترمذي: باب في المقدمة (4 / 612) رقم 2417 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1326) رقم 13256.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (21 / 637).

(4) سنن أبى داود: كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس (4 / 407) رقم4835 ، قال الألباني:(حسن) السلسلة الصحيحة المختصرة ، مكتبة المعارف – الرياض (2 / 597) رقم 927.

(5) صحيح البخاري: كتاب الذبح والصيد ، باب المسك (7 / 96) رقم 5534.

فمهمة العلماء والدعاة تعليم الناس كل خير وحثهم عليه ، وتحذيرهم من كل شر يوقعهم في مظاهر الانحراف.

عن أَبي الدرداء ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ حَتَّى الحيتَانِ في المَاءِ ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، **(وَإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ ، وَإنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ)** [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فترك أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد ، وترك أهل القتال للقتال الواجب عليهم كترك أهل العلم للتبليغ الواجب عليهم كلاهما ذنب عظيم"[2].

6- انتشار البطالة بين أفراد المجتمع مع عدم المقدرة على الزواج:

مِن أسبابِ الانحرافِ في القيم والأخلاق ، وقوعُ البعض فريسةَ الفقر، فيلجئون إلى الكذب ، والسرقة ، والخداع للحصول على الرزق ، ومنهم من يقع فريسة لقرناء السوء لعدم مقدرته تلبية متطلبات الزواج ، فيلبي شهواته بطرق غير مشروعة.

عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ [3] أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي ، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي ، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي وَتَقُولُ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا حِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي ، قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ)** [4].

لذلك نجد الرسول ﷺ يحث على الإنفاق ، والصدقة فقد شهد الرسول ﷺ لمن يكفل يتيماً بالجنة جزاءً له ، لأن اليتيم إن لم يجد من يكفله مال إلى الانحراف.

---

(1) سنن الترمذي:كتاب العلم ، باب فضل الفقه على العبادة (5 / 48) رقم 2682 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1125) رقم 11243.

(2) مجموع الفتاوى (28 / 188).

(3) تابعي ولد بالبصرة ، مات سنة ست وتسعين ، انظر:الأصابه في تمييز الصحابه:لابن حجر(5 / 226).

(4) مسند أحمد (34 / 74 – 75) رقم 20430 ، قال الألباني: (حسن) صحيح الأدب المفرد ، دار الصديق ، الطبعة: الأولى ، 1421هـ (1 / 255) رقم 262 .

عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ [1] ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)** [2].

فقد حث الرسول ﷺ على الزواج لسد باب الانحراف عند الشباب ، ولتهذيب العواطف ، والغرائز الجنسية ، فمن لم يستطع عليه بالصوم. عن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)** [3].

7- الكيد والتخطيط من أعداء الإسلام:

أكثر الوسائل الداعمة اليوم لانحراف القيم والأخلاق بشكل منظم مخطط له لإسقاط الجيل المسلم في وحلٍ من سوء الأخلاق ، هو تخطيط أعداء الله للنَيل من الإسلام وأهله من الداخل ، بخطط سموها بأسماء براقة تارة بالديمقراطية ، وأخرى بحوار الأديان.

فقد صدروا لنا قيماً جديدة من خلال الغزو الفكري تارة في ثوب العلمانية وتارة في ثوب القومية ، وتارة آخري بثوب الليبرالية.

فصدروا لنا عدة مفاهيم وقيم لا تمت للإسلام بصله ومن هذه المفاهيم حق المرأة وذلك بمساواتها بالرجل وتحريرها من الظلم الواقع عليها ، فأسسوا جمعيات تهتم بالمرأة وشؤونها ، كل هذا لا لرفع مكانة المرأة بل للقضاء على حفتها وطهارتها ، و حجابها ، وللقضاء على دورها الفعال من إنشاء الجيل المسلم.

فقاموا بتغريب الإنسان المسلم عن قضاياه الإسلامية وذلك عن طريق طمس الهوية الإسلامية وغرس التقليد والتبعية في كل ما يحدث في البلاد الكافرة ،فقاموا بفصل الدين عن الدولة وذلك في جميع مجالات الحياة ، فدعوا للاختلاط ، ونشر الرذيلة ، وإثارة النعرات ، فشككوا في القرآن والسنة النبوية ، والحضارة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾ [البقرة : 217].

---

(1) سبق الترجمة له ص 138.

(2) صحيح البخاري:كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيماً (8 / 9) رقم 6005 .

(3) صحيح مسلم:كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (2 / 1019) رقم 1400.

فهم يبذلون كل ما يستطيعون من القوة للكيد ، والطعن في الإسلام وأهله ، بطرق مختلفة منها: التشكيك ، وزعزعة الأفكار ، وسلخ المسلم عن دينه يتحركون ، ويخططون دون كلل، أو ملل[1].قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾ [البقرة : 120].

8-الاهتمام بالجانب الجسدي وإهمال الجانب الروحي:

انحرف كثير من شباب الإسلام اليوم عن حقيقة الأخلاق الحميدة لعدم تلبية الجانب الروحي ، والاهتمام بالجانب الجسدي ، فلم يعلم أن للجسد حقاً ، وأن للروح حقاً عليه ، وأنه يجب التوسط بين الجانبين ، فلا يطغي جانب على جانب. فالانجرار وراء ملذات وشهوات الجسد ، وتلبية رغباتها دون تلبيه الجانب الروحي حتماً سيقع في الإضرابات ، والانحرافات في الحياة. عن زيد بن ثابت ﷺ [2] قال: قال رسول الله ﷺ : **(من كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)** [3].

يقول ابن القيم رحمه الله: الكافر ليس في قلبه شئ من الإيمان لما افتقده من الغذاء الروحي ، والتمسك بالغذاء الجسدي الحيواني ، أما المؤمن استغنى قلبه ، ونفسه بالغذاء الإيماني عن الاستكثار من الغذاء الجسدي الحيواني [4].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: عن النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلا تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ)** [5].

---

(1) انظر: مجموعة فتاوى ابن باز (4 / 138).

(2) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجى ، استصغر يوم بدر، وشهد أحد ، وقيل أو مشاهدة الخندق ، كانت معه راية بني النجار يوم تبوك ، كان من علماء الصحابة والراسخين في العلم ، وقال: أبو هريرة حين مات اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في بن عباس منه خلفا، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (2 / 593 - 594).

(3) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ، باب الهم بالدنيا (2 / 1375) رقم4105 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصحيح وزيادته (1 / 1146) رقم 11456.

(4) انظر: التبيان في أقسام القرآن ، دار الفكر (1 / 236).

(5) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ ، باب 30 (4 / 642) رقم 2466 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 280) رقم 2795.

والمسلم الحق الذي يضبط نفسه عن شهواتها المحرمة ، ويمنعها من التوسع في المباح خشية الوقوع في الحرام ، ثم يزكي نفسه عن كل مرض يؤثر على سلوكه [1].

9- غياب تطبيق نظام العقوبات في الإسلام:

حرص الإسلام على بناء مجتمع يسوده القيم والأخلاق وتقل فيه الجرائم ليأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، وحرص على تطبيق العقوبات لتقليص كل خلق سيء يؤدي لجريمة ، وإن غياب تطبيق نظام العقوبات ، من الأسباب المشجعة على انحراف القيم ، والأخلاق ، وارتكاب الجرائم.

قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : 179].

قال ابن القيم رحمه الله: "فكان من بعض حكمته – سبحانه ورحمته – أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض في النفوس والأبدان ، الأعراض ، والأموال كالقتل ، والجراح ، والقذف ، والسرقة فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام ، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع ، والزجر" [2].

وقال أيضاً رحمه الله:" ولولا القصاص لفسد العالم ، وأهلك الناس بعضهم بعضا" [3].

عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**حَدٌّ يُعْمَلُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أربعين صَبَاحًا**) [4].

10- العيش وسط بيئة من المتناقضات:

حث الإسلام على الصدق في الأقوال والأفعال والنوايا ، ونهى عن مخالفة الأقوال للأفعال لما يترتب عليه من سوء الأخلاق.

فمثلاً: الأب يعلم الطفل الصدق ، والابتعاد عن الكذب فيجد الطفل تناقضاً بين قول الأب وفعله. قال تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة : 44].

---

(1) انظر تربيتنا الروحية: لسعيد حوى ، مكتبة الرسالة الحديثة ، مكتبة الفكر الإسلامي – عمان ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية (ص 138).

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين (2 / 114).

(3) المصدر السابق (2 / 122).

(4) سنن ابن ماجه:كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود (2 / 848) رقم 2538 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 545) رقم 5441.



وهذا ينطبق فيه قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ   هَلاَّ لِنَفْسِكَ كانَ ذَا التَّعْلِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا   فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَى   بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

لاَ تَنْه عَنْ خُلُقٍ وَتَأتي مَثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ [1].

وقد يعيش الطفل وسط أسرة ملتزمة فيجد التناقض بين أخلاق الأسرة ، وأخلاق المجتمع الذي يعيش وسطه من المدرسة ، والأصدقاء ، وغيرها ، فيحدث الانحراف عند الطفل منذ الصغر.

11- **انتشار الفواحش والشهوات وعدم محاربتها في الأنظمة العلمانية:**

من الأسباب المؤدية إلى الانحراف عن القيم والأخلاق انتشار الفواحش والشهوات في المجتمعات كفاحشة الزنا ، واللواط ، والسحاق ، وإتيان البهائم والعياذ بالله. وعدم محاربتها من قبل الأنظمة العلمانية والتي تري أن ارتكاب تلك الفواحش والشهوات من قبيل الحرية الفردية للأشخاص التي لا يجوز محاسبتهم في حال ارتكابها.

حتى أنهم روجوا تلك الفواحش عن طريق وسائل الإعلام ، فنشروا الأفكار المنحلة والعقائد الفاسدة ، ونشروا القصص الخليعة التي تدعوا إلى ممارسة تلك الفواحش ، و نشروا المجلات الفاضحة التي تخدش الحياء لذي المرآة، فدعوا للاختلاط في المدارس والجامعات لتسهيل الفواحش بين أفراد المجتمع.

12- **رواج المصنوعات الغربية:**

تلعب المصنوعات الغربية دور فعال في الإنحراف عن القيم والأخلاق الإسلامية ، خاصة تلك المصنوعات التي تؤثر على القيم والأخلاق مثل الملابس الشفافة والضيقة وأدوات التجميل والمكياج وغيرها من المصنوعات التي تظهر مفاتن النساء وعورات الرجال.

---

(1) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام ، تحقيق: عبدالغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق ، الطبعة: الأولى ،1984 هـ (1 / 310).

المطلب الرابع

مظاهر الانحراف في القيم والأخلاق

هناك العديد من مظاهر الانحراف في مفهوم القيم والأخلاق التي لو أصابت أمة من الأمم لهلكت ، ومظاهر الانحراف في المجتمعات كثيرة جداً سأكتفي بذكر بعضها ، ومن أهم هذه المظاهر:-

1- الانحراف في تطبيق الأخلاق والقيم:

عرفنا فيما سبق فضل الأخلاق الحسنة وما يترتب على صاحبها من الأجر والثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، ولكن لا يكفي من المسلم أن يتعلم ويتسم بالأخلاق الحسنة ولا يطبقها تطبيقاً عملياً واقيعاً في المجتمع الذي يعيش فيه ، لأن تطبيق الأخلاق الإسلامية وما ورد بها من توجيهات تقتضي رفعة الإنسان والسمو به في الدنيا والآخرة . ونقصد هنا بالأخلاق أن يتعلم تلك الأخلاق وأن تنعكس على حياته اليومية إيجابياً ولا نقصد أن يتعلم تلك الأخلاق دون ربطها في تعامله مع الآخرين.

فالمجتمع الذي يتمسك بالأخلاق الحسنة ويطبقها تطبيقاً عملياً مجتمع تغيب عنه الانحرافات الأخلاقية ، وتطبيق الأخلاق يجب أن يكون في جميع مناحي الحياة سواء كانت اقتصادية ، أو اجتماعية ، أو سياسية. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: 162].

فمثلاً: يجب على التاجر أن يتصف بالصدق والأمانة والإخلاص وأن يطبق تلك الأخلاق في تجارته ، إلا أننا نجد الانحراف في تطبيق الأخلاق عند التجار بالغش والاحتكار وكثرة حلف الأيمان الباطلة. عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس **من غش فليس مني**) [1]. وفي رواية أخرى قال ﷺ :**(ومن غشنا فليس منا)** [2].

(1) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (1 / 99) رقم 102.

(2) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (1 / 99) رقم 101.

وكذلك نجد الانحراف الاجتماعي في تطبيق الأخلاق من إيذاء الجيران وعدم الإحسان إليهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ)** [1].

ففي المقابل ذكر لرسول الله ﷺ أن امرأة ملتزمة بالأخلاق الإسلامية فلا تؤذي جيرانها فقال رسول الله ﷺ هي في الجنة مع قلة عبادتها.

عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله **(إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها غير أنها تؤذي بلسانها قال : في النار، قال : يا رسول الله إن فلانة ذكر من قلة صلاتها وصيامها وإنها تصدقت بأثوار أقط غير أنها لا تؤذي جيرانها قال : هي في الجنة)** [2].

وكذلك الانحراف في تطبيق الأخلاق الحسنة يكون بإحياء النعرات الجاهلية من الدعوة إلى القومية سواء كانت القومية الفارسية ، أو الطورانية ، أو الفرعونية ، والدعوة إلى التحزب والتعصب.

لذلك نجد الإسلام يرفض تلك النعرات ويدعوا إلى التمسك والتجمع والاعتصام قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: 103].

نخلص مما سبق : الواجب على كل مسلم أن يطبق الأخلاق الإسلامية في جميع مناحي الحياة ، لا أن تكون تلك الأخلاق شعار ينادى بها دون تطبيق قال تعالى:﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: 3].

---

(1) مسند أحمد (15 / 421) رقم 9675 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 345) رقم 2560 .

(2) صحيح ابن حبان : كتاب الحظر والإباحة ، باب الغيبة (13 / 76) رقم 5764. قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 345) رقم 2560.

2- **اختلاق أخلاق فاسدة ومحاولة إصباغها بالجمال:**

لا يزال أعداء الدين وخصوم الملة من أعداء الفضيلة وأنصار الرذيلة يقتنصون الفرصة تلو الفرصة لإفساد المجتمع، ونشر الانحلال الأخلاقي ، وذلك باختلاق أخلاق فاسدة وإصباغها بالجمال ، فهم يخططون ليلاً ونهاراً لتدمير المنظومة الأخلاقية للإسلام من خلال نشر الرذيلة والقيم المنحطة لتدمير المجتمع المسلم وتحويله إلى ما يشبه مجتمع البهائم ، كل ذلك لينسلخ المجتمع الإسلامي عن هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولتدمير المجتمع وهدمه من الداخل ليكون المسلم لا علاقة له من قريب أو من بعيد بهذا الدين إلا اللهم الاسم فقط ، فيحاولون تزيين تلك الأخلاق الفاسدة بأسماء براقة ، فتارةً يسمونها بالحرية الشخصية ، وتارة بالديمقراطية ومواكبة العصر ، وتارة أخري باسم الجمال والفن ، كل هذا وغيره من الأسماء لجذب المجتمعات الإسلامية لتلك الأخلاق الفاسدة واعتناقها والشعور بأنها من صميم الدين الإسلامي.

فمثلاً: يقوم أعداء الدين بالهجوم على الحجاب الذي هو رمز عفاف المرأة المسلمة ، وسلاحها ضد أمواج الفساد ، والدعوة إلى خلعه أو التساهل في لبسه كأن تخرج كاشفة نصف الرأس أو الخروج بحجاب لا يمت للشريعة الإسلامية لا من قريب أو من بعيد ، مع الدعوة إلى التزين بالزينة الفاضحة وخروجها من بيتها بدعوة إثبات المرأة لوجودها وكيانها.

نقول : أي شرع هذا الذي يبيح للمرأة أن تخرج متزينة متعطرة كاشفة عن مفاتنها أمام الرجال الأجانب بدعوى إصباغها بالجمال والحرية ، وهل إثبات وجودها وجدارتها بالثقة هي بثورتها على حجابها يتلاعبون بالعبارات والألفاظ ، لفتن الناس وصدهم عن أخلاقهم وأعراضهم.فقاموا بنشر الرذيلة والفاحشة بين المسلمين من خلال الأفلام الخليعة والمسلسلات الساقطة والمسرحيات الوضيعة والغناء الماجن، عن طريق القنوات الفضائية والشاشات العنكبوتية ، كالتعري والرقص بين الشباب والفتيات وأصبغوه بصبغة الفن والجمال.

وأقاموا مسابقات بين النساء للكشف عن مفاتنهن وسمي ذلك بمسابقات ملكات الجمال حيث تقوم المرآة بالتخلي عن عرضها وشرفها والتعري أمام الرجال وأنفقوا لذلك كثير من الأموال تحت شعار الفن والجمال ، فأي فن هذا وأي جمال هذا الذي يكشف عورة النساء فحسبنا الله ونعم الوكيل.

3- ربط الأخلاق بالأهواء والشهوات:

وضع الإسلام كثير من الأحكام والقوانين والتشريعات التي تنظم أخلاق المجتمع وتحميه من الوقوع في الانحراف ، فسد كل الطرق المؤدية للوقوع في الانحرافات فقد أمر الله بغض البصر وتجنب الخلوة ، وعدم إظهار ما يحرم إظهاره من زينة المرأة لغير المحارم. قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: 30 – 31].

وجعل الإسلام الزواج طريقاً لإشباع الغريزة الجنسية ، لتجنب الوقوع في الزنا ، والنظر للنساء بشهوة ، أو الخلوة بهن ، أو النظر للصور والمجلات والأفلام الهابطة. إلا أننا نجد أن من مظاهر الانحراف في الأخلاق ربط الأخلاق بالأهواء والشهوات ، والقانون الوضعي وعلى رأس من سلك هذا المسلك هم العلمانية ، فما وافق الأهواء والرغبات جعلوه خلقاً وتمسكوا به ، وما خالف رغباتهم وشهواتهم تركوه ونبذوه ، فقد نشروا الغناء الماجن والمجلات الهابطة تحت شعار التقدم والحضارة ، فأصدروا قوانين تمجد أهل الفن وتعتبرهم أهل القدوة ، وأصدروا قوانين في الجامعات والمدارس تدعوا إلى الاختلاط بين الطلاب الذكور والإناث وسموه بالصداقة ، بل وأخطر من ذلك منعهم للملتزمات بالزي الشرعي من الدراسة ، واعتبار الفن والموسيقى من العلوم الضرورية الواجب دراستها.

المطلب الخامس

الآثار المترتبة على الانحراف عن القيم والأخلاق في المجتمع

1- انتشار الجريمة والرذيلة في المجتمعات:

حث الإسلام على الفضيلة ، والدعوة لها ، ونهي عن الرذيلة ، وتجنبها ، لما يترتب عليه من إفساد المجتمع ، وتدميره من الداخل. ومن أخطر الآثار المترتبة على انحراف القيم والأخلاق ، انتشار الجريمة والرذيلة في المجتمع ، لأن صاحب الخلق السيئ يصدر منه كل ما يتوقع.عن أبي مَسْعُودٍ ﷺ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)** [1].

فعند انعدام الأخلاق أو ذهابها ينتشر الزنا ، والاختلاط ، واللواط ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وقذف المؤمنات المحصنات ، فانعدام الخلق ينشر كثير من الجرائم في المجتمعات لعدم وجود الوازع الديني.

فقد حرص الشرع كل الحرص على طهارة المجتمع من الجريمة ، ونظافته من القبائح ، والرذائل ، وعليه فقد نهي الإسلام عن بذاءة اللسان من سب ، وشتم ، وشهادة الزور ، والتجسس ، والغيبة ، والنميمة وكل ما يوقع العداوة والبغضاء ، ونهي عن الكذب ، والغش والتضليل في المعاملات [2].

2- تفكك المجتمع وعدم الاستقرار:

حث الإسلام على وحدة المجتمع ، وتماسكه لتحقيق الاستقرار سواء على صعيد الأفراد أو ، على صعيد المجتمعات . ونهى عن سوء الأخلاق لما ينتج عنه من تفكك المجتمع ، وعدم استقراره ، فكلما كانت الأخلاق محمودة قائمة على العقيدة الصحيحة ، ساد الاستقرار الاجتماعي ، وازداد المجتمع قوة وترابطاً ، وبقدر انحراف الأخلاق بقدر ما سار المجتمع نحو الاضطراب والتفكك. قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : 103].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار (4 / 177) رقم 3484.

(2) انظر: أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة: التاسعة ، 1420هـ / 1999م (ص 108).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد جعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين ، متراحمين ، متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف" [1].

فالناظر لنصوص القرآن والسنة ، يجد أن الإسلام ركز على وحدة المجتمع واستقراره ، ونهي عن كل ما يؤدي إلى عدم الاستقرار ، فمثلاً: حرم الله الخمر ، والميسر لما ينتج عنه من العداوة ، والبغضاء ، وتفكك النسيج الاجتماعي للمجتمع. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾ [المائدة : 91].

وقد حرم الله الكذب لما يترتب عليه من تفكك المجتمع ، والعيش وسط بيئة تفقد الأمن ، والاستقرار ، لذلك كان الكذب من أبغض الأشياء لرسول الله ﷺ .

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (**مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يحدث عِنْدَ النبي ﷺ بِالْكِذْبَةِ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً**) [2].

فمثلاً: فصاحب الغيبة والنميمة والحسد مؤديات إلى التباغض والضغائن بين الأفراد والأسر ، وقد يؤدي إلى التنازع والمشاجرات والخصومات.

وبناء على ما سبق يجب الأخذ على يد صاحب الخلق المذموم بقوة وعدم تركه يفعل ما يشاء، لحفظ أمن المجتمع واستقراره. عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ[3] ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ ، وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**) [4].

---

(1) مجموع الفتاوى (3 / 419).

(2) سنن الترمذي:كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الصدق والكذب (4 / 348) رقم 1973 ، قال الألباني:(صحيح) السلسلة الصحيحة – مختصرة (5 / 80) رقم 2052.

(3) سبق الترجمة له ص 115.

(4) صحيح البخاري:كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستفهام فيه (3 / 139) رقم 2493.

3- التعلق بالدنيا وطول الأمل وترك الآخرة:

التعلق بالدنيا وملذاتها والشعور بطول الأمل من الآثار المترتبة على انحراف الأخلاق عند العبد ، وهذا لا يعني ترك الدنيا ، والاشتغال بالآخرة ، بل يوازن بين الدنيا والآخرة ، فأصحاب الأخلاق المذمومة يتمسكون بالدنيا ، ويشعرون بطول الأمل ، ويتركون نعيم الآخرة . قال تعالى: ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الأعلى : 16 ، 17]. وقال تعالى: ﴿**وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾[يونس: 7].

من طال أمله تولد عنده الكسل عن الطاعات والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة ، ومن قصر أمله تنور قلبه ، وقل همه ، واجتهد في الطاعات (1).

قال تعالى: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر : 3].

يقول ابن القيم رحمه الله: "الفساد كله في اتباع الهوى ، وطول الأمل ، والصلاح كله في اتباع الهدى ، والاستعداد للقاء"(2).

4- التقليد الأعمى للغرب والتشبه بهم:

أشد الآثار المترتبة على انحراف الأخلاق اليوم في العصر الحديث التقليد الأعمى للغرب في المجتمع الإسلامي فأصبح المجتمع يقلد ويتشبه بالغرب في المأكل والمشرب والملبس وجميع مناحي الحياة ، بحجة مواكبة الحضارة. عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)** (3). وفي رواية عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(ليس منا من تشبه بغيرنا)** (4).

فمن تزين بزينتهم وتخلق بخلقهم وسار بهديهم سواء في أقوالهم أم أفعالهم في الظاهر ، أو الباطن فهو منهم.وقد يكون التشبه في عاداتهم في المأكل ، والمشرب ، والمسكن ونحوها (5).

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (11 / 237).

(2) الفوائد (1 / 112).

(3) سنن أبي داود: كتاب اللباس ، باب من لبس الشهرة (78/4) رقم 4033 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1110) رقم 11094.

(4) سنن الترمذي:كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام (5 / 56) رقم 2695 ، قال الألباني:(حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 957) رقم 9565.

(5) انظر: فيض القدير: للمناوي (6 / 135).

قال تعالى: ﴿ **وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ [التوبة : 47].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فمن المسلمين من يستجيب لهم في أقوالهم ، وأفعالهم ، ويتبعهم[1].

5- الانتحار:

خلق الله الإنسان وحثه على التمسك بدينه ، وحرم عيه الإضرار بالنفس ، ونهاه عن الانتحار. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء : 29].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بحديدة فحديدته فِي يَدِهِ يَجَأُ** [2] **بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا)** [3].

فالمجتمع الخلوق الملتزم بأمر الله مجتمع لا يظهر فيه الانتحار ، بخلاف المجتمع المنحرف أخلاقياً الذي ينتشر فيه الاختلاط ، والمجون ، والتبرج ، والزنا ، والمسكرات مجتمع يكثر فيه الانتحار ، فلو نظرنا إلى الغرب لوجدنا ارتفاع نسبة الانتحار مع وجود كل ما يلزم الجسد من ملذات .

فمن أعرض عن ذكر الله فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، وإن تنعم ، ولبس ما شاء ، وأكل ما شاء ، فإن قلبه لم يصل إلى الهدى فهو في حيرة وشك [4]. قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** ﴾ [طه : 124].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (28 / 194).

(2) يطعن ويضرب بها بطنه ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 313).

(3) صحيح البخاري: كتاب الطب ، باب شرب السم والدواء به وبما يُخاف منه والخبيث (7 / 139) رقم 5778.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (5 / 322 – 323).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج انحراف القيم والأخلاق

أولاً: محاسبة النفس ومجاهدتها .

خلق الله الإنسان في الدنيا ، وخلق معه غرائز وشهوات تشده إلى الانحراف ، وتميل به إلى التمسك بالدنيا. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [يوسف : 53]. وخلق له روحاً مطمأنة طيبه تشده إلى الآخرة ، وتدعوه إلى الفضيلة ، فهو يتردد بين الميل للدنيا ، والميل للآخرة . والإنسان بطبيعته يميل إلى الأهواء والشهوات ، فهو يخطئ وليست المشكلة في الخطأ ؛ بل المشكلة في التمسك به ، والاستمرار بالخطأ.

عن أنس بن مالك ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(كُلُّ بَنِي آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ)**[1].والواجب على المسلم محاسبة نفسه باستمرار على الأخطاء التي تقع منها لإصلاحها من سوء الأخلاق ، وإن مما يحفر المسلم على محاسبة نفسه أن الله يغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عباده. قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : 53].

عن أبي موسَى ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: **(إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها)** [2].

فمن لازم محاسبة نفسه عن أخطائه استقامت أحواله ، وصلحت أعماله ، ودلت على بقاء نعمة الإيمان [3].

1- أدلة محاسبة النفس:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الحشر : 18].

---

(1) سنن الترمذي:كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ ، باب 49 (4 / 659) رقم 2499 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 865) رقم 8644.

(2) صحيح مسلم:كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (4 / 2113) رقم 2759.

(3) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (11 / 105).

دلت الآية على وجوب محاسبة العبد لنفسه على ما قدم من الأعمال ليوم القيامة ، هل من الصالحات التي تنجيه ، أم من السيئات التي تعذبه [1].

قال تعالى: ﴿ **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[الحشر : 18].أي حاسبوا أنفسكم ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم القيامة [2].عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا**) [3]. فمن حاسب نفسه في الدنيا عرف خطأه

2- أنواع المحاسبة:

قسم ابن القيم رحمه الله أنواع المحاسبة إلى قسمين ، محاسبة قبل وقوع العمل ، ومحاسبة بعد وقوع العمل.

أ- محاسبة قبل وقوع العمل:

إذا هم الإنسان بفعل عمل من الأعمال ، يجب أن ينظر إليه قبل فعله ، هل هذا العمل خير أم شر ؟ فإذا كان تركه خيراً من فعله تركه ، وإن كان فعله خيراً ، نظر إليه ، هل عمله لوجه الله أم لجاه أو مال ومنصب ؟ وإن كان من أجل ذلك لم يفعله.

"ومحاسبة النفس تكون على ما سلف من الأعمال والندم والتوبة من الذنوب ، والحزن عليها"[4].

ب- محاسبة بعد وقوع العمل:

وقد قسم محاسبة النفس بعد العمل إلى ثلاثة أقسام وهي:

- محاسبة النفس على طاعة قصر فيها في حق الله.

---

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم (1 / 84).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 / 77).

(3) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ ، باب 25 (4 / 638) رقم 2459 ، قال الألباني: (موقوف) السلسلة الضعيفة (3 / 346) رقم 1201 .

(4) جامع العلوم والحكم: لابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1408هـ (1 / 249).

– محاسبة النفس على عمل كان تركه خيراً من فعله.

– محاسبة النفس على عمل مباح ، فيحاسب نفسه هل أراد به وجه الله والدار اللآخره ، أم أراد به الدنيا ؟ [1].

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله[2] : أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفوس فيما سلف من الأعمال ، وفيما يستقبل منها ، وأن يحاسب نفسه من ليل إلى ليل فإذا رأى من نفسه تقصيراً في يومه فليدركه بالتوبة والاستغفار، ومن وجد في أعماله ظلماً فليرجعها في وقتها [3].

عن ابْنِ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وإسرافِي في أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ،(**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي)** [4].

3– أركان محاسبة النفس:

قسم ابن القيم رحمه الله محاسبة النفس إلى ثلاثة أركان وهي:–

الركن الأول: تقايس بين نعمتك وجنايتك.

---

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 81– 82).

(2) الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء السلمي الدمشقي ثم المصري الشافعي ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ،برع في الفقه والأصول والعربية وفاق الأقران ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال الناس وآخذهم وبلغ رتبة الاجتهاد ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد ، رحل إلى بغداد ، ثم توجه إلى مصر فتلقاه صاحب مصر الصالح أيوب وأكرمه وفوض إليه قضاء مصر ، ثم عزل نفسه من القضاء وعزله السلطان من الخطابة فلزم بيته يشغل الناس ويدرسهم ، اجتنب الثناء على الملوك بل كان يدعو لهم ، كان يحرض الناس على الجهاد في سبيل الله ضد التتار توفي بمصر في جمادى الأولى من السنة ودفن بالقرافة ، ولما بلغ سلطان مصر خبر موته قال لم يستقر ملكي إلا الساعة انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب:لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، دار النشر ، دار الكتب العلمية (5 / 300- 301)

(3) انظر: مقاصد الرعاية لحقوق الله ، تحقيق: إياد خالد الطباع ، دار الفكر – دمشق ، 1416 هـ / 1995م (1 / 18).

(4) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت (8 / 84) رقم 6398.

يعني أن يقيس العبد بين ما من عند الله وبين ما عنده من تقصير حينئذ يعلم عظمة الله المتصف بصفات الكمال ، وأنه ليس لنا إلا رحمه الله وعفوه ، وحقيقة الإنسان المتصف بصفات النقص ، ثم تقايس بين الحسنات والسيئات ، أيهما أكثر وأرجح.

الركن الثاني: التمييز بين ما لك وما عليك.

إن تميز ما للحق عليك من وجوب الطاعة ، والعبودية ، والالتزام بكل طاعة ، واجتناب كل معصية ، فالذي له هو المباح الشرعي ، فلك حق وعليك حق ، لذلك يجب على العبد أن يميز ما له وما عليه ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

فكثير من الناس يخلط بين ما له وما عليه ، فمنهم من يجعل ما عليه من الحقوق في قسم ما له ، فيتخير أن يفعل أو يترك ، وهناك من يري ما له فعله من قسم ما عليه فعله ، أو تركه.

فمثلاً: من الناس من يتعبد ، ويتقرب إلى الله بترك مباح كترك الزواج ، أو الطعام ، والشراب ، ويعتقد بترك المباح يتقرب إلى الله ، ومنهم من يتعبد ويتقرب إلى الله ببدعة ويعتقد بوجوبها عليه.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: مجاهدة النفس ومحاسبتها وقهر الشهوة والهوى مأمور به الإنسان ، ولكن هناك من يلزم نفسه بأن لا يتزوج ، ولا يأكل ، ولا يشرب من المباحات ، فهذه الأشياء من الرهبانية التي ابتدعوها وقد نهانا الإسلام عن ذلك [1].عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ ﷺ [2] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّه)**[3].

الركن الثالث: معرفة الطاعات والمعاصي:

معرفة أن كل طاعة رضيها منه فهي عليك ، وأن كل معصية عيرت بها أخاك فهي عليك ، فرضي العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه ، وجهله بحقوق العبودية ، وعدم ما يستحق

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (14 / 460).

(2) فضالة بن عبيد بن نافد بن قيس الأوسي الأنصاري ، من السابقين في الإسلام ، لم يشهد بدر وشهد أحد وفتح مصر والشام ، من الذين بايعوا تحت الشجرة ، سكن الشام ولاه معاوية قاضياً علي دمشق ، مات في خلافة معاوية سنه تسع وستين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (5 / 371).

(3) صحيح ابن حبان: كتاب السير ، باب فرض الجهاد (11 / 5) رقم 4706 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1163) رقم 11625.

الله ، فجهل الإنسان بنفسه وعيوب عمله وجهله بربه ، يتولد عنده الرضي بطاعته ويتولد عن ذلك العجب والْكِبْر [1].

4- **فوائد المحاسبة:**

محاسبة الإنسان لنفسه العديد من الفوائد ومن هذه الفوائد:-

أ- التعرف على حقوق الله:

يقول ابن القيم رحمه الله: من فوائد المحاسبة التعرف على حقوق الله ، فمن لم يتعرف على حق الله فإن عبادته لا تنفع ، ولا تجدي [2].

ب- الاطلاع على عيوب النفس:

محاسبة الإنسان لنفسه يطلعه على عيوبها التي لا تظهر إلا بالمحاسبة فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فله أربع طرق وهي:

- يجلس بين يدي شيخ يجيد كشف عيوب النفس ، فيعرفه بعيوب نفسه ، وطرق علاجها.
- أن يكون له صديقٌ متدينٌ ملتزمٌ يكون رقيباً على نفسه لينبهه عن أفعاله وأقواله.
- أن يتعرف على عيوب نفسه من ألسنه أعدائه ، فإن عين السخط تبدي المساوئ ، ولعل الانتفاع بعدو يذّكر بالعيوب أكثر نفعاً من صديق مداهن يخفي العيوب.
- يخالط الناس فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم تجنبه [3].

يقول ابن القيم رحمه الله: محاسبة النفس لها عدة مصالح منها الإطلاع على عيوب النفس ، فمن لم يطلع على عيب نفسه لم يتمكن من إزالتها ، فإن اطلع عليها مقتها ، وتركها في ذات الله تعالى [4].

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 170 -175).

(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 84).

(3) انظر: مختصر منهاج القاصدين: لابن قدامة المقدسي ، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: السادسة ، 1421هـ / 2000م (ص 196 – 197).

(4) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 84).

ج- التوبة والندم والبعد عن المعاصي:

محاسبة الإنسان لنفسه يعرفه على أخطائه التي وقع بها في يومه ونهاره ، فيبادر للتوبة والندم على تلك المعاصي ويبتعد عنها. قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [الشورى : 25]. قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : 53].

فهذه الآيات – وغيرها الكثير – التي توضح وتبين أن الله يقبل التوبة عن عباده الذين وقعوا في الذنوب والمعاصي.

فبمحاسبة الإنسان لنفسه يعرف من أين تقصيره فيبادر إلي التوبة ، والإقبال على الله لينقذ نفسه من المهالك [1].

د- استقامة القلب وتزكية النفس والتخلص من أمراضهما:

من حاسب نفسه على كل ما صدر منها من تقصير فقد استقام قلبه ، وارتقت نفسه ، وتخلصت من شهواتها وملذاتها.

واستقامة القلب "أن يكون ممتلئا من تعظيم الله ، وحبه وحب طاعته ، وكراهة معصيته وغضبه" [2]. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ [الأحقاف : 13].

وإنما يستقيم القلب عندما تكون محبة الله تتقدم على جميع المحاب ، فلا يقدم حباً على حب الله ، وتعظيم لأمر الله ونهيه [3]. والنفس ، والقلب يمرضان كما تمرض الأجسام ، فتصاب النفس بأمراض العجب ، والكبر ، والحسد ، والحقد ، والشرك ، والرياء والنفاق وغير ذلك.

"وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش ، والظلم ، والشرك ، والكذب وغير ذلك" [4].

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (6 / 632).

(2) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة: الثانية ، 1423 هـ / 2002م (1 / 47).

(3) انظر: الوابل الصيب من الكلام الطيب: لابن القيم ، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1985م (1 / 15).

(4) مجموع الفتاوى: لابن تيمية (10 / 189).

أما بالنسبة لمجاهدة النفس:

يبرز دور العقيدة في علاج الانحراف عن القيم والأخلاق مجاهدة النفس ، لان الله خلق لعبادة روح تشده للتعلق والارتقاء للآخرة ، وخلق له جسد وملذات وشهوات تشده وتربطه إلى الدنيا ، لذلك يعد مجاهدة النفس أقوى وأشد من مجاهدة العدو ، لأن مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ومكابدة ترك الدنيا والإقبال على ربه خائفاً راجياً يحتاج لجهد ومشقه.

1- تعريف مجاهدة النفس.

" المجاهدة هي محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع"[1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: مجاهدة النفس تكون بقهر الأهواء والشهوات للنفس ، ولا شك أن الإنسان مأمور بقهر شهواته ، وأهوائه [2].

والمجاهدة لا تكون إلا في طاعة الله ، فمن جاهد نفسه فيما لا طاعة لله فيها فلا خير فيها [3].قال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المحسنين** ﴾[العنكبوت: 69]. فإن المجاهد في الله لا بد له من شيئين:

محبة الله وبغض عدوه ، ودفع ما يبغضه الله ، ليحصل ما يحبه الله بعلو كلمته ، وأن يكون الدين كله لله [4].

2- أدله المجاهدة من القرآن والسنة:

هناك الكثير من النصوص الواردة في القرآن والسنة تحث وترغب على مجاهدة الإنسان لنفسه. قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** ﴾ [الكهف : 28]. وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى** ﴾ [النازعات : 40].

---

(1) التعريفات: للجرجاني (1 / 260).
(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (14 / 460).
(3) المصدر السابق (22/ 315).
(4) انظر: جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس - (6 / 142).

يخاطب الله في الآية السابقة أن العبد المسلم من خاف الله ، وجاهد نفسه عن هواها ، وردها إلى طاعة الله [1].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، **(أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا)** [2].

3- مراتب مجاهدة النفس:

يقول ابن القيم رحمه الله: مجاهدة النفس أربع مراتب من استكملها كان من الربانيين ، وهذه المراتب هي:-

أ- مجاهدة النفس على تعلم الهدى ودين الحق ، فلا سعادة للإنسان في الدنيا والآخرة إلا بها.

ب- مجاهدة النفس على العمل بعد العلم ، فالعلم بلا عمل لم ينفع.

ج- مجاهدة النفس على الدعوة إلى الحق.

د- مجاهدة النفس على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الناس ويتحمل ذلك لله عز وجل [3].

ثانياً: الاستقامة لأمر الله:

أمر الله عباده المؤمنين بالاستقامة على طريق الله ، وأمر بتجنب الانحراف ، والاعوجاج ، واتباع منهج الشيطان.

والاستقامة لأمر الله من الطرق الفاعلة والناجحة لعلاج الانحراف عن القيم والأخلاق ، فالعبد المستجيب المستقيم لأمر الله من أصحاب الأخلاق المحمودة ، بخلاف من لا يستقيم لأمر الله فلا خلق له.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 / 318).

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، باب [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (6/ 135) رقم 4837.

(3) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 10).

والاستقامة بمنزلة الروح للبدن ، فإذا خلا البدن من الروح فهو ميت فكذلك الحال لمن خلا من الاستقامة [1].

1- تعريف الاستقامة:

أ- **الاستقامة في اللغة:**

الاستقامة ضد الانحراف والاعوجاج ، فالشئ المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه[2].

ب- **الاستقامة في الاصطلاح:**

"الاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين: وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد ، والاستقامة تتعلق بالأقوال ، والأفعال ، والأحوال والنيات" [3].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت : 30]. أي: استقاموا على طاعة الله ، وعبادته ، وأداء فرائضه [4].

والاستقامة تكون في الدين ، والتوحيد ، والأعمال الصالحة ، ولا تكون باللسان فقط كما يعتقد البعض [5].

2- أدله الاستقامة:

الناظر للكتاب والسنة يجد الكثير من النصوص التي تحث على الاستقامة لأمر الله ، أو حث الآخرين. قال تعالى:﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [هود : 112].

يأمر الله تعالي رسوله ﷺ ، وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة ، لأنها تحقق النصر ، وتبعد عن الطغيان [6].

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (2 / 106).
(2) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي (33 / 308) التعريفات: للجرجاني (1 / 37).
(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (2 / 105).
(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (21 / 465).
(5) انظر: تفسير الفخر الرازي: للرازي (1 / 3941).
(6) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4 / 354)

وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : 15]. وقال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : 6].

عن أبن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (**خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّاً فقَالَ :هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ تلا { إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**) [1].

فالمؤمن على طريق الاستقامة في الدنيا والآخرة ، في الدنيا سلامة الاعتقادات ، وفي الآخرة على الصراط المفضي للجنة [2].

وطريق الاستقامة طريق واحد لا يتعدد ولا يتغير، وهو الطريق الذي ارتضاه الله عز وجل وبينه الرسول ﷺ عن ربه ، وطرق الشيطان متعددة ، تهدف لصد المسلم عن سبيل الحق.

قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الأعراف : 16].

عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ [3] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله ،(**قُلْ لي في الإسْلامِ قَولاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بعدك. قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ، ثُمَّ استَقِمْ**) [4].

يقول ابن القيم رحمه الله:ولا تكون الاستقامة في الأقوال ، والأعمال ، والأحوال إلا بعد الثقة بصحة ما معه من العلم وأنه مقتبس من نور النبوة ، فمن لم يكن كذلك فلا استقامة له[5].

3- صفات أهل الاستقامة:

هناك العديد من الصفات التي اتصف بها أهل الصراط المستقيم عن غيرهم من العباد ومن هذه الصفات:-

---

(1) صحيح : سبق تخريجه ص 108.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 481).

(3) سفيان بن عبد الله الثقفي ، أبن عبد الله بن ربيعة ، له صحبه ، روى عنه عروه بن الزبير ، وابنة الحكم بن سفيان. انظر: تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن أبى حاتم التميمي الرازي ، انظر إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1271هـ / 1952م (4 / 218).

(4) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام (1 / 65) رقم 38 .

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 336).

- متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهم المطيعون لله وللرسول ﷺ بحسب الإمكان ، فينقادون لحكم الله ورسوله ﷺ ما استطاعوا، ولا يتركون ما أُمروا به لفعل غيره

- متوسطون في والتوحيد والصفات دون إفراط أو تفريط .

- لا يعاونون أحداً على معصية .

- لا يزيلون المنكر بما هو أنكر منه ، ولا يأمرون بالمعروف إلا بمعروف ، وهم وسط في عامة الأمور [1].

- سلكوا على الجادة ، ولم يلتفتوا إلى شيء من الخواطر والهواجس والإلهامات ، حتى يقوم عليها شاهدان [2].

- يوحدون الله ، ويعبدونه كما أمر الله عز وجل ، وبينه رسوله ﷺ من دون زيادة ولا نقصان ، فهم بعيدون عن الغلو والتشدد [3].

4- فضل الاستقامة:

للاستقامة العديد من الفضائل على العبد المسلم في الدنيا ، والآخرة منها:-

أ- استجابة الدعاء:

قال تعالى: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾ [الجن : 16]. أي: لو استقام هؤلاء حق الاستقامة لوسع الله عليهم باب الرزق [4].

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف : 96].

ب- تحقق سبيل السعادة:

قال تعالي: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [الأحقاف : 13].

---

(1) انظر: جامع المسائل: لابن تيمية – عزيز شمس – (3 / 90 – 91).
(2) انظر:إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم (1 / 124)
(3) انظر: الرد على البكري: لابن تيمية (2 / 585).
(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (23 / 662).

قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس : 62].

فأهل الاستقامة هم أسعد الناس في الدنيا لاستشعارهم حلاوة الإيمان ، ولتمسكهم بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ قولاً وعملاً.

عن أَنَسٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)** [1].

ج- الوعد بالأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت : 30].

ألا تخافوا مما أقبلتم عليه ، ولا تحزنوا مما فاتكم ، وابشروا بالجنة ونعيمها المقيم الدائم .

د- غفران الذنوب:

قال تعالى: ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** ﴾ [الفتح : 2]. فإن الذنب إذا لم يغفر أخذ الله المذنب فكبه في النار ، فهنيئاً لمن غفر ذنبه.

هـ- لا سلطان للشيطان عليهم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [الحجر : 42]. فخير نعيم الله على العبد أن يعصمه من الشيطان ، لأنه يوصل إلى المهلكات ، ويوقع في العذابات.

و- التمكين في الأرض:

قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور : 55].

---

(1) صحيح: سبق تخريجه 118 .

فقد وعد الله عبادة المؤمنين الاستخلاف والتمكين لهم في الأرض ، وإبدال المؤمنين خوفهم أمنا لما هم عليه من الاستقامة لله عز وجل.

ي- الحماية من الوقوع في الشرك والبدع:

الاستقامة لله عز وجل في الأقوال ، والأفعال ، تحمي العبد المؤمن من الوقوع في الشرك سواء الشرك الأكبر ، أو الأصغر ، فيكون متبع لسنته ﷺ مطبق لها بعيد عن البدع والضلال

ز- التحرر من العبودية لغير الله:

فأصحاب الاستقامة المتمسكون بكتاب الله ، وسنه رسوله ﷺ ، متحررون من رق العبودية لغير الله ، فهم لا يخافون إلا منه ، ولا يحتاجون إلا له ، ولا يتوكلون إلا عليه.

نخلص مما تقدم: أن الاستقامة لله ، ولرسوله ﷺ في الأقوال ، والأفعال ، والأحوال ، تحقق للعبد السعادة في الدنيا ، والآخرة ، ويكون مستجاب الدعاء ، مغفور الذنوب ، لا سلطان للشيطان عليه ، فهو بعيد عن الشرك ، والبدع .

ثالثاُ: العقوبات:

تلعب العقوبات في الشريعة الإسلامية دور فعال في علاج الإنحراف في مفهوم القيم والأخلاق ، فبتطبيق نظام العقوبات في الإسلام على كل من يرتكب تلك القاذورات والفواحش يجعل كل من تسول له نفسه من ارتكاب أي فاحشة من الفواحش يفكر تكراراً قبل فعل تلك الفواحش والأخلاق المخالفة للشرع ، فبتطبيق العقوبات يحقق الزجر لأصحاب من انحرفت قيمهم وأخلاقهم ، ولا يمكن في الغالب استئصال الانحرافات الأخلاقية في أي مجتمع ولكن يمكن إضعافها وتقليل نسبتها باتباع نظام صحيح يحقق الهدف من العقوبة وهو صيانة الأمن ، واستتباب النظام ، ومنع الفوضى وجعل احتمال الجريمة أمراً بعيد الحصول.

وتطبيق العقوبات يقوم على نظافة المجتمع وطهره وحمايته من ظاهرة الإجرام ، وإن تطبيق العقوبة في الإسلام أمر علني ليزجر الناس ، ويحاسبوا أنفسهم ، ويقدروا ما قد يقعون فيه من الحساب العسير والعقاب الصارم ، والوقاية خير من العلاج، وسد الذرائع المؤدية إلى الفساد أمر واجب ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

فقد تسول للبعض نفوسهم ارتكاب الجرائم فكان لا بد من إنزال العقاب بالمجرمين ؛ مصلحةً لهم ، ولاستقرار المجتمع ، وإشاعة الطمأنينة [1].

لذلك فقد شرع الله نظام العقوبات لمصلحةٍ ، وهي منع انتشار الجريمة ، والرذيلة ، ومحاربتها في المجتمع ، ومن هذه العقوبات: -

أ- عقوبة الخمر:

وحد شرب الخمر ثمانون جلده كما كانت في خلافة عمر ﷺ ، وضرب أبو بكر ﷺ شارب الخمر أربعين ، وكان على ﷺ يضرب أربعين وتارة ثمانين ، ومنهم من قال: الواجب أربعون والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة [2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ. قَالَ اضْرِبُوهُ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : **(فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ قَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ)** [3].

ب-عقوبة الزنا:

عقوبة الزنا للمحصن الرجم بالحجارة حتى الموت كما رجم الرسول ﷺ ماعز ﷺ والغادية وغيرهم من المسلمين [4] وعقوبة الزنا لغير المحصن الجلد مائة جلدة كما ورد في كتاب الله ويغرب عاماً بسنة رسوله ﷺ وإن كان بعض العلماء لا يرون وجوب التغريب [5]. قال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ [النور : 2].

ج- عقوبة السرقة:

عقوبة السرقة قطع اليد ، ولا يكون السارق سارقاً حتى يأخذ المال من حرزه[6] فأما المال الذي يكون في الصحراء وبلا حائط ، والماشية التي لا راعي لها فلا قطع بل يعزر [7].

---

(1) المصدر السابق (ص 282).
(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (28 / 336).
(3) صحيح البخاري: كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعال (8 / 158) رقم 6777.
(4) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (28 / 333).
(5) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية (1 / 133).
(6) المكان الذي يحفظ فيه المال أو المتاع ، انظر: المصباح المنير: للفيومي (1 / 129).
(7) انظر: دقائق التفسير: لابن تيمية (2 / 46).

قال تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا** ﴾ [المائدة : 38].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(تُقْطَعُ الْيَدُ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا)** [1].

د- عقوبة قاطع الطريق:

عقوبة قاطع الطريق القتل مع الصلب إذا قتل وأخذ المال ويقتل ولا يصلب إذا قتل ولم يأخذ المال وتقطع اليد والقدم إذا أخذ المال ولم يقتل ، وينفى من لم يقتل ولم يأخذ المال [2].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة : 33].

كل هذه العقوبات وغيرها من العقوبات ، ما فرضت إلا لحماية المجتمع وصيانته من الرذيلة.

رابعاً: سد باب ولوج المعاصي والفواحش:

قام الإسلام بسد باب الولوج في المعاصي والفواحش للقضاء على أي انحراف متوقع في القيم والأخلاق ، فكان إغلاق منافذ المعاصي والفواحش وقاية من الوقوع بها ، لذلك فمن فتحها أو سهلها وقع في الإثم والمعصية.

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه ، فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه وتثبيتا له ومنعا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم وإغراء للنفوس به" [3].

فمثلاً: حرم الله كل ما يؤدي إلى الحرام من المعاصي والفواحش فحرم الزنا وكل ما يؤدي إلى الوقوع فيه فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء :32].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الحدود ، باب قوله تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } (8 / 160) رقم 6789.

(2) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية ، دار المعرفة (1 / 105).

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين (3 / 135).

ولم يقول ولا تزنوا ، فكل ما يودي إلى الزنا حرام ، لذلك فقد سد الإسلام أبواب كثيرة لعدم الوقوع في فاحشة الزنا و في المقابل حث على أشياء لسد ومنع تلك المعصية منها:-

1- الحث على النكاح:

حث الإسلام على الزواج ونهي عن العزوبية لأن الزواج غض للبصر حفظ للفرج ، وسد باب الوقوع في الزنا. عن عَبْدُ اللَّهِ ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)** [1].

عن علي بن أبي طالب ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال له: **(يا علي ! ثلاث لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت لها كفوءا)** [2].

ولكن حرم الإسلام زواج المرأة نفسها بنفسها لما يترتب عليه من مفاسد فعَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ ، أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: **(لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بولي)** [3].

2- الاستئذان عند خول البيوت:

والاستئذان عند دخول البيوت المسكونة تمنع من وقوع النظر إلى ما في البيوت المحرم النظر إليها فقد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور : 27].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ:**لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)**[4].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، باب مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الْبَاءَةَ فَلْيَصُمْ (7 / 3) رقم 5066.

(2) سنن الترمذي: كتاب الجنائز ، باب ما جاء في تعجيل الجنازة (3 / 387) رقم 1075 ، قال الألباني: (حسن) مشكاة المصابيح (1 / 133) رقم 605.

(3) سنن أبى داود : كتاب النكاح ، باب في الولي (2 / 191) رقم 2087.قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 1352) رقم 13514.

(4) صحيح البخاري: كتاب الِاسْتِئْذَانِ ، باب الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ (8 / 54) رقم 6241.

3- التفريق في المضاجع:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في الْمَضَاجِعِ)** [1].

4- تحريم الاختلاط:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِك)** [2] وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(أَلاَ لاَ يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا ، أَوْ ذَا مَحْرَمٍ)** [3].

5- تحريم مصافحة النساء:

معقل بن يسار ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)** [4].

6- النهي عن الجلوس في الطرقات:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:**(إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ)**[5]

---

(1) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ، باب مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلاَمُ بِالصَّلاَةِ (1 / 185) رقم 495 ، قال الألباني(صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 748) رقم 7473.

(2) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، بَاب لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ عَلَى الْمُغِيبَةِ (7 / 37) رقم 5233.

(3)صحيح مسلم: كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (4 / 1710) رقم 2171.

(4) المعجم الكبير (20 / 211) رقم 486 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 918) رقم 9176.

(5) صحيح البخاري: كتاب فِي اللُّقَطَةِ، بَاب أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ (3 / 132) رقم 2465.

7- غض البصر:

وسبب الأمر بغض البصر هو سدّ الذرائع إلى الفساد ، ومنع الوصول إلى الإثم والذنب ، فإن النظر بريد الزنا . قال تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [النور : 30].

عن أبي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال : **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ)** [1].

8- عدم التبرج وإظهار الزينة:

قال تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ [الأحزاب : 33].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 31].

عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ)** [2].

9- عدم الخضوع في القول:

قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب : 32].ونخلص مما سبق أن العقيدة الإسلامية عالجت الانحراف في القيم والأخلاق عن طريق سد كل ما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والفواحش وذلك عن طريق الحث على الزواج الشرعي ،وتحريم الاختلاط ، والدخول على النساء بدون إذن والنظر إلى المحرمات ، والجلوس في الطرقات ، والتبرج وإظهار الزينة لغير المحارم.

(1)صحيح البخاري: كتاب الِاسْتِئْذَانِ ، بَاب زِنَا الْجَوَارِحِ دُونَ الْفَرْجِ (8 / 54) رقم 6243.

(2) مسند أحمد (32 / 523) رقم 19747 ، قال الألباني: (صحيح) الجامع الصغير وزيادته (1 / 33) 323.

خامساً: الوعيد الشديد على سوء الخلق:

يمكن علاج الانحراف في مفهوم القيم والأخلاق عن طريق بيان العذاب الشديد لصاحب سوء الخلق السيئ ، فبالوعيد يمكن أن يتخلص منها خوفاً من العقاب وما يترتب عليه ، ويترتب على سوء الخلق عذاب في الدنيا والآخرة فمن أهمها:-

1- ضعف الإيمان وزواله.

معلوم أن صاحب الأخلاق المحمودة قوي الإيمان ، بخلاف صاحب الأخلاق المذمومة الذي يعاقب في الدنيا بزوال الإيمان عنه أو ضعفه.

عَنِ ابْنِ عُمَر رضي الله عنهماَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ)** [1].لأن من نزع منه الحياء ، صدر منه كل فاحشة ، وفعل كل قبيح ولا يحجزه ولا يمنعه عن ذلك دين [2].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ)** [3].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا تخالط سيء الخلق فإنّه لا يدعو إلّا إلى شر [4].

2- **يحكم بأنه منافق:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر)** [5].

---

(1) شعب الإيمان (10 / 166) رقم 7331 ، قال الألباني(صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 3) رقم 2636.

(2) فيض القدير: للمناوي (3 / 569).

(3) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَاب إِثْمِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ (8 / 10) رقم 6016.

(4) انظر: مساوئ الأخلاق ومذمومها، للخرائطي ، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الرياض ، مكتبة الساعي – القاهرة ، مكتبة القرآن، 1989 م (ص 24).

(5) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَاب عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ (1 / 16) رقم 34.

3- فساد العمل وإبطاله:

يعاقب صاحب الخلق بفساد عمله وبطلانه ولو جاء بأعمال كالجبال ، فعن أبي هُريرةَ ﷺ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: **(أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ ؟ قالوا : المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع ، فَقَالَ : إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يَومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مالَ هَذَا ، وسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وهَذَا مِنْ حَسناتِهِ ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه قَبْلَ أنْ يُقضى مَا عَلَيهِ ، أُخِذَ منْ خَطَاياهُم فَطُرِحَتْ عَلَيهِ ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ ،)** [(1)].

4- دخوله جهنم وبعده عن الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: **(قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ)** [(2)].

"فالأخلاق السيئة هي السموم القاتلة ، والمهلكات الدامغة ، والمخازي الفاضحة ، والرذائل الواضحة ، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب ، وأسقام النفوس" [(3)].

سادساً: الترغيب والترهيب:

يبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج الانحراف في فهم القيم والأخلاق عن طريق الترغيب بمكانة الأخلاق الإسلامية ومنزلتها في الدنيا والآخرة وذلك إن صاحب الخلق ليثقل الميزان بحسن خلقه ، وليصل بخلقه لدرجه الصائم نهاراً ، القائم ليلاً ، وبيان قربه من الرسول ﷺ في الجنة كل هذا وغيره يرغب من انحرف مفهوم الأخلاق عنده إلى ترك تلك الانحرافات

---

(1) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (4 / 1997) رقم 2581.

(2) مسند أحمد (15 / 421) رقم 9675 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 345) رقم 2560.

(3) إحياء علوم الدين: للغزالي (3 / 49).

والتخلص منها ، وفي المقابل يبرز دور العقيدة في علاج الانحراف في القيم والأخلاق عن الترهيب والوعيد الذي يقع فيه صاحب الخلق المذموم وذلك من حبوط عمله ، وضعف الإيمان عنده ودخوله جهنم كما عرفنا فيما سبق في الوعيد الشديد على سوء الخلق.

المبحث الثالث
جنوح المجتمع نحو الفواحش

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كل من الجنوح والفاحشة.

المطلب الثاني: تحذير الإسلام من ارتكاب الفواحش.

المطلب الثالث:مظاهر الجنوح وصورها.

المطلب الرابع: عوامل انحراف المجتمع للفاحشة.

المطلب الخامس: آثار الفواحش في المجتمع المسلم.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج جنوح المجتمع نحو الفواحش.

المطلب الأول

تعريف كل من الجنوح والفاحشة

تعريف الجنوح في اللغة:

الجنوح: هو الميل ، يقال : جنح إليه ، وجنح له ، أي: مال إليه. فيقال: جنح الحيوان في سيره ، مال بعنقه إلى الأمام لشدة عدوه واندفاعه ، وجنحت السفينة ، أي: مالت ، ولزقت بالأرض فلم تمضِ [1]. "ويقال: أَقمت الشيء فاستقام ، واجْتَنَحْتُه أَي: أَمَلته فَجَنَحَ أَي مال" [2].

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنفال : 61].

إن مالوا إلى المسالمة ، وترك الحرب ، إما بالدخول في الإسلام ، أو إعطاء الجزية ، فمل إليها [3].

تعريف الجنوح في الاصطلاح:

الجنوح هو الميل عن جادة القصد [4].

تعريف الفاحشة في اللغة:

الفَحْشاءُ والفاحِشةُ: القبيحُ من القول والفعل ، وجمعها الفَواحِشُ ، وأَفْحَشَ عليه في المَنْطِق أَي: قال الفُحْش [5].

---

(1) انظر:المعجم الوسيط (1 / 139).

(2) لسان العرب: لابن منظور (2 / 428).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (14 / 40).

(4) لسان العرب: لابن منظور (2 / 428).

(5) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف : لمحمد عبد الرؤوف المناوي (1 / 255).

والفَحْشاءُ اسم الفاحشة ، هو كل شئ جاوز حده وقدره ، فهو فاحش ، ونقول: أفحش الرجل إذا قال قولاً فاحشاً. فكل أمر غير موافق للحق فهو فاحشة [1]

والمتفحش الذي يتكلف سَب الناس ، ويتعمده [2].

تعريف الفاحشة في الاصطلاح:

الفاحشة: هي ما ينفر عنه الطبع السليم ، ويستنقصه العقل المستقيم [3].

وعرفت الفاحشة بإنها: النشوز ، وسوء الخلق ، وسائر المعاصي [4].

وعرفها ابن حجر رحمه الله: "كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ، ويدخل في القول ، والفعل ، والصفة" [5].

ونخلص مما تقدم: الفاحشة ما تجاوز الحد من المعاصي سواء في الأقوال ، أو الأفعال ، أو الصفات ، وخالف الفطرة والعقل السليم.

---

(1) انظر: تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مراجعة: محمد على النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتوزيع والنشر – دار القومية العربية للطباعة ، 1384هـ / 1964م (4 / 188).

(2) انظر: لسان العرب: لابن منظور (6 / 325).

(3) انظر: تفسير البيضاوي: للبيضاوي (1 / 15).

(4) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: لأبى الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري ، تحقيق: مصطفي الخن – محي الدين مستو ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1401هـ / 1981م (1 / 184).

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري (10 / 453).

المطلب الثاني

تحذير الإسلام من ارتكاب الفواحش

حث الإسلام علي التمسك بالقيم ، والأخلاق الإسلامية الحسنة ، وجعل الثواب لمن اتصف بها في الدنيا والآخرة ، وحذر من ارتكاب الفواحش ، لما لها من الخطر على الأفراد والمجتمعات. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأنعام : 151].

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا** ﴾ [الأعراف : 33].

حرم الله الفواحش والقبائح من الأشياء ، سواء ما ظهر منها فكانت علانية ، وما كانت سراً في الخفاء [1]. وتوعد الله عز وجل لمن يشيع الفاحشة ، أو يحب أن تشاع بين المؤمنين بالعذاب الأليم ، لما لإشاعتها من التأثير السلبي على الأمة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور : 19].

وتوعد الله عز وجل لمن يحب أن تشيع الفاحشة بين الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ ، وأن تنتشر فيهم ، أن لهم عذاباً في الدنيا بالحد الذي فرضه الله ، وجهنم إن مات مُصراً من غير توبة [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: هذه الآية تذم من يحب أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين ، وإن كانت بالقلب فقط ، وقد ذم الله من يتكلم بالفاحشة ، أو يخبر بها محبة لوقوعها [3].

والواجب على المسلم أن لا يشرك المنافقين والكافرين في إشاعة الفواحش ، وأن لا يحدَّث الناس بكل ما يسمع ، خوفاً من نشر الفاحشة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)** [4].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (12 / 402).

(2) المصدر السابق (19 / 113).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (15 / 332).

(4) سنن أبى داود: كتاب العلم ، باب التشديد في الكذب (4 / 455) رقم 4994 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 861) رقم 8609.

ويزين الشيطان لأتباعه عند ارتكاب الفاحشة أن آبائهم فعلوها ، وأن الله أمرهم بها تقرباً إليه. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف : 28].

يقول ابن كثير رحمه الله: كانت العرب تطوف ببيت الله الحرام عراة رجالاً ، ونساءً ، فلا يطوفون في ثيابهم لاعتقادهم أنهم عصوا الله فيها ، مستندين في فعلهم على فعل آبائهم وأن آباءهم ما فعلوها إلا بأمر من الله تعالي [1].

لذلك يبطل الله هذا الافتراء الذي افتروه عليه بأنه أمر بإشاعة الفاحشة ، فإن الله عز وجل يكره الفواحش ولا يحبها ولا يأمر بها ، وإنما هي من الشيطان وأتباعه. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [النور : 21]. وقال تعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : 268].

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة ، والوعود الكاذبة ، وتفرح بها كما يفرح بها النساء والصبيان ، ويتحركون لها ، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان ، وتمنيته فإن الشيطان يمنى أصحابها الظفر بالحق وإدراكه ، ويعدهم الوصول إليه من غير طريقه ، فكل مبطل فله نصيب" [2].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ)** [3].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (3 / 402).

(2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 107).

(3) صحيح البخاري: كتاب النكاح ، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهي من افتخار الضرة (7 / 35) رقم 5220.

المطلب الثالث

مظاهر الجنوح وصورها

هناك العديد من مظاهر الجنوح نحو الفاحشة والتي لو انتشرت في أمة من الأمم لهلكت ، ومن أخطر هذه الفواحش التي حذر الله منها:-

1- فاحشة الزنا:

الزنا أبشع الفواحش ، وأخطرها ، لما فيها من اختلاط الأنساب وتدمير المجتمعات. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء : 32].حرم الله في هذه الآية الزنا ومقدماته ، من الاختلاط ، والتبرج ، والسفور ، ونظر الرجال للنساء ، ونظر النساء للرجال ، وخضوع المرأة بالقول للرجال. قال تعالى :﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾[الأحزاب : 32]. وكل ذلك يقرب من الزنا ، وقد نهانا الله عن اقترابه.عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية [1] فقال: يا أَيُّهَا الناسُ ، إني قُمتُ فيكم كَمقَامِ رسولِ الله ﷺ فينا قال: أُوصِيكُم بأصْحَابي ، ثُمَّ الذينَ يَلونَهم ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم يفْشُو الكذبُ حتى يَحْلِفَ الرَّجُلُ ، ولا يُسْتَحْلَفُ ، ويَشهدَ الشاهدُ ،(**ولا يُسْتَشهدُ ، أَلا لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا كانَ ثالثَهُمَا الشيطانُ**)، عليكم بالجماعةِ ، وإِيَّاكُم والفُرْقَةَ ، فَإِنَّ الشيطانَ مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعدُ مَنْ أَراد بُحْبُوحَةَ الجنة فليلزم الجماعةَ ، مَنْ سَرَّتْهُ حسنتُه ، وسَاءَتْه سَيِّئَتُه: فذلكم المؤمنُ) [2].

فقد حث الإسلام على العفة ، والفضيلة ، وحرم التبرج خوفاً من انتشار الفواحش ، وحلول الزنا ، فقد حرم كل الوسائل والأسباب والطرق المؤدية إلى فاحشة الزنا ، فحرم الله إبداء المرأة زينتها للرجال ، أو ضرب المرأة بالأرجل لتعلم ما تخفي من زينة ، أو الخضوع بالقول والاختلاط والخلوة بالرجال [3].

---

(1) قرية من قري دمشق بها تل يسمي الجابية ، انظر: آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار صادر – بيروت (ص 175)

(2) سنن الترمذي:كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة (4 / 465) رقم 2165 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 432) رقم 4311.

(3) انظر: حراسة الفضيلة: لبكر بن عبد الله أبو زيد ، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، الطبعة: السادسة ، 1421 هـ (ص 91 – 94).

قال ابن حجر رحمه الله: لقد عد العلماء الزنا من الكبائر ، وبعض الزنا أغلظ من بعض ، فالزنا بحليلة الجار ، أو بذات الرحم ، أو بأجنبية في شهر رمضان ، أو البلد الحرام ، فاحشة مشينة [1].

وعليه يجب على العبد المؤمن الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الزنا ، فقد رغب الرسول ﷺ في ذلك ، ومن حفظ شبابه من الزنا دخل الجنة. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"(**يا فتيانَ قُرَيْشٍ، لَا تَزْنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ سَلَّمَ اللهُ لَهُ شَبَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**) [2].

2- فاحشة اللواط:

قال تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ *إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ** ﴾ [الأعراف : 80-81] وقال تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت : 28]. وقال تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون** ﴾ [النمل : 54 ، 55].اللواط من أعظم المفاسد ، والفواحش فهو أعظم من فاحشة الزنا لأنها تخالف الفطرة السليمة، قد يكون الزنا سببه ميل الرجل للمرأة بدافع الشهوة ، لكن ميل الرجل لرجل يستحيل عقلاً وفطرةً ، وهو من الشذوذ الذي لا تفعله البهائم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: اللواط حرام بإجماع المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وأكثر المشركين لم يستحلوه ، إلا قوم لوط وبعض الزنادقة [3].

يقول ابن القيم رحمه الله:اللواط أعظم مفسدة من المفاسد بعد مفسدة الكفر ، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل [4]. فنكّر الله الفاحشة في الزنا فقال: { **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وساء سبيلا**} وعرفها في اللواط لان اللواط جامع لمعني اسم الفاحشة [5].

---

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (12 / 184).

(2) شعب الإيمان: البيهقي ، باب في تحريم الفروج وما يجب من التحفف عنها (4 / 353) رقم 5369 ، قال الألباني: (حسن) صحيح الترغيب والترهيب (309/2) رقم 2410.

(3) انظر: الاستقامة (1 / 61).

(4) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1 / 119).

(5) انظر: المصدر السابق (1 / 120).

واختلف الناس في عقوبة اللواط هل هو أغلظ عقوبة من الزنا ؟ أو الزنا أغلظ عقوبة منه ، أو عقوبتهما سواء ؟ على ثلاثة أقوال: فذهب بعضهم إلى أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزنا ، وعقوبته القتل على كل حال محصناً كان أو غير محصن ، ومنهم من قال: إن عقوبته كعقوبة الزنا ، ومنهم من مال إلى أن عقوبته دون عقوبة الزاني ، وهى التعزيز قالوا: لأنه معصية من المعاصي لم يقدر الله ، ولا رسوله فيها حدا [1]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ،أن رسول اللَّهِ ﷺ قال: **(مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ)** [2].

ويمكن القول بقتل من فعل فاحشة اللواط بقصد وإرادة منه ،أما إذا كان مجبراً أو مكرهاً فلا يقتل ، وكذلك إذا كان صغيراً غير مميز ولا بالغ فلا يقتل بل يعزر.

يقول ابن عثيمين رحمه الله: إتيان الذكر للذكر فيه القتل لمن كان بالغاً ، والتعزيز البليغ لغير البالغ [3].

واختلف الصحابة ﵃ في كيفية القتل فروى الصديق ﷺ أنه أمر بتحريقه ، وقال بعضهم: يُلقى عليه حجارة حتى يموت تحت الهدم ، ومنهم من قال: يرمي من أعلى جدار في القرية ، ويتبع بالحجارة تشبيهاً برجم قوم لوط [4].

3- فاحشة السحاق:

السحاق: هو لمس المرأة لأخرى ، والاحتكاك بها بشهوة ، وربما استعملت شيئاً كالآلة[5]. والسحاق محرم لما فيه من إشاعة الفاحشة بين النساء ومن مخالفة الفطرة. عن أَبي سعيد ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **(لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ ، وَلاَ المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَلاَ تُفْضي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ في الثَّوْبِ الواحِدِ)** [6].

---

(1) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1 / 118).

(2) سنن أبى داود: كتاب الحدود ، باب فيمن عمل قوم لوط (4 / 269) رقم 4464 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير(1 / 1145) رقم 11535.

(3) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (6 / 233).

(4) انظر: الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لابن تيمية (1 / 133).

(5) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: لابن عثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة: الأولى ، 1422-1428 هـ (14 / 314).

(6) صحيح مسلم: كتاب الحيض ، باب تحريم النظر إلى العورات (1 / 266) رقم 338.

في الحديث دليل على تحريم لمس المرأة لأخرى إذا لم يكن بينهما حائل ، وفيه دليل على تحريم لمس العورة بأي موضع من البدن كان ، وهذا متفق عليه ، وهذا مما تعم به البلوى ، ويتساهل فيه كثير من الناس باجتماع الناس في الحمام ، فيجب على الحاضر فيه أنْ يصون بصره ، ويده ، وغيرها عن عورة غيره ، وأن يصون عورته عن بصر غيره ، ويد غيره ، من قيِّم وغيره [1].

يقول ابن القيم رحمه الله: "وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان ، ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الإيلاج ، وإن أطلق عليهما اسم الزنا العام كزنا العين ، واليد" [2].

إتيان المرأة للمرأة لا يقام عليهن الحد لعدم وجود الإيلاج لكن الواجب فيه التعزيز [3].

والتعزيز من الأمور الاجتهادية ، فيما يراه الإمام ردعاً وأخذ به.

4- إتيان المرأة في دبرها أو في حيضها:

أباح الله للرجل إتيان زوجه ما شاء ، لكن حرم عليه إتيانها في الدبر ، أو وقت الحيض.

قال تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ [البقرة : 222 ، 223].

نهى الله الرجال عن جماع النساء ما دام الحيض موجوداً [4]، لما يترتب من أذي للزوجين ، وقد بين العلم الحديث عظم ذلك الأذى. عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)** [5].

---

(1) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (2 / 226).

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1 / 124).

(3) انظر: الحاوي في الفقه: لعلى بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ / 1994م (13/ 224).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 587).

(5) سنن الترمذي: أبواب الطهارة ، باب كراهية إتيان الحائض (1 / 242) رقم 135 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1089) رقم 10886.

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على حرمة إتيان المرأة وقت الحيض ، أو إتيانها في الدبر ، فقد ذكر الرسول ﷺ أن من فعل ذلك فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ ، وأنه ملعون مطرود من رحمة الله. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا)** [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: " وطء المرأة في دبرها حرام بالكتاب والسنة وهو قول جماهير السلف والخلف ، بل هو اللوطية الصغرى" [2].

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ [3] عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى يَعْنِي الرَّجُلَ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا)** [4] .

5- إتيان البهائم:

إتيان البهائم من أقبح أنواع الفواحش ، فمن أتى البهيمة فإنه لايتردد من فعل باقي أنواع الفواحش.

يقول ابن القيم رحمة الله: "لا شك أن الزاجر الطبعي من إتيان البهيمة ، أقوي من الزاجر الطبعي من التلوط" [5].

وحكم واطئ البهيمة للفقهاء فيه ثلاثة أقوال:

الأول: يؤدب ولا حد عليه.

والثاني: حكمه حكم الزاني يرجم إن كان متزوجاً ، ويجلد إن كان أعزب .

والثالث: حكمه حكم اللوطي. والذين استدلوا بقتله استدلوا بحديث ابن عباس ﷺ [6].

---

(1) سنن أبى داود:كتاب النكاح ، باب جامع النكاح (2 / 215) رقم 2164 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 10829) رقم 1083.

(2) مجموع الفتاوى (32 / 266).

(3) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو إبراهيم السلمي القرشي سمع أباه وسعيد ابن المسيب وغيرهما، انظر: التاريخ الكبير: للبخاري (6 / 342).

(4) مسند أحمد (11 / 309) رقم 6706 ، قال الألباني: (حسن) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (1 / 149).

(5) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي (1 / 124).

(6) انظر: المصدر السابق (1 / 124).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ أَتَى بَهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوهَا مَعه)** [1].

"وأما إتيان البهيمة فإن قلنا يوجب الحد لم يثبت إلا بأربعة ، وإن قلنا يوجب التعزيز كقول: أبي حنيفة ، والشافعي ، ومالك. ففيه وجهان:

أحدهما : لا يقبل فيه إلا أربعة لأنه فاحشه ، وإيلاج فرج في فرج محرم فأشبه بالزنا وهذا اختيار القاضي.

والثاني: لا يقبل فيه شاهدان لأنه لا يوجب الحد فيثبت بشاهدين كسائر الحقوق ، قال الشيخ في المغني وعلى قياس هذا فكل زنا لا يوجب الحد كوطء الأمة المشتركة وأمته المزدوجة وأشباه هذا ، وأما الوطء المحرم لعارض كوطء امرأته في الصيام والإحرام والحيض فإنه لا يوجب الحد ويكفي فيه شاهدان وكذلك وطؤها في دبرها " [2].

6- شرب الخمر:

حذر الله من شرب الخمر لما فيها من مضار فهي أم الخبائث ، وأكبر الكبائر ، ومفتاح كل شر ، وهي رأس كل فاحشة ، فمن شرب الخمر وقعت منه كل فاحشة ، فقد يزني بأقرب الناس إليه لأنه مغيب العقل ، وقد يقع في اللواط ، والخمر هو أشد الفواحش التي سبق ذكرها، ومن شرب الخمر وقع في جميع الفواحش السابقة ، فيوقع نفسه في السرقة ، والقتل، والزنا ، والانتحار ، وغيرها من الكبائر ، والفواحش.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال: **(الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وَخَالَتِهِ وَعَمَّتِهِ)** [3]. وعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما قَالَ: **(أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ لَا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ)** [4].

---

(1) سنن أبى داود: كتاب الحدود ، باب فيمن أتي بهيمة (4 / 271) رقم 4466 ، قال الألباني:(صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1089) رقم 10882.

(2) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: لابن القيم ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مطبعة المدني – القاهرة (1 / 242).

(3) المعجم الأوسط: باب من اسمه بكر (3 / 276) رقم 3134 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 566) رقم 5656 .

(4) سنن ابن ماجه: كتاب الأشربة ، باب الخمر مفتاح كل شر (2 / 1119) رقم 3317 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1330) رقم 13295.

عَنْ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ **وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ)** [1].

فقد حرم الله شرب الخمر لأنها مفتاح كل شر ، ورأس كل فاحشة ، وقد يعتقد البعض ، أن شرب الخمر هو الحرام ، أما التجارة بها فهو جائز ، وهذا المسكين لم يسمع الحديث الذي يرويه ابن عباس ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَبَائِعَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَمُسْقِيَهَا)** [2].

ومفاسد الخمر كثيرة منها:-

يقول ابن تيمية رحمه الله: الخمر هي داء ومرض للقلب ومفسدة له وللبدن والعقل [3].

"وهي أم الخبائث فلا يجوز لمسلم تعاطيها لما يترتب عليها من الأضرار الدينية ، والدنيوية والبدنية ، والنفسية ، والاجتماعية" [4].

عقوبات شارب الخمر:-

1- زوال الإيمان عند شربها:

عن أَبُي هُرَيْرَةَ ﷺ ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** [5].

---

(1) مسند أحمد (36 / 392) رقم 22075 ، قال الألباني: (صحيح لغيرة) صحيح الترغيب والترهيب (1 / 138) رقم 570.

(2) شعب الإيمان: البيهقي ، باب المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنها (7 / 405) رقم 5196 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 8) رقم 72.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (21 / 569).

(4) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى –اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (6 / 36).

(5) صحيح البخاري: كتاب اللقطة ، باب إياك نعبد وإياك نستعين (8 / 157) رقم 6772.

2- لا تقبل صلاة له أربعين يوماً:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ، فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً**) [1].

3- حرم عليه دخول الجنة:

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْعَاقُّ وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ**) [2].

4- المسخ قردة وخنازير:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ [3] ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (**لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، وَيُضْرَبُ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْمَعَازِفُ ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ**) [4].

5- الحرمان من شربها يوم القيامة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ**) [5].

---

(1) سنن الدارقطني: للدارقطني ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – حسين عبد المنعم شلبي – عبد اللطيف حرز الله – أحمد برهوم ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1424هـ / 2004م كتاب الأشربة ، (5 / 443) رقم 4610 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 566) رقم 5655.

(2) مسند أحمد (9 / 272) رقم 5372 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 537) رقم 5363.

(3) سكن الشام ، قدم من اليمن إلي رسول الله ﷺ على سفينة قال: ابن حجر له صحبه ، وقال: ابن حبان زعموا أن له صحبه وليس ذلك بصحيح عندي ، مات سنة ثمان وسبعين ، انظر:الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 351) الثقات: لابن حبان (5 / 78).

(4) شعب الإيمان: للبيهقي ، باب ما ينبغي للمرء المسلم أن يحفظ لسانه عن الغناء (7 / 117) رقم 4759 ، قال الألباني: (صحيح) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (1 / 228) رقم 402.

(5) صحيح البخاري: كتاب الأشربة ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (7 / 104) رقم 5575.

وخمر الآخرة ليس كخمر الدنيا ، قال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ [محمد : 15].أي: لا يصيبهم صداع ودوار وقيئ ولا تغيب عقولهم عنهم ، بل هي لذة للشاربين.

المطلب الرابع

عوامل انحراف المجتمع للفاحشة

هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى انحراف الشباب للفاحشة ، إذا اجتمعت في مجتمع من المجتمعات أصابها الهلاك والدمار ، والعوامل قد تجتمع جميعها في مجتمع واحد ، فتكون الفواحش أعظم وأخطر من مجتمع توفر فيه عامل من العوامل.

ومن هذه العوامل:-

1- إطلاق العنان للشهوات دون قيود:

خلق الله للإنسان العديد من الشهوات يستعين بها على قضاء مصالحه ، ومن هذه الشهوات شهوة البطن ، وشهوة الفرج ، وغيرهما من الشهوات ، لكن لا يجوز للمسلم إطلاق العنان لشهواته وغرائزه وكأنه ما خلق في الدنيا إلا لإشباع شهواته فينجر وراءها فيقع في الفواحش.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "إن الله خلق فينا الشهوات واللذات ، لنستعين بها على كمال مصالحنا ، فخلق فينا شهوة الأكل ، واللذة به ، فإن ذلك في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا ، وكذلك شهوة النكاح واللذة به هو في نفسه وربه يحصل بقاء النسل فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا كان ذلك سعادة لنا في الدنيا والآخرة وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حظره علينا بأكل الخبائث في نفسها ، أو كسبها كالمظالم ، أو بالإسراف فيها ، أو تعدينا أزواجنا وما ملكت أيماننا ، كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته" [(1)]. فالانجرار وراء الشهوات دون ضوابط ، ولا قيود لها آثار على الإنسان من دمار ، وهلاك.

يقول ابن القيم رحمه الله : "الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة: فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تثلم [(2)] عَرَضَاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تُذهب مالاً بقاؤه خير من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً ، وجاهاً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألذ

(1) الاستقامة (1 / 341 – 342).

(2) موضع الكسر، يقال: في الإناء ثلم إذا انكسر من شفته ، انظر: لسان العرب: لابن منظور(12 / 78).

، وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علماً ذِكْرُه ألذُ من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدواً ، وتحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول"[1].

2- مجالسة أصحاب السوء ومصاحبتهم:

من العوامل المؤثرة على انحراف الشباب للفاحشة مصاحبة أصحاب السوء ومجالستهم ، لذلك حث الرسول ﷺ على مصاحبة الصالحين ، ومجالستهم لما فيهم الخير في الدنيا والآخرة ، فإن أكثر ما يؤثر على الشاب صديقه ، فإن كان الصديق سيئاً أثّر على صديقه وانجّر خلفه للفاحشة والمنكر. قال تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف : 67]. عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شيء أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكِيرِ**[2] **إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ)**[3].

3- الاختلاط والمجون بين الشباب:

حرم الله الاختلاط بين الرجال والنساء ، لما يترتب عليه من نشر وإشاعة الفواحش والرذائل.

يقول ابن القيم رحمه الله: لا شك أن اختلاط الرجال بالنساء أصل كل شر وبليّة ، وهي من أسباب فساد أمور العامة والخاصة وهي سبب لكثرة الفواحش ، والزنا [4].

ويقول ابن باز رحمه الله: "الدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي ، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنا الذي يفتك بالمجتمع ، ويهدم قيمه وأخلاقه" [5].

---

(1) الفوائد (1 / 139).

(2) الزق الذي ينفخ فيه النار ، أو جلد غليظ ذو حافات ، تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (14 / 83).

(3) صحيح البخاري : كتاب الذبح والصيد ، باب المسك (7 / 96) رقم 5534.

(4) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (1 / 407).

(5) مجموع فتاوى ابن باز (1 / 419).

ونقصد بالاختلاط المحرم هو الاختلاط المؤدي للفاحشة ، أما الاختلاط المضبوط بضوابط الشرع فلا يقع في الحرام

ضوابط وشروط الاختلاط :

هناك العديد من ضوابط الاختلاط إذا اختل ضابط من الضوابط كان الاختلاط محرم يوقع صاحبه في المعاصي ومن هذه الضوابط: -

أ- **البعد عن التبرج وإظهار الزينة:**

الاختلاط الذي يخلو من تبرج المرأة وكشف مالا يجوز لها كشفه لا يحرم ، وما كان عكس ذلك وقع في الحرمة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ** وهذه الآية تأمر بالحجاب عند الاختلاط ، وكذلك البعد عن كل زينة محرمة كالإستعطار .عن أبي موسى ﷺ : عن النبي ﷺ قال: **(المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية)** [1] وكذلك والالتزام باللباس الساتر الذي لا يكون زينة في نفسه ولا يصف ولا يشف.

ب- **البعد عن الخلوة:**

أن لا يكون مع خلوة فان كان مع خلوة بأن كان رجل وامرأة في مكان لا يراهما فيه أحد حرم الاختلاط ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب يقول:**(لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وأني اكتتبت)** [2].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)** [3].

---

(1) سنن الترمذي : كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة (5 / 106) رقم2786 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 867) رقم 8669 .

(2) صحيح مسلم : كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (ج 2 / ص 978) رقم 1341.

(3) مسند أحمد (23 / 19) رقم 14651، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 432) رقم 4311.

ج- البعد عن الخضوع بالقول:

قال تعالى:﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا** [الأحزاب:32].

د - البعد عن النظر المحرم:

قال تعالى: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** [النور: 30 – 31] . عن علي بن أبي طالب ﷺ ،أن رسول الله ﷺ قال له : **(يا علي إن لك كنزا وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)** [1].

هـ- أن يخلو من تلاصق الأجسام عند الاجتماع:

عن أَبِى أُسَيْدٍ الأنصاري عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ **(اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ)** [2].

وكذلك لا يجوز مصافحة الرجل للمرآة الأجنبية ، فعن أميمة بنت رقيقة : أنها قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبايعنه فقلن : نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺ : (فيما استطعتن وأطقتن قالت: فقلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم

(1) صحيح ابن حبان :كتاب الحظر والإباحة ، باب ذكر الزجر عن إتباع المرء النظرة النظرة إذ استعمالها يزرع في القلب الأماني (12 / 381) رقم 5570 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1392) رقم 13913.

(2) سنن أبى داود: كتاب الأدب ، باب في مَشْيِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ في الطَّرِيقِ. (4 / 543) رقم 5274 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 94) رقم 931.

نبايعك يا رسول الله فقال رسول ﷺ : **(إني لا أصافح النساء إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة)** [(1)].

و- أن يكون للضرورة تقتضي ذلك:

الاختلاط لإجراء المعاملات الشرعية ، أو لغرض تحمل الشهادة ، أو للقيام بأعمال الجهاد ، ولغرض خدمة الضيوف وغير ذلك.

يقول الإمام النووي رحمه الله: ويستثني من الاختلاط والخلوة ما كان في موضع الضرورة كأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك فيباح له استصحابها بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها وهذا لا اختلاف فيه [(2)].

ي- أن يخلو من إزالة الحواجز بين الجنسين حتى يتجاوز الأمر حدود الأدب ويدخل في اللهو والعبث كالاختلاط الذي يحدث في الأعراس.

4- إهمال نظام العقوبات في الإسلام:

شرع الله العقوبات في الإسلام لحكمة جليلة وهي: منع انتشار الفواحش ، وردع من تسول له نفسه فعل الفاحشة أو نشرها ، وإن غياب تطبيق العقوبات من أكبر الدوافع التي تجعل ضعاف النفوس يتشجعون لممارسة الفواحش ونشرها.

يقول ابن تيمية رحمه الله: شرع الله العقوبات في الدنيا حتى يمنع الفساد والعدوان [(3)] .

فمثلاً شرع الله عقوبة للزاني غير المحصن بهدف منع الفاحشة ، وردع ضعاف النفوس ، ولو نظرنا إلى الآية الشريفة لوجدنا أن العقوبات جاءت متنوعة ، عقوبة بدنية وهي الجلد مئة جلدة ، وعقوبة نفسيه وهي الجلد أمام الناس ، والاستمرار في الجلد بعدم الرأفة، كل ذلك لحفظ المجتمع من فاحشة الزنا. قال تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ**

(1) صحيح ابن حبان : كتاب السير، باب بيعة الأئمة وما يستحب لهم (10 / 417) رقم 4553 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 428) رقم 4278.

(2) انظر: شرح النووي على مسلم (9 / 109).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (20 / 101).

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : 2].لكن لو نظرنا اليوم إلى حال المسلمين لوجدنا انتشار الفواحش بسبب إهمال تلك العقوبات.

5- ضعف التربية والأخلاق الحسنة:

حث الإسلام على تربية الأبناء منذ الصغر على التربية الإسلامية الحسنة القائمة على الكتاب والسنة ، وأمر بتجنيبهم كل ما يؤدي للفاحشة ، وانعدام الخلق.

يقول ابن القيم رحمه الله: "يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء ، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه " [1].

(1) تحفة المودود بأحكام المولود ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق ، الطبعة: الأولى ، 1391هـ / 1971م (1 / 240).

المطلب الخامس

آثار الفواحش في المجتمع المسلم

1- **انتشار الأمراض الخطيرة:**

من الآثار الخطيرة على الفرد والمجتمع انتشار الأمراض الكثيرة التي لم تكن موجودة من قبل ، والتي تنتج عن ارتكاب الفواحش.

عَنِ ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا وَقَعَتْ فِيكُمْ خَمْسٌ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تَكُونَ فِيكُمْ أَوْ تُدْرِكُوهُنَّ: **(مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ يُعْمَلُ بِهَا فِيهِمْ عَلَانِيَةً، إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ)**، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَمَا بَخَسَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمئونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا حَكَمَ أُمَرَاؤُهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ واسْتَنْقَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا عَطَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بِأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ [(1)].

فالحديث يدل دلالة واضحة ، أن انتشار الأمراض والأوجاع ، التي لم تكن من قبل تكون بسبب ارتكاب الفواحش من زنا ، ولواط ، وشرب الخمر ، وغير ذلك من الفواحش.

فمثلاً: فاحشة الزنا ، واللواط ، وإتيان المرأة في حيضها ، يسبب العديد من الأمراض الفتاكة ومن أخطر هذه الأمراض: مرض الايدز القاتل الذي لا يمكن علاجه حتى الآن ، وهو من الأمراض المعدية الذي يتم نقله عن طريق الاتصال الجنسي ، وكذلك مرض الكبد الفيروسي ، ومرض السيلان، وأمراض التهابات الشرج الجرثومية ، ناهيك عن أمراض الخوف ، والاضطراب وانعدام الثقة بالنفس ، وضعف الشخصية ، وغيرها الكثير من الأمراض.

"الزنا سبب مباشر في انتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالأبدان ، وتنقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء ، وأبناء الأبناء" [(2)].

---

(1) شعب الإيمان: باب التشديد على منع زكاة المال قال تعالي:{ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (5 / 23) رقم 3043 ، قال الألباني: (صحيح لغيرة) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 256) رقم 2187.

(2) فقه السنة: لسيد سابق ، الفتح للإعلام العربي – القاهرة (3 / 257).

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : 222].

فقد نهى رب العالمين عن جماع الزوجة وقت الحيض ، لما فيه من القذارة والنجاسة والأمراض ، فهو جامع لمعان الأذى [1].

وأما أمراض الخمر فكثيرة منها إفساد جهاز الهضم ، وفقدان شهوة الطعام ، واتساع البطن ، وتشمع الكبد ، وجحوظ العينين ، وتصلب الشرايين ، وتعجيل الشيخوخة ، وضعف النسل [2]

2- اختلاط الأنساب:

حرم الله الفواحش لما ينتج عنها من اختلاط الأنساب ، فقد حرم الله شرب الخمر ، وهو أم الفواحش لما يترتب عليه من الوقوع في الزنا ، وقد حرم الله الزنا لما يترتب من اختلاط الأنساب. يقول ابن القيم رحمه الله:من مفاسد الزنا اختلاط الأنساب،وإفساد المرأة ، وتعرضها للتلف [3].

3- غياب الأمن ونشر الرعب والخوف والبغضاء بين أفراد المجتمع:

حث الإسلام على تحقيق الأمن ونشره بين أفراد المجتمع ، ونهى عن نشر الرعب والخوف لما له الأثر البالغ على المجتمع.

فشيوع الزنا واللواط بين أفراد المجتمع يُفقد المجتمع أمنه ، واستقراره ، وينشر العداوة والبغضاء. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ﴾ [المائدة : 91].

4- سفك الدماء وانتهاك محارم الله:

حرم الله سفك الدماء وانتهاك محارمه ، فقد أمر بحمايتها وصيانتها ، خوفاً من الوقوع في الفواحش والرذائل ، فقد كان الرسول ﷺ يغضب إذا انتهكت محارم الله.

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (4 / 374).

(2) انظر: تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م (8 / 277 – 278).

(3) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (1 / 113).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً ، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إِلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى**)[1] .

الحديث يدل دلالة واضحة على منع الاقتراب من محارم الله ، وأن رسول الله ﷺ لم يغضب ، قط إلا إذا انتهكت محارم الله.

وحقيقة الأمر أن أصحاب الفواحش لا يراعون حرمة لمحارم الله ، فهم يسفكون الدماء وينتهكون الأعراض ، ويفسدون في الأرض.

5- تمزق وحدة الأمة وتفكك الأسر:

حث الإسلام على وحدة الأمة وتماسكها ، ونهي عن التفرق والاختلاف ، ولا شك أن الوحدة تكون بالترابط بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران/105].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)[2].

ولكن لو نظرنا إلى المجتمعات التي تنتشر بها الفواحش لوجدنا تفكك الأسر وضياع أفرادها ، وانتشار الخيانات الزوجية، وكثرة أبناء الزنا والترويج للشذوذ الجنسي ، انتشار جرائم الأطفال وفسادهم ، وضعف الروابط بين الأقارب والأرحام ، والتركيز على الجانب المصلحي في الحياة بين الناس.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته(4 / 1814) رقم 2328.

(2) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4 / 1999) رقم 2585.

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج جنوح المجتمع نحو الفواحش

أولاً: دور العقيدة في علاج المجتمع نحو الفواحش قبل حدوثها.

1- غرس القيم والأخلاق في النفس والمجتمع:

غرس القيم والأخلاق الصحيحة في نفوس الناس من أهم الوسائل التي من خلالها يمكن القضاء على الفواحش والرذائل ، ويزيل كل ما يعارضها ، أو يناقضها من ألوان الانحرافات ، بل ومن ألوان التعلق بالدنيا وشهواتها.

فالقيم والأخلاق الصحيحة تبني الشخصية الإسلامية من جميع الجوانب سواء كانت النفسية والروحية والعقلية والجسدية بما يتناسب مع طبيعتها وفطرتها، لأن الأخلاق تقوم على أن يكون الإنسان مراقب لأعماله وأفعاله وكل سكنه من سكناته ، فهي حامية للمسلم من الوقوع في الفواحش ، فمن وصل إلى هذه المرتبة فقد وصل إلى مرتبة الإحسان الذي قال عنه الرسول ﷺ :**(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)** [1]. "فصاحب هذا المقام كأنه يرى ربه سبحانه فوق سماواته على عرشه مطلعا على عباده ناظرا إليهم يسمع كلامهم ويرى ظواهرهم وبواطنهم ، وكأنه يسمعه وهو يتكلم بالوحي ويكلم به عبده جبريل ويأمره وينهاه بما يريد ويدبر أمر المملكة وأملاكه صاعدة إليه بالأمر نازلة من عنده به ، وكأنه يشاهده وهو يرضى ويغضب ويحب ويبغض ويعطي ويمنع ويضحك ويفرح ويثني على أوليائه بين ملائكته ويذم أعداءه" [2].

وهناك العديد من الوسائل لغرس القيم والأخلاق في النفس والمجتمع منها ضرب الأمثلة:

فاهتمت الشريعة الإسلامية بضرب الأمثال في غرس القيم والأخلاق في نفوس أبناء الأمة ، لأن الأمثال تبرز المعقول في صورة محسوسة يلمسه الناس فيتقبله العقل ، ولأن المعاني لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ (1 / 19) رقم 50.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (3 / 153- 154).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ ،عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا**) [(1)].

وعن طريق الموعظة والنصح ، والقدوة الحسنة ، وأسلوب الممارسة والعمل وذلك عن طريق السؤال والحوار والمناقشة أو عن طريق سرد قصة مؤثرة معبرة .

2- بيان أثر الفواحش في النفس والمجتمع:

تبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج جنوح الشباب نحو الفواحش عن طريق بيان أثرها على النفس والمجتمع وذلك ببيان خطرها في تفكك النسيج الاجتماعي ، وسفك الدماء ، وتمزيق وحدة الأمة ، وغياب الأمن والاستقرار ، مع نشر الأمراض الخطيرة في من يرتكبها[(2)].

3- الوعيد الشديد لمن اقترفها:

توعد الله عز وجل من اقترف شيء من هذه القاذورات بالوعيد الشديد في الدنيا والآخرة ، فيعاقب من ارتكب فاحشة من الفواحش بما يناسبها من العقوبات ، فعن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ**) [(3)].

لذلك تعالج العقيدة الإسلامية هذا الموضوع عن طريق بيان الوعيد الشديد لمن اقترف شيء من تلك الفواحش لزجره ومنعه من ارتكابها.

ومن أمثلة ذلك: توعد الله لمن أقترف فاحشة الزنا بعده عقوبات شديدة ، فقد توعد بالرجم للمحصن ، وأما غير المحصن توعده بثلاث في الدنيا وهي:-

1- العقوبة البدنية: الجلد مائة جلدة.

2- العقوبة النفسية: وهي الجلد أمام الناس علانية.

---

(1) صحيح البخاري:كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ،بَاب فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ (6 / 190) رقم 5020.

(2) وللإستزاده عن الموضوع يمكن الرجوع للمطلب الرابع من هذا الفصل.

(3) موطأ مالك: كتاب الحدود ، بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَا (5 / 1205) رقم 3048 ، قال الألباني: (صحيح لغيره) صحيح الترغيب والترهيب (2 / 305) رقم 2395.

3- الإستمرر في الجلد وعدم الرأفة.

قال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور : 2].وقد توعد الله بوعيد شديد في الآخرة لمن مات من غير توبة بعدم النظر إليه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :**(لا ينظر الله يوم القيامة إلى الشيخ الزاني، ولا إلى العجوز الزانية)** [(1)].وكذلك جعل الوعيد الشديد لمن شرب الخمر في الدنيا بالجلد ، وحد شرب الخمر ثمانون جلده كما كانت في خلافة عمر ﷺ ، وضرب أبو بكر ﷺ شارب الخمر أربعين ، وكان على ﷺ يضرب أربعين وتارة ثمانين ، ومنهم من قال: الواجب أربعون والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة [(2)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ. قَالَ اضْرِبُوهُ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : **(فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ قَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ)** [(3)].

وفي الآخرة الوعيد الشديد بحرمانه من دخول الجنة ،فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْعَاقُّ وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ)** [(4)].

ثانياً: دور العقيدة في علاج جنوح المجتمع نحو الفواحش بعد وقوعها.

1- التوبة :

خلق الله آدم ، وأمر الملائكة بالسجود له تكريماً وتشريفاً واستجابة لأمر الله عز وجل فسجد الملائكة أجمعين إلا إبليس رفض واستكبر.

---

(1) المعجم الأوسط (8 / 202) رقم 8401 ، قال الألباني: (الصحيحة) السلسلة الصحيحة - مختصرة - (9 / 155) رقم 3374.

(2) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (28 / 336).

(3) صحيح البخاري: كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعال (8 / 158) رقم 6777.

(4) مسند أحمد (9 / 272) رقم 5372 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 537) رقم 5363.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا*قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا**﴾[الإسراء:61 – 63].

يذكر الله عز وجل عداوة إبليس مع آدم عليه السلام ، وذريته ، إنها عداوة قديمة عندما أمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس أبى ، واستكبر فقال: لئن أنظرتني لأضلن ذريته إلا قليلاً منهم [1].

فبدأ الصراع بين آدم وذريته ، وبين إبليس ، فقعد إبليس لآدم وذريته للإغواء والتزيين ليوقعهم في شباكه ، وصدهم عن الصراط المستقيم ، فوسوس لآدم وحواء فأكلا من الشجرة التي نهى الله عن الاقتراب منها.قال تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : 35 – 37].دلت الآية دلالة واضحة أن الشيطان أخرج آدم وحواء من الجنة ، وسبب لهما الخطيئة التي عاقبهما عليها بالخروج من الجنة ، لكن آدم تاب من تلك الخطيئة فتاب الله عليه.فإن الإنسان بطبيعته مخلوق ضعيف يخطئ ويصيب ، وخير الخطائين التوابون.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ : **(كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ)**[2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: كثيراً ما يقع الإنسان في الكبائر فيؤمر بالتوبة ، ويؤمرون ألا يصروا على الصغيرة ، فإنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار [3].

ولو أذنب الإنسان آلاف المرات بل وأكثر فتاب في كل مرة ، تاب الله عليه ، وقبلت توبته ونقصت ذنوبه [4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (5 / 93).

(2) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب 49 (4/ 659) رقم 2499، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته () رقم 8644.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (17 / 30).

(4) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (17 / 75).

1- تعريف التوبة:

عرفها ابن تيمية رحمه الله: التوبة هي الرجوع من السيئات إلى الحسنات [1]

وعرفها ابن القيم رحمه الله: "حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي ، والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل" [2].

وعرفها ابن حجر رحمه الله: ترك الذنب لقبحه ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العود ورد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها [3]. وقيل: خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء [4]. وقيل: التوبة هي ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة [5].

ونخلص مما سبق: أن التوبة هي: ترك المعاصي وعدم الرجوع إليها ، مع الشعور بقبح المعصية ، ورد الحقوق لأصحابها.

2- شروط التوبة:

للتوبة العديد من الشروط ، وهي وإما أن تكون في حق الله وإما أن تكون في حق البشر.

أ- التوبة في حق الله.

والتوبة في حق الله لها ثلاثة شروط:-

الأول: الإقلاع عن الذنب.

الثاني: الندم على فعله.

الثالث: العزم على أن لا يعود للذنب. [6].

---

(1) انظر: الاستقامة (1 / 463).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 182).

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (11 / 103).

(4) إحياء علوم الدين: الغزالي (4 / 4).

(5) المفردات في غريب القرآن: لأبى القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – لبنان (1 / 76).

(6) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة: الأولى ، 1410هـ / 1990م (3 / 1044).

يقول ابن القيم رحمه الله: لا تتحقق التوبة إلا بالندم ، فمن لم يندم على القبيح دل على رضاه به ، وكذلك يستحيل التوبة مع مباشرة الذنب ، والإصرار عليه [(1)].

وهناك من زاد على هذه الشروط الثلاثة شروط أخرى ، وهي: أداء ما ضيع العبد من الفرائض ، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية.

قال ابن حجر رحمه الله: هذه الأمور مكملات وليس شروطاً.ومنهم من اشترط أن يفارق العبد موضع المعصية فلا يبقي في المكان الذي أقام فيه المعصية.قال ابن حجر: وهذا مستحب [(2)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أن نبي الله قال: كَانَ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ " فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، **(انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ فَأَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأرضين ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)**[(3)].

ب-التوبة في حق العبد:

والتوبة في حق العبد لها أربعة شروط وهي:-

:الأول: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: الندم على فعلها .

الثالث: عدم الرجوع إليها .

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 182).

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (11 / 103 – 104).

(3) صحيح مسلم:كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (4 / 2118) رقم 2766.

الرابع: رد المظالم لأصحابها ، أو تحصيل البراءة منهم [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: صاحب التوبة بينة وبين الله لا تسقط حقوق العباد ، من المظالم سواء من مال ، أو قذف، لأنها حقوق العباد ، وإن التوبة التي يغفر عنها رب العالمين ما كانت متعلقة في حقه –سبحانه – لا حقوق العباد [2].

1- فضائل التوبة:

للتوبة العديد من الفضائل التي تجعل المذنب يسارع إلى العودة إلى الله ، وأن لا يقنط من رحمه الله ، ومن هذه الفضائل:-

أ- محبة الله للعبد:

التوبة الصادقة الخالصة لله سبب محبة لله للعبد التائب ومن الأدلة على ذلك: قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : 222].

يقول ابن تيمية رحمه الله: أن الكتاب ، والسنة النبوية ، وإجماع سلف الأمة ، أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين التائبين ، ومحبتهم له [3].

ويقول ابن القيم رحمه الله: لو لم تكن محبة الله للتوبة ، ولعباده التائبين ، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق محمد ﷺ [4].

ب- فرحة الله بتوبة عبده:

عن أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ هو وعمه قال: قال رسول الله ﷺ : (**للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابهُ فأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أيِسَ مِنْ رَاحلَتهِ ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ**

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (17 / 59).

(2) انظر: الصارم المسلول على شتم الرسول (1 / 493).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (2 / 354).

(4) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر – بيروت ، 1398هـ / 1978م (1 / 223).

هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا [1] ، **ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ)** [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فرحة الله أعظم من فرحة من فقد دابته بأرض مهلكة عليها متاعه ، وشرابه في أرض مهلكة فأوشك على الهلاك ، فنام ثم استيقظ فوجد دابته ، فالله أشد فرحاً من ذلك العبد [3].وهذا يدفع العبد لمداومة التوبة لفرح الله وحبه للتائب.

ج- الفلاح والفوز بسعادة الدارين:

قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 31].

الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة هو بالتوبة وفعل كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، وترك ما نهينا عنه [4] .

يقول ابن القيم رحمه الله: علق الله الفلاح بالتوبة تعليق السبب بالمسبب ، فإن تاب العبد كان على طريق الفلاح [5].

د- تكفير السيئات والذنوب ودخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم : 8]. والآية تبين أن من تاب لله توبة خالصة كانت سبباً لتكفير ذنوبه ، ودخوله الجنة ، ونورهم الذي يسعى بين أيديهم.

يقول ابن كثير رحمه الله: يا أيها الناس توبوا إلى ربكم توبة خالصة صادقة تمحو ما قبلها من السيئات [6].

---

(1) الحبل الذي يقاد به البعير ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (12 / 40).

(2) صحيح مسلم: كتاب التوبة ، باب الحض على التوبة والفرح بها (4 / 2104) رقم 2747.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (6 / 114).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (8 / 50).

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 178).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم (8 / 168).

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : 53].

هـ- إبدال السيئات إلى حسنات.

قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [الفرقان : 70].

التائب إلى الله التوبة الصادقة تمحو السيئات ، فيخرج العبد لا له ولا عليه ، ويجعل الله مكان كل سيئة حسنة [1].

وإن من أعظم البشائر للتائبين إن أقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح ، تبديل سيئاتهم إلى حسنات [2].

و- حصول متاع الدنيا:

قال تعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** ﴾ [هود : 3]. وتوضح الآية أن بالاستغفار والتوبة يحصل الإنسان على جميع متاع الدنيا والآخرة. فإن الله عز وجل يبسط على من تابوا الدنيا ، ويرزقهم من زينتها ، وأنشأ لهم متاع الآخرة بعد موتهم [3].

ز- نزول المطر:

قال تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود : 52]. أي: إن آمنتم بالله وتبتم من ذنوبكم ،أنزل الله المطر عليكم لتحيا به بلادكم من القحط [4].

ونخلص مما تقدم: يجب على العبد المسلم أن يجدد التوبة من حين لآخر لأنها سبب الفلاح في الدنيا والآخرة ، بها ينال العبد رضا الله ومحبته ، وتكون فرحة الله به ، ومن أحبه

---

(1) انظر: طريق الهجرتين ودار السعادتين: لابن القيم (1 / 372).

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن القيم (1 / 301).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (15 / 230).

(4) المصدر السابق (15/ 358).

الله وفرح منه ، لا يضره شئ ولا أحد من المخلوقات ، وإنها تكفر سيئاته ، وتبدلها إلى حسنات ، وهي مصدر المتاع الحسن في الدنيا والآخرة.

2- أوقات قبول التوبة:

باب التوبة مفتوح للجميع دون استثناء ، فلو أذنب العبد وتاب من ذنبه تاب الله عليه ، فالإنسان بين الذنب ، والتوبة من الذنب ، فيجب عليه أن يسارع في التوبة من الذنب فلا يؤخرها. يقول ابن القيم رحمه الله: يجب على العبد المؤمن المسارعة إلى التوبة من الذنوب ، فلا يجوز له تأخيرها ، والتوبة من الذنوب ما علمها وما جهلها [1]

عَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ **(رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [2].

والتخلص من الذنوب ، والتوبة منها باستمرار يجلي القلب من الصدأ الذي يكون في القلب ، بخلاف من تراكمت عليه الذنوب ازداد الران [3] على قلبه.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ فَإِنْ زاد رَانَتْ حَتَّى يُغْلَقَ بِهَا قَلْبُهُ فَذَاكَ الَّران الذي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في كِتَابِهِ (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** [4].

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 272).

(2) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت (8 / 84) رقم 6398.

(3) صار كصدإٍ على جلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشر ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (35 / 130).

(4) سنن ابن ماجه:كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب (2 / 1418) رقم 4244 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 255) رقم 2550.

والتوبة لا تقبل في موضعين هما:-

أ- وقت الغرغرة:

قال تعالى: ﴿ **لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ** [الأنعام : 158].

يقول ابن كثير رحمه الله: إذا حشرجت الروح في الحلق ، وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم ، وغرغرت النفس فلا توبة حينئذ للعبد [1].

عبد الله بنِ عمَرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهما ، عن النَّبي ﷺ قَالَ : **(إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)** [2]. قال تعالى: ﴿ **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [غافر : 85].

ب- وقت طلوع الشمس من مغربها:

يقول ابن تيمية رحمه الله: لم تنفع توبة العبد إذا طلعت الشمس من مغربها [3].

ويقول ابن حجر رحمه الله: إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة ، فلا تقبل حسنة إلا من كان يعمل الخير قبل ذلك فإنها تجري لهم كما كانت تجري من قبل طلوع الشمس [4].

ونخلص مما تقدم: أن باب التوبة مفتوح للجميع يتوبون إلى الله في أي وقت شاءوا ، إن أذنبوا في النهار وتابوا في الليل قبل الله توبتهم ، وإذا أذنبوا في الليل وتابوا في النهار تاب الله عليهم ، إلا أن التوبة لا تقبل وقت خروج الروح ، ووقت طلوع الشمس من مغربها.

عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النَّبيّ ﷺ فيما يروي عن اللهِ تَبَارَكَ وتعالى ، أنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادي ، إنِّي حَرَّمْتُ الظُلْمَ عَلَى نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحَرَّماً فَلا تظلموا. يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ ضَالّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أهْدِكُمْ. يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطْعِمْكُمْ . يَا

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (2 / 238).

(2) سنن الترمذي:كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعبادة (5 / 547) رقم 3537 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 279).

(3) انظر: بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعتهم الكلامية (1 / 352).

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (11 / 355).

عِبَادي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.**(يَا عِبَادي ، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيلِ وَالنَّهارِ وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ)** [1] .

3- حقيقة التوبة:

للتوبة ثلاث حقائق وهي:-

أ- أن يكون المقصود من التوبة تقوى الله وخشيته وخوفه والقيام بأمره واجتناب نهيه ، فيعم بطاعة الله ، على نور الله ، يرجو ثواب الله ، ويترك معصيته ، ويخاف عقابه.

ب- نسيان الجناية: فقد اختلف العلماء في نسيان الجناية إلى عده طرق ، منهم من رأى الانشغال عن ذكر الذنب ، والإعراض عنه ، ومنهم من رأى ألا ينسى ذنبه ، وأن يضعه بين عينيه ليحدث له انكسار ، وخضوع ، وذل لله رب العالمين كلما تذكر الذنب.

ويوفق ابن القيم بين القولين فيقول: إذا أحس الإنسان في نفسه نسيان المنة ، والعجب بنفسه ، فذكر الذنب أنفع له.أما إذا أحس العبد كمال افتقاره لله ، وعدم استغنائه عنه ، فنسيان الذنب ، والإعراض عنه أولى وأنفع.

ج- التوبة من التوبة: التوبة من التوبة قد يراد بها حق وقد يراد بها باطل ، لذلك التوبة من أعظم الحسنات ، والتوبة من الحسنات من أعظم السيئات ، وأقبح الجنايات.

فهناك فرق بين التوبة من التوبة ، والتوبة من الحسنات التي هي الإيمان والإسلام فالمقصود بالتوبة من التوبة أن يتوب من الذنب الثاني كما تاب من الذنب الأول ، وهكذا كلما وقع في ذنب [2].

يقول ابن تيمية رحمه الله: التوبة من الحسنات لا تجوز عند أحد من المسلمين لأنها من الإيمان ، وإنه من تاب من الحسنات فهو كافر ، أو فاسق ، وإنه من لم يعلم أنه تاب من الحسنات فهو جاهل ضال[3].

---

(1) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (4 / 1994) رقم 2577.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 203 - 204).

(3) انظر: جامع الرسائل (1 / 248).

4- موجبات التوبة:

للتوبة العديد من الموجبات كما وضحها ابن القيم رحمه الله فقال: موجبات التوبة كسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة ، قد أحاطت به جميع جهاته ، وإن العبد لم يجد عن الله غناء ، وإن سعادته وفلاحة ونجاحه في رضى الله عز وجل.

ومن موجباتها كذلك حب العبد لسيده ، وخالقه مع شدة حاجته إليه ، وعلم الإنسان بضعفه وعجزه وذله مع الشعور بقوة سيده وغزه ، فيجتمع بذلك في قلب العبد كسرة وخضوع وذل لله رب العالمين [1] .

2- فعل الحسنات:

الواجب على العبد المسلم الذي وقع منه الفواحش باختلاف أنواعها وأشكالها ، أن يفعل الحسنات ليكفر عن السيئات التي صدرت منه ، ويشترط فعل الحسنات بعد التوبة ، فلا يعقل أن يتوب العبد ويتقاعس عن فعل الحسنات.

1- تعريف الحسنات:

عرفها ابن تيمية رحمه الله: هي ما أمر الله به وشرعه والموافق لكتاب الله وسنة رسوله عليهم السلام [2].

2- شروط قبول الحسنات:

فعل الحسنات لا بد لها من شرطين:-

أ- أن يراد بها وجه الله عز وجل.

ب- أن تكون موافقة للشرع سواء كانت في الأقوال ، أو الأفعال [3].

"ولهذا إنما يثاب الإنسان على فعل الحسنات إذا فعلها محباً لها بنية وقصد فعلها ابتغاء وجه ربه . وطاعة لله ، ولرسوله ، ويثاب على ترك السيئات إذا تركها بالكراهة لها ، والامتناع منها" [4].

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1 / 186).

(2) انظر: الاستقامة (2 / 308).

(3) انظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (28 / 171).

(4) انظر الحسنة والسيئة: لابن تيمية ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مطبعة المدني – القاهرة (1 / 53).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)** [1].

الناظر للحديث يري أن رحمة الله واسعة ، حيث جعل الحسنات مضاعفة ، وأن السيئات كما هي واحدة ، بل أن السيئات تكتب حسنات إذا لم يفعل المعصية ، وإن الحسنة الواحدة إذا فعلها الإنسان تكفر عشر سيئات ، وإن همّ على فعل الحسنة ، ولم يفعلها تكتب حسنة، وهذه الحسنة تمحو سيئة.

3- أقسام الحسنات:

قسم ابن تيمية الحسنات إلى ثلاثة أقسام:-

أ- "عقلية: وهو ما يشترك فيه العقلاء ؛ مؤمنهم وكافرهم.

ب- وملي: وهو ما يختص به أهل الملل كعبادة الله وحده لا شريك له.

ج- وشرعي: وهو ما اختص به شرع الإسلام مثلا ، وأن الثلاثة واجبة" [2].

4- الحث على فعل الحسنات:

حث الإسلام على فعل الحسنات لأن فعل الحسنات موجب لذهاب السيئات. قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود : 114]. أي: اعملوا بما يرتضيه الله من الحسنات ، يذهب عنكم آثار المعصية ، ويكفر عنكم الذنوب التي ارتكبتموها [3].

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الرقائق ، باب من هم بحسنة أو بسيئة (8 / 103) رقم 6491.

(2) مجموع الفتاوى (20 / 62).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (15 / 509).

فقد اختلف الصحابة والتابعون ﷺ في تفسير الحسنات ، فقال بعضهم: الحسنات هي الصلوات الخمس ، ومنهم من قال: الحسنات هي قول الرجل سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر [1]. لكن نجد ابن تيمية رحمه الله عليه يقول: الحسنات هي التوحيد [2].

فبقدر فعل الحسنات ، والتقرب إلى الله بقد ما انفكت السيئات ، ورفعت عنه ، لأن السيئات لا ترفع مرة واحدة ؛ بل ترفع بقدر فعل الحسنات.

عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ [3] قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ أُخْرَى حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ)** [4].

فالحديث يدل دلالة واضحة ، أن الحسنات يذهبن السيئات ، وبقدر فعل العبد للحسنات بقدر ما ترفع عنه السيئات.

عَنْ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، أَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ ، قَالَ: **(اتَّقِ اللهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ ، قَالَ: قُلْتُ: زِدْنِي ، قَالَ: أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، قَالَ: قُلْتُ: زِدْنِي ، قَالَ: خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)** [5].

وفعل الحسنات يقدم حسب أهميتها وأنفعها ، فما كان أنفع يقدم ، وقد يترك فعل الحسنات لدفع السيئات.

يقول ابن تيمية رحمه الله: التعارض بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما يقدم أحسنها وأنفعها ، أما إذا اجتمع سيئتين فإذا رفعها فبها ونعمت وإلا تدفع أقبحها.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9 / 110).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (7 / 643).

(3) عقبة بن عامر بن عبس بن جهينة الجهني ، كان عالماً بالفرائض والفقه فصيح اللسان ، وهو أحد من جمع القرآن ، شهد صفين مع معاوية ولاة بعد ذلك على مصر ، مات سنة ثمان وخمسين، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (4 / 520).

(4) مسند أحمد (28 / 543) رقم 17307 ، قال الألباني:(حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 396) رقم 3955.

(5) شعب الإيمان: باب حسن الخلق (10 / 380) رقم 7660 ، قال الألباني: (حسن) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 10) رقم 97.

وأما إذا تعارض حسنة ، وسيئة ، ولا يمكن التفريق بينهما ، كأن يكون فعل الحسنة ، مستلزم لوقوع السيئة ، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ودرء المفسدة [1] .

وأخيراَ يمكن القول كما قال ابن تيمية رحمه الله: ينبغي أن تكون الحسنات التي يفعلها الإنسان من جنس السيئات فهي أبلغ في محو الذنوب والمعاصي [2].

(1) انظر: مجموع الفتاوى (20 / 48).

(2) المصدر السابق (10 / 655).

المبحث الرابع
التبعية والتقليد للكافرين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كل من التبعية والتقليد.

المطلب الثاني: أنواع التبعية والتقليد.

المطلب الثالث: مظاهر التبعية والتقليد.

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على التبعية والتقليد.

المطلب الخامس: حكم التبعية والتقليد للكافرين.

المطلب السادس: دور العقيدة في علاج التبعية والتقليد.

المطلب الأول

تعريف كل من التبعية والتقليد

تعريف التبعية في اللغة:

تبع الشئ تبوعاً أي سار في أثره واقتدى به ، والتابع الذي يتبع غيره ، كالجزء من الكل ، فتبع فلان فلاناً ، أي: ارتبط به بحيث لا ينفك عنه [1].

تعريف التبعية في الاصطلاح:

بعد البحث في الكتب والمراجع لم أجد تعريفاً خاصاً بها ولكن يمكن تعريفه:هي انقياد الإنسان لغيره سواء كان ذلك عن بينة أو غير بينة.

تعريف التقليد في اللغة:

التقليد في اللغة مأخوذ من القلادة ، وهو ما حيط بالعنق ، يقال قلدّ فلاناً: اتبعه فيما يقول ،أو يفعل من غير حجة ولا دليل أو محاكاه [2].

تعريف التقليد في الاصطلاح:

بعد البحث في الكتب والمراجع لم أجد تعريفاً خاصاً بالتقليد المقيد للكافرين ولكن يمكن تعريفه: هو أخذ قول الغير والعمل به ، من غير حجة ولا برهان ، والالتزام به دون زيادة أو نقصان

ونخلص مما تقدم: التقليد: هو أن يتبع الإنسان غيره في الأقوال ، أو الأفعال ، أو الاعتقاد من غير دليل ولا فهم.

(1) انظر: المعجم الوسيط: للفيروزآبادي (1 / 81).

(2) انظر: المصدر السابق (2 / 754).

المطلب الثاني

أنواع التبعية والتقليد

أولاً: التبعية المحمودة:

الواجب على العبد المسلم اتباع كل ما ورد عن الله ورسوله ﷺ والتسليم المطلق لما فيه النجاح في الدنيا والفوز في الآخرة. قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** ﴾ [طه : 123].

يقول ابن تيمية رحمه الله: يجب أن يعرف كل من ضل عن الحق فإنما سببه الإعراض عن كتاب الله ، وتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ ، وترك النظر والاستدلال للوصول إلى المعرفة [1].

فإتباع كل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما جاء عن طريق الصحابة ﷺ هو إتباع محمود لا غنى للعبد المسلم عنه لما فيه من الخير.

لكن لا أقصد في التبعية المحمودة في هذا المطلب هي اتباع الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ، لأن موضوع بحثي التبعية للكافرين والتقليد لهم.

وقد يعتقد البعض ويتبادر إلى ذهنه أن التبعية والتقليد للغرب الكافر جميعها باطلة مردودة ، وهذا مفهوم غير صحيح ، فقد يكون تقليد المؤمن للغرب الكافر وتبعيته له من باب الضروريات التي يجب التمسك بها ، والتي تسهل في نشر الدعوة الإسلامية

فمثلاً: تقليد المسلم اليوم للكافر في باب الإنتاج ، والتصنيع بجميع أشكاله ، ومواكبة الحضارة من الصعود للقمر ، والتقدم التقني والتكنولوجي أمر ضروري لا غنى عنه ، وقد يكون تركه من باب وقوع الأمة الإسلامية اليوم في الإثم.

فلو قلنا لا يجوز تقليد الغرب وتبعيته في هذا الباب لأصبح العالم الإسلامي مجتمعاً مغلقاً على نفسه لا يوجد تواصل بينه وبين الشعوب الأخري ، لكن يجب الحذر في هذا الباب فلا يفتح الباب على مصراعيه ، بل يكون ضمن ضوابط وقيود ، وأن الهدف من ذلك خدمة الإسلام والمسلمين.

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1 / 32).

عَنْ أَنَسٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **(مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قَالَ فَخَرَجَ شِيصًا** [1] **فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَخْلِكُمْ قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)** [2].

"ومعناه: أن الناس أعلم بأمور دنياهم وتصريفها ، كالزراعة ، وأنواع الصناعة ، والخياطة والتجارة ، وأشباه ذلك ، مع مراعاة حكم الشرع في كل شيء" [3].

ثانياً: التبعية المذمومة:

التبعية المذمومة هي المخالفة لما في الكتاب ، والسنة ، وإجماع الصحابه ﷺ لما فيه الضر بالإسلام ، والمسلمين.

وتكون التبعية في أمورهم الدينية ، وعادتهم ، وتقاليدهم ، وسلوكهم ، وأعيادهم ، وكل شؤون حياتهم.

وسوف نتحدث عن التبعية المذمومة بالتفصيل بإذن الله تعالى في مظاهر التبعية والتقليد في المطلب الثالث.

---

(1) التمر الذي لا يشتد نواه ويقوى ، وقد لا يكون له نوى ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الزبيدي (22/18).

(2) صحيح مسلم:كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي (4 / 1836) رقم 2363.

(3) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (18 / 27).

المطلب الثالث

مظاهر التبعية والتقليد

هناك العديد من مظاهر التبعية والتقليد للكفر والكافرين ، لو اجتمعت في أمه من الأمم لمزقتها ، وجعلتها ترتمي في أحضان الكفر ، ومن أهم هذه المظاهر :-

1- التبعية والتقليد في العقيدة والتشريع:

يحاول أعداء الإسلام طمس الهوية الإسلامية في عقر بلاد الإسلام والمسلمين ، وتحويلها إلى صورة طبق الأصل عن النمط الغربى ، مع سلخ المسلم عن حضارته ودينه وليعيش مقلداً ومتبعاً لغيره ، لهذا فإن التقليد في مجال العقيدة والتشريع من أخطر مظاهر التقليد والتبعية للغرب ، ومن مظاهر تقليد الغرب في مجال العقيدة والتشريع:-

أ- الحكم بالقوانين الوضعية:

أمر الله عز وجل عبادة المؤمنين بالامتثال لحكمه ولحكم رسولهﷺ في جميع مناحي الحياة قال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : 40]. وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65].

يقسم الله تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ، فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة [1].

كما وتحذر الآيات السابقة غاية التحذير والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله من القوانين الوضعية المخالفة في أحكامها وقوانينها للقرآن والسنة النبوية ، فالواجب على الجميع الخضوع لله عز وجل والرضا به ، والحذر مما يخالفه ، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق ، لأنه لا صلاح للمجتمعات ولا سعادة لها ولا أمن ولا استقرار إلا بأن بالإحتكم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : 44].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (2 / 349).

يقول ابن تيمية رحمه الله: جعل الله لرسوله ﷺ القرآن شريعةً ومنهاجاً وأمره عز وجل أن يحكم بين الناس بما نزل ، فمن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية ، ومن اعتقد الحكم بغير ما أنزل الله ، أو استباح أن يحكم بين الناس بما يراه ، أو الحكم بالعادات التي لم ينَّزل الله بها من سلطان فهو كافر [1].

وكررّ الله عز وجل أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ، وفاسق ، وظالم ، لعظم مفسدة الحكم بغير ما أنزل الله ومضرته وبلية الأمة به [2]. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : 45]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : 47].

يقول ابن باز رحمه الله: "وهذه الآيات تتضمن غاية التحذير ، والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله ، وترشد الأمة حكومة وشعباً إلى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله ، والخضوع له ، والرضا به ، والحذر مما يخالفه ، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر ، وظلم ، وفسق ، وأنه هو حكم الجاهلية الذي جاء شرع الله بإبطاله ، والنهي عنه ، ولا صلاح للمجتمعات ، ولا سعادة لها ، ولا أمن ، ولا استقرار إلا بأن يحكِّم قادتها شريعة الله ، وينفذوا حكمه في عباده ، ويخلصوا له القول ، والعمل ، ويقفوا عند حدوده التي حدها لعباده ، وبذلك يفوز الجميع بالنجاة ، والعز في الدنيا ، والآخرة ، كما يفوزون بالنصر على الأعداء والسلامة من كيدهم ، واستعادة المجد السليب" [3] قال تعالى: ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ [المائدة : 50].

ب- **سن قوانين مخالفة للشريعة الإسلامية:**

الواجب على الأمة الإسلامية الاستجابة التامة لأمر الله ، ولأمر رسوله ﷺ في كل كبيرة وصغيره ، والامتثال للأحكام الشرعية.

قال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : 40].

---

(1) انظر: منهاج السنة النبوية (5 / 83).
(2) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم (2 / 280).
(3) مجموع فتاوى ابن باز (2 / 255 - 256).

يقول ابن باز رحمه الله: سن القوانين الموافقة للشرع مثل قوانين الطرق وغيرها ، فلا بأس بها لما فيها منافع للناس ، أما القوانين المخالفة للشرع فقد أجمع العلماء على كفر من استباحها[1].

لذلك نري أن الغرب الكافر يسن قوانين في بلاده مخالفة للشريعة الإسلامية ، فنجد من البلاد العربية والإسلامية من يتمسك بتلك القوانين ويطبقها في العالم الإسلامي ، والعربي بحجة مواكبة حضارة الغرب ، فنجد كثيراً من القوانين التي تُعمل بها في المجتمعات مخالفة للشريعة الإسلامية.

2- التبعية والتقليد الثقافي:

الناظر إلى العالم الإسلامي اليوم يجد أنه يقلد الكافرين ، ويتبعهم في مجالات الثقافة والتعليم، فنجد جيل لا يعرف عن حضارته الإسلامية ، وأحكامه الشرعية شيئاً فلو سئل عن مسألة ، أو حكم من الأحكام البسيطة نجده يجهله ؛ لكن في المقابل نجده منبهراً بثقافة الغرب ملماً بجميع ثقافتها فلو سئل عن فنان من الفنانين ، أو راقصة من الراقصات لما تردد عن الإجابة، فلو نظرنا نظرة المتأمل إلى المجتمعات الإسلامية لوجدنا الكثير يركز على العلوم الدنيوية ، ويهمل العلوم الشرعية ، ويقلل من شأنها ، وحتى لو نظرنا إلى المناهج التي تدرس لأبنائنا سواء في المدارس ، أو الجامعات لوجدنا التركيز على العلوم الغربية مع إهمال العلوم الشرعية حتى في تأسيس الجامعات نلاحظ أنها تأسست وفق معايير غربية لا توافق الشريعة الإسلامية ولا تمت لها لا من قريب ولا من بعيد ، تؤسس على نظام الاختلاط والتبرج فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكذلك من مظاهر التبعية والتقليد في التعليم تقليص المواد الشرعية وتدريسها آخر النهار ، مع اعتمادها للتدريس على غير المختصين ، مع منع تدريس النصوص التي تحث على الجهاد ، أو الحديث عن اليهود والنصارى مع طمس وتغييب عقيدة الولاء والبراء ، لكن في المقابل نجد البعض يحاولون غرس مفهوم حوار الأديان في نفوس المجتمعات الإسلامية.

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (7 / 116).

3- **التبعية والتقليد الاجتماعي والأخلاق:**

الجانب السلوكي الأخلاقي أمر يتميز به المسلم عن غيره ، لأن للمسلم سلوكاً ، وأخلاقاً تميزه عن الآخرين ، فقد لجأ الغرب إلى زعزعة الأخلاق ، والسلوك في نفوس المسلمين ليسهل القضاء عليهم.

فتجد الشباب يقلدون الغرب في أخلاقهم فيلبسون الملابس الضيقة الفاضحة ويتزينون بزينتهم، والفتاة تتزين وتخرج من بيت والدها ، أو زوجها كاشفة الجسد متبرجة مختلطة بالرجال مزاحمه لهم ، مطالبة بمساواة النساء بالرجال ، كل ذلك باسم الموضة ، أو مواكبة الحضارة، فُأنشئت الجمعيات النسائية التي تعمل على نقل المرآة من بيئة إسلامية إلى بيئة غربية ، وعرفت هذه الجمعيات باسم تحرير المرآة [1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: من كان موالياً للكفار سواء من المشركين ، أو من أهل الكتاب ، واتبعهم في شيء من أعمالهم ، وأفعالهم ، وآرائهم الباطلة كان له من الذم ، والعقاب بحسب إتباعه [2] .

4- **التبعية والتقليد في العادات والمعاملات:**

التبعية في العادات ، والمعاملات تكون في تقليد المجتمعات المشركة في جميع مناحي الحياة فنجد الآباء يسمون الأبناء بأسماء غير عربية ، ففي أثناء الحوار تجد الشباب يتكلمون ببعض الكلمات الإنجليزية ، والأخطر من ذلك نجد الشعوب يقلدون الغرب في كثير من العادات مثل التقليد في الأفراح ، أو التقليد في تناول الطعام ، أو الشراب ، أو الاحتفال بأعيادهم من عيد رأس السنة الميلادية ، أو عيد النيروز ، وغيرها من أعياد المشركين.

والتبعية في المعاملات تكون وفق معايير مخالفة للشريعة الإسلامية ، من معاملات بالربا ، والاحتكار ، وتقديم المصالحة الخاصة على المصالح العامة.

5- **التبعية الإعلامية :**

وسائل الإعلام اليوم من أكثر المؤثرات تأثيراً على المجتمعات إما سلباً ، أو إيجابا ، ويتمثل التقليد في الإعلام بجميع صوره ، وأشكاله سواء كان مسموعاً ، أو مقروءاً ، أو بهما

(1) وللإستزاده في الموضوع يمكن الرجوع إلى المبحث الثاني من الفصل الثالث.

(2) انظر: مجموع الفتاوى (28 / 201).

جميعاً، فنجد الإعلام يركز على الموضة ، والأزياء ، والاهتمام بملكات الجمال ، وتسهيل نشر الفواحش ، والاختلاط بين الرجال والنساء .

وكذلك نلاحظ إقبال الشباب على الشبكة العنكبوتية ، والتواصل بين الشباب والشابات والتعارف فيما بينهم ، وهذا من أخطر ما يهدد الشباب المسلم نتيجة التبعية والتقليد الأعمى للغرب.

في المقابل لا نجد الإعلام الإسلامي الذي يرسخ المفاهيم الإسلامية ، ويعلّم الجيل المسلم أمور حياته بالطريقة الإسلامية الصحيحة ، ويوضح له سيرة وسنة الرسول ﷺ وصحابته في الأمور الدنيوية والدينية .

المطلب الرابع

الآثار المترتبة على التبعية والتقليد

هناك العديد من الآثار المترتبة على التبعية ، والتقليد للكافرين ، ومن هذه الآثار :-

1- الطاعة العمياء للكافرين:

التقليد للغرب الكافر ، والتبعية له في كل كبيرة وصغيره يؤثر حتماً على الأفراد ، والمجتمعات تأثيراً سلبياً ، حيث يترتب عليه الطاعة العمياء دون نظر ، ولا تفكير في الأعمال ، والأفعال.

فقد حذر الله عباده المؤمنين من طاعة الكافرين ، والمنافقين ؛ لأن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة [1]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 100]. وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 149].

يقول ابن باز رحمه الله: "الآية تحذر من طاعة الكفار والإستعانة بهم ، لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة" [2]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الأحزاب : 1].

فقد يعتقد البعض من أبناء المسلمين أن طاعته للكافرين لا تؤثر على دينه ما دام يؤدي الفرائض والسنن ، ويعتقد أن طاعته لهم من باب مواكبة العصر ، ولا يدرى أنه سائر في طريق الضلال. قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام : 116].

2- الانسلاخ عن الدين الإسلامي:

التقليد للغرب في أمور الدين ، والدنيا ، وشؤون الحياة حتماً سيخرج أجيالاً من المسلمين لا تعرف من الإسلام إلا اسمه فقط ، بل يؤدي بهم إلى الانسلاخ عن كل ما يربطهم بالإسلام والمسلمين.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (2 / 131).

(2) مجموع فتاوى ابن باز (1 / 300).

فمثلاً: لو نظرنا إلى حال كثير من شباب العرب والمسلمين اليوم ، وما يعيشون به من تقليد، وتبعية ، نجد أنهم يسمون التبعية والتقليد بأسماء جديدة تارة باسم الموضة ، أو الحضارة ، وتارة أخرى باسم مواكبة العصر ، فتخرج الفتاة من بيت الأب متبرجة متعطرة تخالط الرجال ، وتجالسهم باسم الديمقراطية وتحرير المرأة ، كل هذا ، وغيره سيؤدي في نهاية الأمر إلى الانسلاخ عن الدين الإسلامي.

3- **ضعف عقيدة الولاء والبراء:**

إن من يقلد الغرب في جميع مجالات الحياة التي لا تخدم الإسلام ولا المسلمين بشيء ، ويجري وراء التبعية بدلاً عن الإسلام ، سيكون ضعيف الولاء لله ولرسوله ﷺ والمؤمنين ، والبراء من الكفر والكافرين [1].

4- ضعف هيبة الإسلام والمسلمين:

من أخطر آثار التبعية والتقليد للكافرين ضعف هيبة الإسلام والمسلمين في نفوس أبناء الإسلام وغيرهم ، فقد خطط أعداء الإسلام في كل زمان ، ومكان للقضاء على الإسلام وأهله ؛ وذلك عن طريق عزل الإسلام عن مجالات الحياة وتغييب دور العلماء عن الساحة ، فبغياب الإسلام ، ودور العلماء ؛ ينجر الشباب نحو سراب التبعية والتقليد.

لذلك نجد الغرب اليوم يحاول أن يغرس في أبناء المسلمين أن الإسلام لا يستطيع النهوض بالحضارة البشرية ، وما للمسلمين إلا التمسك بحضارة الغرب.هذا سيوقع المجتمعات الإسلامية في فخ التقليد والتبعية للغرب ، والشعور بضعف الإسلام ، وأهله.

5- **الانهزام والانقياد للغرب الكافر:**

المجتمع المتبع الذي يقلد غيره مجتمع منهزم نفسياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، فالأمة التي لا تأكل مما تزرع ، ولا تلبس مما تصنع أمة منهزمة لعدوها ، ولو كان ذلك على حساب دينها وعقيدتها ، ومبادئها ، وأوطانها ...! لان اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا صاحبة القرار واليد السفلى متبعة لليد العليا.

---

(1) للاستزادة يمكن الرجوع للمبحث الأول من الفصل الأول.



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ **(الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ)** [1].

6- فقدان الثقة بالإسلام والمسلمين:

حاول الغرب الكافر من اليهود والنصارى ومن سلك مسلكهم القضاء على الإسلام بالحرب فلم يستطيعوا ، فلجؤوا إلى القضاء عليه من الداخل بعدة طرق ووسائل خبيثة ، منها بث أفكار مسمومة للمسلمين لانبهار المسلم بحضارة الغرب وثقافتهم ، وفي المقابل نزع الثقة عند المجتمعات العربية والإسلامية المنتمية للإسلام ، ومن ثم يتدرجون شيئاً فشيئاً ببث فقدان ثقة المجتمعات بأنفسها ، وأنها لا تستطيع التقدم ، والعيش إلا بالتقليد لهم ولأفكارهم ، حتى تصل المجتمعات إلى عدم الشعور بثقة الإسلام ، فرسموا في أذهان الكثير أن الإسلام ما هو إلا جماعات لا يهمها إلا القتل وسفك الدماء.

فقاموا بعزل العلماء عن مجتمعاتهم ، وتحجيم دورهم ، لأنهم يعلمون أن بعزل العلماء عن دورهم سيجهل المجتمع حقيقة الإسلام ، ولم يكتفوا بذلك بل سخروا الساقطين من الممثلين بتمثيل أدوار العلماء ووصفهم بأبشع الصور كل ذلك لجعل الجيل يفقد الثقة بالإسلام ، والمسلمين ، وعلى رأسهم العلماء والدعاة.

7- قتل روح الإبداع عند الشباب:

حث الإسلام المسلمين على تنمية روح الإبداع عند الأفراد والمجتمعات ، وأمر بتنميتها ، ونهى عن كل ما يؤدى إلى قتل هذا الإبداع ، فقد لجأ الغرب إلى إشغال العالم الإسلامي بكثير من المشكلات والصعوبات ؛ كل ذلك لقتل روح الإبداع عند أهل الإسلام ، فالمجتمع الذي لا ينتشر فيه الإبداع سيلجأ إلى التبعية والتقليد لغيره.

8- تنفيذ مخططات الغرب وإملاءاته:

المجتمع الذي يطيع الكافرين طاعة عمياء في كل كبيرة وصغيرة وفي شؤون حياتهم ويتبعهم في أفكارهم ومعتقداتهم وشرائعهم ويواليهم سيكون منهم يخطط معهم وينفد ما يملون عليهم من مخططات تهدف مصالحهم ، والناظر اليوم إلى حال حكام العرب والمسلمين يجد

(1) صحيح البخاري:كتاب الزكاة ، باب لا صدقه إلا عن ظهر غني (2 / 112) رقم 1429.

الصورة واضحة في تنفيذ كل ما يطلبه الغرب الكافر منهم دون تفكير أو إبطاء ، فقد قام أعداء الإسلام بزرع من يواليهم في البلاد العربية والإسلامية لتحقيق مصالحهم.

فمثلاً: لو وجدنا ما يحدث اليوم في وقتنا المعاصر من هجمة الغرب على الإسلام والمسلمين والقضاء عليه بحجة القضاء على الإرهاب ، نجد أن الأدوات التي تقوم بتنفيذ تلك المخططات على أرض الواقع هم من سلك مسلكهم ، فيقومون بتنفيذ تلك المخططات بكل دقه وبدون تقصير ، فنجد من يعمل على وضع كل الصعاب والعقبات المادية والمعنوية في طريق تطبيق الإسلام تطبيقا صحيحا في أرض الواقع تنفيذاً لمخططات أسيادهم ، وذلك للقضاء على الإسلام من الداخل.

9- فقدان الكرامة والعزة والشعور بالذل والهوان:

أعز الله سبحانه وتعالى المؤمنين لتمسكهم بكتاب ربهم وسنته رسولهم ﷺ قولاً وعملاً ، ظاهراً وباطناً ، فالمؤمن يشعر بعزة الإسلام والمسلمين لتوحيده بخالقة وعبوديته له وحبه لكل عمل يقربه منه عز وجل ، فالمسلم يشعر بعزة الإسلام والمسلمين ولا يرضى بديلا عن عزة الإسلام وأهله حتى لو كانت لأهله وعشيرته وقومه.

عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فأتوا على مخاضة[1] وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر أوه لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ **(إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)** [2].

أما اليوم فقد أصبح المسلم يشعر فقدان العزة والكرامة والذل والمهانة لأن المسلمين اليوم رضوا أن يكونوا تبعاً لعدوهم في جميع شؤون حياتهم ، فتارة نجدهم ذك البلد العربي الإسلامي ينهج ويستقى من النظام الرأسمالي ، وذك بالنظام الاشتراكي ، وذك ينادى بفصل الدين عن

---

(1) المستدرك على الصحيحين : كتاب الإيمان ، ط : الهندية – (1 / 62) رقم 207، قال الألباني: (صحيح موقوف) صحيح الترغيب والترهيب (3 / 63) رقم 2893.

(2) المشي في الماء وتحريكه ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (7 / 147).

الدولة وينادي بإعلاء العلمانية ، كل هذا وغيره الكثير جعل المتبع المقلد للكافرين يشعر بالذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء:115].

المطلب الخامس

حكم التبعية والتقليد للكافرين

يختلف حكم التبعية والتقليد للكافرين بحسب نوع التبعية والتقليد فهي ليس في درجة واحدة ، فإن كانت التبعية والتقليد في كل ما هو محمود من التصنيع والإنتاج ومواكبة الحضارة والتقدم العلمي والتقني التكنولوجي فحكمه وجوب التبعية للكافرين لما لها من خدمة الإسلام والمسلمين لأن الحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهو أحق الناس بها وقد يؤثم إن تركها أو قصر بها ، أما التقليد المذموم الواقع في العقيدة والشريعة من سنن القوانين المخالفة الشرع والاحتكام إليها فهو ما حرمة الله عز وجل بل يصل أحياناً إلى الكفر والخروج من الدين لما فيه من الخطر المحقق على الإسلام والمسلمين ، والناظر لأدلة القرآن والسنة يري مدى نهي الله ورسوله ﷺ عن تبعية الكافرين ، والتشبه بهم ،وتقليدهم ، وأدلة ذلك كثيرة منها:-

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : 145]. وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴾ [الرعد : 37].

في الآية تهديد ووعيد من الله عز وجل للأمة التي تتبع طرائق اليهود والنصارى ، بعدما علموا حرمة اتباعهم من القرآن والسنة (1).

وقال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ [البقرة : 120].

يخاطب الله رسوله محمداً ﷺ بقوله إن الذي تدعون إليه يا محمد ﷺ هو الحق ، وما اليهود ، ولا النصارى راضية عنك ، فلا سبيل لك إلى إرضائهم ، واتباع ملتهم ؛ لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية (2).

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (1 / 403).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (2 / 562).

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام : 56]. نهى الله رسوله ﷺ أن يتبع المشركين فيما يدعون إليه ، فإن يوافقهم يسلك هواهم ، فإن فعل ذلك فقد ترك الحق ، واتبع الضلال [1].

ونخلص مما تقدم: أن الله حذر المؤمنين من اتباع الكافرين وتقليدهم ، لأن من يتبعهم كأنما يتبع سراباً فلا يجد منهم إلا كذباً ، وخداعاً ، وفساداً ، ومكراً ، فقد يحكم بكفره وخروجه من الدين .

يقول ابن تيمية رحمه الله: من كان موالياً للكفار سواء من المشركين ، أو من أهل الكتاب ، واتبعهم في شيء من أعمالهم ، وأفعالهم ، وآرائهم الباطلة كان له من الذم ، والعقاب بحسب إتباعه [2] .

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

الناظر إلى سيرة الرسول ﷺ يجد أنه كان حريص كل الحرص على تميز المسلمين عن غيرهم في أقوالهم وأفعالهم وهيئاتهم ، ويدل على هذا القصد غضب رسول الله ﷺ وقد رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ صحيفة من التوراة . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)** [3] . وعن عبد الله بن الحارث ﷺ قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال : هذه كتب أصبتها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيرا شديدا لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحارث لعمر أما ترى وجه رسول الله ﷺ فقال عمر: رضيت بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد نبيا فسرى عن النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : **(لو نزل موسى فاتبعتموه و تركتموني لضللتم أنا حظكم من النبيين و أنتم حظي من الأمم)**[4].

---

(1) انظر: المصدر السابق (11 / 397).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (28 / 201).

(3) مسند أحمد (22 / 468) رقم 14631 ، قال الألباني: (حسن) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6 / 37).

(4) شعب الإيمان: للبيهقي (4 / 307) رقم 5201 ، قال الألباني: (صحيح) السلسلة الصحيحة (13 / 10) رقم 3207.

فَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)** [1]. وفي رواية الإمام مسلم رحمه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)** [2].

كان الرسول ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار خوفاً على أمته من اتباعهم ، فقد ذكر هذا الحديث على وجه التوبيخ [3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: مخالفة أهل الكفر ، والشرك فيها منفعة ، وصلاح في كل أمورنا حتى تقليدهم واتباعهم في أمور دنياهم قد يكون مضراً بآخرتنا ، فالمخالفة فيها الصلاح لنا[4].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "حرم الله علينا الركون إلى التقليد ، وذم من عول في اعتقاده على اتباع الآباء والأجداد"[5].

(1) صحيح البخاري: مَا جَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (3 / 184) رقم 2697.

(2) صحيح مسلم: كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (3 / 1343) رقم 1718.

(3) انظر: فتح الباري: لابن رجب (2 / 441).

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (1 / 57).

(5) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: للقرطبي ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي – القاهرة ، 1398هـ (1 / 169).

المطلب السادس

دور العقيدة في علاج التبعية والتقليد

أولاً: اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم:

أمر الله عباده باتباع الرسول ﷺ في جميع الأحوال والظروف ، سواء كانت في الأقوال ،أو الأفعال ، وإن العبد لا يكون مسلماً إلا باتباع الرسول ﷺ وما جاء به من الحق سواء وافق هواه أو عارضها. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ [الحاقة : 44 – 46]. أي: فلو تقول علينا محمد ﷺ بعض الأقاويل الباطلة ، وكذب علينا لأخذنا منه بالقوة [(1)]. والإتباع يكون بتصديقه بكل ما أخبر به ، والتسليم المطلق في اليسر ، والعسر ، والمكره والمنشط دون زيادة ، أو نقصان سواء كانت حقاً ، أو باطلاً ، فالزيادة توقع صاحبها في البدع ، والنقص يوقع في الضلال ، والانحراف. لذلك نجد الأمة الإسلامية اليوم تقلد الغرب ، وتتبعها في جميع مجالات حياتها بسبب تركهم اتباع سنة الرسول ﷺ في شؤون حياتهم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ ، وَالرُّومِ. فَقَالَ: وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**)[(2)].

فالناظر إلى سلف الأمة من الصحابة والتابعين ﷺ يجد بعدهم عن التقليد والتبعية للكفر والكافرين ؛ فلم ينحرفوا عن طريق الحق لاتباعهم سنة رسول الله ﷺ قولاً ، وعملاً ، ونجد الرسول ﷺ كان يزجر من يحاول أخذ شيءً من التوراة لسد باب التقليد والتبعية للكافرين.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنَ الْيَهُودِ تُعْجِبُنَا أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا ؟ فَقَالَ: (**أَمُتَهَوِّكُونَ** [(3)] **أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى ؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**) [(4)].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (23 / 592).

(2) صحيح البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم (9 / 102) رقم 7319.

(3) سبق توضيحها ص 259.

(4) شعب الإيمان: باب ذكر حديث جمع القرآن (1 / 347) رقم 174 ، قال الألباني: (حسن) مشكاة المصابيح (1 / 38) رقم 177.

ولكن لما بعد الناس عن الاتباع لسنة رسول الله ﷺ انحرفوا حتى ظهرت فيهم الفرق ، والأحزاب الداعية لتبعية الغرب الكافر.

1- تعريف الاتباع في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف الإتباع في اللغة:

تبع الشئ تبوعاً أي سار في إثره ، فيقال: تبعت القوم إذا مشيت خلفهم [1].

ب- تعريف الاتباع في الاصطلاح:

الاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، واتباع أمره ﷺ ، واتباع من حرص على اتباع ﷺ [2].

2- أدلة الإتباع في القرآن والسنة:

هناك العديد من الأدلة التي توجب على العبد اتباع النبي ﷺ في كل كبيرة وصغيره.

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

الناظر للقرآن الكريم يجد أن الله يخاطب المؤمنين في كثير من الآيات باتباع سنة الرسول ﷺ وطاعته وبكل ما جاء به عن الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : 106].

يخاطب الله عز وجل كثيراً المؤمنين ؛ أمراً إياهم اتباع الرسول ﷺ والإقتداء به والعمل بكل ما جاء به من الحق ، لان كل ما جاء به لا شك فيه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه [3].وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** ﴾ [الأعراف : 157].

أي: يتبعون شرعه ودينه ، وكل ما جاء به الرسول ﷺ [4].

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (8 / 27).

(2) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ / 1993م (1 / 504).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (3 / 314).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (7 / 298).

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : 7].

يقول ابن تيمية رحمه الله: أمر الله سبحانه وتعالى عبادة بوجوب الأخذ بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، والابتعاد عما نهى الله عنه (1).

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** ﴾ [محمد : 3].

الذين آمنوا هم الذين يتبعون الحق الذي جاء به الرسول ﷺ من ربه من النور والبرهان (2).

يقول ابن تيمية رحمه الله: يجب اتباع الرسول ﷺ وما جاء به ؛ ولكن يجب ألا يُخلط بين المنقولات الضعيفة ، والتفسيرات الباطلة ، وبين ما جاء به الرسول ﷺ (3).

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : 153].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "أمثال هذه النصوص التي يوصي فيها باتباع ما أمر ، ويبين أن الاستقامة في ذلك ، وأنه لم يأمر إلا بذلك ، وأنه إن ترك ذلك كان عليه العذاب ، ونحو ذلك مما يبين أن اتباع الأمر أصل عام ، وأن اجتناب المنهي عنه فرع خاص" (4).

ب-الأدلة من السنة النبوية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)** (5).

عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **(أيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا . فَقَالَ رَجُلٌ : أكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثاً . فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ**

(1) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2 / 165).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (22 / 153).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (15 / 155).

(4) المصدر السابق (20 / 113).

(5) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ (9 /92) رقم 7280.

قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ) [1].

يتضح من خلال الحديثين على وجوب اتباع سنة الرسول ﷺ في أمر ، وتجنب ما نهى ، فبذلك يتحقق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ** [2] **فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا** [3] **فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ)** [4] .

"شبه الرسول ﷺ نفسه بالرجل ، وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه ، بمن كذب الرجل في إنذاره ومن صدقه"[5].

3- مظاهر اتباع سنة الرسول ﷺ .

هناك العديد من مظاهر اتباع سنة النبي ﷺ ، وإن المظاهر غير مقتصرة على المحبة له ﷺ ، أو إحياء سنته كما يعتقد البعض ، فمظاهر إتباع سنة الرسول ﷺ متعددة منها:-

أ- تعظيم النصوص النبوية:

تعظيم نصوص السنة النبوية تكون بتقديمها وتطبيقها بعد نصوص القرآن وإحيائها بين الناس، وعدم تقديم شئ عليها ، وعدم هجرانها وإحيائها.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الحج ،باب فرض الحج مرة في العمر (2 /975) رقم 1337.

(2) إذا أراد الرجال إنذار قومه وتأكيد كلامه نزع ثوبه وأشار به إليهم ليخبرهم بما داهمهم ، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي (15 / 48).

(3) هو سير الليل .يقال: أدلج- بالتخفيف- إذا سار من أول الليل ، وأدلج- بالتشديد – إذا سار في آخره ، لسان العرب: لابن منظور (2 / 272).

(4) صحيح البخاري:الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالي { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (9 / 93) رقم 7282.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر (11 / 317).

عن جرير بن عبد الله [1] رضي الله عنهما قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ يلبسون الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى روئي ذلك في وجهه ، قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ : **(من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ،ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا يُنقص من أوزارهم شيء)** [2].

فقد كان صحابة رسول الله ﷺ يعظمون سنة رسولهم ﷺ ، والأدلة على ذلك كثيرة منها: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ . فَقَالَ: ابْنٌ لَهُ إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ)** [3].

ب-الإقتداء والتأسي به ﷺ :

يجب على العبد المسلم الاقتداء برسول الله ﷺ في أقوله ، وأفعاله ، وتقريراته ، وأوامره ، ونواهيه. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب : 21].

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ؛ ولهذا أمر الله سبحانه الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب ، في صبره ، ومصابرته ، ومرابطته ، ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل [4].

---

(1) جرير بن عبد الله بن جابر البجلى ، يكنى أبا عمارة ، وقيل: أبا عبد الله ، أختلف قي وقت إسلامه قيل:قبل وفاة الرسول ﷺ بأربعين يوماً ، والصواب في السنة العاشرة للبعثة ، كان له دور كبير في فتح القادسية ، سكن الكوفة ، أرسله علي ﷺ رسولاً إلى معاوية ﷺ ، **اعتزل الفريقين** ، مات سنة أربع وخمسين، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 475).

(2) صحيح مسلم:كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (4 / 2059) رقم 1017.

(3) سنن ابن ماجه:مقدمة الكتاب ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (1 / 8) رقم 16 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 1342) رقم 13412.

(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (6 / 391).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "الدين أصله متابعة النبي وموافقته بفعل ما أمرنا به ، وشرعه لنا ، وسنه لنا ، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به" [1].

ج- الاحتكام لسنته ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء : 59].

إذا اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمور دنياكم فردوه إلى كتاب الله ، وإلى رسوله ﷺ إن كان حياً ، وإن كان ميتاً فلسنته [2].

والاحتكام لسنته ﷺ تكون في كل الظروف والأوقات ، سواء وافقت هواه أو خالفتها .

"فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله ، ويرون أن ذلك جائز لهم ، أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام ، ويكونون بذلك كفارا ظالمين فاسقين"[3]

د- الرضى بحكمه ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : 47 – 51].

"بين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين ، وليس من المؤمنين ، وأن المؤمنين هم الذين يقولون: سمعنا ، وأطعنا فإذا كان النفاق يثبت ، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض ، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص ، والسب ، ونحوه" [4].

---

(1) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (27 / 504).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (8 / 504).

(3) مجموع فتاوى ابن باز (1 / 271).

(4) الصارم المسلول على شاتم الرسول: لابن تيمية (1 / 42).

فالمؤمن يرضى بحكم الرسول ﷺ سواء كان الحكم في مصلحته ، أو عارضها ، وافق هواه أولا بخلاف المنافق الذي يرضي بحكم الرسول ﷺ إذا كان الحكم موافق لهواه ، وإلا فلا يرضى بحكم الرسول ﷺ .

هـ- محبته ﷺ :

يجب محبة الرسول ﷺ ، وتقديمها على كل محبة بعد محبة الله سبحانه وتعالى ، فتقدم محبته ﷺ على محبة الوطن ، والأهل ، والمال ، وحتى النفس.

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ [1] قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ **(لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْآنَ يَا عُمَرُ)** [2].

فمحبة الرسول ﷺ لا تكون مجرد كلمة تقال وتردد هنا ، أو هناك ، بل فعل ، وعمل ، وتطبيق ، والتزام بكل أفعاله ، وأقواله ، لذلك كانت محبته مقدمة على كل شيء حتى النفس ، والمال والولد ، والعشيرة ، والأهل ، والوطن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ)** [3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "جفاء الرسول ﷺ من الكبائر ؛ بل هو كفر ونفاق ؛ بل يجب أن يكون أحب إلينا من أهلينا وأموالنا" [4].

و- طاعته ﷺ :

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء : 59].

---

(1) سبق ترجمته ص 156 .

(2) صحيح البخاري: كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (8 / 129) رقم 6632.

(3) صحيح البخاري: كتاب القدر ، باب كيف كان يمين النبي ﷺ (8 / 129) رقم 6632.

(4) مجموع الفتاوى (27 / 25).

أوجب الله على عباده طاعته ، وطاعة رسوله ﷺ في كل ما أمر ونهى ، فقد جعل طاعته ، وطاعة رسوله من الإيمان.

يقول ابن القيم رحمه الله: الإيمان يرجع إلى أصلين هما: طاعة الرسول ﷺ في أمره ، وتصديقه بكل ما أخبر به [(1)].

فطاعة الرسول ﷺ فرض على العالم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء [(2)].

فقد جعل الله طاعة الرسول ﷺ طاعة له. قال تعالى: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [النساء : 80].

4- ثمار إتباع سنة الرسول ﷺ :

لاتباع سنة الرسول ﷺ العديد من الثمار التي يجنيها العبد المسلم في الدنيا ، والآخرة ومن هذه الثمار:-

أ- السعادة وطيب العيش في الدنيا والآخرة :

قال تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف : 157] .

يقول ابن القيم رحمه الله: "وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ ، فيجِب على كلَ من نصح نفسه ، وأحب نجاتها وسعادتها ، أن يعرف من هديه ، وسيرته ، وشأنه مَا يَخْرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخل به في عِداد أتباعه ، وشِيعته ، وحِزبه ، والناس في هذا بين مستقِل ، ومستكثِر ، ومحروم ، والفضلُ بيد الله يُؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم" [(3)].

ب- الفوز برضى الله ومحبته:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 31].

---

(1) انظر: أحكام أهل الذمة (2 / 836).

(2) انظر: الخصائص الكبرى: للسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1405هـ / 1985م (2 / 297).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد (1 / 69).

جعل الله محبته موجبة لمتابعة رسوله ﷺ ، وجعل متابعة رسوله ﷺ موجبة لمحبة الله لهم ، فمن اتبع سنة الرسول ﷺ كانت سبباً لمحبة الله له [1].

ج- حياة القلوب والأبدان :

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : 24].

إن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان ، ومرض القلوب الشرك ، والكفر ، وغيرها من الأمراض ، يكن شفاؤها باتباع سنة الرسول ﷺ فهي تحيا القلوب ، والأبدان ويكون شفاؤها من أمراضها.

يقول ابن القيم رحمه الله: "أخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله ، والرسول ﷺ من العلم ، والإيمان ، فعلم أن موت القلب ، وهلاكه بفقد ذلك" [2].

د- غفران الذنوب والخطايا:

قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأحقاف : 31].

اتبعوا ما جاءكم به الرسول ﷺ ، وصدقوا أمره ونهيه يغفر لكم ذنوبكم ، ويستر عيوبكم يوم القيامة فلا يفضحكم [3]. قال تعالى: ﴿ **فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر : 7].

هـ - حماية العبد من الفتن :

قال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : 63]. يحذر الله عز وجل في الآية من خالف سنة الرسول ﷺ باطناً ، أو ظاهراً أن تصيبهم فتنة الكفر ، أو النفاق ، أو البدعة [4].

---

(1) أمراض القلوب وشفاؤها: لابن تيمية (1 / 73).
(2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (1 / 22).
(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (22 / 141).
(4) انظر: تفسير لقرآن العظيم: لابن كثير (6 / 90).

و- جلب النصر والتمكين في الأرض:

قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور : 55].

التمسك بالسنة النبوية وتطبيقها قولاً وعملاً في المجتمع الإسلامي ، تجلب النصر ، والتمكين في الأرض وتبذل الخوف إلى الأمن والاستقرار.

ي- ثبوت الإيمان للعبد:

قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : 65].

ونخلص مما تقدم: أن لاتباع سنة الرسول ﷺ ثمار في الدنيا والآخرة ، فهي تحمي العبد من الوقوع في الشرك ، والنفاق ، والكفر ، وتحقق له سبل السعادة من محبة الله ورسوله ﷺ له ، وتكون سبباً لدخوله الجنة ، والنصر ، والتمكين في الأرض.

ثانياً: لزوم أهل السنة والجماعة:

1- تعريف الجماعة:

أ- تعريف الجماعة لغة:

جمع الشئ من تفرقة يجمعه جمعاً ، يقال: جمع المتفرق ، والجماعة ضد الفرقة [1].

ب-تعريف الجماعة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الجماعة إلى خمسة أقوال وهي:

- إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام ، وهم الناجون من الفرق ، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية ، ويدخل فيهم أهل العلم ، والاجتهاد .

- إنها أئمة العلماء المجتهدين ، دون غيرهم من الناس.

- إن الجماعة هم الصحابة رضي الله عنهم على الخصوص.

---

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور (8 / 53).



- إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام ، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم ، فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه.

- أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فلا يجوز الخروج عليهم [1].

ونخلص من خلال ما تقدم: الجماعة هم المتبعون للحق ، الذي عليه صحابة رسول الله ﷺ وأهل العلم والاجتهاد في كل زمان ومكان دون تقييد لزمان أو مكان معين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: الجماعة: هم الفرقة الناجية المتمسكة بسنة الرسول ﷺ [2].

يقول ابن القيم رحمة الله:"وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة حينئذ ، والمفتون ، والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة"[3].

2- الحث على التمسك بالجماعة:

لزوم أهل السنة والجماعة ، والعيش بينهم من أهم الوسائل التي تحمي المجتمع من تقليد وتبعية الغرب ، الكافر والتشبه بهم.

والناظر إلى سنة الرسول ﷺ يجد الأدلة التي تحث المسلمين على التزام مذهب أهل السنة والجماعة ؛ لأنها سر النجاح ، والفوز في الدنيا ، والآخرة ، وتحذر من مفارقتها.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﵁ [4] قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁ بِالْجَابِيَةِ [5] فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ فَقَالَ: أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّهَادَةِ لاَ يُسْأَلُهَا وَحَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ الْيَمِينَ لاَ يُسْأَلُهَا **(فَمَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ**

(1) انظر: الاعتصام: للشاطبي- مكتبة التوحيد (3 / 300 - 309).

(2) انظر: مجموع الفتاوى (24 / 172).

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين (3 / 397).

(4) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير بن صعصعة العامري السوائي حليف بني زهرة ، أمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص له ولأبيه صحبه ، قال: جالست الرسول ﷺ أكثر من مائة مرة ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل: أبا خالد ، توفي في العراق سنة أربع وخمسين ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 431).

(5) سبق توضيحها ص 413.

الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ) [1].

"من شذ وانفرد بمذهب عن مذاهب الأمة فقد خرج عن الحق ؛ لأن الحق لا يخرج عن جماعتها" [2]. فمن أراد العيش في الجنة فعليه العيش وسط أهل السنة والجماعة ؛ لأن الشيطان أبعد عن الجماعة ؛ وأقرب من الفرد ، فالتمسك بالجماعة تحمي الفرد من الشيطان ؛ لأن الفرد إن وجد في أخيه خطأ عدله ، وقومه.

عن الحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ [3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ [4] الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ صَامَ ، وَإِنْ صَلَّى ، قَالَ: وَإِنْ صَامَ ، وَإِنْ صَلَّى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)** [5].

الحديث يدل دلالة واضحة أن الله ورسوله ﷺ قد أمرا بلزوم الجماعة ، وعدم الابتعاد عنها لما في تركها من الهلاك ، والخسران ، حتى ، وإن صام ، وصلى ، وقد بين الرسول ﷺ أن من فارق الجماعة فمات على ذلك مات ميتة جاهلية.

---

(1) سنن الترمذي:كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة (4 / 465) رقم 2165 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 432) رقم 4311.

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير: للمناوى ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة: الثالثة ، 1408هـ / 1988م (1 / 787).

(3) الحارث الأشعري الشامي له صحبة ، سماه ابن حجر الحارث بن الحارث الأشعري ، توهم على البعض أنه أبا مالك الأشعري ، وهذا غير صحيح لأن أبا مالك الأشعري متقدم الوفاة على هذا ، يروي عن أبي موسى ، تفرد بالرواية عنه أبو سلام ،انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (1 / 566) ، الثقات: لابن حبان (4 / 135 –136).

(4) الرِّبقة في الأَصل عُروة في حَبْل تُجعل في عُنق البهيمة ، أَو يدها تُمسكها ، فاستعارها للإسلام يعني ما يَشدّ المسلم به نفسَه من عُرى الإسلام أَي حدوده وأَحكامه وأَوامره ونواهيه ، انظر: لسان العرب: لابن منظور (10 / 112).

(5) مسند أحمد (28 / 404) رقم 17170 ، قال الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (2 / 341) رقم 3694.

عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)** [1].

فقد أخبر الرسول ﷺ أن يد الله مع الجماعة بالحفظ ، والرعاية ، والتقويم على دين الحق ، بخلاف من ترك الجماعة فإن الشيطان يوسوس ، ويزين له أعماله فيكون الواحد أسهل للشيطان من الجماعة.عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **(يَدُ اللهِ مع الجماعةِ)** [2].

ونخلص مما سبق: إلى وجوب الالتزام بمنهج السنة والجماعة ، وأن المنهج الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ ، ومن بعدهم من سلف الأمة ، هو الحامي للمجتمعات والأفراد من الانزلاق وراء المشركين واتباعهم.

---

(1) صحيح البخاري:كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمور تنكرونها (9 / 47) رقم 7054.

(2) سنن الترمذي:كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة (4 / 466) رقم 2166 ، قال الألباني: (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (1 / 594) رقم 5934.

الخاتمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل الله فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

لقد كان المسلمون حتى وفاة الرسول ﷺ ، وصدر من عصر الصحابة ﷺ على منهاج واحد وهو منهاج الكتاب والسنة في الاعتقاد ، والتصور الإسلامي ، والسلوك ، فقد كان يجمعهم الوفاق العلمي ، والاتفاق العملى ، فنجدهم بعدوا عن الانحرافات والضلالات ، ثم تربي على نهجهم من التابعين فابتعدوا عن الاتجاهات الباطلة ، حتى بدأت بعض الانحرافات تطل برأسها على الأمة الإسلامية رويداً رويداً ، فانتشرت كثير من الأمراض التي فتت في عضد المسلمين واعتقد البعض أنها من الإسلام.

فبرز دور العقيدة الإسلامية في علاج تلك الأمراض التي أصابت الأمة سواء في الانحراف العقدي والمتمثل في انحراف الولاء والبراء ، والبدع ، والتوسل المذموم ، والنفاق ، والتكفير، وعالجت الانحراف في التصور الإسلامي سواء كان في القصور في مفهوم الشهادتين ، والعبادة ، والتوكل ، والانحراف في فهم النصوص الشرعية ، وعالجت الانحراف السلوكي المتمثل في التطرف والغلو ، والانحراف عن القيم والأخلاق ، ونشر الفواحش ، والتقليد للكافرين. لذلك كان لا بد من دراسة تلك الأمراض والوقوف عليها ، وإيجاد العلاج المناسب لها.
وفي ختام هذا البحث يمكن أن أُلخصّ بعض ما توصلت إليه من نتائج فيما يأتي:-

1. أن للعقيدة الإسلامية دور فعال في علاج الانحرافات التي أصابت الأمة الإسلامية .

2. صلاح الأمة اليوم لا يكون إلا بما صلح به أولها.

قال الإمام مالك رحمه الله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا" [1].

([1]) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق: محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية ، 1408هـ / 1988م (18 / 327) ، حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الخامسة ، 1399هـ



3. النجاة في الدنيا والآخرة هو التمسك بالكتاب والسنة ومتابعة مذهب السلف الصالح وما جاءوا به.
4. وجوب إخلاص النية في الأقوال ، والأفعال ، والنيات في الظاهر والباطن.
5. وجوب الولاء لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، والبراء من الكفر والكافرين.
6. التكفير حق لله عز وجل لا مجال للعقل ولا للهوي فيه نصيب.
7. تكفير الآخرين لا يكون إلا ضمن قواعد وضوابط .
8. للنفاق خطر على وحدة الأمة الإسلامية وذلك بتهديد أمنه واستقراره.
9. محاربة البدع وأصحابها لما فيه من إماتة السنة والابتعاد عن الحق وأهله.
10. البدع تهدم عُرى الإسلام وتنشر الخرافات والضلالات .
11. وجوب التقرب لله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وبصالح الأعمال ، وبدعاء الصالحين.
12. تجنب كل توسل مذموم مخالف للكتاب والسنة ، سواء بذوات المخلوقين ، أو بالقبور والمقبورين ، أو بالاقسام على الله بالمتوسل به من الأولياء والصالحين.
13. لا يقبل إسلام العبد إلا بعد الإقرار بالشهادتين والعمل بهما ، وكما لا يخرج العبد من دائرة الإسلام إلا بعد جحدهما.
14. وجوب الاعتماد على الله عز وجل في كل كبيرة وصغيرة ، مع وجوب الأخذ بالأسباب.
15. الاعتماد على غير الله ذل وهوان.
16. تعظيم النصوص الشرعية والاعتقاد أن كل ما تضمنته هو الحق والصواب ، وفي خلافها الباطل والضلال.
17. الوسطية في التعامل مع النصوص الشرعية بعيداً عن الافراط والتفريط.
18. الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية ، وعدم فهمها الفهم السليم ، يوقع صاحبها في الغلو والتنطع.
19. التطرف والغلو يوقع المجتمع في مخالفات شرعية ما أنزل الله بها من سلطان.
20. عدم تقديس الأنبياء والصالحين ، ورفعهم فوق منزلتهم.



21. ضعف الوازع الديني لدى شباب الأمة الإسلامية اليوم ناتج عن الانحراف عن القيم والأخلاق.

22. محاسبة النفس ومجاهدتها أولاً بأول يحمي المجتمعات من الانحرافات.

23. إطلاق العنان للشهوات دون قيود ولا ضوابط ، توقع صاحبها في الفواحش والرذائل.

24. الطاعة العمياء للغرب الكافر يضعف عقيدة الولاء والبراء لدى المسلم.

❁ ويمكن بعد ذلك أن أختم ببعض التوصيات:

1. ضرورة اهتمام الباحثين بدراسة الأمراض التي أصابت الأمة الإسلامية اليوم والعمل على حلها بأفضل الطرق وأسلمها.

2. تفعيل دور العلماء والدعاة في بناء المجتمع المسلم على أُسس عقدية سليمة.

3. نشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع وحمايته من الخرافات والضلالات.

4. الالتزام بمذهب أهل السنة والجماعة وعدم تجنبه لما فيه من الفرقة والاختلاف والهلاك.

5. الإطلاع على عيوب النفس أولاً بأول لأزاله كل ما خالف القرآن والسنة.

وأخيراً: فإن هذا العمل المتواضع لا أنزهه عن نقص ، ولا أبرئه من خطأ أو عيب، ولا أدعي له الكمال ، ولا أزعم له الإحاطة والشمول ، وإنما هو مجهود متواضع أردت به تبيان الأمراض التي أصابت الأمة الإسلامية اليوم مع بيان دور العقيدة في علاجها وذلك حسب طاقتي ومعرفتي المحدودة ، فإن وفقت إلى ما أردت فبفضل الله وعونه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

وصلى اللهم على نبيا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

2- آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار صادر – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

3- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ،لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر.المعروف بابن القيم الجوزية ، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان – دمشق ، الطبعة: الثالثة ، 1421هـ / 2000م .

4- الاحتجاج بالقدر: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ، 1404هـ.

5- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لابن دقيق العيد، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ، و مدثر سندس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1426 هـ / 2005 م.

6- أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1405هـ (بدون رقم الطبعة).

7- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد علي بن حزم ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الأفاق الجديدة – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

8- الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن حزم ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، مكتبة عاطف ، مطبعة الامتياز– مصر ، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978 .

9- إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

10- أخبار أبي حنيفة وأصحابه: لحسين بن علي الضميري ، عالم الكتب – بيروت ، 1405 هـ / 1985 م (بدون رقم الطبعة).

11- اختلاف الحديث: الشافعي ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1985م .

12- الإخوان المسلمون 70عاماً في الدعوة والتربية والجهاد: ليوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ،1241هـ /2001م.

13- إرشاد الفحول إرشاد الفحول لي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد على الشوكاني – مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة: الأولى 1356هـ / 1937م .

14- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1405هـ / 1985م.

15- الاستقامة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، جامعة محمد بن سعد – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، 1403هـ.

16- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد بن درويش بن محمد ، دار الكتب العلمية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

17- أسنى المطالب في شرح روض الطالب: زكريا الأنصاري، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة : الأولى 1422 هـ / 2000م.

18- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1412هـ .

19- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: لمحمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار الصميعي – السعودية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

20- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: لعبد الرحمن الخلاوي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى ، 1399هـ / 1979م.

21- أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة: التاسعة ، 1420هـ / 1999م .

22- أصول الفقه على منهج أهل الحديث: لزكريا بن غلام قادر الباكستاني ، دار الخراز ، الطبعة: الأولى ، 1423هـ/ 2002م.

23- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: لصالح الفوزان ، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1423هـ / 2000م.

24- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: لمحمد بن موسى الهمذاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد ، الطبعة: الثانية ، 1359هـ .

25- الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، ضبط وتخريج: مشهور حسن آل سليمان ، مكتبة التوحيد (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

26- إعلام السنة المنشودة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: لأحمد الحكمي ، تحقيق: أحمد علي مدحلي ، دار الرشد ، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1418هـ / 1998م.

27- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، 1973م.

28- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام:لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي – القاهرة ، 1398هـ .

29- الإعلام: لخير الدين محمود محمد علي فارس ، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر 2002 م.

30- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1395هـ/1975م.

31- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، 1369هـ.

32- إكمال الإعلام بتثليث الكلام: لمحمد بن عبد الله الجياني ، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

33- آل رسول الله وأولياؤه: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

34- أمراض القلوب وشفاؤها: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبعة السلفية – القاهرة 1399هـ (دون رقم الطبعة).

35- أولياء الصوفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لموسى بن محمد بن هجاد الزهراني 2004م (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

36- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة – السعودية ، الخامسة ، 1424هـ / 2003 م (بدون رقم الطبعة).

37- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: لبدر الدين بن جماعة ،تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني ، دار السلام، الطبعة: الأولى ، 1990 م.

38- الإيمان: لمحمد نعيم ياسين ، مكتبة السنة – القاهرة ، الطبعة: الأولى ، 1412هـ / 1991م.

39- الباعث على إنكار البدع والحوادث: لشهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شامة ، مطبعة النهضة الحديثة – مكة ، الطبعة: الثانية ، 1401هـ / 1981م.

40- بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق: محمود مطرجي ، دار النشر: دار الفكر – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

41- البحر المديد:لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي ، دار الكتب العلمية للنشر- بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1423 هـ - 2002 م .

42- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة :الأولى ، 1408هـ /1988م.

43- بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوى- أشرف أحمد الج ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ/ 1996م.

44- البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها: عزت علي عيطة ، دار الكتب الحديثة ، مصر - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

45- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الأولى ، 1408هـ.

46- بغية المسترشدين ، عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي ، دار الفكر(بدون رقم الطبعة وتاريخها).

47- بيان الدليل على بطلان التحليل: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، المكتب الإسلامي (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

48- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى ، 1392هـ.

49- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق: محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية ، 1408هـ / 1988م .

50- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر دار الهداية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

51- التاريخ الكبير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (دون رقم الطبعة وتاريخها).

52- تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله المعروف ابن عساكر ، تحقيق: محب الدين بن عمر العمري ، دار الفكر – مكتبة الملك فهد الوطنية – دمشق ، 1415 هـ / 1995م (بدون رقم الطبعة).

53- التبيان شرح نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب: سليمان ناصر بن عبد الله العلوان ،دار المسلم ، الطبعة: السادسة (بدون ذكر تاريخ الطبعة).

54- التبيان في أقسام القرآن: لابن قيم الجوزية ، دار الفكر (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

55- التحف في مذاهب أهل السلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: سيد عاصم علي ، دار الصحابة للتراث – طنطا ، الطبعة: الأولى ، 1409هـ / 1989م.

56- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

57- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

58- تحفة المودود بأحكام المولود: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان – دمشق الطبعة :الأولى ، 1391 هـ / 1971م.

59- تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1984 م.

60- تربيتنا الروحية: سعيد حوى ، مكتبة الرسالة الحديثة ، مكتبة الفكر الإسلامي – عمان ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية (بدون ذكر سنة الطباعة).

61- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك: لعلي بن محمد الماوردي ، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية – بيروت ،1981 هـ.

62- التصوف المنشأ و المصادر:لإحسان إلهي ظهير ، شبكة الدفاع عن السنة ، نقلاً عن كتاب عوارف المعارف للسهروردي (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

63- التعرف لمذهب أهل التصوف : محمد الكلاباذي أبو بكر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1400 هـ (بدون رقم الطبعة).

64- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405 هـ .

65- تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني ، شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

66- تفسير الفخر الرازي: لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

67- تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، 1990م .

68- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ، 1420هـ /1999م.

69- التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

70- تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق: مروان محمد الشعار ، دار النفائس – بيروت ، 2005م

71- التفسير الوسيط للزحيلي: لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الأولى ، 1422 هـ.

72- تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن أبى حاتم التميمي الرازي ، انظر إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1271هـ / 1952م .

73- تلبيس إبليس: لابن الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، الطبعة :الأولى، 1421هـ/ 2001م.

74- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمي ، الطبعة: الأولى ، 1419هـ / 1989م .

75- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، تحقيق: مصطفي أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

76- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب :لمحمد أمين الكردي ، جمعه ابنه نجم الدين ، المكتبة التوفيقية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

77- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه في التربية: لابن مسكويه ، دار الكتب العربية ، بيروت ، الطبعة : الثانية 1401هـ / 1981

78- تهذيب الأسماء: لمحي الدين بن شرف النووي ، تعليق وتصحيح : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان(بدون رقم الطبعة وتاريخها).

79- تهذيب الكمال: ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1400هـ/1980م.

80- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مراجعة: محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتوزيع والنشر – دار القومية العربية للطباعة ، 1384هـ / 1964م.

81- تهذيب سيرة ابن هشام : لعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية – الكويت ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الرابعة عشر ، 1406 هـ / 1985 م.

82- توجيه النظر إلى أصول الأثر: لطاهر بن صالح الجزائري ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

83- التوسل أنواعه وأحكامه: لمحمد ناصر الدين الألباني ، تحقيق: محمد عيد العباسي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة (بدون ذكر سنة الطباعة).

84- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة: الأولى، 1410هـ.

85- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي ، دار الصميعي للتوزيع والنشر – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1428هـ / 2007م .

86- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ، 1420 هـ / 2000م.

87- التيسير بشرح الجامع الصغير: لزين الدين عبد الرؤوف المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة: الثالثة ، 1408هـ / 1988م.

88- الثقات: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة: الأولى ، 1395هـ / 1975م.

89- جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري ، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ، 1420 هـ / 2000 م.

90- جامع الرسائل: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، دار العطاء – الرياض ، الطبعة: الأولى 1422هـ/2001م.

91- الجامع الصحيح سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

92- جامع المسائل: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

93- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب – الرياض ، 1423هـ / 2003م.

94- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: لشمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني ، دار الصميعي ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ/1996م.

95- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر ، حمدان محمد ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ .

96- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : لابن القيم الجوزية ، دار الكتاب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

97- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

98- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: لابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، 1421هـ / 2000م.

99- الحاوي في الفقه: لعلى بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ / 1994م .

100- حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه : لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الخامسة.

101- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، تحقيق: مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر– بيروت ، الطبعة: الأولى (بدون ذكر سنة الطباعة).

102- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1425هـ / 2005م.

103- حراسة الفضيلة: لبكر بن عبد الله أبو زيد ، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، الطبعة: السادسة ، 1421 هـ .

104- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها: لمحمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، السعودية – الرياض ، الطبعة : الأولى 1404هـ / 1984م.

105- حريم النظر في كتب الكلام : لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ، دار عالم المكتب - الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1990م .

106- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري ، تحقيق: مصطفي الخن – محي الدين مستو ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1401هـ / 1981م .

107- الحسنة والسيئة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مطبعة المدني – القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

108- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: لمحمد بن خليفة التميمي ، نشر: أضواء السلف، الرياض- السعودية الطبعة: الأولى ، 1418هـ /1997 م.

109- حكام أهل الذمة: لابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري ، الناشر: رمادي للنشر - دار ابن حزم - الدمام – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1418هـ / 1997م.

110- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ،1405 هـ.

111- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الرابعة ، 1405هـ.

112- الخصائص الكبرى: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1405هـ / 1985م.

113- خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لصفي الدين أحمد عبد الله الخزرجى الأنصاري اليمني ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – دار البشائر ، حلب – بيروت ، 1416هـ .

114- درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، 1391 هـ (بدون رقم الطبعة).

115- الدرر السنية في الأجوبة النجدية: لعلماء نجد من عصر محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة: السادسة ، 1417هـ / 1996م.

116- دعوة التوحيد: لمحمد خليل الهراس دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1986م.

117- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، 1404هـ (بدون رقم الطبعة).

118- دليل البحث والتقويم التربوي: أحمد الخطيب وآخرون ، 1985م (بدون رقم الطبعة).

119- الديباج على مسلم بن الحجاج: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان – السعودية ، 1416 هـ / 1996م .

120- الذخيرة: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق: محمد حجي ، دار الغرب – بيروت ، 1994م.

121- رجال صحيح مسلم: لأحمد بن علي بن منجويه الأصفهاني ، تحقيق: عبد الله الليثي ، دار المعرفة – بيروت ، 1407 هـ (بدون رقم الطبعة).

122- الرد على البكري- تلخيص كتاب الاستغاثة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، 1417هـ .

123- الرد على المنطقيين: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي ، دار المعرفة – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

124- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر ، مطابع الشرق الأوسط – الرياض ، 1420 هـ (دون رقم الطبعة).

125- الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مكتبة المدني – جدة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

126- الرسالة العرشية: لابن قيم الجوزية ، المطبعة السلفية – القاهرة ، الطبعة: الأولى ، 1399هـ .

127- الرسالة القشيرية : لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1422هـ - 2001 م (بدون رقم الطبعة).

128- الرسالة: لمحمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

129- رسائل وفتاوى عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الثاني، دار العاصمة ، الرياض- السعودية ، الطبعة: الأولى ، بمصر 1349هـ ، النشرة الثالثة ، 1412هـ .

130- رفع الملام عن الأئمة الأعلام: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

131- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

132- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة : لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1395هـ / 1975م.

133- الروض المعطار في خبر الأقطار: لمحمد بن عبد المنعم الحِميري ، تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت ، طبع على مطابع دار السراج ، الطبعة: الثانية ، 1980م.

134- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت ، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ / 1994م.

135- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري ، تحقيق: محمد جبر الألفي وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، الطبعة: الأولى 1399هـ .

136- الزهد والورع والعبادة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: حماد سلامة ، محمد عويضة ، مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة: الأولى ، 1407هـ.

137- زهر الأداب وثمر الألباب: لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق: يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1417 هـ / 1997م.

138- سبل السلام: لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة : الرابعة ، 1379هـ / 1960م.

139- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1414هـ / 1993م.

140- السلسة الضعيفة: لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

141- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

142- سنن أبي داود: لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

143- سنن الدارقطني: لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – حسين عبد المنعم شلبي – عبد اللطيف حرز الله – أحمد برهوم ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1424هـ / 2004م .

144- سنن الدارمي: للدارمي: تحقيق: سليم أسد الدارمي ، دار المغني للنشر والتوزيع (بدون رقم الطبعة وتاريخها)

145- السنن الكبرى – وفي ذيله الجوهر النقي: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني،الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة: الأولى ، 1344 هـ .

146- سنن النسائي : ترقيم أبي غدة – مع أحكام الألباني: لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية ، 1406هـ / 1986م.

147- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ،دار المعرفة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

148- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: التاسعة ، 1413هـ / 1993م .

149- السيرة النبوية: لابن هشام ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل – بيروت ، 1411هـ (بدون رقم الطبعة).

150- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار ابن حزم الطبعة: الأولى (بدون ذكر سنة الطباعة).

151- شذرات الذهب في أخبار من ذهب:لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، دار النشر ، دار الكتب العلمية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

152- شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبه – مطبعة الاستقلال الكبرى – القاهرة ، الطبعة: الأولى 1384هـ / 1965 م.

153- شرح السنة – متناً وشرحاً: لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1403هـ / 1983م.

154- شرح السيوطي لسنن النسائي: لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية 1406هـ / 1986 .

155- شرح العقيدة الأصفهانية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تعليق وتحقيق: سعيد بن نصر بن محمد ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1415هـ .

156- شرح العقيدة الطحاوية: لصدر الدين محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: جماعة من العلماء ، تخريج: الألباني – دار السلام ، الطبعة: المصرية الأولى ، 1426هـ / 2005م.

157- شرح العقيدة الطحاوية: لمحمد ناصر الدين الألباني ، تحقيق: مجموعة من العلماء ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثامنة ، 4505هـ / 1984 م.

158- شرح العقيدة الواسطية: لمحمد خليل هراس ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى ،1413هـ / 1992م.

159- شرح الفقه الأكبر، لأبى منصور الحنفي، طبعة الشئون الدينية بقطر، ولملا على القاري ، مطبعة مصطفى الحلبى 1375هـ / 1955م (بدون رقم الطبعة).

160- الشرح الممتع على زاد المستقنع: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة: الأولى ، 1422- 1428 هـ .

161- شرح سنن ابن ماجه: لعلاء الدين مغلطاي الحنفي ، تحقيق: كامل عويضة ، مكتبة نزار مصطفي الباز، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1419هـ/1999م.

162- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لعبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام ، تحقيق: عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق ، الطبعة: الأولى ، 1984هـ.

163- شرح صحيح البخاري: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار الرشيد- السعودية - الرياض ، 1423هـ /2003 م(بدون رقم الطبعة).

164- شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1410هـ .

165- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ، للقاضي عياض ، حاشية: العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى ، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت – لبنان ، 1409هـ / 1988 م.

166- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر – بيروت ، 1398هـ / 1978م.

167- الصارم المسلول على شتم الرسل: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1417 هـ.

168- الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد: ليوسف القرضاوي ، دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م (بدون رقم الطبعة).

169- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية ، 1414هـ / 1993م .

170- صحيح أبي داود: للألباني ، مؤسسة غراس للتوزيع والنشر – الكويت ، 1423هـ / 2002م

171- صحيح الأدب المفرد: لمحمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، الطبعة: الأولى ، 1421هـ (بدون ذكر سنة الطباعة).

172- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ذيب البغا ، دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة: الثالثة ،1407هـ / 1787 م.

173- صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الخامسة (دون ذكر سنة الطباعة).

174- صحيح الجامع الصغير وزيادته: لمحمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الثانية ، 1414هـ / 1993م .

175- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق: فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

176- الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها: لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف – الرياض– السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1422هـ / 2002م.

177- صفة الصفوة : لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق : محمود فاخوري – محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1399 هـ/ 1979م

178- صفة النفاق وذم المنافقين: لجعفر بن محمد الريابي، تحقيق: عبد الرقيب علي ، مراجعة: مقبل عبد الهادي الوادعي ، دار ابن زيدان – لبنان – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1410هـ/ 1990م.

179- الصفدية : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، الطبعة: الثانية ، 1406هـ (بدون ذكر اسم المطبعة).

180- الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها: لابن القيم ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر : الجفان والجابي – دار ابن حزم – قبرص – بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1416 هـ / 1996م.

181- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الثانية ، والطبعة الثالثة ، 1418 هـ / 1998 م.

182- ضعيف أبي داود – الأم : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت الطبعة : الأولى – 1423 هـ.

183- طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

184- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد جميل غازي ، مطبعة المدني – القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

185- طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة: الثانية ، 1414هـ/ 1994م.

186- العبودية : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة السابعة المجددة ، 1426هـ / 2005م .

187- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ابن قيم الجوزية ، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

188- عيوب النفس: لمحمد الحسين السلمي ، تحقيق: مجدي فتحي السيد ، مكتبة الصحابة طنطا ، 1408 هـ (بدون ذكر رقم الطبعة).

189- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، 1405هـ.

190- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة: الثانية ، 1423 هـ / 2002م.

191- الفائق في غريب الحديث والأثر: لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق: علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة– لبنان ، الطبعة: الثانية (بدون ذكر سنة الطباعة).

192- فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، مصدر الكتاب : موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

193- فتاوى مهمة لعموم الأمة: لعبد العزيز بن باز ، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق: إبراهيم الفارس ، دار– العاصمة الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1413هـ.

194- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، 1379هـ (بدون رقم الطبعة).

195- فتح الباري: لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي المشهور بابن رجب ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، دار ابن الجوزي – السعودية – الدمام ، الطبعة: الثانية ، 1422هـ .

196- فتح المغيث شرح ألفية الحديث : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة: الأولي ، 1403هـ .

197- الفتوحات المكية: لابن عربي ، دار صادر – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

198- الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر البغدادي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1977

199- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبد الرحمن عبد الكريم اليحيي ، دار الفضيلة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

200- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم ، تحقيق: محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة ، مكتبة عكاظ – السعودية ، الطبعة: الأولى ، 1402هـ /1982م .

201- فضائح الباطنية :لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

202- فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد العزيز محمد الفريح ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة ، 1422هـ / 2001م (بدون رقم الطبعة) .

203- فقه السنة: لسيد سابق ، الفتح للإعلام العربي – القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

204- فقه السيرة: لمحمد بن محمد الغزالي ، تحقيق: الألباني ، دار القلم – دمشق ، الطبعة: السابعة ، 1998م .

205- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي ، تحقيق: رضا فرحات ، مكتبة الثقافة الدينية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

206- فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ، 1415ھ /1994م.

207- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان – عجمان ، الطبعة: الأولى ، 1422ھ / 2001م.

208- قاعدة في المحبة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

209- قصيدة ابن أبي داود: لعبد الله بن سليمان الأشعث ، تحقيق : محمود محمد الحداد ، دار طيبة – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1408ھ.

210- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: لمرعي الكرمي ، تحقيق: سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم – الكويت ، 1400 ھ (بدون رقم الطبعة).

211- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: للعز بن عبد السلام ، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي ، دار المعارف – بيروت – لبنان (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

212- قواعد الأحكام في مصالح الأنام:للعز بن عبد السلام ، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي دار المعارف بيروت – لبنان (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

213- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: لمحمد بن صالح بن عثيمين ، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مكتبة السنة ، الطبعة: الثانية ، 1414هـ / 1994م.

214- القواعد النورانية الفقهية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت ، 1399 ھ (بدون رقم الطبعة).

215- القول السديد في مقاصد التوحيد: لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ، تخريج: المرتضي الزين أحمد ، مجموعة التحف النفيسة الدولية للتوزيع والنشر – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1416 هـ/ 1996 م.

216- القول المفيد علي كتاب التوحيد : لمحمد بن صالح بن عثيمين ، ترتيب : سليمان عبد الله محمود أبا الخيل ، خالد علي محمد المشيقح ، دار العاصمة ، الطبعة: الأولى ، 1415هـ.

217- كتاب الإيمان الأوسط : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمود أبو سن ، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض ، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

218- كتاب الكليات: لأبي البقاء الكفومى ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ/ 1998م.

219- كتاب معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة: لمحمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ،1406هـ / 1985.

220- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

221- كشف المشكل من حديث الصحيحين: لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق: علي حسين البواب ، دار الوطن – الرياض ، 1418هـ / 1997م (بدون رقم الطبعة) .

222- الكشف والبيان: لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، وتدقيق: نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ، 1422 هـ / 2002 م.

223- الكفاية في علم الرواية: لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

224- الكنى والأسماء: لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، تحقيق: نظر محمد الفاريابي ، دار ابن حزم – بيروت ، 1421هـ / 2000م (بدون رقم الطبعة).

225- لسان العرب: لابن منظور الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى (بدون سنة الطباعة).

226- لقاء الباب المفتوح: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال 1412هـ وانتهت في الخميس 14 صفر، عام 1421هـ (بدون رقم الطبعة).

227- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ل شمس الدين السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة: الثانية ، 1402هـ / 1982م .

228- مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان ، مكتبة المعارف للتوزيع والنشر ، الطبعة: الثالثة ، 1421هـ / 2000م .

229- مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ،مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

230- مجمل اعتقاد أئمة السلف: لعبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ، الطبعة: الثانية ، 1417هـ.

231- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، اعتنيا بها وخرجا أحاديثها: أنور الباز – عامر الجزار ، نشر: دار الوفاء ، الطبعة: الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.

232- مجموع فتاوى ابن باز: لابن باز ، وجمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر ، مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

233- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: لمحمد بن صالح العثيمين جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن – دار الثريا ، الطبعة: الأخيرة 1413 هـ

234- مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد البهية: لصالح بن محمد بن حسن الأسمري ، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ، 1420هـ / 2000م.

235- مجموعة رسائل حسن البنا: دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة ، 1412هـ /1992م (بدون رقم الطبعة).

236- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان :محمد بن عبد الوهاب ،تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري ، مطابع الرياض – الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

237- مختصر منهاج القاصدين: لابن قدامة المقدسي ، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي –بيروت ، الطبعة: السادسة ، 1421هـ / 2000م .

238- المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ،1417هـ /1996مـ .

239- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1393 هـ/ 1973م.

240- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لمحمد عبد الله التبريزي ، تحقيق: جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1422هـ / 2001 م.

241- مسألة في الكنائس: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ.

242- مساوئ الأخلاق ومذمومها، للخرائطي ، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الرياض ، مكتبة الساعي – القاهرة ، مكتبة القرآن، 1989 م(بدون رقم الطبعة).

243- المستدرك على الصحيحين:لأبي عبد الله النيسابوري – مذيل تلخيص الذهبي ، دار المعرفة – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

244- المستصفى في علم الأصول: للغزالي ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1413هـ .

245- مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود ، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة: الأولى 1419هـ / 1999م .

246- مشكاة المصابيح: للتبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، 1405هـ/ 1985م .

247- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية– بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

248- مصرع التصوف:لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ، الناشر : عباس أحمد الباز – مكة المكرمة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

249- معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، 1410 هـ / 1990م(بدون رقم الطبعة).

250- المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة ، 1415هـ (بدون رقم الطبعة).

251- معجم البلدان: لياقوت الحموي ، دار الفكر – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

252- المعجم السلوكي في علم النفس: لنور بير سيلامى ، وبمشاركة ثلاثة وثلاثين اختصاصياً ، ترجمة: وجيه أسعد ، وزارة الثقافة – سوريا – دمشق ، 2001م (بدون رقم الطبعة).

253- معجم الصحابة: لعبد الباقي قانع ، تحقيق: صلاح سالم المصراتي ، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ، 1418هـ (بدون رقم الطبعة).

254- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى ، 1421هـ.

255- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة: الثانية ، 1404هـ / 1983م .

256- المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ، تحقيق: مجمع اللغة العربية دار النشر : دار الدعوة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

257- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : لعمر رضا كحاله ، دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الثانية ، 1388 هـ - 1968 م .

258- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ / 1979م (بدون رقم الطبعة).

259- معرفة الثقات: لأحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي ، تحقيق: عبد العليم بن عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1985م .

260- مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

261- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية والعلم والإدارة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

262- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – لبنان (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

263- مقاصد الرعاية لحقوق الله : لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، تحقيق: إياد خالد الطباع ، دار الفكر – دمشق ، 1416 هـ / 1995م (بدون رقم الطبعة).

264- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلي: لعلي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، تحقيق: هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة (بدون تاريخ الطبعة).

265- مقدمة ابن الصلاح: لعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، مكتبة الفارابي ، الطبعة: الأولى ، 1984هـ.

266- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد- السعودية – الرياض ، 1410هـ / 1990م (بدون رقم الطبعة) .

267- الملخص في شرح كتاب التوحيد : لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة: الأولى ، 1422 هـ/ 2001م

268- مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة عيسي البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الثالثة (بدون تاريخ الطبعة).

269- منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة ، الطبعة: الأولى ، 1406هـ/ 1986م.

270- منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : للنووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1391 هـ

271- منهج النقد في علوم الحديث ، لنور الدين عتر، دار الفكر دمشق- سورية ، الطبعة: الثالثة ، 1418هـ/ 1997م.

272- الموافقات: للشاطبي ، تحقيق: مشهور بن حسين آل سليمان ، دار ابن عفان ، الطبعة: الأولى ، 1417هـ / 1997م .

273- المواقف : لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1997م .

274- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل: لشمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني ،تحقيق : زكريا عميرات ، دار عالم الكتب ،الطبعة : طبعة خاصة ، 1423هـ/ 2003م .

275- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دار السلاسل – الكويت ، الطبعة الثانية ، من 1401هـ / 1427 هـ .

276- الموضوعات: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة: الأولى ، 1386هـ / 1966م (بدون ذكر الناشر).

277- موقف الشيعة من أهل السنة: لمحمد مال الله ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: الثالثة ، 1049 هـ

278- مؤلفات ابن عبد الوهاب: الرسالة السابعة عشرة ، تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، محمد بلتاجي ، سيد حجاب ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.

279- الناسخ والمنسوخ: لابن حزم ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1406هـ .

280- النبوات: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبعة السلفية – القاهرة ، 1386هـ (بدون رقم الطبعة) .

281- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : لعدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع – جدة ، الطبعة: الرابعة (بدون تاريخ الطباعة).

282- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: حسن السماعي سويدان ، دار القادري – بيروت ، الطبعة : الأولى ، 1411هـ/ 1990م.

283- النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، 1399هـ / 1979م(بدون رقم الطبعة).

284- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة: لسعيد ين علي القطاني، مكتبه الملك فهد الوطنية – الرياض، الطبعة: الثالثة ، 1421هـ / 2000 م.

285- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني ، مع الكتاب : تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

286- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: لابن قيم الجوزية ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها).

287- الوابل الصيب من الكلام الطيب: لابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1405هـ / 1985م .

288- الوجيز في عقيدة السلف: لعبد الحميد الأثري ، دار الراية – الرياض ، الطبعة: الثالثة ، 1428هـ .

289- الولاء والبراء في الإسلام: لمحمد سعيد القطاني ، الفتح للإعلام العربي ، الطبعة: السادسة ، 1413 هـ .

فهرس الموضوعات









Research Summary

The Islamic tent has an active role in tackling the deviations that have affected the Islamic Nation today. These deviations might be conceptual, behavioral or in the beliefs. The tent has also solved the deviations in the tent of loyalty.   Moreover, it has also made clear the limits of disbelieving, its conditions and causes. The tent has also cured hypocrisy and explained its danger on man and the society. The Islamic has warned man to fill in hypocrisy. This tent has shown the shortage in Islamic beliefs including the shortage in testifying- " that there is no God but Allah and that Mohammad is the Messenger of Allah"- the worship and reliability. This tent has obviously treated the misunderstanding of the Islamic texts. In other words, it has put the suitable remedy for lots of diseases like fundamentalism and the way of imitating the disbelievers. To sum up, We can say that the Islamic tent has made clear the pillars of Islam according to the holy book "Quran" and "Sunna".